

الجزء السادس

من

﴿ الجواهر ﴾

في تفسير القرآن الكريم

المشتمل على عجائب بدائع المكنونات وغرائب

الآيات الباهرات

﴿ تأليف ﴾

الاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوى جوهرى

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم

سابقا متع الله المسلمين بحياته آمين

طبع بمطبعة

مُصْطَفَى السَّابِى الْحَكْبِى وَأَوْلَادُهُ بِمِصْرَ

(حقوق الطبع محفوظة)

محرم سنة ١٣٤٦ هـ - ٥

﴿ الخطأ والصواب ﴾			
صواب	خطأ	سطر	صفحة
ربك	رابك	٤	٥
الأول بالفرنسية والثاني بالانجليزية	الأول بالانجليزية والثاني بالفرنسية	٣	٨
لصفاء النفوس والمروءة	لصفاء النفوس والمروءة	٩	٩
كانت	كان	١	٩
تؤدي	يؤدي	١	٩
علم	بعلم	١٣	٩
وانما	نعم	١٣	١٥
توكان	لوكان	١٤	٣٤
(شكل ٩)	(شكل ٨)	٨	٣٦
(شكل ١٠)	(شكل ٩)	٩	٣٦
الهيئة	الهيئة	١٧	٥٤
العالم	العلم	١٢	٦٣
للعقول	للعقول	١٣	٦٩
انكارى	الانكارى	٧	٧١
يكون	فيكون	١٣	٧٩
وكرهوا	وكرهوا	٣١	٩٤
الخرايه	الخرايه	٥	١٠٠
يحصر الفكر وبالقرآن	و بالقرآن يحصر الفكر	٣٥	١٠٠
العروق	القرون	٢١	١١٤
يتنبه	يامر	١٠	١١٦
	فيما تقدم	١٣	١١٨
راضين	راضون	٢٠	١١٩
نسب	بنسب	١٣	١٢١
عما	كما	٣٥	١٢٣
الأمة	الآية	١٨	١٢٥
العمى	العماء	١٦	١٢٩
موقع	فوق	٤	١٦٦
وانظروا	وانظروا	٢٦	١٦٩
معلوم	الحاجة	١١	١٧١
الهلاكه في هذه	الهلاكه	٣	١٧٤
انا	ان	١٦	١٨٠
جبلتها	جبلتها	٣٤	١٨٤

﴿ فهرست الجزء السادس من كتاب (الجواهر) في تفسير القرآن الكريم ﴾

صفحة

- ٢ تقسيم سورة يونس الى ﴿ سبعة أقسام ﴾ وتحديد كل قسم منها و بيان مقصوده اجمالاً
- ٣ ﴿ القسم الأول ﴾ من أول السورة الى قوله - أن الحمد لله رب العالمين - مكتوباً مشكلاً • ثم بيان اتصال أول هذه السورة بآخر ما قبلها
- ٤ تفسير (الر) و بيان بعض سر هذه الحروف و تفسير ألفاظ هذا القسم
- ٥ تفسير بعض الألفاظ و بيان قوله تعالى - في ستة أيام -
- ٦ بيان أن خلق السموات والأرض في ستة أيام كان معروفاً ولذلك جاء صلة الموصول • وذكر ما جاء في الاصحاح الأول من سفر التكوين في التوراة و بيان قوله تعالى - ثم استوى على العرش يدبر الأمر - العرش إما البناء وإما الملك والعرش مقرون بالتدبير • وتبين أن ما غلب نفعه يبق وذلك كالماء الذي جاء أنه استوى عليه العرش مع أنه قد يغرق الناسك والمرأة العجوز إذن الملك مبنى على علم والعلم به يصطفى ما غلب خيره • جعل في اشراق شمس المعارف من قوله تعالى - ثم استوى على العرش يدبر الأمر - • وشرح شجرة (الكواشوك) الأسستيك وأن السائل اللبني المستخرج منها يحفظ الأسلاك البرقية في البحر ومنه إطار المجلات والعربات والسيارات وقلل الماء الدافئ والوسائد ذات الهواء والأنابيب لاطفاء الحريق والمعاطف المانعة للطرولسقى الخدائق وهذه المادة مع الكبريت تكون مساطر ومقابس الخ
- ٩ رسم شجرة (الأسستيك) بالتصوير الشمسي و بيان تدبير الله فيها الذي جاء في قوله - يدبر الأمر - فانه خلق منفعتها في حفظ الأسلاك في البحر قبل أن تظهر الكهرباء ولا شيء يستمد منه هذه الشجرة في حفظ كهرباء الأسلاك البرقية والله خالقها في أقطار بعيدة وعرف الناس بها وأحوجهم اليها فاصلوها بمشقة وعمل ليرتقوا وينشطوا
- ١٠ آراء نوع الانسان في مثل هذا المقام وانه ﴿ ثلاث درجات ﴾ دنيا كالامة ووسطى وهم أكثر الملعامين وعليا وهم الحكماء • والقسم الأولان لا نظرا لهما في التدبير العام • والنسم الثالث هم قواد الأمم وهم الأقولون كقطة هذه الشجرة ولكن عامهم يعم كما عمت منافعها وقل وجودها • وبهذا المثال ظهر أن العالم كجسم انسان واحد أو حيوان واحد كبيره مرتبط بصغيره ارتباط العين بأصبع الرجل مثلا
- بيان تفصيل الآيات • وبيان آراء علماء القرن التاسع عشر وآراء القرن العشرين والآخرين هم الناظرون في التدبير العام كنص الآية مثل (ويسمان) و (سبنسر) و (كاميل فلامريون) و (فون باير) و (چينو) وغيرهم وأن آراءهم ترجع الى قوله تعالى - ثم استوى على العرش يدبر الأمر - وإن كانوا هم لا يعلمون ذلك
- ١٢ الأرض كأم تربي أولادها إذ يخلق للأُم الثديان قبل خلق الولد وهكذا خلقت هذه الشجرة قبل ظهور الكهرباء ومثل ذلك إلهام الحشرات وسائر الحيوانات التي استدل بها علماء القرن العشرين على وجود مدبر للوجود • وبيان أن هذا التفسير ظهر قبيل ظهور قادة من الأمم الاسلامية كما ظهرت الشجرة المتقدمة قبل ظهور الكهرباء فهذا التفسير من دلائل النهضة القرية في بلاد الشرق
- فريدة في التدبير العام • وبيان أن القوى ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ قوى الغرائز الحيوانية وقوة العقل والقوة القدسية والعقل فوق الغريزة وهو ينظر في الذي جاء به الوحي والالهام في كل أمة بحسب طباعها

- ١٤ الكلام على تدبير المادة فكلمنا كان الأعلى في القوى يفيد الأدنى كالعقل بالنسبة للفراسة وكوحي الانبياء بالنسبة للعقول هكذا في المادة بعد الاكبر منها الاصغر كالشمس بالنسبة للأرض تعطى الضوء الخ
- ١٥ لامعطل في الوجود . ان ما يزيد من الانهر أيام الفيضان يكون في البحار العظيمة طبقات في القاع لتكون أرضا يابسة في المستقبل وجبالا كفضلة الرجل والمرأة يتكوّن منهما ذرية تبقى كما كانت الجبال من فيضان الانهار . ازدياد الناس على الكرة الأرضية . وبيان أن الناس قريبا ستحاسب كل أمة غيرها على ما عطلت من منافع موادها وعقوبها وتبين أن ملابس صبي واحد قد أخذت أجزاءها من كل دولة من الدول . واجب المسلمين الذين ألف لهم هذا الكتاب أن يفكروا في تدبير الأمر في الآية والأثم قد أحاطت بهم فليدرسوا هذه الدنيا كالآدم وهذا التفسير مقدمة لهذه النهضة
- بيان - وقدره منازل - وأن القمر أصل الشهور والاسابيع وبيان آراء الأثم في اليوم ومبدئه كالفرس واليهود وأهل إيطاليا وأمة العرب وفرنسا وأن أسماء الأيام في الاسبوع مشتقات من أسماء الكواكب السيارة مثل (الثلاثاء) من مارس أي المريخ الخ
- ١٧ بيان السنة عند الفرس والمصريين والشهور مثل توت وبابه الخ والسنة عند الصينيين والعرب واليهود وقدماء الرومان والكلام على الشهور عند الفرنجة وبيان أن الأصل في هذا كنه سير القمر الذي اضطرب الرومانيون إلى الرجوع إلى (١٢) شهرا كبقية الأثم والذي تفتن لهذا (يوليوس قيصر) الذي سمي باسمه الشهر المعلوم وهذا سرّ قوله تعالى - وقدره منازل لتعلموا الخ -
- ١٨ السنة الشمسية السكينة والبسيطة وشرح قاعدتها والتمثيل بسنة ١٩٢٤ وهي سنة تفسير هذا المجلد وحسابها بالدقة . والكلام على تعديل (جريجوري ليديوس) الطلياني وكيف قبلت الأثم هذا التعديل إلا ثلاث أثم . وبيان أدوار السنين السكينة والبسيطة في الحساب العربي وهي ٢١٠ سنة من ضرب ٧ في ٣٠ سنة أي ان الدور الكبير سبعة أدوار صغيرة
- ١٩ بهجة العلم في هذه الآيات . تقدير المنازل جعل الناس آمنين على (أمرين) حساب الدرجات الأرضية وحساب الميزان والكيل والمساحة . فالأول جاء من فكرة كروية الأرض التي أول من فكر فيها (أراتوستانس) سنة ٢٧٦ ق م إذ قاس ما بين مدينة اسوان والاسكندرية وبهذا عرف كروية الأرض وأن المسافة بين اسوان واسكندرية جزء من خمسين من محيط الكرة الأرضية . ذلك بسبب العمود الذي نصبه عند الاسكندرية وقاس ظله الخ
- ٢٠ وبلى هذا فصل في الكلام على الخلاف بين الأوائل والآخر في الافلاك ومسألة الدوران وهل الشمس هي الدائرة أم هي الأرض من كتابي (جواهر العلوم)
- ٢١ فيثاغورس كان يعلم تلاميذه في مدرسة (كروتونيا) بإيطاليا على طريقة حركة الأرض حول الشمس سنة ٥٥٠ ق م وأن الأرض والسيارات كلها تجري حولها وأن الطبقات سبع وهي الأقدار الستة ثم السابعة التي لانراها الخ فهذه سبع سموات الخ
- ٢٢ وجاء بطليموس سنة ١٤٠ ق م فعكس الوضع وحكم بدوران الشمس وظهر ذلك على يد الفارابي وابن سينا حوالي القرن الرابع الهجري إذ يقولون أن الأرض ساكنة والشمس دائرة هي والكواكب حولها وهناك حركتان احدهما قسرية والاخرى اختيارية لنفس الكوكب الخ فهذا المذهب كان ضد العقيدة الاسلامية وفيه أخذ ورد . وظهر (كوبرنيكوس) ببلاد لهستان من سنة ٥٥٠ الى سنة ١٥٣٠ ميلادية وهي سنة ٩٣٧ هجرية ورجع إلى رأى فيثاغورث وقد سبقه في ذلك عضد الدين

- عبد الرحمن بن أحمد المتوفى سنة ٧٥٦ هجرية وشارحه السيد الشريف المتوفى سنة ٨٦٦ هجرية
فهما قالا بدوران الأرض لا الشمس وقد سبقا (كوينيكوس) بأكثر من قرن
- ٢٣ بيان الأدلة العلمية على دوران الأرض من مسألة وضع الزيت في الكؤول ومن ذبذبة البندول ومن
تغير ظل الأرض ومن أن الجسم الأكبر لا يدور حول الأصغر ومن المشابهة للكواكب في دورانها
حول نفسها
- ٢٤ أن علماء الإسلام قد كرهوا المذهب القديم لأن فيه النجس والسعد وفيه أنه لا خرق ولا التثام في الفلك
وأن الأفلاك لها نفوس وأن بعد الهواء كسرة النار وكل ذلك باطل عند المسلمين إذن المذهب الجديد
هو الموافق للإسلام . الشمس وشفاء الأمراض
- ٢٥ الاستشفاء بنور الشمس . الحمام الشمسي وذلك بتعرض الجسم للشمس بلا حائل بالتدريج بحيث
يرفع ملابسه عن يديه وساعديه وقدميه وساقيه خمس دقائق وفي اليوم الثاني عن أطرافه العليا والسفلى
خمس دقائق وفي الثالث يرفع عن البطن الخ وهكذا إلى السابع فيعرض الجسم كله ساعة فذلك قوة
جميع الجسم ظاهرا وباطنا . وبيان أن هذا الأمر محتم في أوروبا لتقوية الأطفال
صورة أوجه القمر (شكل ٢)
- ٢٧ المقام الثاني وهو بيان أن المساحة والميزان والمكيال في بلادنا المصرية تابعات لسير الشمس وأن الرمل
والأوقية والوقية والدرهم والقنطار والكيلو والملاوة والأردب والقصة والفدان والذراع النبلي والذراع البلدي
والهنداسة . كل هذه مبنية على سير الشمس ذلك لأن محيط الهرم الأكبر جزء من مليار من محيط
مدار الشمس السنوي . وبيان ارتفاعه وضعف الارتفاع وضعف الهرم ونسبة الذراع البلدي إليه وأن
الدرهم منسوب لربع الذراع البلدي المكعب والأردب ذراع بلدي مكعب والفدان (١٠٠) هنداسة
في (١٠٠) هنداسة الخ
- ٢٨ والذراع النبلي ٥ من ٦ من الهنداسة . هذا فعل قدماء المصريين وهو نفسه قول الله - لتعلموا عدد
السنين والحساب - والكلام على المتر وهو مقياس الفرنسيين وأنه منسوب لمحيط الكرة الأرضية وعلى
البارده عند الانجليز وهي منسوبة للساق المعدني الذي هو رصاص الساعة المجهز بالجذب العام
- ٢٩ من العار على المسلم أن يموت وهو لا يعلم أن الكيلة والذراع البلدي الخ لها اتصال بدوران الشمس
تذكرة للأئمة المصرية والأئمة الإسلامية وفيها صورة المذكرة المرسلة لمجلس الشيوخ والنواب والوزراء في
اصلاح التعليم الثانوي وأن الابتدائي ليس كافيا لاتحاد العقول والعالي للاختصاص والثانوي هو الذي
يصقل العقول ويقربها وهو في زمن الاحتلال ضعيف لقلة العلوم الطبيعية والفلكية . فالطالب يجهل
ما فوقه وما تحته وأذن لا بد من رجوع هذه العلوم التي كانت قبل ٣٥ سنة في بلادنا
- ٣١ جوهرة سنية في أن جبال الكواكب قبسة من عوالم الجنات عجلت في هذه الدنيا والجمال على قسمين
جبال بثير الشهوات وهذا عذاب معجل في الدنيا كجمال بستان غلظه تكاليف الحياة وهموما
وجبال بستان عام فلاحسد فيه ولا تكاليف . ومن هذه البساتين المعسمة للجمهور في كل أمة لراحة
الناس من مشاق الحياة وهذا للجهلاء وهناك بساتين للحكماء هي النجوم الجيلة التي تظهر ليلا
الكواكب جنات عجلت للفكرين ولكن أكثر الناس عنها محجوبون وبيان أن العامة إذا فرحوا
بالزهر فالخاصة بالنجوم بدل الأزهار . وبيان أن من الكواكب ما لا يصل ضوءه إلينا إلا بعد ألف
ألف سنة وستين ألف سنة وقد يكون الكوكب أضوأ من الشمس ثمانية آلاف مرة بل أكثر

- من ذلك . ثم ذكر رياض الجنات التي أعدها الله في هذه الدنيا للعارفين
- ٣٣ طريق التبانة وهي المجرة وعدد كواكبها ٢٤٢ ألف ألف شمس . ورسم صورتها (شكل ٣)
- وهذه الرياض (ثلاثة أقسام) قنوان يمكن تحليلها . وقنوان يحلل بعضها . وقنوان لا تحلل
- ٣٤ المجموعات الكوكبية . اسم بعض المجموعات الكوكبية التي في الجنوب (شكل ٤) وأشهرها قنوتوكان (شكل ٥) . القسم الثاني السدام التي يمكن تحليل بعضها مثل (شكل ٦) وفيه ست مجموعات في الجوزاء وفي الدلو وهكذا . وشكل ٧ يقرب من المستقيم الخ
- ٣٥ السدام الذي لا يحل مثل (شكل ٩) ومثل (شكل ١٠) . سديم المرأة المسلسلة وسديم الأسد
- ٣٦ وبيان أنهم كشفوا نحو (ألف ألف) سديم وبعدها عنا (١٤٠) مليون سنة وفي كل سديم منها مادة تكفي لتكوين مليون شمس مثل شمسنا وهذا قوله تعالى - أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم الخ -
- جوهرة في اشراق نور العلم في القلوب باشراف نور الكواكب
- ٣٨ صفة المجرة هي كحة عدس قطرها (٥٠) ألف سنة نورية وهناك عالمان آخران يبعدان نحو ٢٠٠ ألف سنة نورية والكلام على سديم المرأة المسلسلة المتقدم وأنه يبعد عنا مليون سنة نورية وقطره ٥٠ ألف سنة نورية وفيه ألوف الملايين من النجوم وهي شمس أضوأ من شمسنا أضعافا مضاعفة . هذا معنى قوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون -
- ٣٩ بيان أن هذا معنى - إن الذين لا يرجون لقاءنا الخ - وذكر أن المسلمين في حياة المؤلف وبعد موته سيهرعون إلى بناء المراصد الفلكية وأنهم كانوا أول المعادين لأوروبا كما قال (سديو) ثم جهلوا فخرت بلادهم وهاهوذا أوان مجدهم ورقمهم
- ٤٠ (شكل ٨) وهو السدام الخلق . (اللطيفة الأولى) النبات المفترس في أمريكا الشمالية (اللطيفة الثانية) النبات المائي الذي زهرته الأثني فوق الماء أما زهرة الذكر فانها قريبة من قاع النهر فعند الالتحاق تنفصل وتذهب مقطوعة حتى تصل إلى الأثني
- ٤١ شجرة قفترس انسانا . اختلاف المخلوقات باختلاف الفصول كتلاؤ الزرع وكنتفج الأثمار في الصيف وصرم الثمار في الخريف وفي الربيع وتساقط ورق الشجر في الشتاء
- ٤٢ بيان قوله تعالى - إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا - ومناسبة هذه لما قبلها وأن الأعمال موزعة على الأشخاص بالاستعداد وأن عشاق هذا الجبال في العالم مستعدون له بعد الموت والذين لا يعقلون إلا الملاذ البهيمية يكونون أدنى
- ٤٣ قسمت الآية الناس (قسمين) من لا يرجو لقاء الله ومن يرجو وهؤلاء لهم ثلاث درجات يصفون الله بصفات التنزيه . ويحيى بعضهم بعضا وتحييهم الملائكة وتشهد لذلك روح (غاليو) الفلكي الشهير إذ قالت إن أرواح محبي العالم تنفرج على السكواكب كما تنفرج نحن على الزهر
- ٤٤ مناسبة هذه السورة لما قبلها وهكذا مناسبات آخر الفاتحة لأول البقرة وآخر البقرة لأول آل عمران وهكذا إلى آخر التوبة وأول يونس . بيان الفارق بين توكل نبينا ﷺ وتوكل هود وأن الأول توكل على ذي العرش العظيم . إذن هو مستعد مع أتمته لحفظ كيان الأمم ذوات العروش . والثاني توكل على من بيده نواصي كل دابة يطلب حفظ نفسه وقومه وكل منهما نال ما طلب فليدبر المساهون الأمر فليتعلّموا أولا تعليما عاما ثم يسوسوا العالم مع الأمم هذا هو اللائق بهم ولن يكون ذلك طفرة كالجنين العقائد لمقاصد فالملائكة لاصلاح الأخلاق والمسيح لاصلاح العمل

٤٦ ﴿ القسم الثاني ﴾ من قوله تعالى - ولو يجعل الله للناس - الى قوله - فينبئكم بما كنتم تعملون -

٤٧ التفسير اللفظي للقسم الثاني

٤٨ تفسير قوله تعالى - وما كان الناس إلا أمة واحدة - فاختلجوا باختلاف الأشجار في البستان وهذا الخلاف سبب الجلال

٤٩ تفسير قوله تعالى - واذا أذقنا الناس رجة من بعد ضربنا من مستهم اذا لم يكر في آياتنا - الى قوله - بما كنتم تعملون -

٥٠ يسلم المؤمن في صلاته ٣٦ مرة الخ وهذا السلام ﴿ بثلاث طرق ﴾ اسناد الأمر لله . أن يرى كل مكروه ظاهرا محبوبا باطنا . الصبر والعزيمة . فعلى الانسان ثلاثة أمور أخلاق وعلم ومنفعة الناس

٥١ الابتغال في الشدائد دال على وجود صانع للعالم
﴿ القسم الثالث ﴾ - انما مثل الحياة الدنيا - الى - وضل عنهم ما كانوا يفترون - . التفسير اللفظي
٥٣ تفسير - والله يدعو الى دار السلام - . حديث النظر الى وجهه الله وأن ذلك له مقدمات في الدنيا هي المعارف والعلوم

٥٤ تفسير - ولا يرهق وجوههم فتر ولا ذلة - الى - وضل عنهم ما كانوا يفترون -
لطيفة في النظر لوجه الله . اعتراض على المؤلف بان العلم ليس هو النظر والجواب بأن ازدياد علمنا بأخلاق محبوبنا من الناس يزيدنا حبا له . هكذا نزيد لذة بمعرفة جمال صفات الله ومبدأ ذلك علوم هذه الكائنات . والتقصير في علوم الكائنات يحرم أحياء المسلمين من الغلبة وأمواتهم من النظر لوجه الله تعالى

٥٥ شرح هذا الموضوع ﴿ القسم الرابع ﴾ - قل من يرزقكم من السماء والأرض - الى قوله - بما كانوا يكفرون - . التفسير اللفظي من الأول الى - آمن لا يهتدى إلا أن يهتدى -

٥٨ التفسير اللفظي من قوله - فما لكم كيف تحكمون - الى قوله - بما كانوا يكفرون -
غرائب القرآن في سورة يونس وهود ويوسف عليهم الصلاة والسلام

٦٣ السر في سورة يونس راجع الى تدبير الأمر العام وهو في سورة هود راجع الى أن كل دابة في الأرض على الله رزقها الخ والسر في سورة يوسف راجع الى الآيات العاتية في السموات والأرض

٦٤ مقاصد قصص القرآن هي أشبه بأشجار . فصغار العلماء يكتفون بظواهرها والحكماء يستخرجون ثمرها . ضرب مثل لهذا المقام وهو الاستلذاذ بمشاهدة التدبير . الثمرة العملية لذلك التدبير . والأهم ﴿ قسمان ﴾ أم قامت بالعدل فكثرت . وأم لم تعدل فقلبت . كل ذلك سر التدبير والنظام فمن قل تدبيرهم عوقبوا بقتال من تم تدبيرهم اقتداء بعمل ربهم . كيف يشهد الناس التدبير في هذا النظام . لطيفة في قوله - ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم - وتحقيق هذا المقام

٦٦ أولياء الله هم المتحابون في الله . في الولاية معنى القرب وذلك بالعلم بشارة الولي بالرؤيا الصالحة

٦٧ الرؤيا الصادقة تدل على أن الله يعلم الأشياء قبل وقوعها وعلم الله ربط الأشياء ببعضها والمسلم في الصلاة يقول - اهدنا - ولا يقول اهدني ويقول الحمد لله كلها . الاستغراق في معرفة الله لحظة ما يجعل الولاية تامة

٦٨ حكاية عن ابراهيم الخواص . الناس في الدنيا ﴿ أربعة أقسام ﴾ مادي . مؤمن بالله وهو غافل . مؤمن تقي . مفكر عارف بالله

- ٦٩ ﴿ القسم الخامس ﴾ قصة سيدنا نوح عليه السلام وتفسيرها اللفظي
- ٧٠ ﴿ القسم السادس ﴾ قصة موسى عليه السلام مع فرعون من قوله - ثم بعثنا - الى قوله - فيما كانوا فيه يختلفون - والتفسير اللفظي
- ٧١ طمس أموال قدماء المصريين والربط على قلوبهم ظهر أثر الأول في الكنوز التي ظهرت حديثا وظهر أثر الثاني بعكوفهم على التماثيل وعبادة الحيوان حتى اتخذ (قبسيز) ذلك ذريعة لفتح مصر بوضع الهرير بين الصفين
- ٧٢ تفسير الآيات من قوله - فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم - الى قوله - لتكون لمن خلفك آية - بيان أن جثث المصريين من آيات الله بقيت للناس وأن المسلمين مقصرون فيها
- موازنة هذه القصة بأحوال الأمة الاسلامية وذكر ١٧ حالا من أحوال من دعاهم موسى الى الايمان وذكر ١٧ نظيرها في الأمة الاسلامية • لطيفة في قوله - وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون -
- ٧٣ ﴿ النبة الأولى ﴾ محاوره فلسفية بين مصري وروحه • ﴿ النبة الثانية ﴾ لم يكن المتقدمون من أممتنا الاسلامية يعامون كما نعلم عن الجثث المصرية لذلك ذكر بعض المفسرين ما لا ينطبق على الواقع كما ظهر في كنز (توت عنخ أمون) وبيان أن كاشفه (هوارد كارتر) • وبيان اهتمام أهل أمريكا وأوربا بهذا الكشف
- ٧٤ ﴿ النبة الثالثة ﴾ أقدم كتاب في العالم نصائح الحكيم المصري (آتي) وذكر ١٥ حكمة مصطفىة من نصائحه لقراء هذا التفسير • وهناك نصائح لرجل يسمى (قافنه) وله ٤٤ لوحة وذكر بعضها
- ٧٥ ﴿ النبة الرابعة ﴾ ذكر اعتقاد المصريين القدماء في النفس وذكر ٢٢ قاضيا وذكر الميزان عندهم والحساب والجنات • وأن عملية التحنيط كانت منذ سنة ٤٥٠٠ ق م ولها قصة خرافية ترجع الى اوزوريس ومعه توت فتحتا البلاد لحسد (سيت) أخاه وجعله في صندوق وبحث (ابزيس) عن زوجها وخبأته وذهبت تبحث عن ابنها (موريس) ثم ان (سيت) قطعه ١٤ قطعة فجعلتها (ابزيس) فن هنا جاء التحنيط • هل فرعون موسى وجد بدنه وهو الآن بالمتحف المصري هكذا يقول نجيب بك مفتش الآثار
- ٧٦ دخول العبرانيين برأس الوادي بمصر أيام العمالة • ذكر ألقاب الملوك كفرعون لمصر وكسرى للفرس وهكذا وبيان معنى فرعون - رمسيس ربي موسى وابنه (ريان با) هو الذي غرق في البحر
- مقياس جسم فرعون موسى • صورة خطاب أرسله أحد العمال لرئيسه محفوظ في ورقة البردي وكذا حجر بالمتحف المصري فيهما ذكر (منقطة) وهو فرعون موسى وأذلال بني اسرائيل
- مسألة المطرية فيها وصف الالهية ملك في الأسرة الثانية عشرة • خطاب مصري اسمه (كانيزاك) الى رئيسه جاء فيه ذكر تسخير بني اسرائيل • مدينة (رعسيس) التي بناها بنو اسرائيل إما صان الحجر بالشرقية وإما المسخوطة بها أيضا
- ٨٠ ذكر ورقة من البردي فيها قصيدة شاعر مصري يصف مدينة رعسيس بعد فراغ الملك رمسيس من ولية عظيمة فيها تربي موسى وتحت مصر إذ ذاك (طيمية) بالصعيد • جدار معبد الكرنك عليه نصوص تعذيب الأسرى ونص في سطر ١٦ أنه خاطب جيوشه بما يقرب من الالهية وهو نفس فيعون موسى
- بيان أن هذه النصوص واجب علمها مصداقا للقرآن
- ٨١ الكلام على محاسن قدماء المصريين العامة • نظام السموات عندهم وعلم الفلك

- ٨٢ ان أول من تفتن لرفع الحجاب عن جبال السماء هم قدماء المصريين • هيئة السماء في صندوق حتر • أسماء البروج خيالية لاحقيقية • ذكر اختلاف أم الأرض في أسماء هذه البروج كأهل الصين وسكان الهند القدماء والاسكيمو وهنود أمريكا • وصف ماوجد من البروج والسكواكب على صندوق حتر • القرآن يأمر بالنظر لكل ماهو محكم الصنع سواء أكان بفعل الله أم بفعل الناس لنعمة المعرضين عنه واتمام شرح ماوجد على صندوق حتر من السكواكب والبروج وغيرها ورسم صورة ماوجد على صندوق حتر
- ٨٧ رسم منطقة البروج التي وجدت في هيكل (دندره) وقد أخذها الفرنسيون من مصر بأمر محمد علي باشا وفيها بيان الجهات وقد قسمت (٣٦) قسما وكل قسم (١٠) أقسام فالجميع (٣٦٠) قسما
- ٨٨ شرح صور البروج المرسومة فيها كصورة الحل والثور الخ وشرح السيارات والثوابت المرسومة فيها وهكذا ههنا تجلت معاني القرآن الخ
- ٨٩ ﴿الجوهرة الثانية﴾ في فوائد ذلك للمسلمين وأن ذلك داخل في قوله تعالى - أقلم يسروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقاون بها الخ - وإذا كان سليمان عليه السلام علم منطق الطير وفهم لغة الحيوان وعد ذلك نعمة عليه فهكذا فلنعد فهم كلام الحكماء نعمة علينا من باب أولى كقدماء المصريين وغيرهم
- ٩٠ ذكر أيام الشباب وتحسر المؤلف على نفسه وعلى الأمم الإسلامية بسبب جهلها إذ سمع الندابات وشكره لله أيام المشيب على نعمة العرفان والعلم بجمال السماء وآثار الأمم
- ذكر مايجوز من الصور ومايمنع وأن الصور منها ماهو مذكور في الأحاديث كالصور التي لها ظل والتي لا ظل لها وصور لم تذكر وهي الشمسية وهي صور رسمها الله بشمسه ومن سزمها خرج من عقله ودينه معا • إن التوحيد هو العلم بما في هذا الوجود • ملخص ما تقدم
- ٩٢ كتب الصيد وكتب الحراسة يجوز اقتناؤها فن باب أولى يجوز تصوير الحيوانات النورية المهلكة لآلاف الآلاف من المسلمين لنحترس منها ونقتلها • ذم الأغبياء وأن من ينصر الدين بطريق الجهل أضرت عليه من أعدائه
- ٩٣ آراء بعض هيئة كبار العلماء في الأزهر أن التصوير الشمسي مباح ورأى المؤلف أنه واجب في التعليم
- ٩٤ تكثير القليل وتقليل الكثير في غزوة بدر فتح باب للتصوير الشمسي الذي يصغر السكواكب والبلدان والممالك فندرسها ويكبر الحيوانات النورية فنفهمها ونحترس منها
- ٩٥ ﴿الفصل الثالث في بناء الاهرام﴾ لأنه من أسباب النجاة لبعض أبدان الفراعنة • ادريس هو هرمس المثلث (اخنوخ) وبيان معنى (توت) والكلام على الشعري وانها كعبة المصريين القدماء وذكر الاهرام الثلاثة وأن نور الشعري كان عموديا عليها وأن محمود باشا الفلكي عرف مدة البناء من ذلك النور والموازنة بين الكعبة وكوكب الشعري وأن كوكب الشعري اسكونه جملا قد سحر عقول القوم حتى عبدوه • أما الكعبة فلا تسحر العقول ولا تفتنها لذلك اختارها الله قبلة لنا
- ٩٨ صورة الهرم بالتصوير الشمسي • ذكر ما فعله المأمون من فتح باب الهرم • يذكر المؤلف أيضا خزنه أيام الشباب على جهله بهذه العوالم واعطاء الله عهدا أنه ان عرف الحقيقة نشرها للمسلمين بعده وأنه يحمد الله في المشيب على أن ذلك يتم الآن وبيان انه كيف أعتق الاسلام الأمم من الخرافات وبيان آراء قدماء المصريين في الروح بعد الموت وخطاب مصري اقلبه مكتوب على ورق البردي
- ذكر تعدد الآلهة عند قدماء المصريين ثم التثليث المخترع عند المسيحيين ثم التوحيد عند المسلمين
- ١٠١ ميت مصري قديم وجهه ببلد المؤلف بالشرقية متجهة بجهة الجنوب نحو الهرم

جمال هذا العالم في نظر المؤلف أيام الشباب والمشيبي وكتاب الله تعالى وأهم الاسلام وأن عشقه للعلم في المشيب أكثر منه أيام الشباب وكان يسمى الظن في شبابه بمن يصدقون بالدين وانهم لا دليل عندهم بل هم مراؤون • يحض المؤلف علماء الاسلام على وضع صور في الكتب جميلة للأطفال مع حكايات جميلة • (القسم السابع) - فان كنت في شك - الى آخر السورة • التفسير اللفظي

خاتمة في عجائب السورة • بيان أن أوائل السور المتقدمة وأواخرها تحت على النظر في هذا العالم ١٠٥

سورة هود وتقسيمها أربعة أقسام وذكر ملخص تفسير السورة كلها وهذا الملخص ست مقاصد ١٠٧
 (المقصد الأول) من أولها الى قوله - أيكم أحسن عملا - (والثاني) من قوله - ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت - الى قوله - هل يستويان مثلا أفلا تذكرون - (والثالث) من أول قصة نوح الى قوله تعالى - بئس الرفد المرفود - (والرابع) استنتاج الأخلاق من القسم السابق (والخامس) استنتاج النظام الحالي العام من هذه السورة في بلاد مصر وأرض بابل وما بين البحرين (والمقصد السادس) دواء هذا الداء وأن أشنع داء في هذه الأمم ترك العلوم والصناعات واحكام التجارات والامارات الخ • آيات الأخلاق آيات العلوم آيات الأحكام آيات النظام العام • هذا هو ملخص السورة جاء فيه معناها كلها لا لفظها

التفسير المفصل • ذكر آيات القسم الأول من أول السورة الى قوله - أيكم أحسن عملا - مشكلة كلماته • تفسير البسملة مع قوله تعالى - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - • وبيان أن الرحمة مكررة في أول السور فوق مائتي مرة وأن نبينا ﷺ رحمة للعالمين والرحمة على (قسمين) رحمة للحيوان ورحمة للإنسان فمن جهل الرحمة العامة فكيف يستعملها وكيف ينشرها

المسلمون مقصرون في الرحمة • يحسن الناس بنعمة العلم وبنعمة الجمال وبنعمة النور وهذه أقرب الى عالم المجرذات والرحمة في الماديات باستعمال الحكمة مثل افناء الحشرات للرطوبة وافناء البرد لها ووجود الثلج لمنع تأثير البرد الخ ١١٣

حديث (جعل الله الرحمة مائة جزء الخ) • وبيان أن هذا الحديث لا يعقله إلا من درس الطبيعة والفلك الخ وحديث (الراحمون يرحمهم الرحمن) وحديث أنرون هذه المرأة طارحة ولدها في النار الخ وحديث الرجل الذي سقى الكلب وكذلك البني التي سقته وحديث الجمل الذي شككا صاحبه لاني ﷺ وحديث حرق النمل وخطاب الى علماء الاسلام وأنه يجب دراسة هذه الحيوانات • وكيف أباح المسلمون الصيد بلا قيد والني ﷺ يقول من جفع هذه بولدها ردوا ولدها لها • وهناك فرق بين فرخ البجاجة وفرخ الحمامة في الاستغناء عن الأم والرحمة تختلف باختلاف الأحوال بل يجب أن يحرم المسلمون صيد كل نافع لهم كما سيأتي في سورة يوسف ووجوب تأليف كتب للأطفال في الحيوان وعجائب هذه الدنيا ليحبوا ربهم ويرحموا الحيوان

التفسير اللفظي - الر • كتاب أحكمت آياته - الى - أيكم أحسن عملا - ١١٧

اللطيفة الأولى - الر • كتاب أحكمت آياته ثم فصلت - وبيان سر هذه الحروف ١١٨

المسؤول عن الأمة هم الماطلون على أمثال ما كتبناه • من أهم الأسباب في جهل المسلمين بجمال هذا العالم • فهم انظر الفقه على غير وجهه ١١٩

سبب اقتصار بعض المسلمين على حفظ القرآن بلا عقل هو الحديث الطويل لفضائل القرآن الذي اخترعه شيخ صوفي بعبادان تقربا الى الله ليصرف قلوب الناس الى القرآن ١٢٠

١٢١ - بعد انصرفد بالغت ثمانين وترتيبها ونظامها الآتي في سورة التكبوت مدحش كأنها انسان واحد منتظم الأعضاء وجميع المركبات من سموات وأرضين راجعة اليها كما رجعت كل العالوم والخطب والديانات الى الحروف . اللغة لا تعرف إلا بتحليل ألتاظها الى حروفها والمادة لا تعرف إلا بتحليلها الى عناصرها ثم ذكر أنه حكيم وخبير وأنه فصل الآيات ودبر الأمر . كل ذلك ليسير الى الحكمة في التركيب وفي العناصر الجسم الانساني كأنه خطاب من الله للعبد أسمعه واكتب عنه إذ يقول سبحانه أي عبادي المحسوسات التي تحيط بكم (٢١) كالأصوات والألوان الخ وقد قسمت على الحواس الخمس في هذه صفات المادة أما نفس المادة فهي تحمل في باطنكم فظواهرها تحللها حواسكم وحقائقها تحللها آلات عقولكم إذن الأغذية والعلام لا تتم إلا بالتحليل وهكذا قواكم العقلية وزعت عليها المعارف . المبادئ منزت لكم بالحروف المفرقة وأفهمتها لكم الآن وهذا زمان عصر الكيمياء التي دخلت في جميع مرافق الحياة ويشار لها بهذه الحروف (الر) . أبو بكر الصديق والشافعي وستتاجيها من ترتيب الكلمات علوما وعلمين أولاء نستنتج من حروف مفرقة في أكثر السور

اللطيفة الثانية في قوله تعالى - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها الخ -

١٢٦ - الحبيبة الأولى في تضايها الطير (١) الغراب ذات القنازع في جزائر (شتلندا) تتحاكم وتقتل المجرم ولها جنود يحرسون المجرم أن يفر الخ (٢) وهكذا غرابان في بلاد الانكليز تحكم على المجرم أيضا (٣) وكذلك غرابان في جبال (سويسرا) (٤) وكذلك العصفير تعاقب وتعزو (٥) مالك الخزين حكمت على واحد فقتله (٦) وهكذا اتفاق ما استقبل الجراح الفرنسي بيضة من بيضة بيضة أخرى وخرج المرخ قتلت اتفاق الأثني الخ (٧) الكلب ابن ستمين ينعب مع ولد ابن خمس سنين وينشرحان معا باللعب ويفهم كما يفهم إذن عقل الكلب أشبه بعقل الانسان صغيرا (٨) الأمثلة في كلاب (نيوفوندا) (٩) إناث الوحش تصبر على الجوع والعطش لأطعام صغارها

اللطيفة الثانية - وكان عرشه على الماء - وحديث ﴿ أين كان ربنا ﴾ وتفسير العمى والعلم من العلم الحديث ﴿ انقسم الثاني ﴾ القرآن مشكلا من قوله - وثان قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت - الى قوله - أفلاتذكرون - ثم التفسير اللفظي لهذه الآيات

١٣٣ - لطيفة في قوله تعالى - من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليه - الخ - وأحاديث الرياء وتحذير النساء من ترك الأعمال خيفة الرياء

١٣٤ - ﴿ القسم الثالث ﴾ - ولقد أرسلنا نوحا - الى قوله - بمن الرصد المرفود -

١٣٩ - صنع السفينة - استهزاء قومه به - النجاة من الهلاك بركوب السفينة - هلاك من عصاه من أهله - التقصير من القصة وهو أن العاقبة للمتقين وعندك لطائف اللطيفة الأولى - وقيل بأرض ابلي مذك - اللطيفة الثانية ذكر أن هذه القصة عبرة لجميع النابغين المجدين وذكر عشر أحوال في قصة نوح وما يوازنها من أحوال النبي ﷺ مثل قوله - فاصبر إن العاقبة للمتقين الخ - الطوفان في العلم الحديث

١٤٣ - الطوفان العام - الأرض ٢٦ طبقة في ستة عصور - الطوفان الخاص الذي جاء به القرآن وذكر البحر العظام المتد من البحر الاسود الى الاوقيانوس الشمالي وآثاره ظاهرة مثل البحيرات في بلاد روسيا وما جاء في أسفار النيدا وأن السفينة قادتها سمكة واستقرت على جبال همالايا

١٤٤ - والى عاد أخاهم هودا - تفسير هذه القصة اللفظي

١٤٥ - جوهره في معنى قوله تعالى - ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها الخ -

- ١٤٦ الأرض تشبه درة بهجة الجبال مع نور المشرقات عليها فهناك نور على نور
- ١٤٧ النور ﴿نوران﴾ حسي وعقلي والثاني كما في نظام الدواب • الألوان على ﴿قسمين﴾ خفيفة ولا معة براقة والأولى تكون حيوان مضطر للفريسة أو للهرب من مفترس
- ١٤٨ حلة الزنبر بسبب أنه له سلاح يحميه والفيضان والوطايط الخ اسودت ألوانها لتخفي عن المفترسات عليها والسماك الذي في قاع البحر الجليل الأشكال يكون مثل ألوانه خفظة • وهكذا الذي عند وجه الماء ليس كل الحيوان يظهره والماء بطنه وخف لون الجبل والأسد ليختفي الأول عن مفترسه والثاني عن فريسته
- ١٤٩ أكثر تلاميذ المدارس لا يعرفون ما في موسوعات العالوم في أوروبا • لون الأرب والدب والعلب في القطبين والغنم القطبية والسمور والقراب وأن هذه الأنواع الثلاثة ألوانها مغيرة للتلج هناك لحماية الحيوان
- ١٥٠ سبب الألوان يرجع لحماية الحيوان لا للوسط الذي يعيش فيه الحيوان كما هو الرأي المشهور الخاطيء العرش والرجة والعلم • لا تكون الرجة إلا مع العلم
- ١٥١ التسبيح يرجع لمعرفة التنزيه والحمد يرجع للعلم
- الطائر الأرضي الذي جل لونه وطال ذيله وأعطى رائحة بها يصد عدوه
- ١٥٥ زيادة ايضاح - إن ربي على صراط مستقيم - وأن ما كتبه هنا فتح لباب سر القضاء والقدر وأن هذا بعض سر العلم في قوله تعالى - قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا -
- ١٥٦ بهجة الأنوار في عجائب الحيوان والكلام على النبات الجزار الذي يفترس الحيوان
- ١٥٧ حياة الأرضة وقد كتب عليها غشاء في أوروبا مثل (كونج) وغيره وهذه الحشرة أرقى من النمل والنحل في مدنيتهما ومنها ما تمشي بين صفيين من جنودها ومنها ما تبني هضابا تعلو فوق الأرض أربعة أمتار وفي كنغوا البلجيك (٨) أمتار ولها ملك وملكة كبيرة تملأ اليد وحولها انكشاف والضباط وما يعطيها الطعام وما يتلقى بيضها وتصدر آلاف الآلاف منها كل سنة لتأكلها بعد خروجها من المدينة بعض الطيور
- ١٥٨ نظرة في هذه الدنيا عجب لها نبات يأكل حيوانا وبالعكس الفاعل مفعول والمفعول فاعل • صانع هذا العالم استخراج من المادة كل ما تستعمله كالحلوى والمر المتناقضين ومن أنفسنا كذلك كالمرض والصحة الخ ولم يبال باحساسنا وعواطفنا ليكون ذلك أشبه بمزرعة تنظر مختلف ألوانها بعد الموت كما رأينا في الحياة مختلف الزرع في الأرض وكأننا نحس بنقص فينا إذا لم نعلم ذلك كنه في أنفسنا فنحن بين متناقضات كالأبوين للرجة والأعداء للنقمة الخ
- ١٦٠ شرف درس الحيوان ونظام الدنيا • أممي الآن ﴿كتابان﴾ كتاب مملكة الظلام تأليف (مترلنك) وكتاب موسوعات العلوم تأليف (روبرت راون) وأن الأول يرى أن الحشرات في تقابلها أشبه بحجم واحد له نفس واحدة والا فلماذا تعرف هذه الجموع كل ما ينفع قراها وسائر نظمها وفي الثاني أن دراسة ما حولنا نعرفنا نظام جسمنا لأن نظام الجسم عسر صعب لا يفهم إلا بالعلوم المحيطة بنا فهذان النصفان هما مضمون قوله تعالى - وفي الأرض آيات للموقنين * وفي أنفسكم أفلا تبصرون - والأول مقدمة
- لثاني كنص الفلسفة الحديثة
- ١٦١ حشرة الأرضة في الظلام تمثل حال أهل جهنم بالنسبة للطيور والالسان
- ١٦٢ العقل الأكبر يجذب الأصغر والجسم الأكبر يجذب الجسم الأصغر والحشرة يخدعها عدل النبات الجزار فيأكلها كما ينمي الانسان جسمه ويحارب لحفظ الشرف فيأكله الأسود بعد الموت في الأولى ويكون طعاما للسماك في الأخرى في حرب البحار وليس هذا خداعا بل هو سياسة واطف

- ١٦٣ موازنة بين حياة وموت الحيوان ونظيره في الانسان . في الحرب تسع خصال من أنواع السكالك الخ
- ١٦٤ عجائب القرآن وعجائب الطبيعة التي نزل لفهمها القرآن في مضمون سورة التكوين
- ١٦٥ المادة والكلام وأن بينهما مشابهة فلقد تصرف الله في المادة فجعل النبات المأكول أكلا يجعل التاميد في الثمرين المفعول فاعلا وأن اللغة وعلمها قد جعلت لصغار العلماء وللأطفال تمرينا على التنويع لأن تنويع المادة أصعب . شمس هذا العقد . التفسير المنطوق بقصة نوح وقصة ابراهيم وقصة لوط وقصة شعيب وقصة موسى الى قوله . بس الرشد المرفود . والكلام على الود والرحمة . وأن وده الله لسلك حيوان كالفيل والنحل والانسان ليس كودنا مع بعضنا ومعاملة الله للنحلة والجرادة والنملة والنعامة والودودة وأن الانسان كلما كان أكثر رفعا كان أقرب الى ربه والوالدان يقتربان من ربهما في الود على مقدار تربيتهم لأولادهم (القسم الرابع) من قوله . ذلك من أنباء القرى . الى آخر السورة
- ١٧٥ مصداق هذه الآية وهي . ولا تركنوا الى الذين ظهروا الخ . في تاريخ الأندلس وفي الدولة العباسية بغزوة التتار
- ١٧٦ معاهدة أسراء الأندلس ورئيسهم ابن عباد مع الفرنجة بحرية الدين والتجارة وحرية التعليم واعتراض ابن مصعب عليها ونسب قوله . وظهور أثر ذلك بعد مدة في الاسراف والفسوق والخلاعة والمغازلة في الطرقات وادمان الخمر ثم اكتساح الملك (فرديناند) وزوجته الأمم الإسلامية من تلك البلاد وطردهم أذلاء
- ١٧٧ التتار في الشرق ورئيسهم (جنكيزخان) أغاروا على المسلمين وأزالوا الدولة العباسية بعد أن أهلكوا الحرث والنسل بسبب أمرين (١) أن الملك قطب أرسلان ركن الى دسيسة انتجار من المسلمين فقتل
- تجار التتار والمغول (٢) وأن المسلمين كان رؤسائهم يجاهدون جغرافية بلاد التتار وقوتهم . مصداق هذه الآية في الأمم الإسلامية الحاضرة فانهم قد ركنوا الى الفرنجة في مصر وبعض شمال أفريقيا وغيرهما من البلدان وانكسروا على صناعاتهم وتركوا مواهب أنفسهم فذلوا إلا قليلا منهم
- ١٧٨ بيان أن الاختلاف عام في كل مخفوق ومستحيل وجود إلا مع الاختلاف بالبرهان . وبيان من هم هؤلاء الذين لا يختلفون أو يختلفون ويكون خلافهم نعمة عليهم
- ١٨١ هل العذاب مؤبد وكيف ذلك والله رحيم وماذا قال علماؤنا وماذا قال ابن عمر في حديث أن النبي ﷺ قام جنازة يهودي وقال العفيف التلمساني (إذا بلغ الانتقام الغاية انقلب رحمة) وقول ابن تيمية ان النار تنفى ورواية عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم . وهكذا كلام ابن القيم في ذلك . هذه السورة أشبه بثمره الجوز الخ
- ١٨٣ هذه السورة من أولها الى آخرها ترجع الى أمر واحد وهو مراعاة الله لسلك مادب على الأرض من الانسان والحيوان وحفظه لها . فيقول الله للوط . لن يصلوا اليك . ويقول الله لنوح . واصنع الفلك بأعيننا ووحينا . ويقول لبينا ﷺ . والله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه . خزائن الجواهر في سورة هود
- أكثر الناس يتلهون بعلم البلاغة والنحو والصرف والتاريخ وهم عن الحقائق معروضون
- ١٨٤ ذكر عشرين عجيبة من عجائب الحيوان . عجيبة لغات الحيوان . وعجائب نظار النمل وأن لغة النمل ولغة النمل متقاربتان . حكاية نملة

الجزء السادس

من

﴿ الجواهر ﴾

في تفسير القرآن الكريم

المشتمل على عجائب بدائع المكوّنات وغرائب

الآيات الباهرات

﴿ تأليف ﴾

الاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوى جوهرى

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم

سابقا متمتع الله المسلمين بحياته آمين

طبع بمطبعة

مُصطفى السباني الحكيمى وأولاده بمصر

(حقوق الطبع محفوظة)

محرم سنة ١٣٤٦ هـ - ٥

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سورة يونس مكية وهى تسع ومائة آية ﴾

(هى سبعة أقسام)

﴿ القسم الأول ﴾ فى دلائل معرفة الله تعالى واليوم الآخر ونعيم الآخرة من أول السورة الى قوله - أن الحمد لله رب العالمين -

﴿ القسم الثانى ﴾ فى أدلة مختلفة على التوحيد من النظر فى النفس والنظر فى القرون الخالية من قوله - ولو يجعل الله للناس - الى قوله - فينبئكم بما كنتم تعملون -

﴿ القسم الثالث ﴾ فى أدلة البعث وأحوال المبعوثين من قوله - إنما مثل الحياة الدنيا - الى قوله - وضلّ عنهم ما كانوا يفترون -

﴿ القسم الرابع ﴾ فى اثبات النبوة وتقريع الجاهلين وتوبيخهم مع أدلة اثبات الربوبية من قوله - قل من يرزقكم من السماء والأرض - الى قوله - بما كانوا يكفرون -

﴿ القسم الخامس ﴾ قصة نوح عليه السلام من قوله - وإنزل عليهم نأ نوح - الى قوله - كذلك نطبع على قلوب المعتدين -

﴿ القسم السادس ﴾ قصة موسى وفرعون من قوله - ثم بعثنا من بعدهم موسى - الى قوله - فيما كانوا فيه يختلفون -

﴿ القسم السابع ﴾ فى تقرير ما تقدّم كله من القصص والدلائل - من قوله - فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك - الى آخر السورة

(القسم)

(الْقِسْمُ الْأَوَّلُ)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

الرَّ * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * أَكُنْ لِلنَّاسِ حَكِيمًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ * إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ * هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُصَلِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ * إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَاؤُهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحْمِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *

اعلم أن أول هذه السورة كالتتم لآخر السورة السابقة فان آخر تلك يرجع الى أن الرسول ﷺ أرسل من العرب (٢) وهو رؤف رحيم بالمؤمنين (٣) وعلى الله وحده توكله (٤) ثم وصف الله تعالى بأنه رب العرش العظيم . وفي أول هذه السورة (١) أنه ليس من عجب أن يرسل الله للناس رسولا منهم وهو متمم للأول من السورة السابقة فكأنه يقول انه ليس للعرب خاصة بل للناس عامة . وكما أنه من العرب هو من سائر الناس فهو لهم مرسل (٢) وأنه يبشر الذين آمنوا أنهم لهم منزلة رفيعة عند ربهم وهذا في مقابلة الأمر الثاني في السورة السابقة وهو انه رؤف رحيم بالمؤمنين (٣) ثم وصف الله تعالى بأنه استوى على العرش وهو في مقابلة الأمر الرابع هناك (٤) وقوله - اليه مرجعكم جميعا - تفيد الوجدانية المستفادة من اختصاص التوكل به . ثم ان هذه السورة جاءت بعد الأنفال والتوبة اللتين اختصتا بالقتال والفزوات وقسمة الغنائم وذكر المنافقين ووعيدهم وما حكم عليهم به من العذاب والتوبيخ والتقريع وفيهما ذكر الصدقات وقسمتها على المستحقين فهما للمساءل الفقهية والأحكام العمالية فناسب أن يؤتى بعدهما بما يغذي العقل من الحكمة والعلم فهناك عمل اسلامي وهنا علم حكومي ولذلك ختمت سورة التوبة بأن الله ذو العرش العظيم توطئة لما سيذكر في أول هذه السورة من الجلال الالهي والحكمة العامية وذكر الشمس وضيائها

والقمر ونوره وأقسام منازلهم ومعرفة عدد السنين والحساب واختلاف الليل والنهار بالزيادة والنقصان والمجانب المصنوعة والارتقاء من ذلك الى تعذية الأرواح الانسانية بهذه المجانب النورية والارتجاج عن العالم السكيف والاطمئنان بالعالم الناطيف . فمن الناس من يكتفى بالجنات الجارية أنهارها . ومنهم من يرتقى الى سبجات الجلال ومقامات السلامة من المادّة وتغييراتها ثم يرتقى الى مقام الحمد الذي تتغذى النفس فيه بالمعارف العلمية ومعرفة ترتيب الكائنات ونظامها

﴿ تفسير الألفاظ ﴾

(الر) قد عامت حكمة هذه في أول سورة آل عمران واستبان هناك سرّ الحروف التي في أوائل السور وكيف كانت ١٤ وجعلت في أوائل ٢٩ سورة وكيف نزلت الى أحادية وثنائية وثلاثية الخ وكيف كان عدد ٢٨ من الأعداد الثابتة وهو مما له علاقة بتشريح كثير من الحيوانات الفسقرية وفقراتها وكيف كان في ذلك رموز وإشارات تلائم عقول الأمم التي نزل القرآن عليها لاعتيادها الرموز والإشارات في الكتب السبوية والعلوم القدسية في نظرهم . وكيف اتصل الكلام من ذلك الى ماهو أتم وأكمل من حيث أن لغة العربية النازل بها القرآن سبق الى آخر الزمان لمناسبتها للمنازل الفلكية والفقرات الحيوانية وبعض الأحوال الطبيعية وكيف وافق ذلك رأى مؤلف ألماني في روايته مستنتجا ذلك من تغير اللغات وثبات لغة العرب لبقاء القرآن بها فارجع اليه إن شئت (تلك آيات الكتاب) أي الآيات المذكورة الآتية في هذه السورة وما تقدمها (الحكم) من الحكمة فهو ذوالحكمة أو هو قد وصف بوصف من تكلم به * قال الشاعر

وغريبة تأتي الملوكة حكيمة * قد قلنتها ليقال من ذا قالها

وهو الحاكم في الاعتقادات وحكم فيه بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى الخ وبالجنة لأهلها والنار لأهلها (أكان للناس عجا) استفهام انكار للعجب وعجا خبر كان واسمها (أن أوحينا) والعجب حالة تعجز الانسان من رؤية شئ على خلاف العادة . وقد كانوا يقولون ﴿ العجب أن الله لم يجدرسولا يرسله الى الناس إلا ينم أبي طالب ﴾ (أن) هي المفسرة (قدم صدق) سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لأن السبق بها كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى باليد وأضيفت للصدق لتحققها وفي ذلك تنبيه على أنهم ينالونها بصدق القول والنية (لسحرمين) أو - لساحر مبین - أي - أكان للناس عجا أن أوحينا الى رجل منهم - فعا جاءهم بالوحي وأنذرهم قال الكافرون الخ (استوى على العرش) استعلى بالقهر والغلبة كما جاء في آية أخرى - وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه - والعرش إما بمعنى الملك وإما بمعنى البناء فكل بناء يسمى عرشا وبانيه يسمى عارشا قال تعالى - ومن الشجر وما يعرشون - أي يبنون وقال في صفة القرية - فهي خلوية على عروشها - والمراد أنها خلت منهم مع سلامة بنائها وقيام سقوفها - وكان عرشه على الماء - أي بناؤه (بالقسط) أي بعدالتهم وقيامهم على العدل في أمورهم وذلك لا يتم إلا بإيمانهم (الحليم) الماء الحار (الشمس ضياء) ذات ضياء (والقمر نورا) ذا نور وما بالذات يسمى ضوا وما بالعرض يسمى نورا (وقتره منازل) أي القمر وإنما خصه لأن سيره أسرع وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين والشرع اعتبر الأهلة أي قتره ذا منازل (لتعلموا عند السنين والحساب) حساب الأوقات من الأشهر والأيام في معاملاتكم وتصرفاتكم (إلا بالحق) ملتبسا بالحق مراعييا فيه مقتضى الخدمة (يفصل الآيات لقوم يعلمون) إذ لا يتفهم به سواهم (اختلاف الليل والنهار) محجى كل واحد منهما خلف الآخر (وما خلق الله في السموات والأرض) من أنواع الصور والأشكال والمجانب التي لا حصر لعددتها (يتقون) العواقب (لا يرجون لقاءنا) لا يتوقعونه لانكارهم البعث وغرامهم بالحسوسات عن المعقولات (ورضوا بالحياة الدنيا) لغفلتهم عن الآخرة (واطمانوا بها) سكنوا اليها مقصرين همهم على لذاتها وزخارفها

أوسكنوا فيها سكون من لا يرجون عنها فبنوا شديدا وأما الذين هم عن آياتنا غافلون لا يفكرون فيها لانهم اكلهم فيما يصادها فهم جامعون بين الشبهات والاشبهات في الشهوات والغفلة عن عجائب الآيات (بما كانوا يكسبون) بما واطبوا عليه وتمروا عليه من المعاصي حتى صار سابقة لهم (يهديهم ربهم بإيمانهم) أي بسبب إيمانهم إلى سلوك سبيل يؤدي إلى الجنة أو لادراك الحقائق . ثم استأنف فقال (تجربى من تحتم الأنهار) حال كونهم (في جنات النعيم) وقوله (دعواهم فيها سبحانك اللهم) أي دعاؤهم لأن الله نداء لله ومعناه يا الله إنا نسبحك تسبيحا (وتحيتهم) ما يحيى به بعضهم بعضا وتحيي الملائكة إياهم وتحيي الله أيضا لهم (فيها سلام) وآخر دعواهم (أن الحمد لله رب العالمين) أي أن يقولوا ذلك وأن يخففه من الثقيلة . انتهى التفسير

هذه الآيات التي في هذه السورة والتي تقدمتها آيات القرآن الذي نزلت فيه الحكمة وحكم فيه بين الحق والباطل والضلال والهدى . يا عجباً للناس كيف يعجبون منا أن أرسلنا رسولا منهم لينذرهم أجمعين ويبشر المؤمنين . أظنوا أن العلم والحكمة والوحي تابعت للمال والبنين فكل وجهه هو مولها . أليس الله بأعلم بمن استعد العلم ومن حرم الحكمة . هما ضدان لا يجتمعان . وكيف ينزل الوحي إلا على المستعد له وليس الاستعداد بالعظمة والجاه ولا بكثرة الأتباع . وإنما هو استعداد في القلوب وعطاء من علام الغيوب فكيف إذن يعجبون ممن أوحينا إليه لينذرهم ويبشر المؤمنين أن لهم منزلة سامية ومقاما رفيعا ومجدا يوم يلقون ربهم . فلما أرسلناه إليهم قال الكافرون إن ما جئت به سحر مبين . إن هذا ليس بسحر بل هو حق قام عليه البرهان . أليس ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في أزمان متطاولة عددها ستة وسميت أياما واليوم عند كل بحسبه

﴿ فصل في بيان قوله تعالى - ستة أيام - ﴾

فاذا نظرنا لأهل الأرض رأينا اليوم عندهم عبارة عن دورتها مرة واحدة حول نفسها وكانت هذه المدة معتبرة في أزمان أخرى أنها بسبب سير الشمس حول الأرض كل يوم وليلة من الشرق إلى الغرب فلما تبين بطلان هذا استقرار الأمر على أنه بسبب دوران الأرض على محورها نفسها . فاذن أهل العقول مستعدون أن يقبلوا أن يكون اليوم مقدرا بمقدار سير كوكب حول كوكب آخر وبناء عليه لو اعتبرناه كذلك ونظرنا لكوكب من الكواكب الثابتة فانه قد يتيم دورته في مئات السنين بل في آلاف ومئات الآلاف والآلاف كما تقدم في مواضع من هذا التفسير . فاذا قرأنا في القرآن - وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون - وقرأنا - في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة - ونظرنا في علم الفلك الحديث فانا نقول ان اليوم اذا اعتبرناه من هذه الناحية وان لم يكن عندهنا كذلك والعقل الانساني قبل ذلك سابقا قلنا ان اليوم قد يكون آلاف الآلاف من السنين واذن تكون تلك الأيام المذكورة في القرآن لتفتيح العقول إلى البحث فاذا سمع الناس أن الله خلق العالم في ستة أيام صدق الجهلاء المؤمنون وكذب وشك أكثر المتعلمين وتركوا الدين وأصبحوا في حيرة وفي شك من ليل الجهالة مظلم . ثم يبحث الحكماء منهم والصابرون في تحقيق ذلك فتكون نتيجة ذلك معرفة علم الفلك فهو يبحث عن عقيدته عسى أن يجد لها مصدقا من العلم ولو بالتأويل فينتهي الأمر أن الأمة قد ظهر فيها عالم بهذا العلم . وهذا هو مقاصد الديانات أن تكون الشكوك مبدأ للبحث والبحث يولد الحكمة والفلسفة واذن يخرج النابغون في الأمة . فالتابغون من هذا الباب خلقوا ومن عش - الشك - درجوا ولا مفر من هذه المباحث في الدين ليخرج علماء مختلفون في علوم نافعة للأمم واعلم أني قد وفيت هذا المقام حقه في أول سورة الأنعام فلا أعيدنه هنا وأبنت هناك كيف كانت تلك الأيام الستة وساعد على ما ذكرناه هناك آيات كثيرة من القرآن فارجع إليه إن شئت

واعلم أن الآية هنا أفادت أن خلق السموات والأرض في ستة أيام كان متداولاً معروفاً عند الناس بدليل التعبير بالاسم الموصول ولا يكون الموصول إلا حيث تكون الصلة معروفة والصلة خلق السموات والأرض في ستة أيام . أقول إن هذا كان حقيقة معروفاً متداولاً عند اليهود والنصارى مذكوراً في أوائل التوراة فكانت هذه الجلة شائعة عند رجال الدين ولأنقل لك ملخصها من نفس التوراة قال في الإصحاح الأول من سفر التكوين . في البدء خلق الله السموات والأرض ثم شرح بعد ذلك النور والنظام والليل والنهار وأن الأرض كانت خربة مظلمة وروح الله ترف على وجه الماء وقال إن الماء خلق الله فيه جلداً فما فوقه صار سماء ومنه المساء والصباح والماء الباقي صار تحت السماء فاجتمع في مكان واحد وباقي الأرض صار اليابس وأنبت الأرض عشباً وبقلاً وشجراً وجعل الله في السماء القمر والشمس والنجوم وجعل في الماء زحافات ذات نفس وخلق طيراً فوق الجبل وتنانين كبيرة والحيوانات للبابية والبهائم والوحوش ثم خلق الإنسان على صورة الله فسلطه على سلك البحر وطيير السماء وعلى البهائم وجعل الإنسان كغيره ذكراً وأنثى . ثم ختم الإصحاح بما نصه ﴿ ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً وكان مساء وكانت صباح يوماً سادساً ﴾ وقد كان الملخص الذي ذكرته لك مقصداً على الأيام الستة اختصاراً مخافة التظويل عليك وعلى ذلك كانت الأيام الستة معلومة مشهورة من التوراة المتعارفة بين الناس فلذلك ذكرها القرآن بالاسم الموصول

﴿ فصل في قوله تعالى - ثم استوى على العرش يدبر الأمر - ﴾

أى خلق الله السموات والأرض في أزمان متطاولة وأحوال متغيرة عتدها ستة وسماها أياماً ومجرد الخلق ليس تمام المقصد وإنما أهم الأمور نظام الملك وأحكامه وحسن هئامه . لذلك عطف بتم للترتيب الذكري إشارة لتباعد ما بين المرتبتين ه مرتبة الخلق ه ومرتبة إدارة الشؤون ونظام الأمر فقال ثم استوى على بناءه الذي بناء بالتسطيح والتشكيل بالأشكال ورفع السمك ونظام الكرات وإدارتها وتنظيم ما عليها من مخلوقات وحساب دوراتها ونسبتها إلى غيرها ونظام أيامها وشهورها وسننها وغير ذلك وهذا على اعتبارنا أن العرش هو البناء . أو يقال ثم استوى على الملك الذي شكله في الوجود ذلك الملك كالفصول الأربعة والمعادن والنبات والحيوان والإنسان وجميع ما خلق الله في الأرض والسماء من الصور والأشكال على اعتبار أن العرش عبارة عن الملك والملك عبارة عن المخافات والمعنيان يؤولان إلى مقصد واحد مع فرق دقيق

﴿ فصل في قوله تعالى - يدبر الأمر مامن شفيح إلا من بعد إذنه - ﴾

أى يقدّر أمر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته وبهياً بتحريكه أسبابها وينزلها بقدر والتدبير تنزيل الأمور في مراتبها وعلى أحكام عواقبها لئلا يدخل في الوجود ما لا ينبغي فهو يدبر أحوال الخلق في ملكوت السموات والأرض فلا يحدث في العالم السفلى ولا العلى حادث إلا بتدبيره . وقوله - مامن شفيح إلا من بعد إذنه - أى لا يشفع عنده شافع يوم القيامة إلا من بعد أن يأذن له في الشفاعة لأنه عالم بمصالح عباده وموضع الصواب والحكمة في تدبيرهم فليس يجوز لأحد أن يسأله ما ليس له به علم وفي هذا رد على الكفار القائلين بشفاعة أصنامهم . وتدبير العرش المذكور هنا يقرب منه ما سيأتي في سورة هود عليه السلام - وكان عرشه على الماء - . فالعرش هنا مقرون بالتدبير وهناك فوق الماء والمضى متقارب فإن معنى الماء هناك ما أشاره الله تعالى في قوله - أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها - إلى قوله - كذلك يضرب الله الأمثال فقد جعل الماء هو الذي يبقى في الأرض لنفع الزرع والضرع والإنسان وقد نزع عنه الزبد فصار جفاء وجعل مثلاً للقرآن والعلم * وجاء في حديث البخاري ﴿ مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً لم ﴾ فصرح ﷺ بأن الماء مثل للعلم . وهكذا جاء في سورة البقرة

— أو كصيب من السماء الخ — جعل القرآن هناك كالمطر النازل من السماء وعليه صار الماء هنا هو العلم والحكمة والتدبير فافهم هذا المقام تجد أن قوله هنا — ثم استوى على العرش يدبر الأمر — نظير قوله — وكان عرشه على الماء — فهنا يدبر العرش بالحكمة والعلم وهناك كان العرش على الحكمة والعلم وأيضا أن المخالقات على أقسام فمنها ما هو خير محض ومنها ما أكثر خيره ومنها ما قلّ خيره أو عدمه . والقسمان الآخران لا وجود لهما إلا في مخيلات الناس والأولان موجودان . وترى المخالقات الطبيعية من هذا القبيل كالإنسان والحيوان وأعم هذه المخالقات وأظهرها الماء فيه حياة النبات والحيوان والإنسان والطهارة ومع هذه النعم الجليلة يغرق فيه عالم نافع وناسك صالح وعجوز مسكينة ويغرق السفن . وهذا الشر القليل اقتضت الحكمة أن يحتمل للخير الكثير فالعلم والحكمة ومن الحكمة أن يغتفر الضرر القليل في جانب النفع الكثير فعرض الله مبنى على الحكمة ومن الحكمة ألا تترك هذه المخالقات الطبيعية وأن يتحمل الناس ما يصيبهم من الآلام في جانب النعم الكثيرة وأيضا أن هذه العوالم الأرضية خيرها أكثر من شرّها فلذلك بقيت وما أبتأها الله إلا لهذه الحكمة الظاهرة في الماء المكنونة في كل مخلوق مادي . فهذا من لطائف التعبير بلفظ الماء الذي استوى العرش عليه . فكأنه سبحانه يقول اقتضت حكمتي أن أدبر الأمور على الخير المحض وعلى ما غلب خيره لأن من ترك الخير الكثير للشر القليل باء بالجهالة ورجع بالندامة وهو حسير . فما أجل التعبير بالماء هناك فتدبر العرش هنا للعامة وللعلماء وكون العرش على الماء هناك للخواص والحكماء — وما يعقلها إلا العالمون — وما أبدع هذا التعبير ليرضى المتفكرين وليقنع الجاهلين وكأن قول الله — وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض — رمز إلى حكمة الحكماء في هذا المقام فإنه لا يبقى في الوجود إلا ما غلب نفعه والماء كذلك فلذلك مكث في الأرض . وهذا المقام معانيه في الحكمة مسطورة . ومقاصده فيها مبرهن عليها مبسوطه فانظر كيف أشار الله في القرآن بلفظ الماء إلى غاية الحكمة ونهاية العظمة فرمز بالماء إلى ما أحاط به العلامة ابن سينا في كتاب الاشارات وشرح الشراح كالرازي والطوسي بأطول العبارات . ولكن تأتله ما أجل الحكمة والفلسفة اذا تجلّت في كتاب سبأوى ورمز لها في الوحي النبوي فلهذا درت الحكمة الدينية والعوالم النبوية والآراء الحكمية . فانظر كيف اتفق العلم والدين والإيمان واليقين . واذا طالت الحياة وكتبت في سورة هود لا أذكر من هذا شيئا إن شاء الله وإنما أحيلك على ماسطرته هنا . فافرح بنعمة الله وبهجة العلم وكن من الشاكرين

﴿ جمال في اشراق شمس المعارف من قوله تعالى — ثم استوى على العرش يدبر الأمر — ﴾
انما اخترت لك هذا العنوان في هذا المقام لأنك ستري فيه بهجة الناظرين وقرّة أعين المفكرين وزينة الدنيا والدين وجالا يأخذ بالألباب وحسنا قصرت عن أقله زينب وليلى والرباب وحكمة تسمي الحكماء وتدهش الأدباء

حكم نسجت بيد حكمت * ثم انتسجت بالمنسج

ذلك أنه بينما أنا جالس أرتب مسودّات هذا التفسير لأقدمها للطبع إذ حضر صديق لي فقال يذكر الله تدبير الأمر ويقول في بعض آياته — يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بقاء ربكم توقنون — فهل لك أن توضح لي هذا التدبير بشكل يفهمه الخاصة والعامة وأرجو ألا تحيلني على علم الفلك وطبقات الأرض وما أشبه ذلك وإنما أنا أحب أن تحضرني موضوعا واحدا يكون فسكاة المتفكّكين وزينة العاقلين وسمر الجالسين بحيث أحدث به ابني وأسرّ به جليسي وأتفجع بدفي حقلي ويستمدد به نحلي وتسببه الكهرباء وتسعين به السيارات ويشفي المرضى وتحتاج اليه الأندية العمية وأكثر أهل هذه الكرة الأرضية فعرضت عليه أنواعا من النبات والحيوان فلم يرقه ما أقول ولم يحبه المنقول ولا المعقول ففكرت مليا وقلت قد

وقلت على ضالك المشودة وعرفت غايتك الممودة عند القول غنى واسمع التفصيل منى (ذلك) أن
 هناك شجرة لا ينبت إلا في (البرازيل) بأمریکا وفي (برنيو) وفي جنوب أمريكا وفي وسط استراليا وربما
 ينبت قليلا في جهات أخرى كإفريقيا ولكن أثره في كل مكان مشهود . ثمرة ليست بأكولة كالنفاخ
 ولا عشروبة كسقوق الاقح ولا بدواء كالسنا المسكي وغيره من العقاقير ولا زيت كشجرة الزيتون وإنما
 تستخرج منه مادة سائلة هي عذبة للمسافرين وزينة للكاتبين وشفاء للمرضى ومتاع للقوين تسقى الحدائق
 والمزارع وتدفع النار عن المنازل لا يستغنى عنها مهندس ولا كاتب ولا يقوم بدورها درس مدرّس ولا حساب
 حاسب عمت سائر طبقات المتعلمين ودخلت جميع الدواوين وحانست الوزراء والأمراء وحافظت على قوة
 الكهرياء وكانت خير الحافظات للماء فهي نور الله في أرضه واشراق شمس حكمته وعجيب حكمه وبديع
 صنعه . يحسبها الجاهل من سقط المتاع وهي عند الحكماء نور أضاء سائر البقاع . فاما سمع ذلك منى .
 قال صف لي هذه الشجرة وصفا مدققتا وبين أعمالها مخفقتا ودع الاجمال وهات التفصيل . فقلت هذه
 الشجرة عظيمة الحجم كبيرة الساق قد ألهم الله الأمم قديما فتقبوا قشرتها السمكية ووضعوا تحت الثقب إناء
 ينزل فيه سائل لبنى . وذلك السائل يحير حامدا بعد نزوله في الإناء . وهذه تسمى (كلوتشوك) باللسان
 الإفريقي (ريراترى) يعنى (شجرة الأستيك) كما قدمنا أو (مطاط) الأول بالانجليزية والثاني بالفرنسية
 والثالث بالعربية . وذلك أننا نشاهد في بلادنا وفي جميع المدارس والسواوين مادة تحافظ على حجمها دائما
 سواء أردنا مدّها أم أردنا ضغطها فهي ترجع الى حالتها الأصلية . بها نحمو ما أردنا نحويه مما كتبتناه
 ونزيله وهي (الأستيك) المذكور فنراها في أيدي التلاميذ والاستاذ والكاتب والخاص وهكذا . وهذه المادة
 بعد أن يلتوها في الأوالي يغافونها وينظفونها ثم يضعونها بين اسطواناتين من الصلب بهما تضغط وتصبح قطعاشي
 وهذا هو الاستيك النقي الذي يكون في الصيف طريا لزجا وفي الشتاء صلبا ثابتا
 إن منفعة هذا النوع خاصة بأسلاك الكهرياء وأنه يمنع انفلات أى ذرّة منها فهو حافظها الأمين . ان
 هذا النوع يمكن اذابته بسائل متخذ من (البترول) المعلوم ومتى أحيل بذلك سمي اذن (الاستيك المحلول)
 وهذا منفعة في إطار العجلات التي تعبري بها العربات (بينسكل) التي يركبها الناس اليوم ويحكونها بأرجلهم
 فاذا تقب ذلك الاطار أمكن رفق فتقه بهذه المادة التي هي في الحقيقة من مادته

(الاستيك والكبريت)

هذه المادة النقية المتخذة من الشجرة اذا أضيف إليها مقدار قليل من الكبريت فهي التي نراها بين
 ظهرنا وهذه لها (خاصتان) أحدهما محافظتها على حجمها . ثانيتهما أنها أقوى مانع يمنع مرور الماء
 فبالخاصة الأولى تصنع منها إطار العجلات في العربات التي وصفناها وفي العربات وفي السيارات التي هي
 باللسان الإفريقي (متركار) فهذه الآلات تصلح للركوب بهذه المادة وتريح الركاب . وبالخاصة الثانية
 تصنع منها قفل الماء التي تحافظ على درجة الحرارة السكامة فيه والوسائد التي يكون حشوها هواء . والأوالي
 التي يعمل فيها الماء الحار يستدفي بها المرضى بمقتضى أمر الطبيب . وتصنع منها الأنابيب التي في أيدي
 الرجال القائمين باطفاء النار المشتعلة في المنازل والمدن والقرى وهكذا الأنابيب التي تسقى بها الحدائق وتصنع
 منها (مخاطف وأردية) تمنع المطر عن لباسها . وهناك حال أخرى لهذه المادة . وهي أن يضاف إليها
 من (٢٠) الى (٣٠) جزءا من مادة كبريت واذا ذلك تصبح ذات خواص وأوصاف مغايرة
 لسابقتها صالحة لأعمال غير أعمالها (ذلك) أنها مادة سيّدة لامعة صلبة كصلابة قرن الحيوان . وهذه
 تصنع منها مساطر ومقايض توضع في نهايتها أسنة الأقلام وتدخل في كثير من الزيتة وحلية نوع الانسان
 انتهى وصف هذه الشجرة ومنافعها وخواصها

﴿ رسم شجرة الاستيك ﴾



شكل (١)

الآن ترى رعاك الله عجائبها . أنظر ثم انظر كيف خصها الله بأرض دون أرض وجعلها في أمم دين أمم وأنظر كيف جعل لها ثمرة غير ما نعرفه . نحن نأكل الثمر ونشم الورد ونأكل اللبن والقشدة من شجرة القشدة المعلومة ونلبس من الكتان والقطن . كل ذلك معروف مفهوم إنما هنالك فائدة غير ما عرفناه وحكمة غير ما أدركناه . فانظر كيف خزن الله هذه المنفعة في الشجرة حتى احتجنا إليها . علم الله أننا نحتاج إلى الكهرباء بعد آلاف السنين فماذا صنع ودبر . خلق هذه الشجرة قبل خلق الناس ووضع فيها هذه الخاصية ولما جاء هذا العصر قال أنتم لن تحفظوا ذرات الكهرباء إلا بهذه المادة وهي نقية فلا كبريت يحاط بها ولا غبار يخرج بها فاذن تحفظ الكهرباء للاضاءة والاشراق في كل مكان . مد الناس الأسلاك البرقية (التلغراف) في الأرض ولم يجد الناس سبيلا لمدّها في البحر حتى عثروا على هذه المادة حفظت الأسلاك البحرية من أضرار الماء لها فيها كان تواصل الأمم وتعارفها كما قال تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - فهذه إحدى دواعي التعارف . أليس هذا هو التدبير . يقول الله - يدبر الأمر من السماء إلى الأرض - ويقول - يدبر الأمر يفصل الآيات - فهذا من تدبير الأمر وهذا من تفصيل الآيات . هذا بعض أنواع التدبير والتفصيل . علم الله قبل أن نخلق حاجتنا إلى الأسلاك البحرية التي سيخلقها فدبر هذه الحكمة والخاصة المذكورة

دبر الله هذه المادة ووضعها في هذه الشجرة . وخزن الفحم في أعماق الأرض . ولما أراد ارتقاء نوع الانسان علمه البيان وأرسله إلى باطن الأرض فاستخرج الفحم وجرت به القطرات وأدار السولاب وسقى الأرض وجل على ذات ألواح ودسر في البر والبحر واستخرج الكهرباء واحتاج إلى ما يحفظها فأرسله إلى تلك الشجرة فقوت عينه واستخرج منها ذلك السائل (١) فكان حافظ الكهرباء (٢) ثم ألهمه أن يذيب تلك المادة فأصبحت رتقا لفتق العجلات في سفره (٣) ثم ألهمه أن يضيف إليها الكبريت قليلا فكانت ساقية لبستانه مطفئة لنار احتراق منزله الخ ما تقدم . ثم زاد الكبريت فغطت المنفعة في الكتابة ونظام رسم الخرائط وجمال الكتب وزينة نوع الانسان تبارك اسمك وتعالى جدك . دبرت بحكمة (١) جعلت هذه الشجرة قليلة في الدنيا لأن كثرتها في الأرض معطلة للمنافع باثرة التجارة . كيف لا وهل هي تشابه النخل نحتاج إليه في حوز الرطب والتمر وما أكثر حاجتنا إليه . أما هذه الشجرة فانها وإن عمت الحاجة إليها فإن ما نستعمله منها لا يوازي عشر معشار ما نحتاج إليه من النخل وكثير من أشجار الفاكهة والزيوت . لذلك قلت هذه الشجرات في الأرض (٢) ثم هي متباعدة في أقطار المسكونة ليرحل الناس إليها ولم تقرب من متناول كل حي فهي كالعلم يحرم منه من لا يستعد له وإن كان المعلوم مشاهدا محسوسا ولا يحظى به إلا من هم له مشوقون وبتحصيله مغرمون . إن هذا الانسان خلق ليكون في حركة جسمية وعقلية أمد الحياة تباعدت مطاوباته لتكثر أعماله فتقوى روحه ويتعود الصبر والثبات . فالحكمة في هذه الشجرة أشبه شيء ببعض الحكم في الحج . جعل الله الحج ليكون من فضائله التدبر على فراق المألوف والتعرف بغير ما هو معروف والتناهي عن الكسل والمبادرة إلى العمل والسعي لصفاء النفوس والمروءة لتتجلى للناس

معاني هذا الوجود (٣) كلما كان الشيء أشرف كان أعزّ مطلباً وأعلى ثمناً وأبعد في طلبه كما نرى في الذهب والفضة والأشجار السكرية وهذه الشجرة

﴿ آراء نوع الانسان في أمثال هذا النظام ﴾

اعلم أن الناس في أمثال هذا الموضوع ثلاث طبقات (١) طبقة دنيا وهم العامة وكثير من ألسان المتعدين ينظرون الى مثل هذه المدة وأمثالها نظرهم الى ما يألون ولا ينظرون الخفايا الكامنة فيه (٢) وطبقة وسطى وهم الذين يدرسون منافعتها كما يدرسون منافع كل مخلوق (٣) وطبقة عليا وهم الذين تجلبت مواهبهم ونظروا لهذا وأمثاله نظرة عامة محيطية ترجع الى التدبير العلم والنظام السككي أولئك هم أعلى نوع الانسان وهم آباء والناس جميعاً أبناءهم ونسبتهم الى الناس كنسبة الملوك والأشراف الى عامة الشعوب . فهؤلاء يترددون المفكرين في الأمم الى النظرات العامة الشارحة للصدور والنحو وهذا جاء الأنبياء بطريق الوحي . فهؤلاء نظرهم كلي وحسبك ما ترى في القرآن من أسره للناس بالنظرات العتقة . وكلما قلت هذه الطبقة من أمة قلت سعادتها . وكلما كثرت زاد ارتقاؤها . هؤلاء هم الذين يدرسون هذا الوجود درساً يفهمون به التدبير العام . وهذه الطائفة نقل في نوع الانسان كما قلت هذه الشجرة بين الأشجار ولكن علمهم يعم الأقطار كما عمت منافع هذه الشجرة الأمصار

هذا كله تدبير محكم منظم . إن هذا الوجود كله ساعة منظمة وهيكل محكم . هذا الوجود كله لا فرق بينه وبين جسم الانسان والحيوان من حيث الاتقان والنظام . أنظر كيف علم الله احتياج الناس في أسفارهم في عصرنا الى ما يرتقون به فتح المجالات فوضع هذه الخاصية في تلك الشجرة فكما نرى العين في الانسان والأذن وبقية الحواس لاتم منفعتها إلا بالأيدى والأرجل والاحشاء وبقية الأعضاء وأعصاب الحس والحركة بحيث نرى هناك اتصالاً بين المخ وبين أطراف اليد والرجل وجميع الشعر . هكذا نرى هنا ارتباطاً وثيقاً بين الناس وبين منافع الأرض في سائر الأقطار . وهذه الشجرة من شواهد ذلك فهناك ارتباط الفهم بالكهرباء بهذه الشجرة بحياتنا بعالمها بمدارسنا بالشمس والقمر بالكواكب

كل هذه متصلات اتصال أعضاء أجسامنا . هذا هو معنى قوله تعالى - ثم استوى على العرش - وقوله - يدبر الأمر من السماء الى الأرض - وقوله - يدبر الأمر يفصل الآيات لعلمكم بقاء ربكم توقنون - أنظر الى قوله - يفصل الآيات - وانظر الى أنه أتبعها بقوله - لعلمكم بقاء ربكم توقنون - لماذا جعل هذه الجلة بعد التي قبلها وأتبعها بها . أما تفصيل الآيات فيها هوذا كثير في هذا التفسير . أما الايقان فلهذا يكون عقب ذلك

﴿ الاجابة على هذا السؤال ﴾

يجب علم البلاغة على هذا السؤال ويقول لما بينهما من الجامع العقلي أو الوهمي أو الخيالي الى آخر ما تراه مسطوراً في كتب البلاغة كالمفتاح للعلامة السكاكي وكتابات السعد التفتازاني وغيرهما . وهذه إنما تنفع المتعالمين أثناء دراسة اللغة ولكننا نحن الآن نريد أن نبين ما عسى ذلك في عصرنا الحاضر أي في القرن العشرين . أنظر الى علماء القرن التاسع عشر فانهم كانوا غالباً لا يفكرون في النظام العام باعتبار التدبير والاحكام بل باعتبار النشوء والارتقاء . وكثير منهم من أنكر صانع الوجود . المنظم لكل موجود لأن أنظارهم اقتضت على ما دون النظام التام . فلما أن بزغت شمس العلم في عصرنا ظهر في الأمم مجدّدون وحكماء مفكرون منهم (١) العلامة (إيلي دوسيون) في كتابه ﴿ الله والعلم ﴾ الصادر سنة ١٩١٢ قال ﴿ الفرضان اللذان يقوم عليهما مذهب القائلين بالانتخاب الطبيعي وانتقال الصفات المكتسبة قد نقض الأول (سينسر) و (ويسمان) نقض الثاني ﴾ وقال ان انتقال الصفات بطريق الوراثة لا أصل لها وبرهن على

أن هذه المشاهدات المزعومة لا تقوم إلا على حكايات مختصرة لاتساو قيمتها العلمية عن قيمة حكاية المرضعات وترى أمثاله كثيرين في عصرنا أمثال الدكتور (ادورد هارتمان) إذ قال ﴿إن الذين قالوا إن هذا العالم وجد بلا قصد كلامهم من الأمور الموهومة التي لا أساس لها وعمل ذلك بأن الطبيعة ذات نظام ميكانيكي . ولا يمكن النظام بلا قصد كما لا يمكن القصد بلا نظام وكل ما لا نظام له فهو مهمل في فوضى كالثيران الهائلة والطبيعة التي يعالون بها ليست كذلك﴾ اهـ

وأمثال (لويز بوردو) إذ قال ﴿يجب أن يعترف بأن هنالك قصدا مقصودا وروحا مدبرة لأنه بدون ذلك تفقد وحدة المجموع رابطتها فالقصد يظهر في تلازم الحوادث ويثبت به﴾
وأمثال الاستاذ (فون باير) الألماني في القصد قال ﴿إذا كانوا يعلنون الآن بصوت جهوري بأنه لا قصد في الطبيعة وأن الكون لا يقوده إلا ضرورة عياء . فأنا أعتقد أن من واجباتي أن أعلن عقيدتي في ذلك وهي أني أرى أن هذه الموجودات تؤدي إلى أغراض ومقاصد سامية

وأمثال (كاميل فلامريون) الذي قال ﴿إن درس الوجود يجعلنا ندرك أن له نظاما مقررًا وغاية دفع به إليها . إن التبصر الذي يظهر في النباتات والحشرات والطيور الخ وهي غافلة عنه مما يقصد به حفظ ذرياتها وامتحان المشاهدات في انتاج الطبيعي يستنتج منها أن في الطبيعة عقلا مدبرا . وهكذا كثير من الحكماء ذكرناهم في غضون هذا التفسير كاهم نطقوا بمعنى هذه الآية - يدبر الأمر - وهذه شهاداتهم طرا ترجع إلى قوله تعالى - لعلمكم بقاء ربكم توقنون - فعطف الجملة التي فيها الايقان في سورة الرعد التي تناسب ما في هذه السورة ظهر أثره في هذا الزمان فإن العلماء الذين أثبتوا وجود مدبر للكون رجعوا في براهينهم إلى هذا التدبير المحكم فالتدبير والتفصيل كما رأيته في الشجرة المذكورة هنا هو الذي أورث اليقين واليقين أشرف من الايمان وهو المذكور في قوله تعالى في سورة الأنعام - وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين - . فلما سمع صاحبي ذلك . قال هل من علماء غير هؤلاء بحثوا في هذا الموضوع وأتى لهم اليقين كالسابقين . قلت قد كتب العلامة (ادمون برييه) في مجلة ﴿العالم الخفي﴾ سنة ١٩١٢ قال إن ثقة الاستاذ (جينو) بتأثير البيئة (الوسط الخارجي) ضعيف جدا فإن هذه البيئات على ما يقول لا تصلح لاييجاد أي تغيير وراثي ثابت فالبط وسائر الطيور المائية ترى متمتعة بأرجل ذات أصابع متصلة بغشاء فيظن أن هذه الأغشية قد أوجدها نوع معيشتها ولكن بالعكس من ذلك في مذهب المسيو (جينو) فإنه يقول بأنها وجدت لها مقدما بدون تأثير من الخارج وأخذ البط يعوم لأنه وجد له أرجلا مغشاة تصلح للعوام فهذه الحيوانات قد أعدت من قبل للعوام أي أنها خلقت للعوام قبل أن تستفيد تركيب أرجلها من العوم (٢) وأيضا الاستاذ (بلوچر) الألماني الشهير قال ﴿لم أجد واحدة من هذه المشاهدات تثبت انتقال الصفات بالوراثة﴾ وأيضا قال الفزيولوجي الكبير (دوبواريند) إذا أردنا أن نكون مخاضين وجب علينا أن نعرف بأن وراثة الصفات المكتسبة قد اختلقت بنجرّد تعليل الحوادث المراد تعليلها وانها هي نفسها من المفترضات الفاضلة ﴿ فلما سمع صاحبي ذلك . قال هذه أقوال لا أفهم لها معنى . ما هي الصفات المكتسبة والموروثة هذا كلام غامض . قلت أنا قلت لك أن علماء القرن التاسع عشر وما قبله كانوا يقولون إن هذه الحيوانات يكتسب الفرع منها صفات الأصل وهذا أصل من الاصول الأربعة التي هي مذهب (داروين) (١) وهي أن الحياة ذات أطوار وتغيرات وانتقال من حال إلى حال (٢) وهذه التطورات تنتقل بالوراثة إلى النسل (٣) وأن الأحياء جميعها بينها تدرج البقاء (٤) وكلما كان الحيوان أتم وجودا وأقوى وأكمل كان أصلح للحياة والبقاء . والأضعف محكوم عليه بالفناء . فهؤلاء العلماء في القرن العشرين نازعوا في بعض هذه القضايا . ومعنى هذا أن المذهب الأول يقول إن العالم لا صانع له وهذه التنوعات كافية في بقاءه وعلماء هذا

القرن الذين ذكرتهم والذين لم أذكرهم هم الذين يقولون كلا إن للعالم صانعاً وبرهاناً ما يشاهدون من نظام الحشرات والالهامات والهجائب كما شرحناه في هذا التفسير وهو مضمون قوله تعالى - ثم استوى على العرش يدبر الأمر - هنا وقوله - يدبر الأمر يفعل الآيات لعلمكم بلقاء ربكم توقنون - ثم قلت وبهذا يظهر أن هذه الدنيا ومن عليها من الناس أشبه بأمر تربي أولادها • فكما أن الأم تخلق لها اثنين قبل خلق الولد والابن يخلق في الثدي قبل الولادة • هكذا الناس خلقت لهم قبل أن يخلقوا هذه الحيوانات وهذه الشجرة التي نحن بصدد الكلام عليها وذلك من التدبير ويناسب قوله تعالى - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم -

هذا وسرى في سورة النحل والنمل والعنكبوت وغيرها من السور عجائب احيوان وبدائع تلك الالهامات والقوى التي أجمع حكماء عصرنا في الأمم كلها على دلائلها على حكمة نظمها • وهكذا سرى في سورة المذثر عند الكلام على قوله تعالى - وما يعلم جنود ربك إلا هو - افاضة الكلام على بعض الحشرات الماذية خلقت لتعيش في أجسام الحيوان والانسان • فالناس حرم عليهم أن يأكل بعضهم لحم بعض لا بالغيبة ولا بالأكل الحقيقي ولكن أحل الله ذلك لدرات صغيرة خلقها لتعيش في أجسام أناس مستعدة للرض واللوث لتخلو الأرض لغيرهم وتصبح يسكنها فلها ﴿شأنان﴾ شأن أنفسها تعيش وتموت وتلد ويخلقها غيرها لتفهمنا قوله تعالى - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم - فالمثلية هناك سيفها أثرها في بعض أحوالها إذ تعيش هذه الحيوانات النورية في أجسام الناس والحيوان • وأما بالشأن الآخر فهي أنها أشبه بالشرطة الذين يكونون في المدن ليحفظوا النظام وينعوا تصادم المارة في الطرقات والشوارع • هكذا هذه الحيوانات النورية خلقت لتقلل من الانسان والحيوان - ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة - ولو كره الناس أجمعون • وهناك ترى أن هذه أيضا من جند الله التي لا يعلمها إلا هو وأما عامنا بعضها لأنه قال - ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء - فالذي نعمه الآن مما شاء الله أن يعلمه للناس من جنوده واعلم أن هذا التفسير جعله الله مقدمة لهضة الأمم الاسلامية فهو أشبه بشدى الأم قبيل الولادة إذ يكون مستعداً لمرء اللبن وهذه الشجرة المسماة في بلادنا (بالأستيك) وأيضاً (كاوتشوك) مأخوذة من كلمة فرنسية وتقدم ذكرها بالانجليزية • ويقال لها في بلادنا المصرية أيضاً (مطاط) فكما خلقت هذه الشجرة قبل خلق الكهرباء وافادتها هكذا ظهر هذا التفسير الذي سبق ظهور آلاف من قادة الاسلام في مستقبل الزمان وسيقرؤنه ويكون لهم شأن في رقى الأمم الشرقية - ولتعلمون نبأه بعد حين - انتهى ما أردت ذكره في هذا المقام

﴿ فريدة في التدبير العام ﴾

إن التدبير العام ﴿نوعان﴾ نوع لتدبير القوة • ونوع لتدبير المادة • فالنوع الذي هو لتدبير القوى فذلك أننا نرى غرائز حيوانية وعقولا انسانية وقوى قدسية • أما الغرائز الحيوانية فهي أدنى الدرجات انها قد ألهمت جميع ما تحتاج اليه في حياتها وبناء مساكنها وتربية أولادها ونظام أعمالها • ناهيك ما ترى من نسج العنكبوت ودقته ومستدسات النمل وهندسته وحرس الحشرات على تربية ذريتها سواء أكانت من التي تكفل تربيتها كالنحل والنمل أم كانت تموت قبل أن يفقس بيضها كما ترى في الناموس الذي ستعرف تفصيله في سورة المذثر عند قوله تعالى - وما يعلم جنود ربك إلا هو - والجراد ودود القز إذ الناموس لا يضع بيضه إلا في المستنقعات والأما كن التي تكون مرعى خصيباً لذريته قبل استكمال قوتها • هكذا الجراد لا يضع بيضه إلا في أما كن خاصة وهي يدفنها في الأرض بحيث لا تكون أبعد ولا أقرب من الوضع الذي يصح معه التفريخ في الأرض وهكذا سائر الطيور علمت وألهمت جميع ما تحتاج اليه في أنفسها وذرياتها وهذا التفسير

قد جمع ما يكفي ذا اللب في مثل هذا وهكذا العالوم اليوم في الأمم المحيطة بنا تكفلت بهذا البيان وأعطت اليقين للفكرين وهذا كما قال الله تعالى - قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - وقال - سبح اسم ربك الأعلى * الذي خلق فسوى * والذي قهر فهدى - فهذا هو التقدير وهذه هي الهداية وبهذا وأمثاله يكون العلم واليقين

﴿ العقول الانسانية ﴾

أما العقول الانسانية فانها أرقى من الغرائز الحيوانية • إن الغريزة خاصة بعمل لا تحيد عنه • ينسج العنكبوت ويصطاد بشبكته ويطيّر بنسيجه كما يطيّر الانسان اليوم في الجوّ ويجعل له ما يشبه القنطرة ويبنى مساكن من نسيجه • وهكذا مما ستره في سورة العنكبوت مفصلاً موضحاً وهكذا غيره • كل هذا لا يصل الى درجة الانسان فان الحيوانات وان كانت غرائزها عجيبة هي قاصرة • أما العقل فهو أوسع نطاقاً وأرقى وأقوم وأقوى فهو أعلى من الغريزة • ناهيك ما تراه اليوم من الابداع والارتقاء والارتقاء

﴿ القوة القدسية ﴾

أما القوة القدسية فهي أعلى من القسمين • فالعقل وسط بينها وبين غريزة الحيوانات • ولما كان يقول أين القوة القدسية • انها خاصة بالملائكة وأنت عودتنا في هذا التفسير أن تجعلنا نلمس الحقائق بعقولنا • العقل عرفناه والغريزة فهمناها • أما هذه القوة القدسية فاننا لم نعرفها إلا نقلاً من كتب الديانات أو من كلام الفلاسفة • قلت اعلم أن هذه القوة نعرفها نحن بأنفسنا ﴿ ذلك ﴾ اننا رأينا طائفة من هذا الانسان لهم قوة غير القوة العاقلة وهي أشبه بغرائز الحيوان وغرائز الأمهات بالنسبة لأولادها • قال هذا لم أفهمه فأوضحه • قلت إن الأم والأب لهما غريزة أشبه بغريزة الحيوان من حيث العطف على ولدها إن للانسان غرائزه كما للحيوان في الأكل وتربية الولد وغيرهما ثم هو امتاز عن الحيوان بأن العقل ساعد الغريزة في تربية ولده • ولكن الطائفة الممتازة التي ألفت اليها القوة القدسية أو بعض آثارها هم طائفتان الأنبياء والتابعون ومنهم الحكماء • فالأنبياء يتلقون الوحي عن الملائكة • ولا جرم أن هذا فوق متناول العقل • ثم ان الأنبياء اليوم ليس منهم أحد على الأرض وأن الله عز وجل خلق في كل أمة من أمم الأرض أناساً استعدادهم خلق للعموم لا للخصوص فهم أبداً مغرمون بالسعادة المجموع أو بتعليمه يجحدون ذلك في صدورهم ويحسون به في أنفسهم لا يقرّ لهم قرار ولا يكون لهم اضطراب إلا اذا جدّوا في الأسفار وقطعوا القفار وركبوا متن البحار واستخدموا السكرباء والبخار لنيل الأمان والأوطار وادراك المعالي وحوز العالوم ونفع العموم • وهؤلاء ليّالهم ساهر ونهارهم عامل • فهذه الحال لا تفارقهم • وهذه الأخلاق لا تغادرهم فهم مع العلم ومع أنهم أشبه بالأم والوالهة على ولدها • المولعة بفائدة كبدها • ولكن هذه الصفة في هؤلاء الأشراف أعلى مقاماً وأرفع مناراً وأشرف مقصداً ومحتداً فلم تنحط الى غرائز الحشرات ولا الى عطف الأمهات من الآدميين والحيوانات بل انها تعلو على العقل وتسخره فتجد تلك الموهبة تسوق العقول التي جاورتها في الأجسام التي حملتها فتحمل المتصفين بها على تحمل المصاعب وقطع السباب وإفراغ الجهد في استخدام العقل • ذلك هو وصف النابغين في سائر الأمم والله لم يخل الأرض قديماً ولا حديثاً منهم • وكل يظهر في أئمة ما وفق له من أمر مادي أو معنوي • كل ذلك لاهام يلهمونه كاهام الحيوان وعامة الانسان ولكن هذا أعلى من العقل فهذا افاضة من الملائكة • وترى الالهام في الأمم المادية كأهل أوروبا يرجع الى المادّة وفي الأمم التي قصرت همها على الامور الروحية نبغت فيها فقط وكلاهما إلهامه ناقص • فأما الأمم الاسلامية التي ستظهر بعد هذا التفسير وأمثاله فانها سيكون إلهامها جامعاً للأمرين معاً فلا يقفون عند الماديات كأهل أوروبا غالباً ولا على المعنويات والروحيات كبعض الاوربيين وعامة أهل الهند فيكون الالهام شاملاً للأمرين

نافعا في الروح والجسم والمعنى والمادة

وبهذا عرفت ﴿النوع الثالث﴾ البريزة والعقل والقوة القدسية وأن هذه القوة في عالم أعلى منا وتنزل على أفراد في الأمم المختلفة وتظهر على أيديهم منافع للناس وسعادة مادية أو معنوية . وأرق هذه الطائفة هم الحكماء الذين يدرسون هذا الوجود وهم مغرمون برهيم ونظامه وبنظام الأمم . فوجود هؤلاء في الأرض دليل على أن هناك قوى أعلى منهم يستميتون منها إلهاماتهم وهم يبنون عليها سواء أعددوا ذلك كالأنبياء أم لم يعدوه كالحكماء وبعض النابغين . فهذا هو النوع الأول من النوعين العاقين للتدبير وهو تدبير القوة فظهور أناس في الناس امتازوا بقوة أرقى من غيرهم . وعموم العقول في الناس وعموم الغرائز في الحيوان في ذلك كله معنى التنزل من السماء إلى الأرض ليكون الوحي للأنبياء فيعمدون العقلاء وهؤلاء العقلاء يفكرون في الوحي ويدعون مذاهب شتى لفتح الناس فهذه العقول كلها مسخرة لهذه الموهبة القدسية ثم إن غرائز الحيوان والإنسان تحت ذلك كله مسخرة مطيعة كما سخر الله الإنسان فذبح الحيوان طوعا أو كرها ألا ترى أنه يقدم الطعام للثور والفرس وأنه يزرع القطن فيما كره السود فهوذا الإنسان سخر طوعا أو كرها ككل مخلوق . ولما خصه أننا نرى القوة القدسية ألقت شعاعا من العلم على العلماء النابغين للأنبياء وبالإلهام للنابغين والحكماء وبالقوة العقلية زرع الناس ونظاموا الأرض فأكل الحيوان أردنا أم لم نرد . وهذا هو معنى - يدبر الأمر من السماء إلى الأرض - في هذا المقام وهو الكلام على القوى الثلاث وبدتم النوع الأول وهو تدبير القوة

﴿ النوع الثاني من التدبير العام . تدبير المادة ﴾

إن تدبير المادة أيضا داخل في قوله تعالى - يدبر الأمر من السماء إلى الأرض - فسكنا رأينا القوى بمد أعلاها أسفلها . هكذا نرى المادة بمد أعلاها أسفلها . ألم ترى الشمس كيف كان أهل الأرض لا يعيشون إذا لم يكن ضوءها مرسل إلى أرضهم فسترى في سورة - الشمس وضحاها - كما رأيت في مواضع كثيرة من هذا الكتاب مثل مافي سورة انفاحة وغيرها أن كل مخلوق على الأرض لا يحيى إلا بوجود الشمس فلولاها لم يكن ريح تهب ولما يجرى ولا حيوان يدب ولا إنسان يوجد بل تكون الأرض قاعا صافيا . ثم انك ترى السحاب يجرى والرياح تهب كل ذلك لمنافع الناس على الأرض . فها هوذا الأعلى نفع الأدنى كما نفعت القوة العالية وحافظت عنى من دونها طوعا أو كرها . سخرت العواصم المحيطة بنا لحياتنا . وامتلاء الجو بالبخار والسحب ونزلت الأمطار وزجر الرعد ولمع البرق وهبت العواصف فبنت الزرع وازينت الأرض للناظرين وبهرت النجوم في سمواتها وأرسلت أشعتها تترى لأهل الأرض فساروا على هداية ضوءها في البر والبحر فكانت نورا لسارهم وهداية لمسافرهم ومرشدا لربانهم ونجاة لسفنهم وأسعادا لبدوهم وحضرهم وهم آمنون

﴿ مستقبل الأمم على الأرض وواجب المسلمين ﴾

ها أنت ذا أيها الذكي قد اطلعت على ترتيب التدبير من السماء إلى الأرض في القوى والمواد . وها أنت ذا أذكر لك نتائج ذلك في الأمم فأقول . قد تبين لك أن العقول موزعة على الناس والمنافع على الأرض في مواطن من هذا التفسير وأهل الأرض متضامنون وليس لهم دخل في انزال المطر ولا ضوء الشمس ولا خلق الهواء ولا خواص الأرض . تضيء الشمس وتسير الرياح بحرارتها فتجرى السحب فتزل على الأرض والناس يتلقون الماء فيها ويزرعون والماء يجرى في الأنهار إلى البحر الملح . يطلق الإنسان لأول وهلة أن هذا الماء الجاري إلى البحر ضائع لافائدة منه كما في ماء النيل بمصر ودجلة والفرات المحيطين ببلاد الجزيرة وكنهر الكنج بالهند وكنهر الأمزون وغيرها . يقول الناس إن الماء يجرى أيام الفيضان إلى البحر ولا فائدة

منه بل هي قرى معطلة وليس الأمر كما يظنون . ان الماء اذا سقى الحقول وأنبت العشب وعاشت به الأمم فانما مثله مثل رجل يسي أولاً لما يبقى جسمه ثم نراه يسي ليربي أولاده ليعيشوا بعده . هذه حال هذه الأنهار . الناس يعيشون بها ثم هي تجرف الطين والرمل والحصى الى البحر كل سنة ليكون ذلك طبقات وراء طبقات بها تتكون الجبال في قاع البحار فيعلا هناك كما تعلا اليابسة كل سنة (بالقرين) الذي يحمله الماء . بجميع الجبال التي نراها كالقطن والجبال هماليا وغيرها كما ستراه مفصلاً في هذا التفسير في السور التي بين سورتي يوسف والنحل ان شاء الله تعالى وفي قوله تعالى - أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت - الى قوله - والى الجبال كيف نصبت - في سورة العنكبوت انما تتكون أولاً في البحار في مئات الآلاف من السنين فهي أجنة في بطون البحور تخرج بعد أمد طويل . إذن ليست القوى معطلة . فالنهر اذا عشنا بمائه فوق الأرض فان ما فضل يستعمله بأذن الله في احداث عوالم ستكون بعد قرون . فالجبال مكونات من فضلات الأنهار كما كونت الأجنة مما فضل من غذاء الأبوين في أجسامهما فالنطقة منهما من فضلات الدم الجاري في عروقهما ودم الحيض الذي لا يكون إلا زمن القوة واللبن المغذى للطفل . كل ذلك فضلة فأضصة من القوى كما فاض النهر وجرى فسكونت به هذه الجبال . وليس معنى هذا أن الناس على الأرض ينامون ويتركون أنهارهم . نعم هذا تدبير محكم ونظام عجيب عام

﴿ ازدياد الناس على الكرة الأرضية ﴾

ازداد الناس اليوم على سطح هذا السيار الذي نعيش فيه وازدحت القرى والأمصار بسكانها واشترأوا الى منافع الأرض وقد علموا أنهم متضامنون وان لم يعملوا بهذا التضامن . والذي أراه أن الناس سائررون الى حال ستجمعهم طوعاً أو كرها . سيفكر الناس في استخدام جميع المواهب العقلية في الانسان والخواص في الأرض كما ستراه في ملخص كتابي ﴿ أين الانسان ﴾ في تفسير قوله تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا - وذلك بقلم الاستاذ (سنتلانه الطلياني) تقرظاله وهو مترجم الى العربية من التليانية فان هذا الملخص هناك هو معنى الآية وهو موضح لهذا المقام قرب الوقت الذي تحاسب فيه كل أمة على ما فرطت في عقولها وما أهملت من أرضها كما في الكتاب المذكور . قد رأيت ألا شئ في الوجود معطل وأن ماء النهر الجاري الى البحر له عمل فسيضطرب الناس الى أن يحاسب بعضهم بعضاً على ما أضاعوا من قوى . وستقول كل أمة للأخرى ان عندك قوى مخزونة في جبالك أوفى مائك أوفى أرضك أوفى عقول أبنائك فاستخرجها لأن المنافع تعود منك على في التجارة والمبادلة وغيرها فاذا أبت قهرها غيرها واستخرجوا المنافع وشاركوها . ذلك سيتم متى ازداد عدد السكان سيضطرون لذلك اضطراراً لأنهم متضامنون كما قدمنا . وأضرب لك مثلاً

خذ ملابس صبي من صبيان المدارس في أنحاء الأرض الآن فهي مركبة من

(١) صوف يحضرونه غالباً من استراليا أو من جنوب افريقيا

(٢) أوقطن مستحضر من مصر أو أمريكا أو بلاد الهند

(٣) أوكتان مستحضر غالباً من بلاد روسيا أو بلجيكا أو أيرلنده

(٤) ويحتاج الى سير من جلد مخصوص وهو يجلب من أمريكا الشمالية

(٥) ويصنع ذلك كله في بعض ممالك أوروبا

(٦) وازرة من فضة تستجلب من بلاد (المكسيك)

(٧) ومشابك أخرى إما من نحاس أصفر مستخرج من النحاس الأحمر المستجلب من اسبانيا

(٨) أو من قصدير من شبه جزيرة بلاد الملايو

(٩) وكل هذه تحملها السفن فتعبر البحار

(١٠) وقس على ذلك كل ما يحتاج اليه

﴿ واجب المسلمين الذين أتت لهم هذا الكتاب ﴾

أيها الذكي إياك أن تظن أن لاطلة هذا الموضوع خارجة عن الآية في التدبير العام والتدبير العام انحصر في القوى والمادة وقد رأيت تدبير القوى من الأعلى إلى الأدنى والمادة أيضا من الأعلى إلى الأدنى وهذا ما يخص ما ذكرنا وهذا الكتاب للمسلمين وأنت مخاطب لأنه لا يذهب هذا إلا أناس لهم قوة بها يفوقون المجموع والذي ذكرته علم والعلم إن لم يصحبه عمل ضاع فهنا نأذا أوصيك بالمسلمين • إن المسلمين اليوم أحاطت بهم الأمم من كل جانب وقد سميتهم النصراني والمجوس واليهود فعم التعليم اليهود واليابان وأوروبا ولم يبق جاهلا إلا المسلم ولا يتعلم غالبا إلا القليل فخذ كل أجلد واتخذ سبيلا إلى تعميم التعليم حتى نلحق بالأمم وهذا لا يحتاج إلى أكثر من عشرين سنة • وهى نعم التعليم فى الأمم الإسلامية أمكنها استخراج المنافع من العقول ومن المادة كما شرحناه • يدبر الله الأمر من السماء إلى الأرض ونحن مكلفون أن نعمل بقدر طاقتنا • وهى ارتقت أم الاسلام صارت بحارية للأمم الأخرى وحينئذ تكون مساوية لهم فلا تنهم بأنها عطلت عقول أبنائها ولا منافع أرضها وخواصها ولا المطر النازل فى أرجائها • فان لم تكن سابقة الأمم فى ذلك فلتكن مساوية لهم هذه هى السبيل التى يجب اتباعها ونشرها وأن هذا التفسير وأمثاله فى هذا العصر مقدمات لذلك الرقى المنشود والحمد لله رب العالمين

﴿ فصل فى قوله تعالى - وقدره منازل ﴾

هى ثمان وعشرون منزلة أولها الشرطين وآخرها بطن الحوت وهى مقسومة على اثنى عشر برجاً أولها الحمل وآخرها الحوت لكل برج منزلتان وثلاث منزلة ينزل القمر كل ليلة منزلة منها إلى انقضاء ثمانية وعشرين ليلة ثم يستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين وإن كان تسعا وعشرين اختفى ليلة واحدة

﴿ القمر أصل الشهور والأسابيع ﴾

اعلم أن القمر لولاه لم تكن شهور ولا أسابيع ولكن اختلاف الناس عسيرا فى حسابهم • وبيانه أن دورة القمر التى تتم فى ٢٨ يوما كما تقدم جعلت مقياسا للشهر • ثم بالنظر لاختلاف الفصول من شتاء وصيف وخريف وربيع جعل مقياسا لها فكل كل فصل ثلاثة أشهر وكل شهر أربعة أسابيع وكسر

فصورة القمر هى التى نهت النوع الانسانى إلى أقسام السنة الاثنى عشر المسماة شهورا • فأما سائر الشمس فلم يعط الناس الا الفصول الأربعة باعتبار بعد الشمس وقربها وهى الدورة السنوية • ههنا أخذت الأمم تفصل أيام السنة وشهورها بحسب ما يعنى لها فانهم لما رأوا الاسبوع سبعة أيام لم ينظروا لليوم بنظر واحد

(١) الكلدانيون والفرس يجعلون مبدأه من شروق الشمس ويجعلونه ٣٤ قسما متساوية هى الساعات

(٢) اليهود يبتدئون من غروب الشمس إلى شروقها ليلا ومن شروق الشمس إلى غروبها • فالساعات ليلا ونهارا تختلف طولا وقصرا بحسب الفصول عندهم بخلاف الكلدان والفرس فهى متساوية مع اختلاف الفصول

(٣) الايطاليون فى أواسط القرن التاسع عشر كانوا يحسبون كاليهود

(٤) العرب يحسبون النهار من مرور الشمس على خط الزوال مبتدئين من الساعة الأولى إلى الرابعة

والعشرين التى تنتهى بمرور الشمس عند خط الزوال عينه فى اليوم الثانى

(٥) لم تتفق الأمم الكبرى كفرنسا وغيرها فى مصالحها العمومية لاسيما فى مواعيد السكك الحديدية

على ما كان عند العرب الا فى زمن قريب جدا • وأسماء الأيام مستنبطة من أسماء الكواكب السيارة

(١) الاثنين القمر عند الفرنجة (٢) الثلاثاء من مارس عند الفرنجة أى المريخ (٣) الأربعاء يجمع

عند الفرنجة الى عطارد (٤) الخليس يرجع الى جوبتر عندهم أى المشتري (٥) الجمعة يرجع الى الزهرة (٦) السبت يرجع الى ساتون أى زحل (٧) الأحد يرجع للشمس وهذه كانت معروفة عند آبائنا العرب فإذا قال الفرنجة مثلاً ان الأرباء وهو (مرحوم) مشتق من مركور أى عطارد فان آباءنا قالوا ان يوم الأرباء لعطارد وهكذا بقية الأيام بالنقل عن الأمم . ولقد اتفقت الأمم كلها على تحديد عدد أيام السنة ابتداء من القرن الثالث للميلاد واعتبر أكثرهم ان مدة الاسبوع معادلة ربع دورة القمر حول الأرض (١) وكان الفرس والمصريون لذلك العهد يعتبرون السنة (٣٦٥) يوماً مقسمة الى اثني عشر شهراً والشهر ٣٠ يوماً يضاف اليها فى آخر كل سنة خمسة أيام (أيام النسيء) ومع ذلك لم تطابق السنة الحقيقية والأشهر عند قدماء المصريين هى (توت . فاووفى . أوثير . شوكا . توبى . مشير . مامينوت . فرمونى . ياشون . يونى . ابفى . ميسورى) والشهر الأول منها وهو (توت) يبتدىء فى الاعتدال الخريفي (٢٢) سبتمبر من كل عام

(٢) الصينيون كانوا يعرفون السنة الشمسية وقد ضبطوها مرات عديدة

(٣) العرب . السنة تتألف من (١٢) شهراً والشهر مؤلف من (٢٩) يوماً ويليه شهر مؤلف من ٣٠ يوماً والسنوات الكبيسة يزداد عليها يوم واحد والكبيسة فى كل ٣٠ سنة احدى عشرة سنة والباقي وهو ١٩ بسيطة

(٤) اليهود تقويمهم السبى بالقمر وتقويمهم المدني شمسي يبتدىء من فصل الربيع (٥) قدماء الرومان تبتدىء السنة عندهم من فصل الربيع ولكن (رومولوس) مؤسس رومية قسمها عشرة أقسام ذاعلاً عما رسمه القمر فى سيره من قسمته السنة ١٢ قسماً وأسماء الشهور بعضها مشتق من أسماء الآلهة عندهم . هكذا مارس . ابرليس . يونيوس وبعضها أسماء أعداد وأضاف بعض ملوكهم شهرين آخرين وهما (جانوارىوس وفبروارىوس) ثم أضافوا شهراً آخر فصارت الشهور ١٣ شهراً وهو أمر غريب . فانظر ماذا حصل جاء الأباطور (يوليوس قيصر) فوضع التقويم اليونانى بأن تكون السنة مؤلفة من ١٢ شهراً بعضها يحتوى على ٣٠ وبعضها على ٣١ يضاف اليها كل أربع سنوات يوماً فى السنة الكبيسة . ولما كان الرومانيون يجهلون نظام الأسابيع وسقطت الدولة الرومانية غيروا نظام الشهور الرومانى وجعلوه على ما تعلم اليوم من الأسابيع المعروفة اليوم المجهولة عند الرومان

وقد نقش الأباطور أغسطس على ألواح النحاس التقويم الذى وضعه قيصر وأطلق اسم يوليوس (يوليو) على شهر يسمى (كنتيكيس) تخليداً لاسمه كما أطلق اسمه هو وهو أغسطس على شهر يسمى (سكتيليس) . فانظر كيف اضطرت الأمم كلها أن تجعل السنة ١٢ شهراً . لماذا . لأن القمر لما دار حول الأرض ١٢ مرة كان هذا قريباً من السنة ينقص عنها نحو ١١ يوماً فسكان القمر فى سيره نطق بلسان فصيح قائلاً . هاأنذا رسمت لكم الشهور فانسجوا على منوالى حتى اضطروا الرومانيون بعد ما قاسوا المشاق فى تعديل السنة وقد غفلوا عن سير القمر الى حذف الشهر الزائد عن اثني عشر وأول من تقطن لهذا يوليوس ورجع الى الشهور الاثني عشر كسائر الأمم . وهذا هو سر قوله تعالى - وقدره - أى القمر - منازل لتعصوا عدد السنين - فأفاد أن نظام القمر هو الذى يفيد السنين ويعرّفها ويقسمها ولولاه لاختلفت شهورهم وضاعت مصالحهم . ولما كانت الأمم بعضها محتاج الى بعض نظم الله لهم سير القمر حتى يتبعوه فى الحساب فتتظم معاملاتهم . فنظام السموات تبعه نظام أهل الأرض

فصل فى معنى قوله تعالى - والحساب - من قوله - لتعلموا عدد السنين والحساب -

اعلم أن السنة الشمسية كما قدمنا فى كل أربع سنين فيها سنة كبيسة وثلاثة بسيطة . وقاعدتها أن

تقسم سنى التاريخ المسيحى على أربعة فان قبلت السنة القسمة فهى كبيسة . والا فهى بسيطة . ولاشك أن هذه السنة التى أكتب فيها هذا التفسير وهى سنة ١٩٢٤ تقبل القسمة على أربعة وأذن فهى كبيسة أنا فى هذه الساعة أكتب ليلة السبت نصف الليل ليلة السادسة من شهر سبتمبر من هذه السنة . ومع ذلك السنة على هذا الحساب لم تزد على ٣٦٥ يوما و٦ ساعات وهى فى الحقيقة ٣٦٥ يوما و٥ ساعات و٤٨ دقيقة و٥٠ ثانية أعنى ٣٦٥.٢٤٢٢١٧ يوما وسطيا وحيث أن تكون كل سنة يوليوسية تزيد عن المدة الحقيقية للسنة الفلكية بكسر من اليوم مساو الى ٠.٠٧٧٨٣ ر . أعنى ١١ دقيقة تقريبا وهذا الفرق وإن كان قليلا يصير يوما كاملا فى كل ١٣٢ سنة وفى سنة ١٥٨٢ ميلادية قد وصلت هذه الزيادة الى عشرة أيام فأمر البابا (جريجور ليلوس) البابا الثانى بأن يصلح هذا الخلل فأسقط ١٠ أيام من تلك السنة إذ جعل الخامس من شهرا كتوبر الخامس عشر . ولما كان الفرق وهو ١١ دقيقة يصير ١٨ ساعة تقريبا فى كل مائة سنة وثلاثة أيام فى كل أربعمائة سنة وجب إذن طرح ثلاثة أيام من كل أربعمائة سنة فأضاف الى القاعدة اليوليوسية قاعدة أخرى وهى أن كل ثلاث سنين مئينة عوضا عن أن تكون كبيسة تكون بسيطة والرابعة تبقى كبيسة وهلم جرا . والمراد بالسنة المئينة ما ينتهى عدد التاريخ فيها بصفرين مثاله سنة ١٦٠٠ ولزيادة السهولة اتفقوا على أن السنة المئينة الكبيسة هى التى عددها يقبل القسمة على ٤٠٠ فسنة ١٦٠٠ كبيسة و١٧٠٠ و١٨٠٠ و١٩٠٠ بسيطة

وقد قبل هذا التعديل جميع الأمم ماعدا المسكوف والأروام والأقباط فانهم بقوا على التعديل اليوليوسى ولذلك نرى فرقا ١٣ يوما بين حسابهم وحساب الافرنج ١٠ منها هى الأيام التى أسقطها (جريجور) والاثنان ناشتان من جعلهم سننى ١٧٠٠ و١٨٠٠ كبيستين والافرنج جعلوهما بسيطتين ومع ذلك لا يزال هناك فرق يبلغ ربع يوم تقريبا كل عشرة قرون فيكون يوما واحدا كل ٤٠٠٠ سنة بحيث يجب أن يضم يوم واحد لسنة ٥٥٨٢ لأجل تعديل الخطأ المجتمع القليل جدا فتعجب من الحساب كيف بلغ فى الدقة مبلغا شغل العالم الانسانى أجمعه وقد كان ابتدأه سير القمر الذى قسم السنة ١٢ قسما وهذه الأقسام تنقص ١١ يوما تقريبا فعذات الشهور من حال الى حال . ومعنى زادت عن ١٢ نأذب الناس وحذفوا الزائد ثم أخذوا يحذفون ويزيدون أجيالا وأجيالا الى أن وصلوا الى الثوانى من آلاف السنين . أليس هذا هو سرّ قوله تعالى - لتعلموا عدد السنين والحساب - أولم يكف أن يقول - عدد السنين - حتى أضاف لها الحساب اشارة الى هذه الدقة المتناهية فالقمر حكم عليهم أن يجعلوا السنة ١٢ شهرا وهم اضطروا بالحساب أن ينظموا أيام الشهر فبدل أن يكون ٢٩ يوما و١٢ ساعة و٤٤ دقيقة بحساب القمر زاده نحو يوم تقريبا فى الشهر الشمسى . ولا يزال الحساب ينتهى فى الدقة الى الآن

فيا عجب كيف كان القمر دليلا على الحساب . وكيف شغل الناس بالفرق بين الشهر القمري والشمسى والسنة القمرية والشمسية . وكيف كانت السنين الكبيسة والبسيطة فى الحساب العربى فى كل ٣٠ سنة لا تزيد الزيادة للكبس فيها على ١١ يوما دائما أبدا وكل دور (٢١٠) من السنين وهذا الدور مشتمل على أدوار صغيرة كل دور منها ٣٠ سنة وهى سبعة أدوار . فتعجب كيف كانت الكبيسة الشمسية محتاجة الى دقة أتمّ كما رأيت وكل هذا سرّ قوله تعالى - لتعلموا عدد السنين والحساب - وقوله - ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعاصرون - يعنى أن الله راعى فى خلق ذلك الحكمة والمصلحة ولم يذر القمر والشمس يتخبطان فى سيرهما ويتعثران فى جريهما بل ضبطهما بحساب على مقتضى احتياج الناس وحسابهم . وبهذا الحساب يزدادون دقة وحكمة فلأنتى جعلت الحساب سهلا مهيجا لا كسر فيه لأذى ذلك الى جود عقولهم وموت نفوسهم وجهالة عقلائهم ولكن ذلك الكسر فى السنين الشمسية والقمرية يؤدى

الى نبوغهم في الحساب فترقى الأمم واذا كان الحرب في الأمة وشدة الحاجة الى العلوم والصناعات يؤدى الى ارتقاءها . هكذا هنا في الحساب ودقته تؤدى الأمم الى رفعة الشأن . فكما ازدادوا حيرة ازدادوا اجتهدا فأثروا . هذا معنى قوله - ما خلق الله ذلك إلا بالحق - وختم الآية بقوله . لمن أفصل هذا . أفصله لقوم يعلمون . يعنى أن مثل هذا المقام لا يعرفه إلا العلماء به . فأما الجهلاء به ولو كانوا أعلم الناس بالنحو والصرف واللغة والفقه فإن التفصيل ليس لهم . فعار على أمة الاسلام أن يتخلو من النابغين في هذا الفن . وكيف نرى التعديل يأتى من أوروبا والمسلمون نائمون اليوم وليسوا كأبائهم الأولين

اللهم انك أنزلت هذا الكتاب وطلبت فيه أن تكون الأمة فيها علماء في كل علم فاذا قصرت الأمة كما هو حاصل الآن وليس أحد عالم بهذه العلوم إلا الفرنجة . فلن يفصل لهم القرآن . ولن يقرأ . وكيف يفصل الله الآيات لقوم لا يعلمون . يارب إن المسلمين اليوم لا يعلمون أكثر العلوم ويعرّون على مثل هذا القول من الكرام ولا حظ لهم منه إلا حظ الجائع من النسيم . فيا ليت شعري من هذا التفصيل ولن هذا القول . يا الله إنك قد سلطت الفرنجة علينا لجهلنا . يارب انك فصلت هذه الآيات لقوم يعلمون الفلك والأمة غافلة فتعلمته أنت الى الفرنجة وصرنا نقرأ القرآن ولا نبالي بما سمعنا انك تفصله لقوم يعلمون لأن المسلمين اليوم قوم يعلم الفلك يجهلون . فالله اجعل منهم قوما عاشقين لعلوم مختلفة وبث الحية في قلوبهم واجعل منهم من يحشون على كل صناعة وكل علم واجعل كتابي هذا مما يحترضهم على عشق العلوم وحب الحكمة والتخلق بخلقك وخلقك العلم والحكمة لأنك العليم الحكيم اهـ

﴿ بهجة العلم في هذه الآيات ﴾

إن تقدير المنازل والبروج للشمس والقمر وسيرهما بحساب متقن هو الذى جعل الناس آمنين على ﴿ أمرين ﴾ حساب الدرجات الأرضية ونظامها . وحساب الميزان والكيل والمساحة . ولأين ذلك في مقامين ﴿ المقام الأول ﴾ حساب الدرجات الأرضية ومعرفتها وكرويتها ودورانها اعلم أن أول من فكر في كروية الأرض رجل يقال له (أراتوستانس) هذا الرجل ولد في القبروان سنة ٢٧٦ قبل المسيح ودرس في الاسكندرية وأثينا ثم دعى الى الاسكندرية سنة ٢٣٤ قبل الميلاد فأقام بها الى أن أدركته الوفاة سنة ١٩٤ ق م وهذا الفلكي ألف كتابا في معرفة جرم الأرض وقال ان الشمس تكون عمودية فوق الأرض في مدينة اسوان وقت الانقلاب الصيفي فاذا نصب عمود في الأرض هناك لم يظهر له في الظهيرة ظل ممتد شمالا واذا نصب عمود آخر مثله في الاسكندرية ظهر له ظل شمالي في تلك الدقيقة عينها واذا رسم خط من أعلى هذا العمود الى طرف ظله وجدت الزاوية التي تكون بينه وبين الظل سبع درجات وخمس درجة فهى المسافة بين الاسكندرية واسوان

وليبيان هذا المقام حق البيان أقول أن هذا الفلكي قد تربى في الجامعة المصرية بالاسكندرية التي أسسها بطليموس الأول وقد تخرج منها كثير من العلماء والأطباء ومنهم هذا الفلكي فتأقت نفسه يوما أن يسافر من الاسكندرية الى اسوان فسافر في نهر النيل فلاحظ أمرين ﴿ أولهما ﴾ أنه كلما أوغل في جهة الجنوب سفرا يرى بعض النجوم الشمالية الظاهرة تغيب تدريجا ﴿ وثانيا ﴾ أن بعض النجوم التي لم تكن ظاهرة تبدو تدريجا غطرت له أن هذا لا يكون إلا اذا كانت الأرض كروية وكيف يقيس الأرض كلها اذن هنالك اجترأ بقياس بعضها ثم يحسب الباقي وما ذلك البعض ياترى . هو ما بين الاسكندرية واسوان فقااسه فوجده (٦٨٠) ميلا وهذه المسافة هى التي ارتفاعها الشمسي عند الاسكندرية أكثر من اسوان ٧ درجات وخمس درجة فاذن هذه المسافة جزء من خمسين من الدائرة التي تحيط بالكرة وبضرب هذا العدد في خمسين يساوى (٣٤٠٠٠) ميل . ثم قال في نفسه اذا أنا سافرت من اسوان أيضا جنوبا واستمرت فاني أرجع الى الاسكندرية

من الشبان ثانيا إذا قطعت قدر هذه المسافة المذكورة خمسين مرة . هذا ما قلناه ذلك الفلكي ولكن الحساب الآن ليس كذلك فإن الدائرة حول الأرض لا تزيد عن (٢٣٧٠٠) ميل والسبب في ذلك الخطأ المقدر بنحو (١٠٣٠٠) ميل أن اسوان ليست في جنوب الاسكندرية تماما بل هي تنحرف جهة الشرق الجنوبي قليلا فلذلك طالت المسافة جدا . انتهى ما ترجمته من الكتب الانجليزية مقتصرًا على الفائدة ومن المزم أن هذا العالم لما عمى في آخر حياته ترك الأكل حتى مات قائلا ﴿ لا خير في حياة لا تصحبها لذة المتاعمة والعلم ﴾ فلذلك أثر الموت انتحارا

انظر الى الآية التي نحن بصددنا ونفكر في عمل هذا الفلكي اليوناني المصري كيف عرف بارتفاع الشمس الدرجات السبع والخمس وأنها هي جزء من خمسين من الدائرة المحيطة بالأرض وحسب المحيط كله لولا دوران الشمس حول الأرض بحسب الظاهر ما أدرك هذا العالم هذا الحساب . انتهى الكلام على كروية الأرض أما دورانها فإنه قد وضع فيما كتبه في كتاب ﴿ جواهر العلوم ﴾ وقد جعلته في محاوره بين فني وفناء فلا تقل ما دار بينهما من الحديث لتقف على ما كنت أكتبه في أول أيام تأليني وترى أن دوران الأرض حول الشمس ليس غير مخالف للقرآن بحسب بل له منه دلائل كما ستراه فيما يأتي . وهنا ننقل ما في ﴿ جواهر العلوم ﴾

﴿ فصل في الكلام على الخلاف بين الأوائل والأواخر في الأفلاك ﴾

(ومسألة الدوران والشمس هي الدائرة حول الأرض أم بالعكس)

فقلت ياسيدي أرجوك ذكر مقال شاف يكشف لي حجاب الخفاء عن الهيئة فقد أشكل القول فيها وخالف السلف الخلف وكل حزب بما لديهم فرحون فإني لا أدري ما الصواب فيها أقول الأقدمين الذين قالوا ان الأرض ساكنة وأن الشمس وجميع الكواكب تدور حولها أم قول العصريين القائلين بأن تلك الأجرام لا وجود لها وإنما السماء لها معنى آخر وهو الشمس المشرقة وتوابعها من السيارة وسيارة السيارات وانها سبع طبقات بعضها فوق بعض وهي الأقدار السبعة المعروفة وأن الأرض هي التي تدور حول الشمس ثم ما الذي جعلهم على ذلك حتى جحدوا فيه وما الفائدة في تلك المباحث . فقال اعلمى أن المتقدمين والمتأخرين أفرغوا وطايرهم في البحث عن الاجرام العلوية والكواكب المشرقة ولم يألوا جهدا في البحث عنها بليل الطباع البشرية الى اقتناص شوارد العلوم وفوائد المنطوق والمفهوم . ولذلك نرى كل انسان يجب بعلمه ولو في مسألة من دنيا المسائل . فقلت ياسيدي وهل في العلم أدنى وأعلى . فقلت نعم ان المعارف تنقسم الى علوية شريفة وإلى سفلية تستضيء منها مركبة من عناصر سريعة الانحلال قريبة الدثور واللذة في العلوم على حسب شرف المعارف . فكلما كان المعلوم أشرف وأفضل كانت المبهجة به واللذة أكثر . وكلما نقص عن رتبة الشرف والفضل بأن استمد من غيره أو كان قريب الدثور والانحلال قلت المبهجة به واللذة وأنى يستوى لذة معرفة موت فلان وحياته وغنى زيد وفقير عمرو وغير ذلك بلذة معرفة أقدار الكواكب وأبعادها وحساب دورانها وسننها وشهورها وأيامها وانتظام سيرها في دوائرها فان اللذة بالأول وقتية قليلة بخلاف اللذة بالثاني فهي عظيمة جدا دائما بدوام المعلوم . وعلى هذا القياس كانت سيرة العلماء والملايك والحكماء والدول الكبيرة ألد من سيرة العامة والسوقة والجهلة والدول الصغيرة وكذلك العالم العلوي على السفلى ولذلك كان البحث عن كمال الله وجماله أبهج وألد في النفوس الشريفة لأنه لا أشرف منه ولا أدوم . وبالجملة فالبحث عن العلويات أمر لذيد ولذلك اتجهت أفكار الأمم بأجمعها اليه وصوت أسهم آرائها لغرضه . ولقد أطلعت على آراء قديمهم وحديثهم وعجربهم وبجرهم وغتهم وسمينهم فوجدت موضوع أبحاثهم دائرا على محورين ﴿ الأول ﴾ القوانين الحسابية التي بها يعرف الليل والنهار والشمس والقمر والكواكب والفصول والانتقالات وغير ذلك

مما توقف عليه أحوالنا المعاشية وعباداتنا وحجنا وصومنا وافتطارنا وغير ذلك وهو فن التقويم المسمى علم الفلك وهذه القوانين ليس فيها بين المتقدمين والمتأخرين كبير خلاف بل هي متقاربة ولا خلاف إلا في أمور جزئية لا تهتم أصلاً من الأصول ولا توجب خطأ في مقول (الثاني) البحث عن العالم بأسره وهو علم هيئة الدنيا وهو فن يبحث فيه عن الأرض مع غيرها من أجزاء العالم والعالم هو سائر المحدثات فهو صنعة عظيمة تسكل العقول عن الاطاحة بعلم ما احتوى عليه من المخالقات وعن الابعاد بين الكواكب ومقادير أجرامها وطبائعها وما تشتمل عليه وعن السيارات وانثواب وعن الشمس أهى التى تدور حول الأرض أم الأرض هى التى تدور حولها وعن حقيقة السموات وغير ذلك . وهذا هو الفن الذى حى فيه وطيس الخلاف بين الأوائل والأواخر وعلماء هذا الفن مقررون بأن أدلتهم ظنية غاية الأمر أن بعضها أقرب الى الظن من الآخر ويشهد له أنهم كانوا مطبقين على تقدير بعد الزهراء عن الشمس وعلى مقدار جرمها . ثم فى سنة ١٢٩٣ أرسلوا العارفين الى الجهات وحرروها فعرفوا أن جميع حساب السابقين خطأ محض وانها أقل من ذلك كله بعدا وجرما . ومن الجائز ظهور الخطأ فى هذا التحري أيضاً فى وقت آخر

وحيث كانت مسائل هذا الفن ظنية اختلف علماءه فى أسباب وجود الليل والنهار واختلاف الفصول بالحر والبرد بعد الاجماع على أن ذلك من آثار تقابل الشمس والأرض فقد كان علماء الهيئة فى غابر الأزمنة على ما وصل اليه يدرسون فى مدارسهم ويعلمون تلامذتهم هذه الهيئة الجديدة المعروفة الآن . فقد كان (فيثاغورس) الفيلسوف الشهير يعلم تلامذته فى مدرسة (كروتونيا) من بلاد ايطاليا على طريقة حركة الأرض وذلك قبل ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام بمدة خمسمائة عام معتقدين أن هذا المرئى الذى نسميه سماء أوفلكا هو فضاء واسع وزرقته ناشئة من اكتشاف الأشعة الشمسية للأجزاء الأرضية وأن الكواكب الثابتة فى ذلك الفراغ عبارة عن شمس كشمسنا هذه وكل شمس حولها سيارات كسيارات شمسنا وأقمار كقمرها وذوات ذوائب كما حول شمسنا وكل واحد من هذه السيارات والأقمار وغيرها عالم مثل كرة أرضنا ومن جملة هاتيك الشمس المشهورة ولها دائرة مخصوصة بها وعدة متعلقات تدور حولها من السيارات ومن جملة السيارات الدائرة حولها هذه الأرض التى نحن عليها والتمزم لها ويدور عليها ومعها على الشمس وفوق ذلك صفوف دوائر شمسية متسككة بعضها فوق بعض الى حيث لا يحيط به النظر ولا يدركه الفكر - وما يعلم جنود ربك إلا هو - فالسموات عندهم عبارة عن هذه الدوائر بما فيها من الكواكب الكبيرة . ولما شاعت هذه الطريقة فى زماننا هذا وأراد العلماء تطبيقها على ما ثبت عندهم من ظهور الشريعة من كون السموات سبعة قالوا معلوم أن الكواكب الثابتة سبع طبقات فما كان منها يرى فى غاية الظهور والاضاءة فهو الطبقة الأولى ويقال لها المرتبة الأولى والقدر الأول وما كان أبعد منها غير كثير وأقل فى الظهور والاضاءة بمقدار يسير فهو الطبقة الثانية وهكذا الى الطبقة السادسة كل طبقة ترى كواكبها أبعد عن التى قبلها وأقل منها ظهورا واستنارة والطبقة السابعة هى التى خفيت كواكبها فلا ترى إلا بالمنظرة المعظمة فهذه الطبقات هى طباق السماء وفى قوله تعالى - وزينا السماء الدنيا بمصابيح - قالوا السماء الدنيا عبارة عن الدوائر الشمسية التى نحن فيها المزمينة بما احتوت عليه من السيارة وسيارة السيارة وذوات الأذنان وغيرها من متعلقاتها الى نحو ذلك من التأويلات التى شرحها علماءهم وكم ورد عليهم من اعتراض وكم أجابوا عنه . وقد رأيت فى بعض رسائل العلامة المرحوم عبدالله باشا فكرى أن تلك المباحث مستوفاة التفصيل فى كتاب (أسرار الملك والمكوت) وشرحه الموسوم (بأسفار الجبروت) والشرح المذكور فى دار السلطنة السنية وهو باللغة التركية ومثته بالعربية . ثم ان هذه الطريقة كما قدمنا هى التى كانت سارية فى

أنحاء المعمورة بين علمائها مستنيفة بين خاصتها وعامة حتى جاء (بطليموس) قبل الميلاد بمائة وأربعين سنة فاختار القول بسكون الأرض ودورة الشمس عليها وبنى مذهبه على ذلك فشاعت قاعدته بين الناس واشتهرت في البلاد

ولما جاء الاسلام وترجمت الكتب اليونانية الى اللغة العربية نقلها الفارابي من فلاسفة الاسلام في مؤلفاته العربية أوائل القرن الرابع من الهجرة وتبعه ابن سينا وغيره فن جاء بعده وهيجرت الطريقة المتقدمة التي كان عليها (فيثاغورس) وقد قال هؤلاء العلماء ان السموات أجسام متراكبة بعضها فوق بعض كطبقات (البصلة) متماسة ولا تقبل الحرق ولا الائتئام وليست حارة ولا باردة ولا رطبة ولا يابسة ولا لون لها ولا توصف بلين ولا داسة ولا خشونة ولا خفة ولا ثقل

وبالجملة فهي أجرام أثرية شريفة مخالفة للأجسام العنصرية الأرضية في جميع أوصافها وهي التي تدور الحركة اليومية والكواكب تتحرك معها فسمرا وللسيارات حركة أخرى مخالفة لحركة السموات أي ان السموات تدور من المشرق الى المغرب وتلك الكواكب معها ثم الكواكب لها حركة أخرى تدور بها من المغرب الى المشرق كذهاب عبي دولاب تسير متجهة الى غير جهة حركته وبهذه الحركة المخالفة تكونت الفصول والسنون وانتظمت أحوال العالم ودون ذلك في كتب المتقدمين

ولما شاعت هذه الطريقة بين علماء الاسلام أخذ بعضهم في تطبيقها على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وسكت عن ذلك فريق وفريق كفر القائل بذلك المذهب ثم برهن محققوهم كالغزالي وغيره على أن هذه لاتصادم الدين وأن من اعتقد ذلك فقد جنى عليه وضل سواء السبيل وأضل الناس فان الدين لا ينفي ولا يثبت . وكما أن من يقول ان الله خلق (البصلة) ست طبقات أو سبعاً أو ثمانياً وانها كروية أو مثلية أو مربعة لا تكفره كذلك لا تكفر من يبحث في العلويات إذ كلها من مخلوقاته عز وجل ولم تذكر إلا للاستدلال على صانعها والدلالة واضحة على كل حال وعلى أي شكل وكثير من علماء الكلام كانوا يناضلون الفلاسفة ويخطئونهم ويضللون فهمهم حتى قال العلامة الفخر الرازي ان الأقرب للقرآن أن تكون الكواكب سابحة في السماء كما يسبح السمك في البحر وأدحض حججهم في قولهم أن الحرق والائتئام مستحيل على الفلك واستدل بقوله تعالى - كل في فلك يسبحون - وكان بعضهم يعرف الطريقة المستنيفة الآن ويقارن بين الطريقتين ويميل الى هذه الطريقة كما سيظهر قريباً ثم نبغ ببلاد هستان رجل يقال له (كويرنيكوس) تميز في العلوم الرياضية واشتغل بالهيئة والرصد والحكمة من سنة ١٥٠٠ الى سنة ١٥٣٠ من الميلاد وهي سنة ٩٣٧ من الهجرة فرجع الى الطريقة التي كان عليها (فيثاغورس) المؤسسة على حركة الأرض وقرر أن الشمس مركز وأن الأرض والسيارات تدور حولها فأولاً عطارد ثم الزهرة ثم الأرض ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل وأيد هذه الطريقة بأدلة وأشهر ذلك في كتاب له عنوانه ﴿حركات الأجرام السماوية﴾ خضع فيه في مجمع كنيسة رومة بالزيغ والاتحاد ولو أمكنهم قتله لقتلوه ونهوا عن اشهار كتابه ومع ذلك شاع هذا المذهب فذهب اليه وقيل هيمنة (كويرنيكوس) ثم قام بعده جماعات في جهات متعددة وأزمان مختلفة في أنحاء أوروبا ودعوا على هيئته وسموها بالهيئة الجديدة وسموا التي قبلها بالقديمية . وأنت ترى من هذا أنها في الحقيقة هي القديمة وأن تسميتها جديدة بحسب ماشاع وظنه كثير من الناس خطأ محض وجهل بتاريخ علم الهيئة والطريقتان مذكورتان مستفيضتان في الكتب الاسلامية وقد ذكرهما العلامة عضد الدين عبدالرحمن ابن أحمد المتوفى سنة ٧٥٦ من الهجرة في كتابه المسمى بالمواقف وأورد على طريقة دوران الأرض اعتراضات ثلاثة ثم ذكر على تلك الاعتراضات بالنقض والرد وجرى معه على ذلك شارحه العلامة السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ في شرحه وكان فراغه من تأليفه سنة ٨٠٧ فليراجعه من أراد وليتأمل

البصير كيف كان علماء الاسلام يدرسون الطريقتين ويعرفونهما حق معرفتهما قبل أن يظهر (كويرنيكوس) ويدعى البعض أن مانلقوه من أفواه أساتذتهم من الافرنج تقليدا لهم مخترع من عندهم لم يسبقهم به أحد وهكذا نسبة كثير من المسائل اليهم مع أنهم في الحقيقة ناقلون عن غيرهم ويدعون أنهم هم السابقون فليتنامل المنصفون . راجع تاريخ العلامة (سديو) المؤرخ الشهير الفرنسي . تعالى الحجج الدامغة التي أقامها على أن أكثر الاختراعات لبني جنسه كذب محض وأنها في كتب العرب من قبل . فقالت له قذطال الكلام في هذا الموضوع فما رأيك . فقال اني قدتمت الأسباب الى رأيي في صدر هذه المقالة وأزیده الآن وضوحا فأقول . إن الله عز وجل فطر كل مخلوق على فطرة تناسب احتياجه ولونظرنا لجميع الحيوانات التي على وجه الأرض وكذا الانسان لوجدنا كل فرد منها يعلم ما يحتاج اليه حق العلم ويجهل ما عداه لطفًا من الله تعالى به . ولما كانت الكواكب والأفلاك لا تحتاج منها الا الى القوانين الحسابية أظهرها لنا اللطيف الخبير بالبراهين القاطعة ولم يحكم وطيس الخلاف بين الأمم في الأزمنة المختلفة فيها والخلاف فيها يسير جدًا لا يهدم أصلا من الاصول . أما معرفة أجرام السماء وسكانها وهل الأرض التي تدور أم الشمس فجعلنا به وعلمنا سبلان لا يتوقف عليه أمر من أمور معاشنا لما ثبت بالبرهان أن الحساب لا يختلف سواء اعتبرنا الأرض هي للثائرة أم الشمس

ومن عجيب الأحكام أن أدلته ظنية فعظم الخلاف بين الطائفتين بالاثبات والنفي وكأن الله أراد أن يرينا أن أقرب شيء الينا جهلناه . وباللهجب كيف نجهل حالنا مع أرضنا . نحن مقيمون أم ظانعون . ومستقرّون أم متحركون . وذلك مصداق لقوله عز وجل . وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم . فكم من شيء جهلناه وهو قريب منا كمسئلة الروح فقد احتدم فيها الوغى بين العلماء في كل عصر ولم يهتدوا الى الآن وما علم الهيئة إلا كعلم الطب فانه ظني أيضا . فقالت الفتاة . لقد بنيت كون الهيئة علما ظنيا على أنه ليس مما يحتاج الى تحقيقه في المعاش والمعاد وعلى قياسه على الطب وأنا أحتج على أن المسألة يقينية بما رأيت في كتب القوم من البراهين فلا أسلم أن علم الهيئة ظني . فقال اختصري في البراهين فالوقت لا يسع والقصد أن يكون مجلسنا نبذا لطيفة وأمار علوم لا جدليا . فقالت استدلوأ أولا بأنه لا يصح دوران الجسم الأكبر حول الأصغر فالعكس هو الطبيعي . (ثانيا) كل نجم يدور حول نفسه فكذلك الأرض . (ثالثا) تغير ظل الأرض وقت الخسوف على سطح القمر بهيئة تدل على أنها دائرة وظلها تبع لها (رابعا) ذبذبة البندول فقد وضعوه وضعا بدقة لا يتأثر بمؤثر خارجي عليه فرسم خطوطا تقاطع وتسكون رؤسها أقواسا تطول كلما قرب البندول من القطبين وتقصر كلما قرب من خط الاستواء وفيه يكون على خط مستقيم دائما (خامسا) انهم وضعوا مقدارا من الزيت في السكول وأداروه بيرة فدار وتسكور وتفرطح في قطبيه الى آخر ما قالوا فلعلها مثله . فقال لها ابراهيم بعض هذه الأدلة أقيسة تمثيلية وهي لا تثبت حكما وبعضها مبني على الاستبعاد وهما لا يفيدان القطع ولكن باجتماعها أفادت الاقتناع لا اليقين . فقالت الفتاة . هل القرآن ينافي هذا المذهب على فرض أنه يقين . فقال إن القرآن كلام الحكيم الذي أعجز جميع البلغاء والفصحاء ولم يكن القصد منه أن نشغل أذهاننا بتطبيقه على كل مذهب يحدث في العالم وعقول الناس تفاوت ولوطبقته على هذا المذهب هل نأمن أن تحدث مذاهب أخرى فوجب أن يطبق عليها أيضا . كيف ولم تذكر العلويات فيه والكائنات الأرضية إلا ليعرف كمال الصانع بالصنعة . أما كون الصنعة دائرة أو ساكنة فذلك ليس محل بحثه وكما حاول العلماء تطبيقه على الهيئة التي أدرجت في الأكتاف مع أن كثيرا من ضواهر الألفاظ كان يخالفها حتى جاء اكتشاف الافرنج فأبطل المذهب السابق وظهر أن تلك المحاولة والتطبيق على المذهب الباطل يصادف محله . على أن علماء الاسلام كانوا يضلون الفلاسفة السابقين ويخالفون مشاربهم بأرائهم الناقصة حتى

واقفوا من قبل علماء الافرنج في هذه الأيام . فقالت وهل تذكر شيئا من ذلك . فقال نعم
أولا نفس دوران الأرض فقد شتم من كلام صاحب المواقف أنه يعتمد عليه وهذا كان قبل أن يعرفها الافرنج
ثانيا كانوا يعتقدون النحاس والسعد وخراب الدول وعمارتها من آثار العلويا
ثالث عدم الخرق والانتقام في القتل
رابعا أن الأفلاك لها نفوس وإرادات
خامسا أن بعد الهواء كرة النار

وكل ذلك نقضه علماء الاسلام ووافقهم الافرنج في هذه الأيام . على أننا لو أرخينا العنان للقلم ونظرنا في
القرآن لوجدنا ما يشير الى الطريقة الجديدة وإن لم يذكر في كتب المتقدمين منها قوله تعالى - صنع الله الذي
أتقن كل شيء - بعد قوله - وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب - ومنها أنه قال - وهو الذي
مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار - فذكر
الليل والنهار بعد ذكر الأرض يشير الى أنها من آثار الأرض ويقوى ذلك أنه قال - يغشى الليل النهار -
فجعل الليل الذي هو ظلمة الأرض يغشى به النهار الذي هو ضوء الشمس ففيه تلميح الى أن الأرض هي التي
تحدث ذلك بفعل الله تعالى ومنها - والشمس ونجماها * والقمر اذا تلاها * والنهار اذا جلاها * والليل
اذا يغشاها - فجعل النهار الذي هو في مقابلة وجه الأرض للشمس مجليا لها والليل الذي هو الظلمة الأصلية
للأرض مغشيا لها فأسند فاعلية ذلك لغير الشمس وهو الليل والنهار الذي هو من آثار الأرض وهذان
الوجهان ذكرهما العلامة الشيخ محمد بيرم الخامس التونسي ومنها قوله - وكل في فلك يسبحون - بعد
ذكر الأرض والقمر والشمس ومع ذلك كله فالقرآن لا يعارض شيئا من هذه الأشياء على أننا لا نحتاج لتأويل
القرآن إلا لليقينيات وهذا ليس منها فإن نوع بني آدم لا يمكنه أن يحيط بشئ من علم الله تعالى إلا بما شاء
وهل يشاء الله أن نعلم مالا مصلحة لنا في علمه بل علم مثل ذلك ربما أضرت بمصالح الانسان من حيث ولوعه
بما هو بعيد عنه وربما يشغله عن أمور معاشه . بل الأغرب أن أحد العلماء الفرنسيين المتأخرين قال
ما ترجمته (ان للعقل حدا محدودا لا يتجاوزه فاتعاب العقل في معرفة الأجرام العلوية وماهيتها كاتعاب البصر
في أن يرى ما فوق السقف من أسفله . فهب انك أعنته بأعظم المرايا المكبرة فانه لا يمكن أن يحترق السقف
حتى يرى ما فوقه) ويناسب هذا ما صرح به عالم الفرنسيين المسمى (فيليكس لاميروس) في القرن التاسع
عشر من قوله (إن الجذب كلمة يعلم منها الفعل لا السبب فإن هذا المعنى بحث عنه الطبيعيون فلم يوفوه الخ)
ما قال . فكلام هذين العالمين يؤيد ما قلنا من أن هذه ظنيات . أنظره في كتابنا (ميزان الجواهر)
وسيرد عليك فيه أيها القارئ إن شاء الله تعالى أن كل حيوان له حد ومقدار في المعارف لا يتجاوزه ولا ينقص
عنه ولولا ذلك لاختل نظام العالم . ههنا انتهى الكلام على المقام الاول وهو دوران الارض وكرويتها

(الشمس وشفاء الامراض)

قبل الانتقال الى الكلام على (المقام الثاني) يحسن أن أقف وقفة معك أيها الذي أريحك فيها من
عناء الفكر واتعاب الذهن بذكر بعض منافع الشمس . فأنتقل بك من مسألة السوران وما يتبعها الى منافع
نورها في صحة أجسامنا وتقوية قواها لنرى اتساع هذا النظام . فبينما نراها تقسم الفصول بقرنها وبعدها
ويحيا الحيوان ويثمر النبات بها اذا بها تقوم مقام الادوية التي امتلأت بها الصيدليات التي يشفي بعض المرضى بها
وكثير منهم تضره الادوية لعدم تحرري الطبيب وجهه وقلة علمه وعدم لحاظته بأطراف موضوع المرض وقد
أجمع العلماء أن المعالجة بالامور البسيطة أفضل من المعالجة بالمركبة . والبسيطة مثل الهواء والماء والشمس
فهذا ما قاله طبيب فاضل في مقالة نشرها في صيف هذه السنة (سنة ١٩٢٧ م) قال مانصه

﴿ الاستشفاء بنور الشمس في الصيف ﴾

عند حلول فصل الصيف يؤم كثيرون من سكان المدن شواطئ البحار والجبال للاصطياف تمتعا بالراحة واستنشاق الهواء النقي لتصح أجسامهم وتستقيم صحتهم . ونظرا لحلول موسم الاصطياف هذا العالم رأينا لفت نظر الجمهور وكل من يهمه الاحتفاظ بصحته وصحة عائلته وأولاده الى أن هناك فائدة كبرى بل هناك كل الفائدة من تعريض الاجسام للشمس

ولما كانت الاشعة فوق البنفسجية وهي العنصر الفعال في الطيف الشمسي لا تتوافر بكثرة إلا على الجبال وشواطئ البحار وفي الحقول وذلك نظرا الى صفاء نور الشمس وتقوية الهواء في الجهات المذكورة فان هذه الاشعة لا تتوافر تماما في المدن حيث يضيع معظمها باختلاط نور الشمس برطوبة الهواء والغبار والابخرة والبرهان المحسوس على ذلك أن مدة قليلة يقضيها المرء في الحقول أو على شواطئ البحار والجبال يجعل الجزء المعرض للشمس من جلده أسمر اللون في حين أن الانسان لا تتغير بشرته لو تعرض للشمس في المدن ولو كان ذلك مدة طويلة

إن الحمام الشمسي مفيد جدا اذا استعمل بالعناية التامة مع مراعاة الارشادات التالية حتى يدرأ المرء عن نفسه ما عساه يتعرض له من الضرر . أما طريقة تعريض الجسم للشمس فتكون بالكيفية الآتية يجب أن يتلقى الانسان ضوء الشمس مباشرة على جلده من غير أن يجعل بينهما حائل كالملايس والزجاج والحمام الشمسي يجب أن يعم الجسم ماعدا الرأس . فاذا تعذر تعريض الجسم كله لسبب من الأسباب وجب تعريض أكبر مسطح مستطاع منه

ويؤخذ الحمام الشمسي تدريجا لأنه اذا عرض الجسم كله دفعة واحدة من أول مرة مدة طويلة أصيبت الأحشاء بالاحتقان والبشرة بالتسلخ . ويؤخذ الحمام الشمسي كل يوم حتى في الأوقات التي يكون فيها الجو ملبدا ببعض الغيوم . ويحتمل التعرض للشمس في الأوقات التي يكون فيها الحر شديدا كما يلزم تغطية الرأس بقبعة من القش واسعة الأطراف أو يستظل بمظلة فاتحة اللون مع وضع نظارات ذات زجاج ملون وعلى السيدات أن يضعن شاشا ملونا على وجوههن وأن يلبسن قفازات منعاً لتأثير نور الشمس واسمرار وجوههن وأيديهن . ولا بد من اجتناب تيار الهواء

وتراعى في الحمام الشمسي أمرجسة الأشخاص بالنسبة الى السن ولون البشرة وحجم الجسم لأن الذكور والبدنين والسمرا اللون يتحملون حرارة الشمس وتعريض أجسامهم لها مدة أطول من المدة التي يتحملها الإناث والأطفال ونحفو البنية وذوو البشرة البيضاء

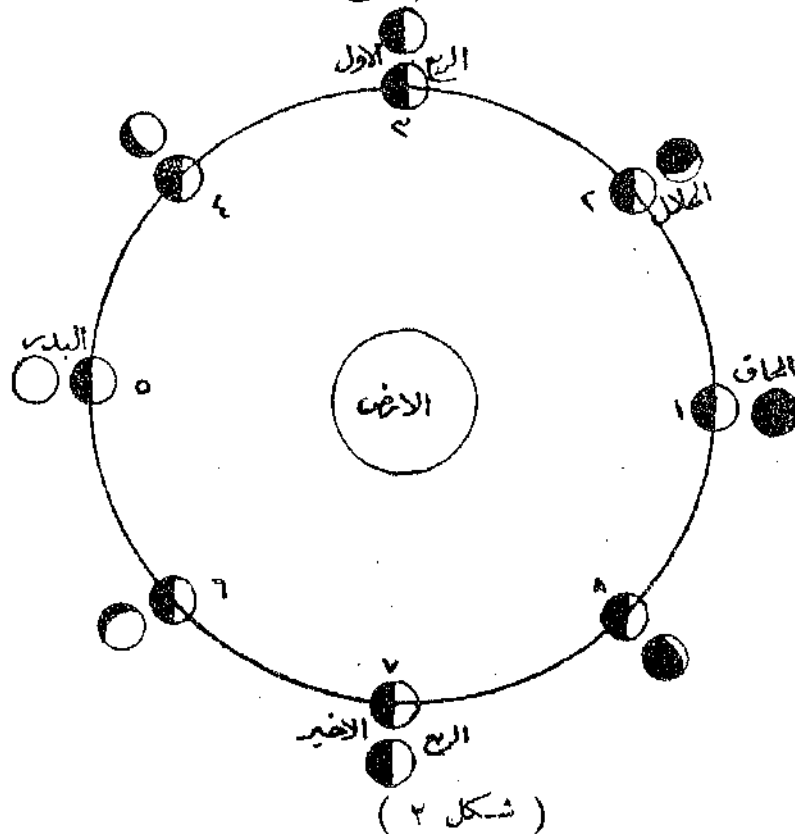
وعلى من يريد الاستشفاء بنور الشمس أن يشرب كمية كبيرة من مياه الشرب أثناء ذلك . ويحسن أن يكون التعرض مرتين كل يوم مرة في الصباح بعد طلوع الشمس بمدة قصيرة وقبل الفطور بنصف ساعة تقريبا ومرة أخرى قبل الغروب بنحو ساعة لأنه لوحظ أن الأشعة فوق البنفسجية تكثر في الطيف الشمسي صباحا ومساء أكثر من وجودها وسط النهار . ولما عيّد التي هي أكثر ملائمة في هذا الفصل هي ما بين الساعة السادسة والتاسعة صباحا وما بين الساعة الخامسة والسادسة مساء والتعريض يكون بالطريقة الآتية

يضطجع الانسان في الشمس ويغطي رأسه كما تقدم وفي اليوم الأول يرفع ملايسه عن يديه وساعديه وقدميه وساقيه مدة خمس دقائق . وفي اليوم الثاني يرفع ملايسه عن أطرافه العليا والسفلى . وبعد خمس دقائق يغطي ذراعيه وخصيه وخمس دقائق أخرى يغطي يديه وخصيه وخمس دقائق ثالثة يغطي باقي الأطراف . وفي اليوم الرابع يرفع ملايسه عن جسمه . وبعد أن يعرض صدره للشمس مدة خمس دقائق

يفطيه ثم يغطي بطنه بعد خمس دقائق ثم ذراعيه ونفذه بعد خمس دقائق أخرى ثم باقى أطرافه بعد خمس دقائق من ذلك ويعرض ظهره مدة خمس دقائق . وفى اليوم الخامس يرفع جميع ملابسه عن جسمه ويعرض عنقه مدة خمس دقائق ثم يغتسله وهكذا يوميا بالتدريج الى اليوم السابع الذى فيه يعرض المرء جسمه جميعه مدة ساعة من الزمن ويستمر بعد ذلك على هذا المنوال مدة ساعة أو أكثر حسب استعدادة . والنتيجة المؤكدة لتعرض الجسم للشمس هي تنبيه القوى وتحسين الشهية للطعام وإزالة فقر الدم وتنشيط الجسم الخامل وتنظيم الدورة الدموية وانعاش الجهاز العصبى وإصلاح وظائف الاحشاء وإبادة الميكروبات التى قد توجد على سطح الجلد وتحسين وظائفه كما أنها تضعف الفعل السامى للأدوية ومختلف طرق العلاج

هذا والفائدة التى تعود على من يستعمل الحمام الشمسى هي أعظم بكثير مما لو اقتصر المرء على استنشاق الهواء النقي دون تعرض جسمه للشمس الأمر الذى دعا مصلحة الصحة العمومية لأن تجعل تعرض الأطفال لنور الشمس لوقايتهم من الكساح فى المقام الأول من نصائحها للجمهور المنشورة فى الصحف أخيرا مع العلم بأن الافكار اتجهت فى أوروبا وأمريكا وخصوصا فى ألمانيا لتعرض أجسام الأطفال اجباريا للأشعة فوق البنفسجية سواء كانت مباشرة من الشمس أو من الجهاز الصناعى لوقايتهم من مرض الكساح كما هي الحال عندنا فى التطعيم الاجبارى للوقاية من مرض الجدري . ولذلك نتمنى المصطفين سواء كانوا على شواطئ البحار أو على الجبال أو فى الحقول أن يهتموا بتعرض أجسامهم للشمس فى الصباح والمساء أكثر من أن يهتموا باستنشاق الهواء النقي فقط انتهى ﴿ تذكرة ﴾

تقدم الكلام على الشمس والقمر فى سورة الأنعام عند قوله تعالى - وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر - وقد رسمت هناك صور الشمس وتوابعها ولم يرسم هناك القمر فوجب أن يرسم هنا وجوه القمر لأن ما هنا من الآيات مكمل لما هناك إذ جاء فى هذه السورة ما هو أوضح وسمي أيضا صور المجموعات الكوكبية والسدم ليكون المطلع على هذا التفسير قد ألم بجمال هذا العلم وفرح بالحكمة فهناك صورة أوجه القمر



﴿ الكلام على المقام الثاني ﴾

(وهو بيان أن المساحة والميزان والمكيال في بلادنا المصرية تابعت لسير الشمس)
 ستجيب أيها الذكي من هذه الجزئية وتقول أي مناسبة بين الرطل والوقية والدرهم والقنطار وبين
 سير الشمس وقول الله تعالى - ولتعلموا عدد السنين والحساب - في هذه الآية تتجيب وحق لك أن تتجيب
 مني أن أدعى دعوى يصعب تصديقها بل لا تعقل • وكيف يعقل أن الكيلة والرابع والمئونة والقنطار والأردب
 في بلادنا المصرية منسوبة لسير الشمس وأي عقل يتصور ذلك أن الأردب ١٢ كيلة والكيلتان وربة
 والكيلة الواحدة ربعان والرابع ماوتان وستدهش من قولي لك أن القدان منسوب مساحته لسير الشمس
 في السماء سيدهشك قولي وتقول أي مناسبة بين مساحة القدان وسير الشمس وآيات القرآن
 كل ثلاثة فدادين (١٠٠٠) قصبه والقصبه ثلاثة أمثaro (٥٥) ستمترا فأين الشمس هنا وأين القرآن
 ثم إن الناس يقيسون الأثواب بالذراع البلدى المعروف وبهنداسة وعندهم ذراع يسمى (الذراع النبلى)
 لا مناسبة بين هذه كلها وبين الشمس وآيات القرآن • هذا ما يخطر ببالك وقت كلامي في هذا المقام
 أما الجواب عليه فهو وإن كان يعرفك السبب فإنه لا يدفع الجب بل إنك عند ما تعرف الحقيقة تزيد
 دهشا وعجبا • فهناك ملخص ماسياتى في سورة الرحمن أخلص لك منه ما يكفيك الآن وهناك يزيد الايضاح
 إن الله يقول هنا - هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل - لماذا - قدره منازل
 - لتعلموا عدد السنين والحساب - إذن تقدير المنازل يعلمنا عدد السنين ويعلمنا الحساب والحساب يدخله
 الكيل والوزن والمساحة المعبر عنها في سورة الرحمن بالميزان إذ يقول هناك - والسماء رفعها ووضع الميزان *
 ألا تظفوا في الميزان - • يقول هناك انى رفعت سمواتى ووضعت فيها الميزان بحيث يكون سير الشمس
 وغيرها بحساب لأجل انكم لا تزيدون في ميزانكم ولا تنقصون بل يكون الميزان حقا • فهذا هو قوله
 - وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان - هذا كلام الله فانظر عمل الانسان قبل أن ينزل القرآن
 بالآلاف السنين • عند المصريون القدماء الى (الهرم الأكبر) فبنوه على مقياس مدار الشمس السنوى فجعلوا
 (١) محيط (الهرم الأكبر) جزءا من مليار من محيط مدار الشمس السنوى أى من ألف ألف ألف

جزء منه

- (٢) ارتفاعه جزء من ألف ألف جزء من البعد بين الشمس والأرض أى مليار
- (٣) ضعف الارتفاع المذكور يساوى قطر محيط دائرة مساوية لمحيط الهرم
- (٤) فالارتفاع نفسه يساوى جزءا من مليار من البعد بين الشمس والأرض
- (٥) ضلع الهرم يساوى جزءا من ربع مليار من محيط الدائرة الشمسية
- (٦) الضلع المذكور يساوى (٤٠٠) ذراع بلدى أو (٣٢٠) هنداسة
- (٧) الذراع البلدى جزء من مائة ألف ألف جزء من ذلك المحيط أى من مائة مليار من محيط

الدائرة الشمسية

- (٨) ربع الذراع البلدى المكعب ألف درهم من الماء المقطر
- (٩) وكل ١٢ درهما أوقية وكل ١٢ أوقية رطل فالرطل ١٤٤ درهما والقنطار مائة رطل ثم ان المقاييس

منها عشرى ومنها اثنا عشرى

- (١٠) الأردب ذراع بلدى مكعب (١١) الأردب إذن جزء مكعب من (٤٠٠) من الضلع المذكور
- أو واحد من مائة ألف ألف جزء من محيط الدائرة الشمسية
- (١٢) القدان (١٠٠) هنداسة في (١٠٠) هنداسة تساوى (١٠٠٠٠) عشرة آلاف هنداسة

فقطوله مائة وعرضه (١٠٠) فهو نسبة عشرية . والهنداسة جزء من (٣٦٠) جزءاً من ضلع الهرم المنسوب لربع محيط الدائرة الشمسية

(١٣) الذراع النيل ٥ من ٦ من الهنداسة فيكون ضلع الفدان (١٢٠) ذراعاً نيلياً والفدان (١٤٤٠٠) ذراعاً نيلياً ويكون القيراط (٦٠٠) والسهم (٢٥) والدائق (١٠٠) فالتذراع النيل والهنداسة كلاهما يحسبان الفدان (١٠٠ في ١٤٤) يساوي (١٤٤٠٠)

هذا هو الذي فعله قدماء المصريين . أنظر كيف يقول الله - تعلموا عدد السنين والحساب - وانظر كيف كان نفس هذا السرّ هو الذي صنعه قدماء المصريين كيف علموا أنه لن يستقيم لنا وزن ولا كيل ولا مساحة إلا بنسبة محفوظة وعلموا أن أرضنا ليس بها شيء ثابت فلم يروا أثبت من مدار الأرض حول الشمس في مدارها السنوي الذي هو مدار ظاهري للشمس حولها . علموا ذلك فبنوا الهرم الأكبر على مقتضاه حتى إذا تهتّم رجع الناس إلى الدائرة الفلكية قفاً سواها واذن يصححون مقاييسهم

هذا كلام الله وهذا سرّه الذي ظهر على يد قدماء المصريين قبل نزول القرآن بآلاف السنين وهذا أعجب العجب . إن الفرنسيين لما أرادوا أن يجعلوا لهم وحدة حاولوا أن يصنعوا ما صنعه قدماء المصريين . فإذا فعلوه قاسوا درجة أرضية كما فعل الفيلسوف المصري المتقدم ذكره هنا ثم ضربوها في (٣٦٠) درجة التي هي الدرجات لسلك دائرة وجعلوا ذلك (٤٠٠٠٠) أربعين ألف كيلومتراً أو (٤٠) ألف ألف متر وقالوا إن المتر الواحد جزء من (٤٠) مليون جزء من محيط الكرة الأرضية . وعليه أخذ الناس يقيسون به ثم بعد ذلك علموا أن محيط الكرة الأرضية لم يكن قياسه مضبوطاً بل هناك خطأ والانجيز نظروا نظرة أخرى فانهم عندهم (الياردة) التي هي أقلّ من المتر فهي نحو (٩١) من مائة من المتر هم أيضاً حاولوا الرجوع إلى نظام الطبيعة فجعلوا الياردة هي المقياس لأنها عبارة عن طول الساق المعدني الذي هو رقائق الساعة الذي يتحرك مرة واحدة في الثانية . إن رقائق الساعة إن طال قلت حركته وإن قصر أسرع فهذا الرقائق الذي يتحرك مرة واحدة في الثانية هو الذي جعلوه مقياساً وأما أوردت لك فعل الفرنسيين والانجيز لتعلم وجهة النوع الانساني فانهم جميعاً يريدون أن تكون مقاييسهم على نظام ثابت وأي ثبات لغير النظام العام فالأوروبيون رجعوا للعالم الأرضي ونظامه وقدماء المصريين رجعوا لدائرة الشمس . ثم إن الفرنسيين نسبوا جميع المكييل والموازين إلى المتر كما فعل قدماء المصريين سواء بسواء

هنا عرفت الحقيقة وأدركت سرا من أسرار القرآن . وههنا يتبدى لك العجب الأكبر . ألا ترى إلى قوله تعالى في هذه السورة - فالיום نتجيك بيدك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون - . أليس من الآيات التي أظهرها الله على أيديهم وغفل عنها أكثر الناس قبل زماننا ما ذكرته لك الآن في الهرم وبنائه . أليس الهرم محلاً تدفن فيه جثث أحد الفراعنة وإن لم يكن فرعون موسى . وسترى في هذه السورة أنهم وجدوا صورة البروج مرسومة على تابوت أحد القدماء من المصريين كما سأوضحه هناك . فأنه أبقى جثث الفراعنة وأطعم علماءهم أن يضعوا أسرار السموات على تلك الأبدان تارة بالرسم والتصوير كما ستره في هذه السورة . وتارة بالأبنية التي أسست على نظام السموات وسير الشمس

إن هذه هي الآيات التي ربح الله العالم الانساني على جهلها فقال - وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون - . ذم الله الناس على التغفل عن علوم قدماء المصريين التي دونوها على توابيتهم أو بمبانيهم وهندستها كما عرفت في الهرم . هذا هو السرّ المكنون . وهذا هو العلم المخزون . وهذا من أجلّ أسرار القرآن . وليس التوبيخ قاصراً على المسلمين بل يعم الناس كلهم كالفرنسيين والانجيز الذين أسسوا موازينهم ومقاييسهم على نظم ليست أدق من نظام قدماء المصريين . فيا ليت شعري كيف يعيش المصري

المسلم ويموت وهو يجهل أن السكيلة والذراع البلدى ومساحة الفدان منسوبة للهزم وليسير الشمس . أم كيف يعيش المسلمون ويموتون وهم لا يعاصون أن هذا قد جاء فى القرآن وأن موازين المصريين ومكاييلهم قد ذكرها فى القرآن وهي له معجزة وأى معجزة . اللهم إن المسلمين قوم اليوم نيام وقد آن استيقاظهم وأقبلت أيام مجدهم . ولنصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز .

﴿ تذكرة للأمة المصرية وللأمة الإسلامية ﴾

قد كنت وعدت فى سورة الأعراف أن أكتب فى هذا المجلد ما كتبت له مجلس النواب المصرى ومجلس الشيوخ والوزارة فى شأن التعليم فى المدارس المصرية أيام الاحتلال الأوروبى فإن هذه الآلة جمعت العلوم التى يجب أن يعرفها المسلمون ولا يحرمون من علوم القرآن التى تمتع بها أهل أمريكا واليابان والصين وأوروبا لحسد الأوروبى بين لنا خيفة رجوع مجدنا فعلىنا الآن لما رجع التعليم الى حظيرة الوطن وردت بضاعتنا لينا أن ندرس العلوم كلها . وهذا نص المذكرة

﴿ مذكرة لاصلاح التعليم الثانوى بالملكة المصرية ﴾

(قدمت الى أصحاب المعالي رئيس مجلس الشيوخ ومجلس النواب ووزير المعارف)

(١) لكل جماعة متحدة من الطوائف الانسانية صفات خاصة تشملهم وأحوال معاومة تجمعهم وتثبت وحدتهم وتصون ألفتهم . فاذا انتفت تلك الصفات أو نقصت زالت قدمهم وزالت وحدتهم فتفرقوا شذر منذر وهم غافلون

(٢) إن أقوى دعائم الوحدة ما يتعمده الطلاب فى المدارس العامة من العلوم فإن أواسرها تربطهم وتجمع الأبناء فى ساحة الآداب والكمال

(٣) ليس التعليم الابتدائى بمن فتيلا فى هذا المضمار . كلابل هو عهد لما هو أعلى مراما وأثبت نظاما . وكذلك التعليم فى المدارس العالية فالما هو لاختصاص الطلاب فى أمور عملية . ان مدرسة الطب والصيدلة لمدواة الانسان . ومدرسة البيطرة للحيوان . والزراعة لنظام الحقول . والحقوق والقضاء للفصل فى الخصامات . والهندسة للرعى واللبيان . والحربية والشرطة لحفظ الثغور ونظام الجمهور

(٤) فاذن التعليم الذى يشترك فيه أبناء الأمة ويحفظ وحدتهم ويوسع مداركهم العامة هو التعليم الثانوى وعليه المعول فى الأمم الراقية الآن وفى مصر قبل نحو ٣٥ سنة وماعداه فالما مهمله واما صناعات عملية

(٥) فلننظر نظرة عامة فى مدارسنا المصرية الثانوية . انها خالية من العلوم التى بها الحياة فليس بها علم النبات ولا علم الحيوان ولا خلاصة من تشرح الانسان ولا نبذة فى علم الهيئة . الطالب فى الثانوى لا يدرس طبقات الأرض الضرورية للحياة ولا ما فى الجبال المصرية من المعادن ولا الأقوام الذين ولسوا المصريين وسكان السودان ولا أواسر القرابة التى تربطهم ولا يعرف من تاريخ عظماء مصر قديما وحديثا إلا قليلا مبعثرا غير مشوق لحب الوطن . لقد حدثنى الاسقاذ (ادوارد براون) الانكليزى المستشرق حينما زار مصر أيام اللورد كرومر قال ﴿ أرسلت لى حكومتنا البريطانية ثياب عشرات من رؤساء القبائل المجندين فى حرب التعاضى لأترجم الأوراق المحفوظة فيها فوجدت منها ما يشابه العولة العباسية خطأ وانشاء . ومنها ما يناسب دولة الأمويين ﴾ ففجبت كيف يعرفون قبائلنا ونحن عنها غافلون

(٦) إن الطالب فى الثانوى ليس لديه ما يشوقه للعلوم وهو يجهل ما بين يديه وما خلفه وما تحته . يجهل طبقات الأرض ومعادنها إلا قليلا . ويجهل ما فى داره من حيوان . وما فى حقله من نبات . وما فى جسمه من أعضاء . ودورة دموية . ودورة تنفسية . ودائرة عقلية . وما فوقه من نجوم لامعات . اللهم إلا تلك النبذة الضئيلة فى كتب الجغرافية . انه لا يدرس نفسه . ولا هضم طعامه . ولا نظام الضياء والظلام

ولاهوته التي يألّفها • ولا فرسه التي يركبها • ولا الزهرة التي يستحسنها ويشمها • إن التعليم في الثانوى يحول العقول الى الخيال ويصرفها عن المحسوسات • وهو الذى صرف بعض الأذهان عن حقائق العلوم الى خيال الروايات وضياع الأوقات • إن حاسة البصر جردت من أكثر مدركاتها العلمية فانصرفت النفس الى شهوتها إلا من لهم قدم في الفضل ثابتة وجدّ عظيم • ومن أنحطت عينه عن الماديات ناب عنها سمعه فاحتاج الى قائد كما للعميان • هكذا يفعل الغرب اذا نصح للشرقيين • لو كان التعليم الثانوى تاما كما في البلاد الغربية أو كما كان في مصر قبل الآن لكان ذلك نورا على نور الذكاء ولاظهر الذكاء المصرى فريدا (٧) لولا الذكاء المصرى والاجتهاد الفردى والتعليم في أوروبا وعموم الجرائد والمجلات والنهضة العلمية المصرية مارأيانا في البلاد نابغين ولا قادة ماهرين • لقد كان التعليم الثانوى شاملا في مصر في أوائل الاحتلال وقبله أكثر هذه العلوم المتفودة الآن • ولقد كانت مدته خمس سنين وكانوا يدرسون العلوم المحيطة بهم ثم اعتزى التعليم ما اعتراه بالتدريج وحرم أبناء النيل ارتشاف مناهل العلم بأصول الكائنات وجمال مصر وعجائب السودان وغرائب ما فيه من المعادن والغابات

(٨) ان التعليم في المدارس الثانوية ان لم توجه هم أصحاب الشأن وأولى الأمر بالبلاد الى تربيته أصبح المهندس أو القاضي أو كل من له راسة عامة في الأجيال المقبلة في دائرة محدودة من العلوم • يقول العلماء (بالبلاطة خير من القطانة البتراء) وإذا كان الجهل شرا فشر منه نقص يدلى الى غرور • فأولهما جهل بسيط • وثانيهما جهل مركب يجعله الأمم المغيرة سلاحا تقتل به النفعاء ووسيلة لتغلب الأقوياء • فأما الأمم المستقلة فهي التي تراعى النظام التام وتفتح باب العلم واسعا ليهرع طلاب الثانوى شوقا الى العلوم • إن اتساع التعليم الأولي في البلاد لا يغني شيئا عن التعليم التام • ان متعلما واحدا خير من آلاف الآلاف من المتعلمين تعليما أوليا فهو رأسهم يقودهم الى طريق الفلاح • فإكمال التعليم الراقى لقواد الأمم أزم لها من تعميم التعليم الأولي في البلاد

(٩) لقد أدرك هذه الحقيقة في مصر الاستاذ لمير الفرنسى ناظر مدرسة الحقوق سابقا وظهر ذلك في حادثته المشهورة بينه وبين وزارة المعارف إذ أبان لها ذلك النقص الشائن في التعليم الثانوى قائلة انه لا صلة بين نقصه وبين السكّال في دراسة الحقوق • وكيف يكون دارس الحقوق خاليا من مبادئ المنطق وبعض العلوم فكان جزء ذلك الحرّ الشجاع أن قدّم استقالته وسافر الى ليون وأصبح أبا وأستاذا لطلاب الحقوق بفرنسا من المصريين اعجابا بذكائهم وهم مجتهدون

(١٠) ان لم يغير هذا المنهج أصبح طبيعة راسخة وهيئات هيبات أن يغيره متخرجون في مستقبل الأجيال • وكيف يعلمون غيرهم ما يجهلون وكل امرئ بعلمه مقتون والغرور يعمى ويصم والناس أعداء ماجهاوا • فاليكم أيها القادة أوجه خطاى هذا موقنا أنه يوافق مقاصدكم النبيلة التي اتجهت أنظاركم اليها حتى ترى زهرة البلاد مقبلين على العلوم عاكفين على البحث والتنقيب فلانعود نسمع من أكبر تاجر للكتب في مصر أن أبناء البلاد معرضون عن الكتب العلمية عاكفون على الأدبية ونحوها

ان المتعلم اذا أقفلت عين بصيرته العلمية فلم يعشق العلوم كان آخر عهده بها نيل الشهادة ويكون ذلك مفتاح الشره والحرص فيود لو تفتح له الحكومة خزائنها ليقضى منها لبائته ويكون عالة عليها وهو في غرور • أما اذا انفتحت عين بصيرته بما ذكرناه من العلوم فانه يعرج بأتمته الى مراقى الفلاح وإذا كانت مدارسنا الثانوية قبل عهد الاحتلال وفي عهده حافلة بهذه العلوم وكان المتعلمون غر البلاد بها وكنا نتحسر على تلك الأيام فما أسعد هذا اليوم اذا خاطب شيوخ الأمة ونوابها وحكوماتها الوطنية وثمراتها الناضجة أن أغثوا البلاد وأنتم خلاصة الأمة وقادتها وفيكم فطاحل المتعلمين والنابغين قبل فوات الفرصة وليدرس المنهج الثانوى

الذي كان في مدارسنا قبل مسخه ويزد عليه ما يناسب هذا الزمان حتى يقول أبناؤنا
بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا * وانا لنرجو فوق ذلك مظهرنا

وها أنا ذا قد أدّيت ماوجب عليّ وتهيئتكم الموقرة الرأي الأعلى

﴿ جوهرة سنية في أن جمال الكواكب قبسة من عوالم الجنات عجبت في هذه الحياة ﴾

اعلم أن الجبال على ﴿ قسمين ﴾ جمال يشرفنا ما كمن من اللذات الحيوانية والشهوات الجسمية لداعية
التناسل فهذا أدنى القسمين . وهذا نوع من العذاب المجهل في الدنيا وذلك يشير له قوله تعالى - فلا تهيبك
أمواهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون - وكل جمال
لاحظناه في شجر أزهى أو قصور أو حور في هذه الحياة وكان قصارى أمره الشهوات الطبيعية أو التملك أو
ما أشبه ذلك فهذا قد شئت لذته بالألم وجنته بجحيمه وسعادته بشقائه فاننا نفرق بين جمال بستان تملكه
وآخر لا تملكه بان الأول يخالط جماله تكاليف الملك وعذاب الحرص وحسد العدو وغيره الصديق ومطالب
نموه ورعايته وحفظه بأن نسقيه ونقيم عليه الحراس وما أشبه ذلك

أما الذي لا تملكه من تلك المزارع والبساتين وما أشبهها فان خطر بأنفسنا الموازنة بيننا وبين المالكين
له وتحسرننا أو حسدنا فان ذلك من نوع العذاب . فأما اذا لاحظنا أنه كشجر البادية أو كالغابات العامة فان
ذلك الجبال لا ألم فيه يدعو لراحة النفس وسرورها وبهجتها على مقدار نصيبها من تعقل الجبال

ولذلك تجد أن لكل أمة من الأمم الراقية حدائق عامة وبساتين ومتنزهات تسرّ الجمهور . فتراهم
محرصون الحرص كله ألا تكون الأشجار مثمرة ولا الأزهار أرجحة ذكية الرائحة . ذلك لتستمتع أبصار
الجمهور ولا تتناولها الأيدي ولو أن هناك أثماراً ما كولة لحرص الناس على أكلها وتسابقوا الى نيلها ونسوا
جمالها فتصبح تلك البساتين أشبه في جمالها بالرجال عند النساء وبالعكس . فان جمال كل من الصنفين
يدعو الآخر الى التناسل الداعي الى العمل في الحياة والشقاء . إذن البساتين العامة في المدن جعلت لراحة
الناس من مشاق الحياة وأسقامها وآلامها ونسيان مرأثرها وسعيها فحيل بينها وبين الشهوات البهيمية
التي فرّ منها الناس الى الضواحي والخلوات . ألا ترى رعاك الله أن جمال الذكور والاناث انما هو من طبيعة
الذرية وما هو إلا كالحب يرى به للطائر فيقع في الشباك . انه مقدمات لنظام الأسرات لاغير وكلما ازداد
سهمها وكبر بنوهما وبناتهما رأيت الحب تحوّل من الجمال الأدنى الى الجمال الأعلى جمال المعاشرة والمساوقة
في تربية الذرية والتعاون والأنس والاشفاق بعد أن كانا في مبدأ التعارف لا يلحظان إلا حجرة الخد وجمال
الوجه واعتدال القد وطول الشعر وديمج العين ولعس الشفة وألا يفتر الثغر إلا عن أولو رطب أو برد
أو اقحوان . أصبحا لا يذكران إلا صحة الولد واسعادته وتربيته وآدابه وقوّته وتعلمه وما أشبه ذلك من
مطعمه وملبسه . فهذا كله دليل على أن الجمال في الجفسين وسيلة لا تقصد لذاتها بخلاف جمال الحدائق
العامة والمتنزهات . فان الجمال هناك مقصود لذاته ولو خاطبته المواد الشهوية كالفاكهة لرجع الى ماسم
الناس منه في منازلهم وحياتهم الحيوانية . اذا عرفت هذا فأقم وجهك الى النجوم وانظر جمالها ولألاءها

﴿ الكواكب جنات عجبت للفكرين ولكن أكثر الناس عنها محجوبون ﴾

يا سبحان الله ويا سعادته . نظرت يا الله الى الأمم الأرضية المعسفة فأرحتهم بالحدائق في ضواحيها
وزرعت لهم في الطرق أشجاراً وجعلت لهم أوقافاً يسمعون فيها الموسيقى وهكذا . هذه لذات تكاد تكون
خالصة من الآلام ليريحوا نفوسهم من الأعمال الشاقة . فانظر ماذا فعل الله بعد ذلك . أقفل العيون
وأقفل الجفون وأطفأ السراج الوهاج وأبرز النجوم وأشرقت الأرض بنور ربها في الليالي المدهشات وقال
للحكماء وللعلماء هذه هي الرياض فتمتعوا فيها وانظروا معانيها أنتم اليوم في حظيرتي فيها كموها فأنن

أعدت أتمكم الرياض العائمة رياضة العائمة . فها أنا ذا أعددت حدائق السماوية لرياضة الخاصة فانسيهم أسقام الحياة وآلامها أضعاف أضعاف ما أفعل مع العائمة . ان العائمة أهدمت الأمم أن يبدو لهم ما هو أقرب لعقولهم وأدنى الى فهمهم فلم أخرجهم من سجن الحياة وذل المعيشة إلا لما هو أقرب اليها وهي البساتين العائمة فهي بساتين أرضية . أما أنتم أيها الخاصة الذين أعددتكم لجواري والترب مني بالعلم والحكمة فهاكم رياضاً جميلة واسعة هي مبادئ الجنات فهناك تلاحظون عظمة الوجود . فلئن ابتهج العائمة والجهلاء بمنظر زهرة في شجرة فأنتم تبهجون بدل كل زهرة بكونك مشرق في ظلمات الليالي ترويه بأعينكم صغيراً وتلاحظونه بعقولكم كبيراً فينبأ أعينكم ترسمه على شبكيتها كأنه ليورنه اذا عقولكم ترسمه أكبر من أرضكم وأعظم من شمسكم . وها أنا ذا أبحت لخيالك أن يتصور ما يشاء من الصور الحسان الجيلات فتتخيّلون ما سمعتم عن الأرواح في العلم الحديث من أن هذه الكواكب ربما كان فيها سكان وانهم أرفع مقاماً من سكان أرضكم وأسعد حالاً وأنتم بالآ وأشرف منزلة وتتمنون اللحاق بهم لتعيشوا معيشة أهناً وتسعدوا سعادة أكمل . فها أنا ذا ملأت خيالك بحمال باهر من النجوم ثم فتحت الباب على مصراعيه لتتسابقوا الى الحيرات وتقولوا فلتكن أعمالنا مرضية وقلوبنا نقية حتى نسارع الى ذلك الجمال ونعيش في باحات الكمال

أقول هذا هو البستان الذي زرعه الله للمفكرين من سائر الأمم الأرض . وهذا البستان يجهله العائمة في جميع الأمم ولا يعقلونه . هذا البستان لا ألم فيه ألبته . بحمال الحور الحسان في هذه الحياة مشوب بالآلم أما جمال النجوم فانه مشوق لما وراءه من علم وحكمة ودراسة . وكما أن جمال الحور الحسان داع للتأمل . هكذا هنا جمال النجوم داع لمراسمتها . فليقرأ الناس أقدار الكواكب وأبعادها وأنوارها فتصبح العقول ونحن على الأرض في عوالم أرق وأرق ويعتقون المرصد في الممالك فيشاهدون مشاهد تنسبهم للذة العقول الصغيرة على الأرض ويرون أن الضوء الذي يسير في الثانية الواحدة مقدار (٣٠٠) ألف كيلومتر يحتاج في وصوله اليها من بعض الكواكب التي نراها ليس إلا الى ثلاث سنين بل الى (٥٠) بل الى (١٠٠) بل الى (١٠٠٠) بل الى (١٠٠٠٠٠) ألف ألف . بل الى ستين ألف ألف سنة . وقد تقدّم هذا في هذا التفسير في مواضع مختلفة . وأيضا يرون اختلافاً في أضوائها كالإختلاف في أبعادها . فإذا جعلنا ضوء شمسنا واحداً فهناك كواكب من هذه تكون أضواؤها (١٠) مرات بل (٢٠) بل (١٠٠٠) بل (٨٠٠٠) ثمانية آلاف كالمسالك الراجح بل أكثر مما لانعلم . وهكذا في أقدارها بما لا يحصره

هذا بحمل ما يفكر فيه المفكرون في عالمنا . إن الله عز وجل جعل على هذه الأرض أناساً أرق من الناس وهم المفكرون وفتح لهم باب الجنة في هذه الحياة وهم على ﴿قسمين﴾ قسم فرح بتخيّل الأنوار في أضواء الكواكب وهذا لذة خيالية فهو إذ ذاك في سلام وأمان من الهموم والأحزان ما دام على هذه الحال . وهذه الطبقة من الناس قد دخلوا في اللذة الخيالية التي سيكونون فيها في البرزخ بعد الموت . وقسم نظر في علوم تلك العوالم ونفع الناس بها وأرشدتهم وهذا أسعد من قبله . والأقول الإشارة بقوله تعالى هنا - وتحييتهم فيها سلام - . وللتأني الإشارة بقوله - وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين -

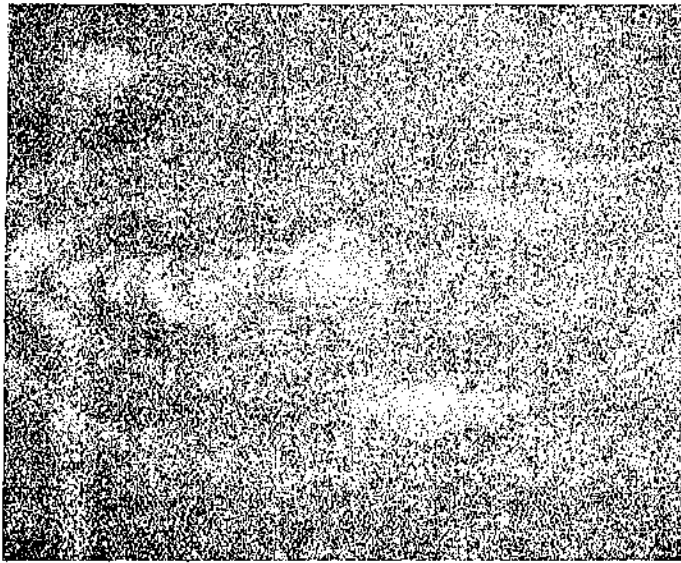
﴿رياض الجنات التي أعدها الله في هذه الدنيا للعارفين وهيأها للمفكرين في قوله تعالى - إن في

اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض الخ -﴾

لقد ذكرت لك كيف جعل الله للناس في الأرض رياضاً في المدن وأعدها للعلماء وللجاهلين وقد ذكرت لك بعض رياض الحكمة في السموات . فلأترك في هذه المقالة الرياض الغناء في السموات التي كشفها الله اليوم وهيأها لمن بعدنا من الأمم الإسلامية ليكُونوا بها عالمين

تعلم أيها الذكي أن أرضنا التي نسكنها قد عرف الناس مساحتها ووزنها وبعدها كما تقدّم في سورة الأنعام

وأنها تابعة للشمس . وهناك سيارات أخرى معروفة مذكورة في سورة الأنعام أيضا والسيارات أقمار وكلها للشمس تابعات . وهناك أيضا النجوم ذوات الذنب التي يقول العلماء في عصرنا انها كمعدد السمك في البحار وكلها دوائر حول شمسنا . وما شمسنا هذه العظيمة التي هي أكبر من أرضنا بنحو ثلثمائة ألف مرة وألف ألف مرة إلا إحدى الشموس وهي من أصغرهن قدرا وتلك الشموس تعد بمئات ألوف الألوف فيقال انها تبلغ نحو (٢٤٢) ألف كوكب شمسي . كل هذا معروف في هذا التفسير مرارا . فهذه الشموس كلها هي المكونة للمجرة . والمجرة يراها الناس بأعينهم كل ليلة صافية الاديم كأنها سائل لبنى أو كأنها تبن ولها ذلك تسمى عند العامة « طريق التبانة » وعند الانجليز « الطريق المائتي » وعند علماء الدين « أبواب السماء » هذه هي المجرة التي شمسنا واحدة من شمسوها وهي ترى واضحة ظاهرة كما قلت لك في ليلة ليس فيها سحب . يراها الانسان بعينه معترضه السماء من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي والناس لا يعلمون عنها شيئا ولم تعلم حقيقة ما حق عنهما إلا قريبا فقد كنا منذ نحو (٤٠) سنة ونحن نطلب العلم في دار العلوم نتلقى عن أساتذتنا في الفلك أن الشموس التي أمكن معرفتها في تلك المجرة لا تزيد على (١٨) ألف ألف شمس . أما الآن فقد عرف العلماء منها أكثر من (٢٤٢) ألف ألف شمس وربما كان لكل شمس سيارات وتوابع . هذه هي المجرة التي شمسنا واحدة من شمسوها . وما هذه المجرة إلا روض واحد من رياض الله التي زرعها في هذا الجو الفسيح المملوء من الأثير فهناك ما تلقيناه عن أساتذنا المرحوم حسن أفندي حسني الذي هو أستاذنا في هذا العلم ثم أتبعه بما عرفه العلماء في عصرنا اترى الرياض الزاهرة والجمال الفتان في السماء لتعرف معنى هذه الآية . وهذه صورة المجرة

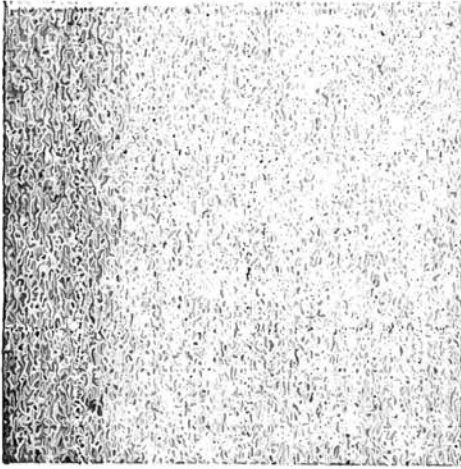


هذه هي الروضة الكوكبية التي شمسنا شجرة من أشجارها وأرضنا غصن من أغصان تلك الشجرة ومصر ورقة من أوراق ذلك الغصن . والقاهرة ذرة من ذرات الورق وسكانها وأنا منهم نعيش حول تلك النرة الصغيرة ونحن الى الله ذاهبون . وكما أن القاهرة بلدة مما لا عدله من البلدان في الأرض . هكذا المجرة ما هي إلا روضة واحدة من رياض لاحصر لها في هذا الجو الفسيح . وقد قسموا تلك الرياض

(شكل ٣)

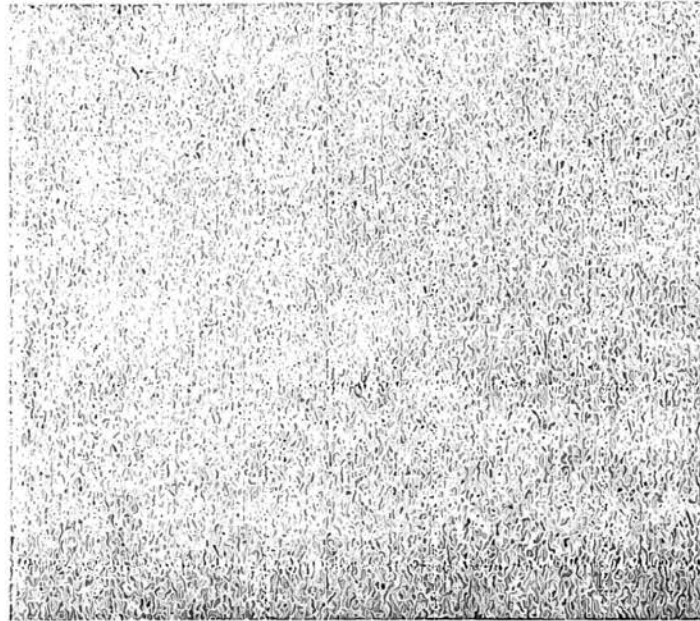
البهجة في السماء الى « ثلاثة أقسام » قسم منها يسمونها (القنوان) التي يمكن تحليلها بالنظارات الى جملة نجوم وتسمى مجموعته كوكبية . والقسم الثاني يسمونها (القنوان) التي يمكن تحليل جزء منها الى نجوم بالنظارات . والقسم الثالث يسمونه (سدام) لا يمكن تقوى النظارات تحليله . هذه هي الأقسام الثلاثة التي اصطلح عليها العلماء . والقنوان جمع قنوا فمكان النجوم في هذين القسمين قنوا النخلة أو عنقود العنب ومن القسم الأول جملة الثريا الموضوعة في صورة الثور وهي مركبة من (٨٠) نجمة تقريبا ستة منها ترى بالعين المجردة . والسدام جمع سديم وهو في اللغة السحاب الرقيق وفي اصطلاح الفلكيين سحابة أو ضباب

أوقطعة نيرة سحابة لانتحل الى نجوم مفردة بالظلمات القوية
(المجموعات الكوكبية)



تظهر المجموعات الكوكبية بشكل مستدير غالبا
حتى يظن في مبدأ الأمر انها من ذرات الأذنان ولكن
عدم تغير شكلها وعدم تحركها يميزها عن ذرات
الأذنان . والنجوم المتكاثرة منها المجموعات الكوكبية
تظهر في جهة المركز أكثر عددا مما في الأطراف وقد
حسب المعلم (هرشل) أن بعض هذه المجموعات التي
شكلها كروي لا تشمل على أقل من (٥٠٠٠)
نجمة منضمة الى بعضها في سعة قطرها الظاهري
لا يزيد عن عشر قطر القمر . وأشهر هذه المجموعات
قنوتوكان وهي في السماء الجنوبي وترى دائما بالعين

العارية (شكل ٤) والجزء المركزي منها ذلولون أحمر يقال فاتح
ومثل هذا القنوما هو مبين في شكل ٦ (رسم قنوتوكان . شكل ٥)

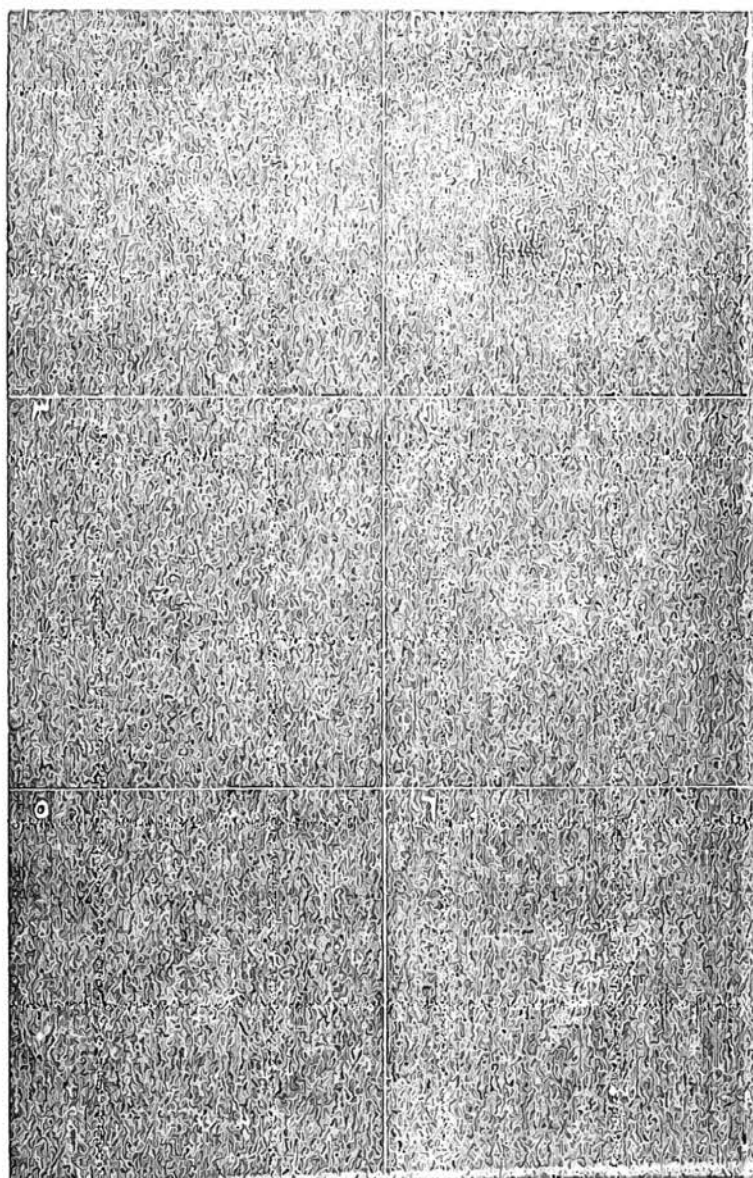


(شكل ٥)

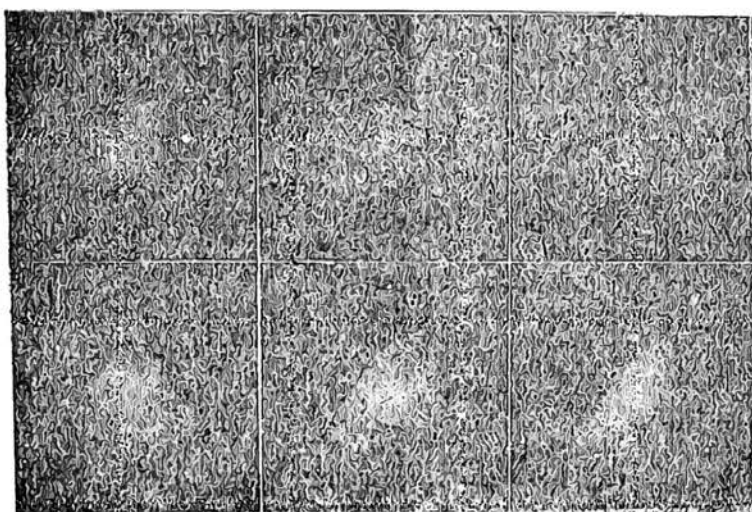
(القسم الثاني السدام التي يمكن تحليل بعضها)

السدالم التي ينحل جزء منها تظهر في الغالب على شكل منتظم قليلا أو كثيرا ولا شك في أن هذه المجموعات
هي من المجموعات الكوكبية غير أنها موضوعة بعيدا جدا وأنها مركبة من نجوم صغيرة جدا يمكن تحليل بعضها
بالنظارات وبعض السدالم ذات الشكل المنتظم مستدير وبعضها بيضاوي وبعضها ناقص مطاول جدا يقرب
من المستقيم (شكل ٧) وبعض السدالم البيضاوية حلقى كما يرى في (شكل ٨) وأحيانا ترى نجوم على
نفس الحلقة

(شكل ٦)



(١) من الميزان (٢) من الجأني على ركبتيه (٣) من الجدي (٤) من اللو (٥) من الحية (٦) من الجوزاء

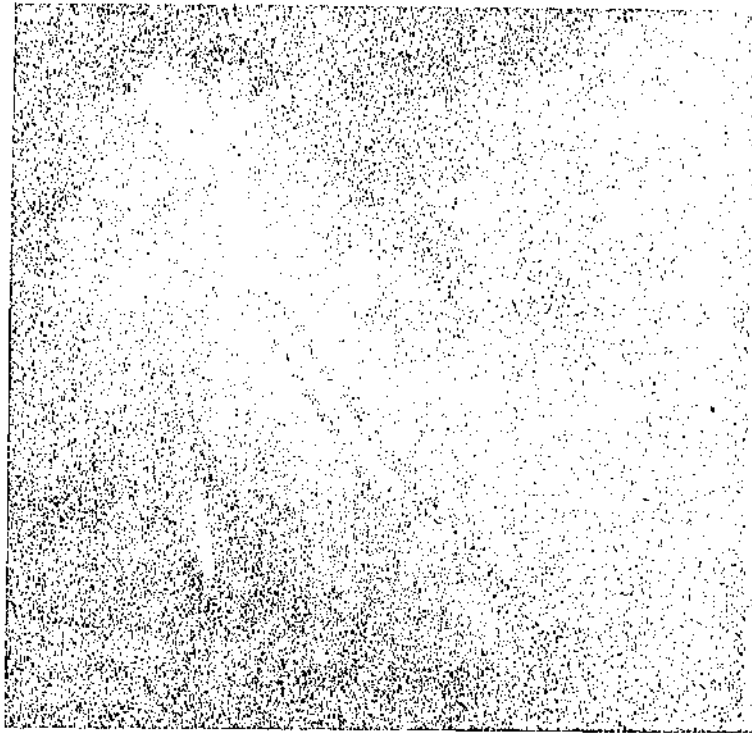


(شكل ٧)

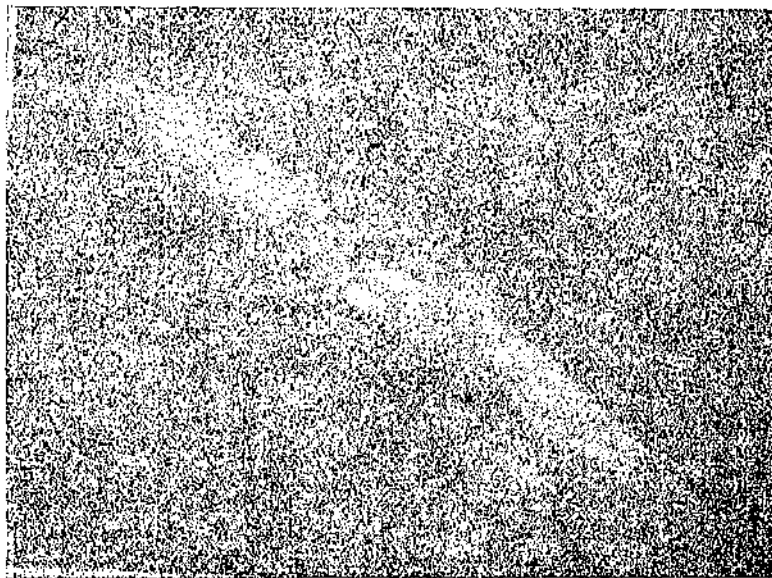
ومن ضمن السحابات المنتظمة ما شكله مخروطي أو كشكلي ذات الذنب . ويمكن أن يكون انتظام الشكل مقترنا على قوة الآلة بحيث أن الانتظام لا يكون إلا ظاهريا فلهي رأى (هرشل) تظهر سحابة كتاب السيد . لا على شكل حلقة متعاقبة في نفس دأربنا وفي رسنا الحاققة توجد سحابة لامعة جدا وخارجا عن الحاققة على بعد منها توجد سحابة صغيرة مستديرة

(القسم الثالث) السديم الغير المحولة ذات الشكل غير المنتظم . توجد سديم لا يمكن أقوى الآلات حلها وهي سديم الرقبة الثالثة . وهذه السحابات تظهر عينا بشكل غير منتظم وذلك كسديم المرأة المسلسلة (شكل ٩) والسديم الحلقى الناقص للأسد (شكل ١٠)

(شكل ٨ - سديم المرأة المسلسلة)



(شكل ٩ - سديم الأسد)



وهذا القسم الثالث وهو السديم لم يعلم منه السداد أيام تلقينا هذا العلم منذ أربعين سنة إلا خمسة آلاف فقط فهذه ترى كأنها سحب أوسباب ولكنها ليست واضحة وضوح المجرة . أما الآن فهناك ما قاله الدكتور (هبل) يقول انه رأى في ألواح التصوير المتصلة بالتلسكوب الأكبر الذي قطار مرآته (١٥٠) بوصة نحو (ألف) أي مليوني سديم يبلغ بعدها عننا (١٤٥) مليون سنة . ومعلوم ان شمسنا يصل ضوءها لنا في (٨) دقائق و (١٨) ثانية وهذه المسافة يقطعها القطر في نحو ٣٣٠ سنة وقلة المدفع في نحو ١٢ سنة فانظر كيف يكون بعد تلك السديم التي لا تبعد بأقل من مائة وأربعين مليون سنة فتعجب

وهذه السديم منتشرة في أبعاد شاسعة جدًا يبلغ البعد بين الواحد والآخر منها (١٨٠.٠٠٠) سنة نورية . وفي كل سديم منها مادة تكفي لتكوين مليون شمس مثل شمسنا . ومعلوم أن شمسنا نجم من نجوم المجرة كما تقدم والمجرة نفسها سديم من السديم . فانظر أيها الذكي وتعجب

هذه هي الرياض الواسعة . هذه هي جنات العلم والحكمة . أرضا صغيرة وحدائقها وبلدانها وبحارها حقيرة وشمسنا صغيرة ومجرتنا إحدى الجرات والمجرات بلغ المعلوم منها اليوم نحو ألف

ياسبحان الله وباسعاده . نحن محبسون في الأرض هذه الأرض الصغيرة . أما أنا فلا أرى فرقا بين المسجونين في السجون وبيننا نحن على الأرض . فليسجون يستروح بالأخبار عن أحوال أمته وأحوال حكومته ويتشوق لذلك وهو في حجرة ضيقة والناس في الخارج أحرار . هكذا نحن في هذه المجرة الضيقة عشنا محكوماء علينا بالبقاء في الأرض الى الموت وقد حرمنا من الصعود الى السماء لتبتهج بتلك الشمس وأنوارها وسكانها وعجائبها ونفزع لأخبارها . وهذا قوله تعالى - يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان - وقوله تعالى - إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء -

لاجرم أن الجنة ليست تحتنا بل هي فوقنا . إذن هي في السماء (راجع ما نقلنا من الأحاديث وأقوال العلماء في سورة آل عمران) . أفلمست ترى معي أن مثل هذا هو المقصود من قوله تعالى - أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج - . أفليس هذا هو النظر في السماء . ثرقت في الليالي انصافية أديم السماء فترى قبة زرقاء جيلة الحيا بها مجموعات كأنها ضباب . وهذه المجموعات تبدو ضئيلة ثم بحث العلماء عنها فوجدوها نحو مليونين . سبحان الله إن البعد شاسع بين العالم والجاهل . الجاهل لا يرى في السماء شيئا والعالم يراها موطن الكرامة والحكمة والمخاوف العظيمة . هذا هو ما تشييره الآيات التي نحن بصدد الكلام عليها فبعد أن ذكر الله ضوء الشمس ونور القمر والحساب واختلاف الليل والنهار قال - إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الخ - فهنا هوذا سبحانه ذكر الاطمئنان بالحياة الدنيا والغفلة عن آيات الله وعدم الرجاء في لقاء الله واستحقاق جهنم . كل ذلك بعد ذكر جمال السماء وكواكبها . فمعلوم السماء فتحة لأبواب الجنة والغفلة عنها فتحة لأبواب جهنم لأن الانسان لا يشق الى حياة أعلى إلا اذا علمها . إما باتباع الوحي وإما به مع الدراسة العلمية كما أوضحناه غير مرة في هذا التفسير

﴿ جوهرة في اشراق نور العلم في القلوب باشراف نور الكواكب ﴾

ها أنت ذا أيها الذكي رأيت صورة المجرة قوصورا لعالم أخرى غير المجرة ورأيت أن عالم المجرة والعالم التي تشابهها تزيد على مليونين ورأيت كلام العلماء في أبعادها التي بعدت جدًا . ومعلوم أن كل ذلك تقريب فهناك الآن آخر ما وصل له نوع الانسان من العلم فيما رأيته فاقرأه وانتظر غيره واقرا علوم الأمم حولنا بعد أن تفقه ما ذكرناه . انظر الى المجرة التي رسمت هنا في صورة (٣) ارجع البصر كرتين لها تجد انها هي التي فيها كواكب كثيرة منها شمسنا . ان المسافة التي يقاس بها البعد بيننا وبين الشمس التي هي كوكب

من كواكب هذه المجرة نحو ٨ دقائق و ١٨ ثانية كما تتقدم بسير النور وقد عرفته بسير قبة المدفع وسير القطار في الأرض فلا نعبده . نحن لا نقبس بعد هذه المجرة إلا تدريجاً . إذا عرفت بعد الشمس منها فإن بعد أقرب كوكب من كواكب هذه المجرة وهو (ألفا قنطورس) يبلغ بسير النور ثمانمائة ألف ضعف بعد الأرض عن الشمس أي ثلاث سنين ونصف سنة نورية . فيا ليت شعري ماذا يكون ذلك البعد بالقطار أو بقلة المدفع مع العلم بأن النور يسير في الثانية ما يسيره القطار في نحو ٤٥ سنة وما تقطعه قبة المدفع في نحو سنة ونصف . ولننظر نظرة عامة في المجرة فنقول

يقول علماء عصرنا لتتخذ الشمس مركزاً ولنرسم حولها كرة قطرها ألفا سنة نورية . فهذه الكرة تشمل جميع الكواكب التي نراها بالعين المجردة وإذا أوسعنا هذه الكرة حتى يسير قطرها خمسين وأربعين ألف سنة نورية شملت جميع الكواكب التي في نظام المجرة التي هي مرسومة أمامك . (صفة المجرة) هي تشبه حبة العدس قطرها (٥٠) ألف سنة نورية . والمسافة التي بين وجهيها عند مركزها عشرة آلاف سنة نورية . وخارج هذه المجرة عالمان آخران في غيوم (سحابة) يبعدان نحو (٢٠٠) ألف سنة نورية وهناك كون آخر يبعد (٧٠٠) ألف سنة نورية ثم على ما بين سنة نورية تجدان سديم الكوكبيين في المرأة المسلسلة وكوكبة المثلث وكل منهما طول الأطول نحو (٥٠) ألف سنة نورية وهو طول قطر المجرة

واكن هذه المجرة وأبعادها الشاسعة عالم صغير جداً من العوالم . فإذا بعدها . (الجواب) هناك مجاميع من النجوم وقد رأيت بعضها مرسوماً أمامك في هذه الصفحات . وكل مجموعة منها فيها نجوم كنجوم المجرة وكلها منشورة في الفضاء كأنها بساتين زرعتها الله في الفضاء المتسع . أو كأنها جزائر في البحر فجزائرنا الأرضية في البحار المائية وهذه جزائر في البحار الأثيرية التي تظهر لنا كأنها فضاء . ويقولون في عصرنا الحاضر أنها الأكوان (الجزرية) . ولأذكر لك على سبيل المثال سديم المرأة المسلسلة المتقدم وجده العلماء يبعد عنا ما بين ستة نورية وقطره خمسون ألف سنة نورية وفيه ألوف الملايين من النجوم أكثرها لا تمكن رؤيته والكواكب التي نراها فيه تزيد ألوف الأضعاف على شمسنا من حيث النور واللحان بدليل أننا لو أقمنا الشمس عنا مسافة مليون سنة نورية لم يمكن رسمها بالمصور الشمسي . أما هذه النجوم التي تبعد عنا هذا البعد الشاسع فإنها ترسم . فإذا كانت شمسنا بالنسبة للكواكب التي عرفت صغيرة جداً وضوءها ضئيل . وإذا كانت المجرة فيها مئات الملايين من الشمس وكانت المجرات الأخرى فيها كواكب مثلها أو أكثر وهي أضوأ ثم أضوأ ثم أضوأ . أفليس هذا معناه أننا صغر في هذا الوجود وإذا قال الشاعر

* إذا ذلّ مولى المرء فهو ذليل *

فهي كذا نقول إذا صغر أهل الأرض بجانب الأرض وبحارها وجبالها . وإذا صغرت الأرض بجانب الشمس . وإذا صغرت الشمس بجانب مئات الملايين من كواكب المجرة . وإذا صغرت المجرة بجانب ما يقرب من عدد مليونين من المجرات فما نحن في هذا العالم إلا صغر وبهذا نفهم قوله تعالى - وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً - فعلمنا قليل كقلة أرضنا بالنسبة لشمسنا وشمسنا بالنسبة لمجرةتنا ومجرةتنا بالنسبة للمجرات وقد يؤس الناس أن يعرفوا هذه العوالم نهاية

وسيعرف المسلمون من ذلك معنى قوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون - وقوله - وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر - اهـ

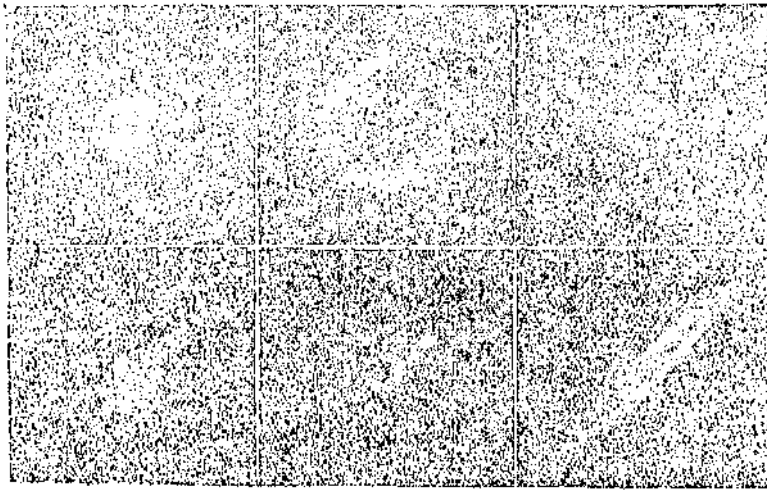
إذا عرفت هذا فهتت تفسير هذه الآيات . فإذا سمعت الله يقول - هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب - وختمها بأنه فصل ذلك لتقوم يعلمون أدركت ما قدمناه من أن البساتين العامة للعموم . أما السموات فهي للعلماء بها وهم الخواص . وإذا سمعت قوله

تعالى - إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا - ثم وصفهم بالاطمئنان بها والفلة أدركت ما تقدمناه من الحياة المنزلية وشقاؤها الذي لا مندوحة عنه وهو عين مجاء في قوله تعالى عند ذكر الأولاد والأموال أنهما للعذاب في الدنيا

ثم لخص المقام كله بقوله - دعواهم فيها سبحانه اللهم الخ - وبيانه أن الانسان في الأرض أشبه مسجوناً أبعد عن ملكه كما تقدم - فهذا المسجون له ﴿ أربع أحوال ﴾ حال السجن - وحال الخروج مع عدم الأمن من السجن - ثم حال الأمن من السجن - ثم أن يعطى له ملكه - فهذه الدرجات الأربع تحصل لنا فنحن الآن في سجن تكاليف الحياة والشهوات وإذا خرجنا منها ربما وقعنا في شقاء آخر وهو المعبر عنه بجهنم - فإذا سامنا منها فهو نعمة - فإذا أعطينا السكالك الاتق لنا فهذا غاية المراد فقوله تعالى - سبحانه اللهم - تنزيه لله عن الحوادث ملحوظ فيه تشبه العبد به في الخلوص من العلائق الدنيوية وهو المرتبة الثانية المتقدمة وقوله - سلام - هو المرتبة الثالثة - والرابعة كمال العلم بهذا الوجود الذي هو جنة العارفين في الدنيا وفي الآخرة الذي لا يحقق الحمد إلا به إذ لا معنى للحمد على تربية العالمين إلا بعد العلم بها ومن العالمين هذه الكواكب والشمس والقمر المضئيات المذكورات في الآيات التي يجمع بها الخواص في الدنيا والآخرة والله يعلم أن العاة محرومون من هذا الجمال فألهم رجال الحقائق فزرعوا لهم من تلك البساتين بعض روضات منظمة على أشكال (بيضاوية) أي اهليجية وهي المسماة بالقطع الناقص التي تشبه دوائر الكواكب في السموات كدائرة الأرض حول الشمس فانها ليست دوائر تامة والشمس تكون في إحدى بؤرتيها صيفا وشتاء كما أوضحته في غير هذا المقام في التفسير - فبساتين العاة في بعضها ذلك الشكل كأنه يذكر العوام بدوائر الكواكب التي لا يعقلها ليل إلا الخاصة

﴿ تذكرة ﴾

أيها الذي سيقراً هذا التفسير إن شاء الله شبان من المسلمين في حياتنا وبعد موتنا وسيرعون إلى بناء المراسد في الممالك الإسلامية في بلاد المغرب ومصر والشام والعراق وبلاد جاوره والملايو وسائر بلاد الهند الشرقية وسيكون هذا القول من أوكد الأسباب لارتقاءهم في علوم النجوم وسائر علوم الحكمة لاسيما إذا قرؤوا ما سيأتى في تفسير قوله تعالى في سورة إبراهيم - وذكرهم بأيام الله - كيف كان موسى يذكر قومه بأيام الله وكيف ذكر نبينا ﷺ قومه بأيام الله - وكيف ذكرت أنا الأمم الإسلامية بأيام الله - وكيف يتجلى لك هناك ما برع فيه آباؤنا الأولون من العاوم في الفلك وغيره - وكيف شهد لهم العلامة (سديو) الفرنسي بأنهم سادات أوروبا وأساتذتها في العلوم وأنهم هم الذين أصلحوا علم اليونان كما ونحبه هو أيضاً تماماً ونقلنا أنا هناك بعضه - ثم كيف كان بعض ماوك الدولة العباسية يحاربون ملك الروم لأجل بخله عليهم بعالم يسمى (ليون) من شدة ولوعهم بالعلم - وكيف غير الله عقولهم في أواخر الدولة فطاردوا العلماء كما فعل الملك يعقوب في الأندلس بآبن رشد - وكيف ذلّ المسلمون شرقاً وغرباً بعد نبذهم العلماء - وكيف كان الجهل سبب خراب بغداد ومصر وبلاد الأندلس وتفصيل ذلك كله مع الإيجاز - ستقرأ هذا التفصيل هناك وتقرأ ما نبغت به بعد ذلك أوروبا لما أخذت علوم ابن رشد وكشفت من العلم ما انتفعنا به وأصبحنا عالة عليهم في علمهم وصناعاتهم - سيقراً هذا وذاك أبناؤنا المسلمون والشرقيون وسيطرون للعلم سراعاً ويرجعون مجدداً ضاع وعزا ذهب والله هو الولي الحيد وهو حسبنا ونعم الوكيل



(شكل ٨)

﴿ فصل في قوله تعالى - إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون - ﴾
اعلم أن اختلاف الليل والنهار قد فصلت تفصيلا في سورة البقرة . وأما الكلام على ما خلق الله في
السموات والأرض فيها نأذا أريدك بيانا فوق ما مضى منه في هذا الكتاب لينشرح صدرك وتكون رياضة
بعد العناء في حساب السنين وأذكر لك لطائف

﴿ اللطيفة الأولى . النبات المفترس ﴾

إن الحيوان المفترس يسطو على الغزلان والأرانب والمعز والغنم وما أشبهها . وهكذا كل حيوان يسطو
على النبات فيأكله ليتغذى به والأكثر فيه أن يكون غير مفترس . وماذا تقول اذا قصص اليوم عليك
نباتا مفترسا ﴿ ذلك ﴾ أن العلامة (آليس) الانجيزي قد كشف نباتا في (أمريكا الشمالية) له ورق كأنه
مصيدة الفار وللورق مفصل كمفاصل اليدين والرجلين في الانسان والحيوان وعلى ظاهرها زغب يقوم مقام
الأعصاب في ظهر الانسان ثم هناك شوكة يحيط بها من كل جانب فاذا جاءت حشرة صغيرة على الورقة
أحسّ الزغب بها حالا فتنبت الورقة فتطبق عليها ولا تدعها تفلت وتفرز مادة عليها كما تفرز نحن عصارة
البنكرياس في المعدة والريق في الفم على طعامنا . وكما تفرز الحية المادة السمية فهضم طعامها بلا أسنان
ولامعدة وحينئذ تمتص الورقة تلك الغنيمة وقد اقتضت لأنواع النبات من عدوها الحيوان وهي تقول ﴿ فيوم
لنا ويوم علينا ويوم نساء ويوم نسر ﴾ وتقرأ - وتلك الأيام نداؤها بين الناس -

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

نبات مائي يسمى عند النباتيين (باليستير ياسيرايس) وهو ينبت في مجارى الأنهار . ولقد علمت في
هذا الكتاب أن لكل نبات ذكر وأنثى وقد يكون الذكر في زهرة والأنثى في زهرة أخرى من الشجرة
الواحدة كنبات القرع وقد يكون الذكر والأنثى في زهرة واحدة كالقمح وقد يكون كل منهما في شجرة كما
في النخل . ومن النوع الأول هذا النبات المائي الذي نحن بصدد الكلام عليه فان الزهرة الأنثى منه ساقا
لوليا طويلا وهذا الساق يحمل الزهرة ويعوم بها فوق الماء مرقصا لها في الهواء . أما الزهرة التي فيها
لقح التذكير فانها ليست تعوم بل هي قريبة من المنبت تحت الماء فاذا جاء الأجل وحلّ أوان الثمر . فاذا
يحصل . أنزل الزهرة الأنثى حتى تصل في الماء الى زهرة الذكور . أم يطول ساق الذكر حالا فيصل الى
أعلى فيحصل الاقحاح . كلا . لا هذا ولا ذاك وإنما تنفصل زهرة التذكير وتضعف فوق الماء حتى تجتمع

بالأشئ وهي منفصلة ومتى حصل الاتصاف ينقبض لولب الأشئ حتى تصير في قاع بحرى النهر عند ساق النبات في أسفلها وهناك يتم البرز فتجذب وزد علما واقرأ - إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض آيات لقوم يتقون -

﴿ اللطيفة الثالثة • شجرة قفترس انسانا ﴾

جاء في بعض المجالات المصرية العصرية أن في بعض الجزائر شجرة يقتسها أهل تلك الجزيرة ويعبدونها ويقدمون لها في كل سنة فتاة يختارونها لذلك فيحضرهم ومعهم آلات الطرب من طبل وغبيرة ويضعون هذه البنت في أعلى الشجرة في مقعد هناك فيه مادة حادة لذيذة من نفس الشجرة تشرب منها الفتاة فتسكر وتغيب حواسها فلا تلبث تلك الشجرة أن تجتمع أوراقها وأغصانها وأشواكها النافذة وقضبانها الملتوية التي تشبه الحبال فتضم جميعها على الفتاة والأوراق تسكن أغصانها والحبال تلتف حولها والشوك ينفذ في باطنها من أعلى ومن أسفل وتأخذ الشجرة إذ ذاك تمضغ الفتاة وتهضمها وهي لا تقدر على النجاة والقوم يدقون الطبول فرحا بهذا العيد الدينى وفي الحال لا يسمعون نأوه الفتاة وأنينها وعويلها وصراخها ثم ينصرفون بعد ألا يبقى لها إلا ما تلفظه الشجرة من عظام لا لحم عليها ولا عرقا وهكذا • وذلك أيضا من انتقام النبات من الحيوان جزاء ما يفعل الحيوان في النبات - وربك يخاق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون -

﴿ اللطيفة الرابعة كيف تظهر صور المخاوفات في فصول السنة الأربعة ﴾

أنظر للدنيا في فصل الربيع (من اخوان الصفا) فإذا نزلت الشمس أول دقيقة من برج الحمل استوى الليل والنهار واعتدل الزمان وانصرف الشتاء ودخل الربيع وطاب الهواء وهب النسيم وذابت الثلوج وسالت الأودية وامتدت الأنهار ونبت العشب وطال الزرع ونما الحشيش وتلاأ الزرع وأورق الشجر وتفتح النور واخضر وجه الأرض وأخرجت زخرفها وأزينت وفرح الناس واستبشروا وصارت الدنيا كأنها صبية شابة تزينت وتجلت للناظرين

﴿ فصل الصيف ﴾

إذا بلغت الشمس آخر الجوزاء وأول السرطان تناهى طول النهار وقصر الليل وأخذ النهار في النقصان وانصرف الربيع ودخل الصيف واشتد الحر وحسب الهواء وهبت السموم ونقصت المياه وريس العشب واستحکم الحب وأدرك الحصاد ونضجت الأثمار وسمنت البهائم واشتدت قوة الأبدان وأخصبت الأرض وكثر الريف ودرت أخلاف النعم وبطرا الانسان وصارت الدنيا كأنها عروس منعمة رعاء ذات جمال

﴿ فصل الخريف ﴾

إذا بلغت الشمس آخر السنبلة وأول الميزان استوى الليل والنهار مرة أخرى وأخذ الليل في الزيادة وانصرف الصيف ودخل الخريف وبرد الهواء وهبت ريح الشمال وتغير الزمان وجفت الأنهار وغارت العيون واصفر ورق الأشجار وصرمت الثمار وديست البياض وأحزر الحب وفنى العشب واغبر وجه الأرض وهزلت البهائم وماتت الهوام وانجحرت الحشرات وانصرف انطير والوحوش الى البلدان الدفية وأخذ الناس يحززون القوت للشتاء وصارت الدنيا كأنها كهلة مديرة قد تولت عنها أيام الشباب

﴿ فصل الشتاء ﴾

إذا بلغت الشمس آخر القوس وأول الجدى تناهى طول الليل وقصر النهار وأخذ النهار في الزيادة وانصرف الخريف ودخل الشتاء واشتد البرد وخشن الهواء وتساقط ورق الشجر ومات أكثر النبات وانجحرت هوام الحيوانات في بطن الأرض وضعفت قوى الأبدان وعرى وجه الأرض من زينته ونشأت العيوم وكثرت

الانداء . وأظلم الطواء . وصارت الدنيا كأنها تجوز هزيمة مدبرة قد دنا منها الموت . فإذا بلغت الشمس آخر حركات وأول الحمل عاد الزمان كما في العام الأول وهذا دأبه . - ذلك تقدير العزيز العليم . -

هذه صورة - ما خلق الله من شيء - في فصول السنة الأربعة . وقد قال - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - أي تناقض ولا اختلال . - وها أنت ذا قد شاهدت أن هذه الرواية تمثل كل سنة تمثيلا متواصلا لا اختلاف في فصول الروايات من حيث العموم وإنما تختلف في أحوال جزئية . - فبارك الله أحسن الخالقين -

﴿ فصل في قوله تعالى - إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا الح - ﴾
لابد في ذكر المناسبة بين هذه وما قبلها من بيان مقدمة في جيلة الناس وغرائزهم وما فطروا عليه اعلم أن الناس في هذه الدنيا مولعون بما خلقوا له ممرين بما استعدوا له لا يرجون سواء ولا يحبون إلا الوصول اليه

- (١) فالفتاة في المدرسة مغرمة بالدراسات تأسفها وتأسب بها
- (٢) والصبيان فيها لا يهنأ لهم إلا حب السلاح وآلات الحرب غالبا والمغالبة في اللعب ﴿ ذلك ﴾ أن الفتاة خافت للولادة والتربية والفتى سيكون من شأنه مدافعة الأعداء عن البلاد
- (٣) وترى قوما يعملون بحسب ما طبعوا عليه إلى التجارة
- (٤) وقوما للزراعة (٥) وقوما للإمارة (٦) وقوما لذلك (٧) وقوما للعلم
- (٨) وكل هؤلاء مختلفون اختلافا كثيرا

وقد ظهر بالاستقراء أن من طلب شيئا وهام به ناله كله أو بعضه على مقتضى حاله . وليس يكون الانسان مغرما إلا بما شاكاه . وقد يناله . فتهمل تغرم الفتاة بالآلات الحرب والقتال . أم المستعد للأمانة بصناعة البدال * ففي الحديث ﴿ كل ميسر لما خلق له ﴾ . فليست ترجو الفتاة سلاح الحرب غالبا وليس يحب الفتى أن يكون مرضعا وظئرا للأطفال وهكذا واذن أصبح الناس بالنسبة إلى الأشياء على ﴿ قسمين ﴾ قسم مستعد للشيء يرجوه . وقسم ليس بمستعد له ليس يرجوه . فالخذاد مثلا عادة لا يستعد للحكمة والفلسفة فهو لا يرجوها ومن خلق مستعدا لها يرجوها فينالها الثاني ويحرم منها الأول

فلننظر إذن نظرة في هذه الآيات نجد وصف السموات والسكر والكواكب وسير الشمس والقمر وهذا من نوع الجمال العالي وفي نوع الانسان عشاق هذا الجمال وفيه من لا يعشقون بل هم مكتفون بالمأكل والمشرب والمتناسل كالسواب والأنعام والمقابلة كالآساد . فعشاق هذا الجمال يعكفون على الحساب والهندسة والجبر والفلك وحساب المثلاث ويهرعون إلى المراقصد فينظرون النجوم ويتأملون أشكالها وجناها وحركاتها ويدققون ويحسبون وهم بذلك فرحون مستبشرون . فهؤلاء يمتنون لو يساعدهم المقهور ويسبحون في عوالم السماء حتى يتقنوا على كنه تلك العوالم ويعرفوا جمال الصنعة الالهية وكلما ازدادوا علما زادوا سرورا وبهجة بتلك العجائب والبدائع . فالنظر للعوالم العلوية يهيج انصдор ويجعل الانسان مغرما بالاطلاع على جميع العوالم . أقول فهل هذا الغرام خلق في بعض هذا الانسان باطلا كيف وقد خلقت الفتاة ومعها غريزة تربية الصغار في اللعبة وهي ضفلة وكذلك الفتى يغرم بالسلاح الذي هو من جنس ما يكون في مستقبله وهكذا أرباب الصناعات والحرف كل يميل إلى ما خلق له كما كانت أمة اليونان في قديم الزمان تدخل الصبيان في الهياكل وقد وضعوا فيها صور جميع الحرف ويسألون الصبي عما يميل إليه فيجيبهم فيحكمون عليه بأنه من أهل هذه الحرف وقد خلق لها

فإذا كان الاستقراء أثبت هذه القاعدة فلننقش الغائب على المشاهد ولنقل أن من أغرم بهذه العجائب سيكون له مستقبل في الوصول إليها وأن العالم الأخرى أي ما نراه بعد الموت قد أعد لسكن امرئ فيه ما

استعد له في الدنيا . فأهل الغرام بالجمال في صور هذا العالم من حيث الحكمة ودقة الصنع وإدراك المحاسن سينقلون هناك على تلك الحال وينالون سخطا مما أغرموا به وعشق هذه الأفلاك عشق لخالقها ومنظمتها ومبدعها فهذه غرائز أوشبه غرائز في النفوس فلا بد من الوصول إلى ما استعدت له وهذا هو بيت القصيد ولذلك قسمت الآية هنا الناس (بعد الكلام على عجائب الأفلاك والطبيعة) قسمين ﴿ قسم لا يرجو لقاء الله ورضى بالحياة الدنيا واطمأن بها وغفل عن هذا الجمال . وقسم في جنات النعيم ولهم ﴾ ثلاث درجات ﴿ في تلك الجنة ﴾ أولا ﴿ ينعمون الله بنعوت الجلال وهي صفات التنزيه وهم منعمسون في لذات الجنة ونعيمها ثم يرون بذكرهم أن خالق الجنة أكبر من هذا كله وأعظم فيسبحونه أي ينزهونه عما هم فيه من النعيم ﴾ ثانيا ﴿ تبتدى أيام سعادتهم فيصحي بعضهم بعضا بسلام وهو الأمان من المخاوف فيقولون لبعضهم إن هذه اللذات في الجنة لا يمتريها نقص ولا فقر ولا هم ولا غم فهذا هو السلام الذي يدور بينهم وبين بعضهم وهذا من أعظم السعادات إذ يرى الإنسان نسيجه لا نقص فيه وقد فهموه من أنفسهم ثم يترقون من هذه المرتبة الإنسانية فيسمعون سلام الملائكة كما قال تعالى - والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم - وهذا سلام أعلى ويمسسون إذ ذاك بسعادة أجل من الأولى لأن سلام الملائكة من عالم منزه عن السادة فيكون أجل وأخف وهذا يهدم لسماع السلام من الحق فذا سمعوه خروا ساجدين ونسوا نعيم الجنة وحقر في أعينهم كما يصغر طعام الملك عند من حظى بمجالسته ومؤانسته وأذن يكون غذاؤهم هو النظر في ذلك الجمال الأبهى وفي عجائب القدرة وهذه هي المرتبة الثالثة مرتبة الحكماء والعلماء والأنبياء الذين مارسوا هذا الجمال في هذه الحياة الدنيا فيقولون - الحمد لله رب العالمين - وذلك أنهم يطلعون على تربية العوالم المحسوسة والمعقولة وهناك تكون السعادة الروحية التي يحسن الناس ببعضها في أوقات قليلة بل إن كثيرا من الناس قد أولعوا بالعلم حتى نسوا كل شيء فإياك إذا كان ذلك في تلك الساعات البديعة والمقامات الشريفة . وإن أردت شاعدا على ذلك من العالم الأخرى ولم تسكتف بالاستدراج فاسمع ما قاله روح (غاليلو) الفيلسوف الفلكي حين أحضرها ليستطلوها رأيها في أحوالنا بعد الموت فأملت عليهم مقالا مصدقا لهذه الآية . فلقد أوضح هذا المقال أيما إيضاح وكشف عن هذه الحقيقة الثام وجاءنا من عالم الغيب يخبرنا أنه منعم بالتفرج على عجائب الفلك وأنواع النجوم بحيث يراها بأنفسها وأقدارها وأشكالها وأنه شاهد عوالم أرقى نفوسا وعقولا وأخلاقا ومدنية ولهم أعمال غير أعمالنا وعقول غير عقولنا وأنه هو يطوف في تلك الأرجاء ويتفرج بمراها . وأفاد أن الكواكب هناك مع عظم قدرها تتفرج عليها الأرواح الناضجة كما تتفرج نحن على الزهر في الشجر . وبين أن أرضنا هذه ستزول من الوجود . وأما أرواحنا فاتها تبقى ثم ترتقي في عوالم أخرى عند الله وتسكن عن الهجرة وكيف يطلع هو اليوم على الملايين من النجوم فيها ثم ينتقل إلى مجرة أخرى وهكذا في العوالم الشاسعة العجيبة . وهذا القول من روح (غاليلو) هو ما يقوله علمنا أن الجنة العارفين هي العلوم والمعارف والنهاية لها . أما جنة المغفلين فهي المآكل والمشرب . وأنا لا أطيل لك أكثر من هذا وإن أردت الاطلاع على هذا المقال المفيد انطوئيل فاقرأه في تفسير سورة آل عمران المتقدم في المجلد الثاني . ولعلك تقول . كيف يقول (غاليلو) ذلك وهو كافر بالله . أقول هذا القول لم أجزم به وإنما نقلته ليعلم المحدثون من المسلمين أن عقيدة الآخرة موجودة بأوروبا التي هم يقتسونها فإذا كفروا بذلك فهم لا شرقيون ولا غربيون لأن الاتحاد قد جعله بعض صغار العقول من المتعلمين صناعة يرتقون بها إذ يوهمون الناس أنهم علماء حتى كفروا بعلمهم . وهناك اجابات أخرى على هذا الاعتراض في تفسير آل عمران فارجع إليه هناك . انتهى تفسير القسم الأول من هذه السورة

﴿ مناسبة هذه السورة آخر التوبة ﴾

قبل الانتقال الى القسم الثاني يحسن أن نذكر مناسبة هذه السورة لما قبلها بإيضاح فنقول
لقد ذكرت في آخر سورة التوبة هذه المناسبة . وأريد الآن أن أذكر المناسبات المشابهة من أول
سور القرآن الى هذه السورة غير ما ذكر لكل منها خاصيته ان الجزء الثاني من سورة الفاتحة يشمل على طلب
الهداية الى الصراط المستقيم . صراط المنعم عليهم . وأول البقرة يفيد أن هذا الكتاب .. هدى للمؤمنين -
وهم الذين عبر عنهم في الفاتحة بالمنعم عليهم . وآخر سورة البقرة جاء فيه أن الرسول ﷺ والمؤمنين آمنوا
بالقرآن وبالملائكة والكتب والرسل بعد ذكر أن الله أنزل السموات وبأى الأرض وأنه سبحانه يعلم ما تخفيه
وما نظره . وهاتوذا في أول آل عمران يذكر القرآن والتوراة والانجيل وكل ما يفرق بين الحق وانباطل
وهذا راجع للأمر الثاني في البقرة . ويقول لا تخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهو راجع للأول
أما آخر سورة آل عمران فهو طلب التقوى من المؤمنين . وأول سورة النساء طلبها من سائر الناس لأن
الرسول ﷺ علم للأمر كلها . وقبل آخر سورة النساء - فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم
فى رحمة منه وفضل ويهديهم الى صراط مستقيماً - وأتبعه بنحو استفتائهم فى مسألة الكلاله . وأول سورة المائدة
خطاب هؤلاء المؤمنين بأوامر بعد أن أجاب استفتاءهم . وآخر سورة المائدة أن الله له ملك السموات
والأرض وما فى حق . وأول سورة الأنعام بيان سبب كون الملك مختصاً به . ذلك لأنه خلقهم فهو يقول له
ملككم ما ثم يقول هو خلقهم وخلق انظامات والنور . وفى آخر سورة الأنعام يتبرأ من الذين فرّقوا دينهم
وكانوا شيعاً . ثم أتبعه بطريقه الهداية وبإخلاصه لله أيذاً بأن الذين فرّقوا دينهم يخالفون هذا التسليم
لله وهذه الهداية . وفى أول الأعراف أخذ ينذر من كفر ويذكر المؤمنين تبياناً لنتيجة تبرئتهم منهم .
وفى أواخر سورة الأعراف يقول - يسألونك عن الساعة - فأجابه بأن علمها عند الله وأنبأ ذلك بأنه لا
يملك لنفسه نفعا ولا ضرا وأن الناس كلهم كذلك لأنهم فى قبضته لأنه خالقهم واستطرد بذكر الأصنام والشيطان
وطلب الأصغاء للقرآن الخ . ثم أتبعه بقوله - يسألونك عن الأنفال - فكما سألوه عن الساعة فكان
العلم عند الله . هكذا سألوه عن الأنفال فكانت الاجابة عنها من الله . وآخر الأنفال - إن الذين آمنوا
وهاجروا الخ بعضهم أولياء بعض - وهكذا الذين بعدهم . فليخص ذلك أن هنا صلة دينية عامة وصلة
رحم خاصة فلم يبق إلا ذكر الكفار بالبراءة منهم . أما آخر براءة فانه يفيد (١) أن الرسول ﷺ منهم
(٢) يهتم بأمرهم (٣) وهم ربما يعرضون عنه (٤) وهو يتوكل على الله رب العرش العظيم
وأول سورة يونس انكار على الناس تجهيزهم من ارسال رجل منهم اليهم وهو راجع للأول وكان حق
التعجب أن يكون من ارسال ملك لأن الموعظة انما تكون ممن يشاكل لامن الخالف فى الجنس وقوله
- أن أنذر الناس وبشر المؤمنين الخ - راجع الى الثانى وهو الاهتمام بأمرهم وقوله - قال الكافرون إن
هذا لاساحو مبين - راجع للثالث وقوله - إن ربكم الله - الى قوله - ثم استوى على العرش يدبر الأمر -
راجع الى الرابع فهو توكل عليه لأنه رب العرش العظيم فى آخر التوبة . وهذا فصل ذلك بأن استواءه على
العرش بعد خلقه السموات والأرض لأن الملك انما يدبر الملك بعد تأسيسه . فهذه المناسبة دقيقة ثابتة انما
الذى يعوزه التفصيل . انه عبر هنا بقوله - رب العرش العظيم - ثم عبر بأنه خلق السموات والأرض الخ -
يقول ﷺ ان الله كافيه لأنه ملك متصرف فى ملكه

﴿ بيان الفارق بين توكل علينا ﷺ وتوكل هود فى سورته الآتية ﴾

فأما هود فانه يقول - إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على
صراط مستقيم - فهوود توكل على من بيده نواصي كل دابة . ومحمد ﷺ توكل على من له العرش العظيم

وخلق السموات والأرض فكل منهما تذكر من صفات ربه ما دل على نزعة نفسه . فهو يريد السلامة له
ولمن اتبعه لأنه عادل في عمله فهو يحفظ كل نسمة ويكاثرها ويحمد صلى الله عليه وسلم يفكر في أمر الملك العام والنظام .
فهو متوجه إلى النظام العام وهذا هو الذي يليق باتباعه

أيها المسلمون انظروا كيف كان اتجاه النبي صلى الله عليه وسلم واتجاهه إلى النظام والملك والعرش والاصلاح العام
فأعطى ذلك واتبعه أصحابه وأتم منهم فهموا إلى الحكمة والعلم والنظر العام . أيها المسلمون كأني أرى بعيني
رأسي أقواما منكم نبغوا في العلوم كلها وفاقوا الأمم . تلك الأمم التي لا تريد إلا أنفسهم ولا تحفظ إلا على
كيانها . أما أتم فأنكم الأعلون وأتم تنظرون إلى النظام العام نظام السموات والأرض ونظام الأمم
كونوا على قدم نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا تبسني لكم ذلك إلا بالفكرة التي ذكرها في التوكل عليه فوجه وجهه مشطر
العرش العظيم وفصل ذلك في يونس بأنه - يدبر الأمر -

ان أفضل صفة الانسان أن يتشبه بالله بقدر طاقته البشرية والله يدبر الأمر فليدبر المسلمون الامور في
الأرض تابعين في ذلك ربههم بعد درس نظامه ونظام الأمم وليكونوا خير أمة أخرجت للناس . ومستحيل
أن يتم ذلك لنا نحن في المستقبل إلا بالعمل والعمل الذي شرحناه في هذا التفسير . المسلمون يتخللون القارات
كلها فإذا صلحوا أصلحوا كل الأمم . والاصلاح العام هو تاتخي جميع الانسانية الذي ورد في الأحاديث أنه
الاصلاح العام المنون عنه ينزل عيسى عليه السلام ولقد شرحته في هذا التفسير مرارا وقلت في غير موضع
انه لن يتم ذلك إلا بأخذ العدة له وتعميم التعليم في بلاد الاسلام الخ

لم يكن الله ليجعل الاصلاح طفرة فذلك ما لا نراه فلم يخلق الطفل في لحظة بل أبقاه في بطن أمه تسعة أشهر
ولم يجعله شيخا الا بعد مروره على أحوال شتى . اللهم ان الاصلاح العام وتدبير الأمر في الأرض ونظام
العرش الانساني المناسب لهرشك العظيم الموزون المنتظم لم يحصل فيما مضى ومستحيل أن يحصل في المستقبل
الا بعد اعداد الأسباب واتخاذ الوسائل وتمهيد الطرق وتسهيل السبل له بارتقاء الأفراد والأمم سنين وسنين .
هنالك يصح القول ان اناس يستأهلون أن يقبلوا تعاليم المهدي أو المسيح . أما أن فردا سينزل إلى الأرض
بضع سنين فيغير الأخلاق ويصلح الأحوال إلى أبد الآبدين ودهر الداهرين فهذا لم نعرفه في عمل الله عز وجل
ان ولادة الجنين إنما تكون في حينه بعد استعداده للخروج . فأنه مدبر لا مركب في هذه الآية مستو
على العرش والتدبير يتطلب النظام والترتيب . اذن لن يكون المسلمون قائمين بمعنى هذه الآية الا بنشر العلوم
ومعرفة نظام هذه الدنيا والسعي في التعاون العام . هذا هو الذي يؤخذ من هذه الآية وبعض ضعفة العقول
في بلاد الاسلام يتكاثرون على المسيح اذا نزل بل هم يظنون أنهم ينامون على فراش الراحة الوثير ويتقنون
أوضاعهم وهم آمنون بلامقدمات ولا أسباب . وهذا معناه الكسل والنوم . وهذا ضد النبوة والدعوة
الحمدية على خط مستقيم فنحن نتوكل على الله رب العرش العظيم الذي يدبر الأمر . فهكذا نحن يجب أن
ننشد بمن نتوكل عليه في تدبير الأمر لا أننا نبحث قوائنا وتنسكل على من سيرسبه الله اليها فيسعدنا ونحن
نأمنون . كلا . ثم كلا

﴿ العقائد لمقاصد ﴾

إن العقائد إنما أنزلت لحثنا على الفضائل لا لاقراف الرذائل . عقيدة المسيح وإن كانت أشبه بالظنيات
لأنها من الأحاديث الصحيحة قد جاءت بعد العدة ولنكون المثل الأعلى في هذه الأرض ونقود الأمم قيادة
الحبة والسلام والوئام كما تقدم مرارا في هذا التفسير بإيضاح حين تضع الحرب أوزارها . هكذا عقيدة الايمان
بالملائكة لنعلم أن هناك حالا أخرى بعد الموت أشبه بحال الملائكة للأبرار وبحال الشياطين للفساد
فمقيدة الملائكة لاصلاح الأخلاق . وعقيدة المسيح لاصلاح الأمم بالعمل لا بالأمل . هذا ما وقر في

نفسى الآن بمناسبة توكّل النبي ﷺ على الله ذى العرش العظيم الذى يدبر الأمر ون همة المتوكل تتجه الى صفات المتوكل عليه . وقد حصل ذلك فى هذه النبوة فكان لهذه الأمة عروش ملك فى الأرض ولكن العرش العظيم هذه الأمة هو النظام العام فيها بنظام الحب كما فى نظام السموات والأرض القائم بالجاذبية والحب العام والحمد لله رب العالمين اهـ

(القسم الثانى)

وَلَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّهِ كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْجَائِرِينَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ * وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَأَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أُتْبِعَ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَىَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ مُثَمَّرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قُلْ أَظْلَمُ مِنْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْظُرُوا إِلَىَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرُؤٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنْ رُسُلُنَا يَكْتُمُونَ مَا يَمْكُرُونَ * هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرْتُمْ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَأَنَّا نُنجِيَنَّكَ مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغَوْنَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ

مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا رَاجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (ولو يجعل الله للناس الشر) اذا ظلموه مستجلبين بأن يدعو الرجل عند الضجر والغضب على أهله وولده ويتجمل البلاء والنقمة فيقول لعنكم الله ولا بارك الله فيكم . يقول الله لو أن الله أجابهم اذا اذا دعوه بالشر الذي يستجأونه به (استجأهم بالخير) أى تجلبه لهم الخير أى لو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نجعل لهم الخير ونجيبهم اليه (نقضى اليهم أجالهم) أى لا مئتموا وأهلكوا جميعا ولكننا لا نجعل ولا نقضى وإنما نهملهم امهالا (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم) معاصيهم وشرهم وضلالهم (يعبدون) يترددون ونقيض عليهم النعمة مع طغيانهم إزاما للحجة عليهم (واذا مس الانسان) أصابه (الضرر دعانا) لازالته محلصا فيه (جنبه) ملق جنبه أى مضطجعا (أوقاعدا أوقائما) أى فى جميع أحواله (فلما كشفنا عنه ضرره مر) مضى على طريقته واستمر على جهالة وكفره ومعاصيه ونسى موقف الدعاء والنصرع (كأن لم يدعنا) أى كأنه لم يدعنا واسم أن الخفة ضمير الشأن (الى ضرر مسه) الى كشف ضرر (كذلك) مثل ذلك التزيين لهذا الانسان الذى نسى موقف الدعاء (زين للسرفين ما كانوا يعملون) من الانهماك فى الشهوات والاعراض عن العبادات (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم) يا أهل مكة ويا جميع الناس (لما ظلموا) حين ظلموا بالتكذيب وصرف مواهبهم فيما لا ينهى (و) الحال انهم قد (جاءتهم رسالتهم) المحجج (البيانات) الدالات على صدقهم (وما كانوا ليؤمنوا) أى وما استقام لهم أن يؤمنوا بفساد استعدادهم وخذلان الله لهم (كذلك) مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكم بسبب تكذيبهم (انجزى القوم المجرمين) انجزىكم فوضع المظهر موضع المضمر دلالة على أنهم مجرمون (ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم) استخلفناكم فيها بعد القرون التى أهلكناها استخلاف من يختبر (لننظر كيف تعملون) أى أنبأنا تعملون أم شرا فنعاملكم على مقتضى عملكم (ولذا تنلى عليهم آياتنا بينات) قال الذين لا يرجون لقاءنا) أى المشركون لما غاظمهم ما فى القرآن من ذم عبادة الأوثان والوعيد الشديد (إئت بقرآن غير هذا) ليس فيه ما يغيظهما ذكر (أو بدله) فنسقط ذكر الآلهة وذمها وتجعل مكان آية العذاب آية رحمة فأجاب (قل ما يكون لى) ما يحل لى (أن أبتله من تلقاء نفسى) من قبل نفسى (ان أتبع إلا ما يوحى الى) أى لا أتبع إلا وحي الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل (إنى أخاف إن عصيت ربى) بالتبديل من عند نفسى (عذاب يوم عظيم) أى يوم القيامة (قل إلو شاء الله) غير ذلك (ما تلوته عليكم ولا أدراكم به) ولا أعلمكم بالقرآن على لسانى (فقد لبثت فيكم عمرا) مقدار عمر أربعين سنة (من قبله) من قبل القرآن لا أتله ولا أعلمه (أفلا تعقلون) أن من عاش أربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يدخل مدرسة ولم يشاهد علما ثم جاء بأخبار الماضين والأحكام والآداب ومكارم الأخلاق وهذه العجائب المتكررة لا يمكن أن يكون أمرا عاديا بل هو من طور آخر وهو الوحي (فن أظلم ممن افترى على الله كذبا) سواء أكان باسناد قول الى الله تعالى لم يقله بادعاء النبوة . أم بادعاء أن الله شريكا أو ولدا (أو كذب بآياته) فكفر بها (إنه لا يفلح المجرمون) * ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم) ان تركوا عبادته كالأصنام (ولا ينفعهم) ان عبدوها (ويقولون هؤلاء الأصنام (شفعاؤنا عند الله) فى أمور المعاش لأنهم ما كانوا يقررون بالبعث لقوله تعالى - وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت - وبعض العرب كان يقر بالبعث (قل أتنبئون الله بما لا يعلم) أى أنخبرونه بكونهم شفعا عند الله وهو لا يعلمهم (فى السموات ولا فى الأرض) واذا لم يكن عالمهم وهو يعلم كل شئ فذلك دليل على عدم وجودهم (سبحانه وتعالى عما يشركون) نزه نفسه أن يكون له شريك . ولما كانت هذه الأحوال مما يدعو الى التعجب من

هذا النوع الانساني • وكيف يمدون ما يصنعون • ويقدرن من الاجلاد • وكانت النفوس الانسانية تميل الى اختناق اثنى بعد هذا باحدى الحقائق الطبيعية الحكيمية الاطبية فافاد أن نوع الانسان يولد على الفطرة داخل الطبيعة فيهم فيها متفوقون لاختلافون • ومتحدون لامتفرقون • ولكن الحكمة في هذا الوجود تتخذ الاختلاف والافتراق ليجتمع بعد التفرق المختلفون وليتعارف بعد التجهل المتفرقون فتتألف بين لغاتهم وأوطانهم وأزبانهم وعاداتهم وبشائهم وأحوالهم وألوانهم وممالكهم كما اختلف الزهر في الأشجار وطعمهم الأثمار فان هذا العالم على الاختلاف مخلوق وعلى الافتراق مجبول فان لم يكن الاختلاف كان العالم هباء مشهورا فاذا كان الاختلاف مبدأ ومتناه فكيف يتفوقون في الدين واذا لم يتفوقوا في حال من الاحوال التي لا تكاد تحصى فهم في الدين مختلفون وفي الحقائق متفرقون وان كانت فطرهم واحدة وانسانيتهم في الأصل غير مفرقة • ألا ترى أن تعريف الانسان بالحيوانية والناطقة • فهذا هو الأصل السارى في كل انسان وبعد هذا افترق في سائر الصفات والأحوال ومنها الدين وهذا قوله تعالى (وما كان الناس إلا أمة واحدة) بحسب فطرهم ومقتضى انسانيتهم (فاختلفوا) فصاروا في الدين وفي سائر الأحوال مختلفين (ولولا كلمة سبقت من ربك) أن الاختلاف سنة طبيعية وحكمة إلهية وغايتها الكمال واتحاد النفوس في كثير من الأطوار وتألفهم بما زاولوا من الأعمال على درجات مختلفة وأحوال متباينة فيكون الناس بعد أعمالهم طول الحياة قد صاروا في حال أكمل وكل جماعة منهم تتحد في عمل أو خلق فيكون هذا الاختلاف جميلا في مقاصده نبينا في نهايته لأن تدبير عقولا مختلفات الجمال كما اختلفت الأشجار في الأزهار والأثمار فصارت بساين بنفس الاختلاف • هكذا تكون النفوس بعد الموت بتفنها في الأخلاق والأعمال كالرياض الزاهرات والحقول المبهرات فلولا اختلاف الثمر ما جعل البستان ولولا تنوع الزهر والشجر ما استحسنتها الانسان • فعقول الناس بساين العالم الأعلى كما أن الأشجار والأثمار بسايننا • وكل ذلك انما نشأ من الاختلاف يقول الله - ولولا كلمة سبقت من ربك - بهذا الجمال (لقتضى بينهم فيما فيه يختلفون) ليمتاز الحق من المبطل • ومن الجمال أن يكون في العالم الروحي أرواح شريرة كما نرى في الأرض الحنظل وشوك القتاد وضروبا من الأشجار المرّة • ونظير هؤلاء في نوع الانسان الفجار والكفار ليكون ذلك دليلا على الجمال فان الشئ لا يعرف إلا بضده وبضدها تميز الأشياء • فبقاء الكافر والمؤمن والصالح والطالح الى أجل معدود لتكمل آجالهم فتظهر أحوالهم ظهورا أجلى ويكون الحنظل مع الموز والائل مع النخل وهذا هو الظلم الجليل وهذا القول ظاهر في علم الفلاسفة الحاضرة والعلم الموروث فان العالم كله من أصل واحد الهيولى التي لا تعرف إلا بالمثل وعند بعض الحكماء المحدثين أن العالم يرجع الى الجواهر الفردة وهي متماثلة وعند المحققين الى حركات فأما الانسان فان الأرواح قبل حلولها في الأجسام في أول نشأتها تكون متماثلة لا تمايز بينها وهكذا أجسام الأجنة في بطون أمهاتها تكون في أول أمرها متشابهة مع حيوانات أخرى ثم ترتقى شيئا فشيئا حتى تخالف سائر الحيوان باستكمال الخلق وعند الولادة يكون الاختلاف بين المولودين من الانسان في أمور محدودة فاذا كبروا وتربوا كان هناك خلاف عظيم ولذلك خلقهم الله كما قال في آية أخرى - ولذلك خلقهم - وهذا هو الحق والعلم الصحيح وماعداء فأقوال متفرقة وآراء غير محقة اختلط فيها الحق بالباطل والذهب النقي بالزبرج والزيغ بالجيد والله هو العالم الحكيم

ثم أتى بمسألة أخرى كانت سبب الاختلاف في النبوة وهو اقتراح آيات خاصة فقال (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه قلل انما الغيب لله) وهو وحده العالم أن هذه الآيات المقترحة فيها مفسد لانفع فيها (فانتظروا) نزول ما اقترحه (إني معكم من المنتظرين) لما يفعل بكم ببحودكم ما نزل من الآيات (واذا أذقنا الناس رحمة) خصبا وسعة وصحة (من بعد ضراء مستهم) أى من بعد شدة وبلاء كأهل مكة إذ حبس

عنهم المطر سبع سنين حتى هلكوا من الجوع والقحط ثم رحمهم الله فأرسل عليهم المطر الكثير حتى أخصبت البلاد فلم يتعظ الناس بذلك بل رجعوا الى الفساد كما مر في قوله - واذا مسَّ الانسان ضرٌّ دعا لنا جنبه - الى قوله - مرَّ كأن لم يدعنا الى ضرِّ مسه - ولذلك جاء جواب - واذا أذقنا - موافقا لذلك الجواب مع ايضاح وتنويع فقال (اذا) هي للمفاجأة واقعة في جواب اذا الأولى كما تقع الفاء أى في الحال (لهم مكر في آياتنا) بالطعن فيها والاحتمال في دفعها (قل الله أسرع مكرًا) منكم قد دبر عقابكم قبل أن تدبروا كيدهم ولقد تقدّم عقابهم في سورة الأنفال والتوبة وآل عمران • والمكر اخفاء الكيد وهو من الله الاستدراج والجزاء على المكر (إن رسلنا يكتفون ما عكروا) الرسل هنا الحفظة فليس يخفى على الله خافية • ولما كان هذا القول ومأموره قبله وهو - واذا مسَّ الانسان ضرًّا - دالين على سرعة قلب الانسان وعدم وفائه واتعاطيه وكان هذا المقام يحتاج الى ايضاح أردفهما بثالث دلالة على أنه أمر يجب النظر فيه فان عدم الثبات وسرعة التقلب ووجود النعم يورث العذاب الأليم ولذلك قال (هو الذي يسيّرکم في البر) بأرجلكم وبالذواب والقطرات الجارية والبحريات والسيارات الجارية بالكهرباء وغيرها وفي الهواء بالمراتب الهوائية والمطاود جمع منقاد (والبحر) بالسفن العائمة والغاطسة (حتى اذا كنتم في الفلك) السفن (وجرين) أى السفن (بريح طيبة) لينة الهبوب (وفرحوا بها) أى بتلك الريح لئلا تستقامتها (جاءتها) أى الفلك وهنا اعتبرت جمعا كأسد وهي مفردة كقفل (ريح عاصف) ذات عصف أى شديدة الهبوب (وجاءهم الموح من كل مكان) يحيطهم الموح منه (وظنوا أنهم أحيط بهم) أى أهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص (دعوا الله مخلصين له الدين) من غير اشرار لأنهم رجعوا الى فطرتهم لزوال العوارض المانعة من ذلك قائلين (نحن أبحينا من هذه لنكونن من الشاكرين) نعمتكم مؤمنين بك متمسكين بطاعتك (فلما أنجاهم اذا هم يبغون في الأرض) يفسدون فيها (بغير الحق) مبطلين فيه (يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم) فان وباله عليكم وأيضاً هو على أمثالك وبنى جنسكم وجميع الناس متضامنون والبنى على من نفعه عائد عليك ضاربك • تمتعون (متاع الحياة الدنيا) على النصب أو ذلك متاع الحياة الدنيا على الرفع (ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون) بالجزاء عليه • انتهى التفسير اللفظي

اعلم أن هذا القسم متصل بما قبله وصلته بقوله تعالى - هو الذي جعل الشمس ضياء - الى قوله في آخر القسم - وتحييتهم فيها سلام • وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين -

لقد تبين لك هناك أن السلام على ﴿ثلاثة أنواع﴾ سلام الناس بعضهم على بعض يوم القيامة • وسلام الملائكة • وسلام الله تعالى • ولا بد من شرح هذا الموضوع شرحاً وافياً حتى يعرف اتصال هذا القسم بما قبله وأذن يظهر لك سرّ مكنون وجوهر بديع وعجب عجاب • وهنا أصلان ﴿الأصل الأول﴾ أن هذا المقام عبارة عن مبحث في السعادة والسلام والأمن • فكل من كان من الناس أهذاً بالا ورضى فهو الى السعادة أقرب • وكل من كان جزع النفس مضطرب القلب حزينا متألماً أو طامعاً أو مأثماً أشبه ذلك فهو الى الشقاوة أقرب على مقتضى ما اتصف به قلة وكثرة • واذا كنت أيها السكّ من تابعوا هذا التفسير فقد عرفت ذلك ﴿الأصل الثاني﴾ انه لا يتفق الامن والسلام والراحة لجميع الناس في الدنيا دائماً في ألم ومطالب تزعج لبّ اليبس وتوغر صدر الحليم فالخير والشرّ مترونان في قرن • وعليه تكون السعادة محالة في هذا الوجود فبأنضمام الأصل الثاني للأول يتناقضان ولا يجتمعان وهذا الرأي وهو عدم السعادة في الدنيا قال به كثير من العقلاء • وهناك سعادات اكتسابية يكتسبها الناس تقرّبهم اليها وهي

(١) إنا نجد المسلم في الصلاة يسلم ٣٦ في الصلوات الخمس المفروضة فإذا انضمت اليها النوافل بلغ القدر ضعفاً أو ضعافاً

(٢) ولامعنى لهذا السلام إلا تذكرة المسلم بالأمن وراحة الضمير وبعد المكروه وجميع المناسبات فهو يسلم على الأنبياء والصالحين وعلى نفسه بهذا المعنى . فالسلام مأمور بطريق دينه أن يعتقد أنه في أمان من كل مكروه . وأين هذا ؟ ذلك في ثلاث طرق :

الطريق ١ : طريق الإيمان فكما أصابته مصيبة يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون . وليس يكون ذلك باللسان وحده فيرى أنه يحمد الله رب العالمين أى رباهم بالدين والشدة للعبر عنهما بالرحمة وملاك يوم الجزاء . ويقول تعالى : ونياؤكم بالشكر والخير فتنه . فتنى أحضر المرء في نفسه أن المكروه من الله وأن الله لا يفعل إلا خيرا واطمأن لذلك كما في قوله تعالى : قل أن يعطينا إلا ما كتب الله لنا . وقوله : هل ترصون بنا الاحدى الحسينيين . فإن عنده نوع سعادة . فههنا أمران (الأول) استناد الأمر لله وهذا عند المستعد له يعطى بعض الراحة للقلب ولهذا الإشارة بقوله : إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير * السكيا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم . فتنى أيقن العبد أن كل شئ معلوم عند الله ارتاح قلبه جدًّا ووصل الى السلامة على شرط الايمان فتكون الحوادث مثل الليل والنهار (الأمر الثانى) أن يرى كل مكروه ظاهرا هو محبوب باطنا ويرى كل شر أشبه بالحكمة أو شرب الدواء الكريه فيكون متألما منه ولكن راض وهذا نوع من السعادة وله الإشارة بقوله : هل ترصون بنا الاحدى الحسينيين . حيث جعل القتل حسنى وأى مصيبة أعظم من الموت حتى إن الصحابة كانوا يسرعون الى الحرب لذلك (الطريق الثالث) طريق الصبر وقوة العزيمة وهى التى شرحتها لك سابقا فى لغز قابس فى سورة البقرة وكذلك طريق كتاب (الكوخ الهندى) الذى أعطيتك صورة منه سابقا تلخص مقصوده . واليه الإشارة بقوله تعالى : فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل . وقوله : وبشر الصابرين . وما أشبه ذلك

فهذه الامور الثلاثة تعطى الانسان سعادة كسبية مادام فى هذه الحياة . ومستحيل أن يصل الانسان الى تمام السعادة فى هذه الحياة الا قوم مذهبولون ذهبوا لدينيا أودنيويا بأن فارقوا احساسهم فكيف يحزنون . فالسلام فى الصلاة وتكراره فى الركعات يوقظ نفس المسلم الى أحد هذه المراتب عسى أن يصل الى درجة الراضين وإن كانوا فى مكروه وهذه نوع من السعادة والسلام فى هذه الحياة . هذا هو السر فى تكرار السلام فى الصلاة . فاذا مات المسلم أحسن بالسلامة من الآفات والأمن اذا كان صالحا ويحسن اخوانه بذلك فيحيونه به . وليس ذلك تحية لفظية كما فى الدنيا بل انعاني هناك متجلية كما تجلت الألفاظ فى هذا العالم فاذا ارتقوا عن هذه السرجة حيثهم الملائكة ثم حياهم الله فى الآيه . والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . وفى آية أخرى : تحيتهم يوم يلقونه سلام . فتنى حصل لقاء الله كان هناك السلام . واللقاء هنا علمى فمن كان أكثر علما بالله كان أقرب للسلامة والأمن . فقد يموت المرء ولا يلقى إلا العذاب ويحجب عن ربه فأين السلامة ولن يلقى ربه إلا بريئا من الذنوب كامل النفس . هنالك تفاض عليه العلوم ويدرك سر الخليفة واذن لا يكون هناك غم ولا هم لأنه وصل الى منتهى السعادة

فعلى الانسان أن يجد فى الأخلاق والعلم ومنفعة الناس حتى ينال السعادة الروحية ويزيد من ربه قربا ولن ينال السعادة فى الآخرة وهو لم يحصل أوائلها فى الدنيا بالاكتساب وتطمئن نفسه فى الدنيا بعض الاطمئنان وهذا يكمل له بعد الموت . أما الذى مات مضطرب الفكر لا ثبات عنده إما لجفائته وإما لتدنيوه فذلك لا يسعد فى الآخرة لأنه لا سعادة فى الآخرة إلا اذا كانت أوائلها فى الدنيا فقولوه : تحيتهم فيها سلام * وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين . مردد لصوت السلام فى الدنيا وفى المقابلات بين الناس وللحمد التى يحمد بها الله وللمعانى العاصية التى أدركها الانسان فى نظام هذا الوجود . فبدأ السلام والسعادة فى الألفاظ فى الصلاة . وأوسطها فى اكتساب ذلك بالإيمان وتهذيب النفس . ونهايتها حصول السعادة والسلام فعلا

وهو المعبر عنه بسلام الملائكة ثم سلام الله تعالى (سبحته يوم يلقونه سلام) هذا هو القسم المتقدم . ثم أتبعه بما هو في معناه كالتميم له فقال . إن الناس يبعثون عن السعادة والسلامة بعدا شاسعا جدا لتفريطهم في المقصود من معنى السلام في صلواتهم وجهلهم القصد من تكرار السلام ﴿ ذلك ﴾ أنهم إذا أصابتهم مصيبة وهم لم ينالوا درجة من درجات السعادة المتقدمة سئمت أنفسهم وكرهوا الحياة ولعن الرجل أهله ومن حوله وتبى الموت . ولو أننا سارحنا إلى اجابة الشر كما نسرع إلى الخير تلك الناس . فهذا دليل أن هذا الانسان ... خلق هاوعا . يعنى - اذا مسه الشر جزوعا * واذا مسه الخير منوعا - وكان يجب أن يكتسب صفة الثبات بأحد الامور الثلاثة المتقدمة . وانما عبر بقوله - لا يرجون لقاءنا - اشعارا بأن هذه الآية من توابع ما قبلها ولقاء الله انما يكون للروح المهذبة الكاملة علما وأخلاقا وغيرها من محط عنها فلا يلقاه فلا يرجو لقاءه

ثم أتبعه بجمل أخرى فذكر أن الانسان لا يصبر عنده واذا مسه الضر دعا الله هالعا فاذا زال الضر نسي وانه اذا ذاق النعمة بعد الشقاء والغنى بعد الفقر ساقه البطر الى تكذيب الآيات واتباع سبل الضلالات وزاد ذلك بما يعتريه في البحر اذا اضطربت الرياح واختلفت الأمواج كيف يدعو خائفه فاذا نجاه نسيه فهذه الآيات قررت أن الانسان سريع الانفعال تبى الموت اذا أصابه الشر المعتد لتكميله لجهالتة ويهلع ويطلب النجاة فاذا نالها غفل وهذه الغفلات علامة الشقاء والبعد عن السلامة وبضدها تميز الأشياء .

انتهى تفسير القسم الثاني ﴿ لطيفة ﴾

إن ابتال الانسان لله اذا أصابه الضر وأحاطت به الأمواج أو وقع في كرب عظيم دليل على أن للعالم خالقا . ألا ترى أن الطفل يلجأ لأمه والتفصيل والجمل وأشاكلها كلها ملتجئات الى أمهاتها . هكذا حبات البر في ظلمات الطين ملتجئات في تغذيتها الى الأرض والماء . فاذا ما شب الطفل وقوى الحيوان واشتد النبات اعتمد كل على نفسه بتناول الغذاء من الثمار والهواء فهي مستقلة اذا قويت مبتلات اذا ضعفت هكذا الانسان القوى اذا أصابه الضر وأحاطت به الأنواء كرجعا الى ما في داخل قلبه من نور مخبوء وهو الوجدان الذي يرى أن له مرجعا خارجا عن المادة فيناديه قائلا ﴿ يارب ﴾ فاذا نجاه رجع الى قوته ونسي ربه كما تغذى النبات بالهواء وحرارة الشمس لما قوى واكتفى الحيوان بالنبات مثلا فهذا برهان وجداني اقناعي على وجود الله

(القسم الثالث)

إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَتْرَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ ، كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ عَمِلُوهَا غَرَبَتْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ حَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ فَرَيْدُنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا بَنَاتُنَا تَعْبُدُونَ * فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ * هُنَالِكَ تَبْلَوْا كُلُّ نَفْسٍ مَا أُسْلِفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَصَلَّى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ *

(التفسير اللفظي)

قال تعالى (انما مثل الحياة الدنيا) حالها العجبية في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها (كماء أنزلناه من السماء فاختلفا به نبات الأرض) فاشتباك بسببه حتى خالط بعضه بعضا (فما يأكل الناس والأنعام) وهي الزروع والبقول والحشائش (حتى اذا أخذت الأرض زخرفها) زينتها بالنبات واختلاف ألوانه (وازينت) وتزينت بأنواع الزين وقد أدغمت التاء في الزاي * وقرئ - تزيت - على الأصل * فقد مثلت الأرض بالعروس وقد أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتسبتها وتزينت بغيرها من ألوان الزين (وظن أهلها) أهل الأرض (أنهم قادرون عليها) متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لعلتها (أنها أمرنا) عذابنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم أنه قد سلم (ليلا أنهارا فجعلناها) فجعلنا زرعها (حصيدا) شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستصاله (كأن لم تكن) كأن لم يكن زرعها أي لم يلبث أي كأن الأشجار القائمة والنباتات الطيبة والزروع البهجة لم تكن غيت من غنى فلان بالمسكان اذا أقام به وقوله (بالأمس) هو مثل في الوقت القريب والمثل به مضمون هذا القول وهو زوال خضرة النبات فجأة فيصير حطاما بعد ما كان غضا والتف وزين الأرض حتى طمع فيه أهلها وظنوا أنه قد سلم من الجوائح (كذلك) كما بينا لكم مثل الحياة الدنيا كذلك نبين سبحانه ودلائلنا لمن تفكر لتزول الشهوات ويكون اليقين

وهذا القول متصل بما قبله من تقلب الأحوال على الانسان تارة يطلب الموت والهلاك ويلعن الزوج والأبناء لشوكة يشاكها أوزلة قسدم يزها وأخرى يدعو بالنجاة من الضر قاعدا أوقائما فاذا نجاه الله نسي الدعاء والدعور * وهكذا شأنه عند كل نعمة أزال الضر فانه يكيد كيده ويصد عن سبيل الإيمان واذا غشيه الموج ودعا بالخلاص وجاءه الفرج لا يذكر النعمة ويرجع الى سابق عهده * ثم أتبعه بهذا المثل إذ جعل حياة الانسان أوحظوظه أشبه بعروس ذات جمال وبهجة ودلال قد ازينت للناظرين فلبست من الثياب ألوانا وأخذت من كل زينة أشكالا فصارت حوراء في حللها وحلاها

فاما أعجبهم حسننها وفرحوا بها وظنوا أنهم منها متمكنون أمتها صاعقة أو برد أوريح جعلتها حصيدا كأن لم تكن قائمة بالأمس * وهذا مثل للتشبه بالدنيا الراغب في زهرتها وحسنها (ذلك) أن الله لما قال - يا أيها الناس انما يغيبكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا - أتبعه بهذا المثل لمن بني في الأرض وتجبر فيها وركن الى الدنيا وأعرض عن الآخرة * فالتشبه بالدنيا يأتيه أمر الله وعذابه أغفل ما يكون * فحظوظ الدنيا كبهجة النبات معرضة للزوال فجأة كهلاك النبات بصاعقة * ونفس الحياة كذلك يخترمها الموت فجأة والانسان لا يشعر بذلك * حياة الانسان للموت معرضة كل حين وشبابه وقوته وصحته وماله وولده وسروره ولذاته كل ذلك قد ضرب له هذا المثل * فالحياة كذلك العروس والقوة والبأس والذكر والصيت والجمال * كل ذلك داخل في المثل إذ يعترىها الذهاب والفناء في لمح البصر وأهو أقرب * فكم من جميل أذهب جماله المرض * وغنى أهل ماله الجوائح * وعاقل ذكي قتل الذكاء والعقل هموم وأشجان فذهب الى المارستان

وذى بنين شهود المحافل قواد للجحافل حصصتهم المنون وهم لا يشعرون فأصبح فريدا وحيدا . وكمن
من ذى صيت بعيد وذكر جيل أخنى الدهر على ذكره بريبة ذكرها وشنعاء تينوها وذنوب أشاعوها
فأصبح الممدوح مذموما . وكمن من محجب بشبابه وصحته وهو متهج نفور جاء الموت بقاء فأصبح من أهل
القبور . هذه المعاني وأمثالها داخلة في هذا المثل

واعلم أن هذا المثل وما تقدمه إنما جاء بعد قوله في آخر القسم الأول - تحيتهم فيها سلام - تبيان لما
عليه الناس في الدنيا من عدم السلامة ومن الشقاء والنزلة وذم الحياة والهلك والجزع وما أشبه ذلك من كل
ما يوجب الاضطراب كما تقدم في مثل البحر وأمواجه والنجاة منه الخ ما ذكرنا وقررنا . وهكذا نفس الحياة
وحفظها الخ . فلما أبان ذلك أيما تبيان وأظهر كيف تكون عدم السلامة في هذه الدار وكيف يكون
الاضطراب والزوال أتبعه بما هو المقصود فقال (والله يدعو إلى دار السلام) ومعنا أن النكرة إذا أعيدت
معرفة كانت عين الأول فهو سبحانه يقول ها أتم هؤلاء عرفتم حياتكم وانصبا وقلب قلوبكم وحفظكم
واختاركم آجالكم في هذه الدار التي لا سلام فيها بحسب طبيعتها فها أنا ذا أدعوكم إلى دار الأمان والاطمئنان
والسلامة المذكورة في قولي - تحيتهم فيها سلام - فها أنا ذا أدعوكم إلى دار السلامة من الآفات بعد ماتين
لكم للمهالك والمشاق . ثم قال (ويهدى من يشاء) بالتوفيق (إلى صراط مستقيم) لأن الناس مختلفون
استعدادا . ولما قال هناك - وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين - بعد قوله - تحيتهم فيها سلام -
أتى بنظيره هنا بعد دعوته الناس إلى دار السلام فقال (للذين أحسنوا الحسنى) أى الجنة (وزيادة) هى
النظر إلى وجه الله الكريم . والنظر لوجه الله الكريم هنا معناه ازدياد العلم بآياته وجماله وحكمه وعجائبه
وبدائمه . وكلما ازداد علما ازداد بهجة فهذا النظر بهجة الحكماء والأنبياء وهو يقابل - وآخر دعواهم
أن الحمد لله رب العالمين - هناك . فقد تبين هنا كيف تكون دار البلاء ثم كيف تكون دار السلام ثم
كيف يكون ازدياد العلم بالله المعبر عنه بالنظر . وأنت أيها الذي تعرف من نفسك الآن أمن أهل الجنة أنت
أم من أهل النظر لوجه الله فإن كنت صالحا ولكن لا شغف لك ولالذة في العلم بهذا العالم فأنت تكون في
الجنة وهى دار السلامة . فأما إذا كنت في جبال العلوم راغبا ورأيت في نفسك لذة وغراما بها فاعلم أنك
ستنظر وجه الله حتما بعد الاستعداد التام

روى صهيب أن رسول الله ﷺ قال ﴿ إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى أريدون
شيأ أزيدكم فيقولون ألم نبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا
شيأ أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى ثم تلا هذه الآية - للذين أحسنوا الحسنى وزيادة - ﴿
أخرجهم مسلم

فالعامة يتصورون شكلا ينظرونه كما ينظرون الملوك . فأما الخاصة فإن النظر لوجه الله يبتدى لهم في
الدنيا بعشق مصنوعاته وقراءة العلوم قديمها وحديثها فينفع أحدهم الناس بالعلم كما ينفعهم الله بالخلق ثم أحدهم
يعرج في معارج السكالم متشبها بمحبوبه سائرا في طريقه محبا خلقه ناظرا إلى جماله الذى تبقى في أصناف
الشجر والنجم والقمر حتى إذا فاجأته المنون أصبح عند من كان محبوبه وصار الغائب مشهودا والمحبوب
موجودا وأدرك إذ ذاك أنه كان معه ولكنه هو عنه محجوب . وإذا سمعت سيدنا عليا كرم الله وجهه
يفسر الزيادة بلؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب فما ذلك إلا عين ما ذكرناه وما اللؤلؤة إلا هذا العالم الخلق
يظهر للعالم مجلوا جميلا بهيا كلؤلؤة وهو مبدأ النظر لوجه الله الكريم فإن العالم الذى نحن فيه جيل كاللؤلؤة
ومستحيل أن يعرف الانسان جماله إلا بالعلم . ومنى عرف الجمال عرف من هو الجليل وهذا هو النظر عينه
فسيدنا على يرى إلى هذا المقام لأنه يعز على الأفهام فعرفه بمثل لأن الحقيقة تخفى على العوام وكثير من الخواص

وقوله (ولا يثقي وجوههم) لا يشاعها (فقر) خبره فيها سواد (ولادته) هو ان أى لا يشاعهم حزن وسوء حال (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) عطف على قوله - للذين أحسنوا الحسنى وزيادة - (ما لهم من الله من عاصم) ما من أحد يعضدهم من سخط الله (كأنما أنشئت وجوههم) غطيت (قطعا من الليل مثلا) لفرض سوادها وظلمتها وقوله (ثم تقول للذين أشركوا مكانكم) أى الزموا مكانكم حتى تنظروا ما ينعل بكم (فزيلا بينهم) أى فرقنا بين المايدين والمعبودين وميزنا بينهم وانقطع ما كان بينهم من التواصل في الدنيا (وقال شركاؤهم) أى الأصنام وكل معبود لهم (ما كنتم إيانا تعبدون) تبرا المعبودون من العابدن فما كانت العبادة في الحقيقة إلا لأله وأئهم ولمن زين لهم تلك لعبادة (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم) أى كفى الله شهيدا وهو تميز (ان كننا عن عبادتكم لعافين) إن محذرة من الثقلة واللام فارقة بينها وبين النافية (هناك) في ذلك المكان (تباركل نفس) تحسب وتلوق (ما أسلفت) من العمل فتعرف أقيح هو أم حسن (وردوا الى الله) الى جزائه (مولاهم الحق) ربهم ومتولى أمورهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى (وضل عنهم) ضاع عنهم (ما كانوا يفترون) من أن آهتهم تشفع لهم أو ما كان يدعون أنها آهة اه
﴿ اللطيفة في النظر لوجه الله تعالى ﴾

لقد اضاع على هذا المقال أحد العلماء ممن لهم قدم في العلم راسخة . فقال لئن سررتي في هذه المقالة حال لقد ساءتني حال . فقلت وكيف ذلك . قال كيف تجعل النظر لوجه الله الكريم عبارة عن العلم وأى شئ العلم . إن الانسان اذا رأى وجهها جيلا استند به وفرح . فأما العلم فهو معروف ولا شئ فيه من ذلك . فقلت له إن هذا المقام ليس يعرف إلا بعد البيان . حقا إن الانسان اذا نظر وجه الجليل سره القد والشكل واللون والأنف والعم والمين والخذ وحسن الهيبة وجمال الزينة والعطف بكسر الأول والهيف والخور والشنب وسائر ما يقوله الشعراء في أشعارهم ويبدو في أقوالهم ولكن العلم شئ والشعر شئ فان حاسة النظر احدى الشبكات الظاهرة الخس التي يحيطاد بها العقل المعلومات والحب على مقدار العلم . فاذا نظرنا الى الجليل وسمعنا نعمته وفصاحته وشممنا طيب ريحه وذقنا ما يذاق منه ولمسنا جلده . هنالك يضم الى النظر هذه المذكورات فتتضاعف اللذة ويزداد الحب فكيف بنا اذا تغلغلنا في باطنه وعرفنا مواهبه الباطنة من عفة وحلم وكريم وأدب وحسن خلق ومعارف وعلوم . هنالك يحصل لذلك العالم به من اللذة به ما لا يوصف ومن الحب ما هو أعظم . واذن قد تبين لك أن النظر الذي أعظم قدره الناس ما هو إلا وسيلة من وسائل العلم وليس خارجا عنها وأن اللذة بنظر العين جزئية . فاذا كان المخاوف المشاهد المحسوس لا يستند به إلا باستكمال العلم به ظاهرا بالخواس الظاهرة وباطنا بادرآك العلم فما بالك بمن لا تدركه عيوننا ولا تصل اليه مشاعرنا . فنحن إذن نلتجئ الى العلم الذي عرفت أن النظر من جنوده ونُدع الفرع ونتمسك بالأصل ونقول المقصود هو الأشرف وهو العلم . ولا ريب أن العلم مبدؤه في الدنيا ومن لم يبتدئ ذلك في الدنيا فليس له حظ منه في الآخرة . ألم يقل الله تعالى - يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمنهم - فاذن يجب أن يكون للانسان حظ من هذا العلم في الدنيا وذلك هو النور المذكور يسعى بين يديه بعد الموت ومن لا نور له هنا لا نور له هناك

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

(التقصير في علوم الكائنات يحرم أحياء المسلمين من الغاية ومواتهم من النظر لوجه الله الكريم)
قد تبين أن النظر لوجه الله الكريم مبدؤه العلم في الدنيا ومن لم يعلم لم ينظر والعلم يرجع الى النظر في جمال هذه المخلوقات وعجائب النفس وبدائع الصنع وتركيب الأجسام ونظام الوجود . والناس في الدنيا اذا قرؤوا هذه العلوم على ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ قسم يقرؤها لمعاشه كالعلوم الرياضية لنظام الدواوين ونظام

الجند وما أشبه ذلك . وقسم يقرؤها ليتحلى به في المجالس ويتفاخر به على الأقران . وقسم يقرؤها كما يقرؤها القسمان المتقدمان ولكنه يتحرى النظام والجمال ويحجبه بهجة التشرح ونظام النبات وحساب الطبيعة وبهجة النجوم ومجائب حركاتها وبدايع أشكالها ويتغلغل في ذلك وهذا لاشك يهيجه إلى الفرح بمن هو السبب الأول فيه وهذا مبدأ النظر . وكلما ازداد علما زاد حبا للصانع ولانهاية لهذا العلم كما لانهاية للحب والالفة . هذا هو الحق الصراح الذي لا يحصى عنه . والأمة اذا حظيت بهذه النعمة سعدت أحيائها بالغلبة والمجد وفرح أموانها بالنظر لوجه الله الكريم . فيعجبها كل العجب لأمة الاسلام تلك الأمة التي جاء القرآن بترغيبها في الآخرة وخطبها بما يعرفه الخلق من الجنات المحسوسة ولم يشأ أن يترك الجنة الحقيقية والسعادة الأبدية التي هي أعلى من المحسوسات حتى يستمتعها الفلاسفة والعقلاء . كلا بل لوجع لها بقوله - وزيادة - وجاءت السنة فعمرتنا الزيادة وقالت هي النظر لوجه الله الكريم وأرتنا أن هذا سيكون الله عند أهل الجنة وهنا وصلنا إلى مقام الحكمة والعلم . فالكتاب والسنة عندنا أريانا أن النظر لوجه الله أعظم المنافع والنظر يقصد منه العلم فاذا قيل انه بين تخلق لنا خلاف هذه في الآخرة فهي أيضا علم واذا كانت أعيننا في الدنيا من شبكات العلم فالأمر هنالك ظاهر . فكيف تغفل أمة هذا دينها عن علوم هي النعمة في الدنيا والسعادة في الآخرة . أليس من عجب أن يكون في هذه الأمة من يكفر قارئ هذه العلوم وماهى إلا سعادة الأحياء وبهجة الأموات . انتهى تفسير القسم الثالث

(القسم الرابع)

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ، وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ، فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ ، فَإِذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ، فَأَنَّى تُصْرَفُونَ * كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَنُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ * وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ قَاتِلُوا بِسُورَةِ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَخْلَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ * وَبَيْنَهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ، وَبَيْنَهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ

بِالْمُفْسِدِينَ * وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيُونَ مِمَّا أَعْمَلُ ، وَأَنَا
 بَرِيٌّ مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ
 * وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ
 شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ * وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ
 يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ * وَإِنَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ
 الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ يَشْهَدُ عَلَى مَا فَعَلُوا * وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ
 فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ
 أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَا كُنتُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا أَوْ نَهَارًا
 مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ * أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلَاَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ *
 ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا عَمَّا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ * وَيَسْتَنْبِئُونَكَ
 أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ * وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي
 الْأَرْضِ لَا فُتْدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
 * أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْإِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ *
 هُوَ يُخَيِّئُ وَيُمَيِّتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ
 لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ
 خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ جَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا
 قُلْ اللَّهُ أَدْنَى لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ * وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ * وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ
 وَمَا تَتَلَوْنَاهُ مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا
 يَعُزُّبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا
 فِي كِتَابٍ مُبِينٍ * أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا

يَتَّقُونَ * كَلِمَةُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْفِزَةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ * هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْنَمُونَ * قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أْتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ * قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ، ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ، ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ *

(التفسير اللفظي)

(قل من يرزقكم من السماء والأرض) بأسباب سواوية كالضوء والمطر ومواد أرضية فيكون منهما النبات والحيوان الخ (أم من يملك السمع والأبصار) يستطيع خلقهما وتسويتهما سوية بديعة تقدم شرحها في سورة آل عمران ومن يحميها من الآفات العارضة (ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) أي من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه مثلاً وشرح ذلك مذكور في تفسير سورة الأنعام (ومن يدير الأمر) ومن يلى تدبير أمر العالم كله علوية وسفلية (فسيقولون الله) فسيقولونك عن سؤالك أن القادر على هذه هو الله (قل أفلا تتقون) الشرك في العبودية إذا اعترفتم بالربوبية (فذلكم) أي الذي تولى هذه الأمور المستحق للعبادة (ربكم الحق) الثابت ربوبيته فهو الذي أنشأكم وأحياكم ورزقكم ودبر أموركم وهو المالك لسمعكم وأبصاركم (فإذا بعد الحق إلا الضلال) استفهام انكاري أي ليس بعد الحق إلا الضلال (فأني تصرفون) عن الحق إلى الضلال أي فكيف تفعلون ذلك • وكما حقت الربوبية لله وأن الحق بعده الضلال ثبتت كلمة الله وحكمه على الذين تردوا في كفرهم وخرجوا عن جادة الإصلاح وفسدوا لأنهم لا يؤمنون وهذا هو قوله تعالى (كذلك حقت كلمة ربك) إلى قوله (أنهم لا يؤمنون) ثم أخذ يقيم الحجة عليهم فوق ما تقدم فأخذ يحاورهم بطريق الاستفهام الانكاري في أمرين (١) خلق هذه العوالم ابتداء منظمة وإعادتها (٢) وإيجاد الأدلة والمعاني والآراء والحجج التي تهدي النفوس إلى مطالبها الحقة فأجاب عن الأول بأن الله هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده لأن لجأهم لا يدعهم يعترفون بها وعن الثاني بأن الله هو الذي يهدي للحق لأنه نصب في هذا العالم دلائل وجعل نوايس قهراً العقول وتنتج علوماً كثيرة يستخرج منها الناس أمور معاشهم ومعادهم • ثم أخذ يتم الكلام في القسم الثاني لأنه المهم في مقام الهداية فقال هل الذي ينير المسالك ويوضح المشكلات وينصب الأعلام أولى بالاتباع أم الذي هو كالأعمى العاجز لا يهتدي إلا أن يهديه سواه • فكيف تحكمون أيها الناس بما يقتضيه صريح العقل بطلانه • وكيف تكون الأصنام القائمة العمياء التي لا علم لها هادية • فأنه الذي ملأ هذا العالم بالنوايس المنيرة السبل أولى بالاتباع • يقال هدى للحق وإلى الحق وكلاهما في الآية وقوله (أمن لا يهتدي إلا أن يهتدي) أي من لا يهتدي إلا أن يهتدي * وقرئ - يهتدي - بفتح الياء والهاء وتشديد الدال وبكسر الهمزة وفتح الياء وبكسر الياء، والهاء وبسكون الهمزة وتشديد الدال أي يهتدي في الجميع وهذا قوله تعالى - قل هل من

شركائكم - الى قوله (فإلکم کیف نحدکمون) ثم قال (وما يتبع أکثرهم) فيما يتبعون (إلا ظناً) مستنداً الى الخيال والمراد بالأكثر السکل (إن الظن لا یغنی عن الحق) من العلم والاعتقاد الحق (شیئاً) من الاعتناء (إن الله عليم بما یفعلون) هذا وعید لهم على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان (وما کان هذا القرآن أن یفتري من دون الله) أي افتراء من الخلق (ولکن) کان (تصدیق الذی بین یدیه) مطابقاً لما تقدمه من السکتب الالهية المشهود بصدقها والذي ﷺ لم يتعلم علماً ولم يأخذ عن أحد وتلدج في القرآن قصص وأخبار مطابقة لما في التوراة والانجيل . فكيف يكون ذلك وهو لم يتعلم ولأنه لم يطابق ما في تلك السکتب اثنوا عليه الغارة الشعواء ولا تزلود في منزلة هو منها براء . فهذا معنى قوله - ولكن تصديق الذی بین یدیه وتفصيل کل شیء - وتفصيل ماحقق وأثبت في العقائد والشرائع (لا ريب فيه) منتفياً عنه الريب کائناً (من رب العالمین) فأخبار کان أربعة تصديق . وتفصيل . ولا ريب فيه . ومن رب العالمین (أم یقولون) بل یقولون (افتراء) محمد ﷺ والهمزة للاستفهام الانکاری (قل فأتوا بسورة مثله) في النظم والبلاغة وقوة المعنى على وجه الافتراء فانکم مثلی فی العربية بل أنتم أشد نبرتنا وأقرب تمسکنا منها بأساليب النظم والنثر (وادعوا من استطعتم من دون الله) أي وادعوا للاستعانة على الاتیان بمثله ما استطعتم من خاقله (إن کنتم صادقين) أنه خاقله (بل کذبوا) سارعوا الى التکذیب (بما لم یحیطوا بعلمه) بالقرآن أول ما سمعوه قبل أن یصدروا آیاته و یحیطوا بالعلم بشأته کالتقص التي قصها وأخبار البعث والنشور والجنة والنار التي ذکرها فانهم یذکرونها لجهلهم بها (ولما یأثم تأويله) ولم تبلغ أذهانهم معانيه ولم یعرفوا بعد تأویل ما فيه من الاخبار بالغیوب حتی یتدین لهم أصدق أم کذب (کذلك کذب الذین من قبلهم) أنبياءهم (فانظر کیف کان عاقبة الظالمین) فسیعاقبون كما عوقبوا اذا أصرروا على العناد (ومنهم) من المکذبین (من یؤمن به) أي سیؤمن به یتوب عن کفره (ومنهم من لا یؤمن به) فيما یستقبل بل یموت على الکفر (در بک أعلم بالمفسدین) بالمعاندین أو المصرین (وان کذبوک) ویؤت من اجابتهم (قل لی عملی) جزاء أعمالی (ولکم أعمالکم) أي جزاء أعمالکم (أنتم بریئون مما أعمل) فلا تؤاخذونی به (وأنا بریء مما تعملون) من أعمالکم فلا تؤاخذکم بها وهذا فی حال الضعف فاما حان حين القوة تغيرت الحال (ومنهم) أي من هؤلاء (من یستمعون الیک) حين تقرأ القرآن وتعلم الشرائع ولكنهم لا یقبولون کأنهم صم (أفأنت تسمع الصم) أي أقدر على اسماعهم (ولو کانوا لا یعقلون) أي ولو انضم الی صممهم عدم تعقلهم بما أسدل على العقول من الأوهام وما أوحى الیه العادة وما اتخذت له من الأضاليل (ومنهم من) ناس یظنون الیک و یعانون أدلة صدقک وأعلام نبوتک ولكنهم لا یصدقون کأنهم عمی لا یظنون بأبصارهم (أفأنت تهدی العمی ولو کانوا لا یبصرون) أي أنتحسب أنك تقدر على هداية العمی ولو انضم الی فقد البصر فقد البصيرة فهؤلاء کالصم العمی الذین لا یعقلون لهم وهؤلاء لا یکن ایمانهم . وكل ذلك بنظام ثابت وحکمة عالية فان ذهاب البصائر وقلة التفسیر والعلم والاهمالک فی التقليد إنما جاء کما بالاستعداد والاستعداد فی النفوس سائر بنظام الخلیقة وهذا النظام هو الصالح للوجود فلا ظلم فيه لأن الظلم وضع الشئ فی غیر موضعه (إن الله لا یظلم الناس شیئاً) لأنه لا یفعل إلا على مقتضى العلم والعلم متعلق بالحقائق الثابتة التي تقتضیها الحکمة (ولکن الناس أنفسهم یظلمون) لأن هذیه حقائقهم التي علمها الله وعلى مقتضاها کان الاستعداد ومن الاستعداد الناقص والتام . وهؤلاء فی نقصهم کالحشب یصلح للوقوف ولا ظلم فی ذلك وغیرهم کالخمر یا سکبه الانسان وكلاهما یقتضیه النظام العام . ثم هنالك وراء هذا أبحاث لا یجوز ذکرها فی مثل هذا التفسیر العام وليس ما ذکرناه یتمثلج للصدور ولا شاف لما فی القلوب فان هذا وراء أسئلة كثيرة توجه على هذا ولكن لاسبیل الى الاجابة علیها فیجب على طالب الحقائق أن یفتح لنفسه باب العلم والعلم واسع بابه والله یعطى من یشاء . والتصریح بالحقائق یریک جبال الله بأوسع معانيه

وأن رحمته واسعة فاطلب هذا منه هو ولا تنتهم المائة لثلاث يقدحوا عليك في دينك وأنت على علم تام
ثم قال واذكر يا محمد يوم نجمع هؤلاء المشركين لموقف الحشر ومعنى الحشر إخراج الجماعة وإزاعجهم من
مكائهم كأنهم لم يلبثوا في قبورهم أوفى الدنيا إلا قدر ساعة من النهار وذلك طول ما يرون أي ويوم نحشرهم
حال كوتهم مشبهين بمن لم يلبث إلا ساعة وحال كوتهم (يتعارفون بينهم) وهي حال مقدرة أي يعرف بعضهم
بعضا كأنهم لم يتعارفوا إلا قليلا وهذا أول ما ينشرون ثم ينقطع التعارف لشدة الأمر عليهم وحال كون الذين
كذبوا بقاء الله قد خسروا أنفسهم (وما كانوا مهتدين) إلى ما يصلحهم وينجيهم (واما نرينك) نبصرك
(بعض الذي نعدهم) من العذاب في حياتك كما أراه ذلك يوم بدر والغزوات بعده وفتح مكة كما تقدم في
سورة التوبة (أوتوفينك) قبل أن نرينك (فألينا مرجعهم) فنريك في الآخرة أي اما نرينك بعض الذي
نعدهم فيها ونعمت - أوتوفينك فالينا مرجعهم - فهذه الجلة جواب - نتوفينك - (ثم الله شهيد على
ما يفعلون) أي مجاز عليه فالشهادة أريد نتيجتها وهي المجازاة (ولكل أمة) من الأمم (رسول) يبعث
إليهم ليدعوهم إلى الحق (فاذا جاء رسوله) بالبينات فكذبوه (قضى بينهم) بين الرسول ومكذبيه (بالقسط)
بالعدل فأخرجنا رسلنا وأهلكنا المكذبين (وهم لا يظلمون) والنجاة والهلاك في الدنيا وهو معلوم وفي الآخرة
بأن يشهد الرسول عليهم بالكفر والإيمان فيقضى بالعقاب والثواب كما قضى بالهلاك والنصر في الدنيا (ويقولون)
استبعادا لهذا الوعد واستهزاء به (متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) يا أيها النبي ويا أيها المؤمنون (قل لا
أملك لنفسي ضرا ولا نفعا) فكيف أملك لكم فأستجمل في جلب العذاب إليكم (إلا ما شاء الله) أي ما شاء
الله من ذلك كأن (لكل أمة أجل) مضروب هلاكهم (إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)
لا يأخرون ولا يتقدمون فلا تستجملوا فيجىء وقتكم وينجز وعدهم (قل) يا محمد لأهمل مكة (أرايتم) أي
أخبروني (إن أتاكم عذابي) الذي تستجملون به (بياتا) ليلا (أونهارا) وأتم في طلب معاشكم (ماذا
يستجمل منه المجرمون) أي أي شيء من العذاب يستجملونه وكله مكروه لا يلائم الاستجمل . وهذه الجلة
الاستفهامية جواب إن . والجلة الشرطية كلها متعلقة بأرايتم أي أخبروني أي شيء تستجملون من العذاب
إن نزل بكم وكله مكروه لا يلائم الاستجمل (أ) تستجملون العذاب (ثم إذا ما وقع) عليكم ونزل بكم (آمنت
به) أي آمنت بالله وقت نزول العذاب وهو وقت اليأس كما سيأتي في هذه السورة من إيمان فرعون وقد
أدركه الفرق وقبل لكم (الآن) أي أحيين وقع العذاب تؤمنون (وقد كنتم به تستجملون) تكذبا
واستهزاء كما قيل لفرعون فيما سيأتي - الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين - فانظر كيف ذكر هذا
هنا ليطبق عليه قصة فرعون حتى يعتبروا ويصدقوا أن الإيمان يجب أن يكون وقت القوة والامكان لا وقت
اليأس ثم عطف على قيل المقتدة (ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد) الدوام (هل تجزون إلا بما
كنتم تكسبون) من الشرك والتكذيب (ويستنبئونك) ويستنجزونك فيقولون انكرا واستهزاء (أحق
هو) أي ما جئت به من وعد وقرآن ونبوة تقوله بحجة أم باطل تهزأ به (قل أي وربي انه الحق) نعم وربي
إن العذاب لكائن وإي من لوازم القسم ولذلك يوصل بواو في التصديق فيقال أي والله ولا يقال أي وحده
ومنه ﴿ايوه﴾ محذول أي والله (وما أنتم بمعجزين) بفاتين العذاب (ولو أن لكل نفس ظلمت) بالشرك
أو بالعتى على حقوق الناس أو حقوق الله تعالى (ما في الأرض) من المعادن والأنهار والخزائن (لافتدت به)
لجعله فدية لها من العذاب فإن ما يملكه يقصده نفع نفسه (وأسرؤا) فعل أسر يستعمل لاختفاء الشيء ولاظهاره
فهو من الأضداد وهو هنا بمعنى أظهروا (الندامة لما رأوا العذاب) لأنهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من
فظاعة الأمر فلم يقدروا على السكتمان (وقضى بينهم بالقسط) أي وحكم بالعدل بين المؤمن والكافر والزوراء
والمروسين والظالمين والمظلومين من الكفار (وهم لا يظلمون) فيخفف من عذاب المظلوم ويشدد في عذاب

الظالم وقوله - ولو أن لكل نفس ظامت ما في الأرض - لوفيه حرف امتناع لامتناع وانما امتنع ذلك لأن الملك لله فمن أين يأخذ الكافر الفداء وهذا قوله (ألا إن لله ما في السموات والأرض) وقوله (ألا إن وعد الله) أي ما وعد الله به على لسان نبيه ﷺ من ثواب، وثقالب (حق) والحق أكثر الناس لا يسمون - إلا ناهرا من الحياة الدنيا (مريحي ويميت) هو القادر على الأحياء والاماتة (والله ترجعون) وإلى حسابه وجزائه مرجعكم فيخاف ويرجى (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) الموعظة ما يدعو إلى الصلاح طريق الرغبة والرغبة . وشفاء الصدور خلاصتها من الشكوك وسوء الاعتقاد . فالعنى إذن قد جاءكم كتاب جمع الحكمة العملية التي تبين محاسن الأخلاق ومقاييسها والحكمة العلمية التي تشفي الصدور من الجهالة والشك ثم قال - وهدى - إلى الحق واليقين - ورحمة للمؤمنين - لأنهم نجوا به من الضلال في الأخلاق وسوء الاعتقاد (قل) يا محمد (بفضل الله وبرحمته فليفرحوا) إن فرحوا بشئ (فبذلك فليفرحوا) والفاء في قوله - فليفرحوا - زائدة نظيرها في قول الشاعر

* فإذا هلكت فعند ذلك فاجزى *

وكرر ذلك للتأكيد أي ليفرح المؤمنون بفضل الله ورحمته أي ما آتاهم الله من المواعظ وشفاء الصدور ونيل اليقين بالإيمان وسكون النفس إليه وهذا يقرب من قول قتادة ﴿ فضل الله الإسلام ورحمته القرآن ﴾ وقول غيره ﴿ فضل الله القرآن ورحمته السنن ﴾ وقول أبي سعيد الخدري ﴿ فضل الله القرآن ورحمته أن جعلنا من أهله ﴾

وهذه الأقوال كلها متقاربة ترجع إلى أن العلوم والمعارف علمية أو عملية خير من الأمور المادية وهذا هو قوله (هو خير مما يجمعون) من حطام الدنيا فانها سريعة الزوال . واعلم أن المعارف هي مصادر المال فالعلوم مقدمة على الأعمال . ولذلك قيل ﴿ نية المرء خير من عمله ﴾ والنية من نتائج العلم والعمل نتيجة النية . وقد ظهر في هذا الزمان بأجل مظهر أن الأمم المتعلمة تغلب على الجاهلة فأصبح العلم مصدرا للقوة والمال . فالعلم يرقى العقول ويصلح الأحوال ويحبب الأموال . فأما جلب الأموال بالطرق العقيمة فانه يضعف الوقت ولا يرفع النفس إلى معالي الأخلاق . فأما العلم واقتناؤه فان صاحبه يعرف من ضروب الأسباب ما يسعده ويسعد أمته بأدنى عمل كعلم الكهرباء فان استعمالها في انارة البيوت وجرى المركبات أراح الإنسان من عناء المشى والحيوان من تعب السكت . فلهذا درر العلم فانه راحة للجسام وسعادة للقلوب فبالعلم فليفرح العلمون وبالنعم الدنيوية فليفرحوا لا باعتبارها أنفسها بل باعتبار أن الله أنعم بها أي فليفرحوا بفضل الله على العبد لابتغى النعم فمن أنعم الله عليه بولد أو مال أو ذكر فليمكن فرحه بأنه صدر من الله وأن الله تفضل به عليه لابتغى النعم لأنها زائلة خسيسة واللذات الخسيسة صائرة للزوال . فأما العلوم والمعارف والفضل الإلهي في ذلك وفي النعم المادية فهو الذي يفرح به العبد . وإذا كان القرآن شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين وبه وبأمثاله من فضل الله ورحمته يفرح المؤمنون فكيف جعلتم مما رزقكم الله حلالا وحراما فخرتم على أنفسكم في الجاهلية شيئا وحلتم آخر كما تقتم في سورة الأنعام إذ قالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا إلى آخر ما تقدم شرحه هناك وكنتم تحريم السائبة والبيطرة والوصيلة والحام فكيف تفعلون ذلك ولا ترجعون في التحريم والتحليل إلى ما نزل في القرآن الذي هو شفاء الخ وهذا قوله تعالى (قل أرأيتم) أخبروني (ما أنزل الله لكم من رزق) أي أي شئ من رزق وضرع خلق الله لكم بأنزال الماء من السماء وضوء الشمس والحاحه على الأرض وانبات النبات وخلق الحيوان ونامائهما (فجعلتم منه) أي من ذلك الرزق (حراما وحلالا) كما تقدم (قل) يا محمد (آله أذن لكم) أي أخبروني - آله أذن لكم - في التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بآذنه (أم على الله تفترون) أم أنتم تكذبون على الله في

نسبة ذلك إليه وقوله - ما أنزل - ما استفهامية العامل فيها أنزل وكرر - قل - للتأكيد . ولما كان الافتراء على الله عظيماً أردفه بقوله (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب) أي أي شيء ظنهم (يوم القيامة) يحسبون أنهم لا يحازون عليه . ويوم منصوب بالظن أي أي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهذا القول وعيد عظيم لأنه أهم أمره والاستفهام للتوبيخ والتقريع لمن يفتري على الله الكذب وليس تقريع الكاذبين وتوبيخهم إلا هدايتهم وإنارة السبل لغيرهم إذا لم يهتدوا فغذاب الله وتوبيخه وأمثالهما يقصد بها جميعها هدايتهم وإنارة سبلهم وهذا من جملة النعم فلذلك أعقبه بقوله (إن الله لنو فضل على الناس) ببغثة الرسل وإنزال الكتب وتبيان الحلال والحرام وتقريع الكاذبين كما في هذه الآية (ولكن أكثرهم لا يشكرون) هذه النعمة ولا يتبعون الهدى . ولما كان عموم الفضل من الله لا يتم إلا وهو عالم بجميع أحوال العباد ظاهرها وباطنها أعقبه بذلك فقال (وما تكون في شأن) أمر مهمم ويكون أيضاً معناه القصد فهو على الأول اسم وعلى الثاني مصدر (وماتلوه من قرآن) أي ومارتلوه من أجل الشأن قرآناً (ولا تعملون) أيها الناس جميعاً (من عمل) أي عمل (إلا كنا عليكم شهوداً) شاهدين رقباء مطلعين عليه نحصى عليكم (إذ تفيضون فيه) تخوضون فيه وتندفعون من أفاض في الأمر إذا اندفع فيه (وما يعزب عن ربك) وما يعد عنه ولا يغيب عن علمه * وأصل العزوب البعد (من مثقال ذرة) وزن مثقال صغيرة حمراء وهي خفيفة الوزن جداً (في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك) يعني من الدرة (ولا أكبر) يعني منها (إلا في كتاب مبين) يعني في اللوح المحفوظ ولانافية للجنس وفي كتاب خبرها وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر (ألا إن أولياء الله) الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة (لا خوف عليهم) من حقوق مكروه في المستقبل (ولا هم يحزنون) على ما خلفوا من خلفهم فلا من المستقبل يخافون ولا على الفائت يحزنون ثم بين من هم فقال أعني أوهم (الذين آمنوا وكانوا يتقون) الشرك والمعاصي (لهم البشرى في الحياة الدنيا) بالذكر الحسن وثناء الناس عليهم وبمحببة الناس لهم وببشارة الله في القرآن بالجنة لهم وبالرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له . وبأن يرى الولي عند النزع مكانه في الجنة وبزول الملائكة بالمشارة من الله عند الموت لهم فهذه البشارات الستة واردة في كتب التفسير وبعضها في الحديث وسيأتي إيضاح هذا المقام (وفي الآخرة) هي الجنة وأن تتلقاهم الملائكة مسالمين مبشرين بالفوز والكرامة وهذا بيان لتوليه إياهم (لا تبدل لكلمات الله) أي ولا تغير لأقواله ولا اخلاف لمواعيده ومنها ما وعده أوليائه وأهل طاعته في كتابه وعلى ألسنة رسله (ذلك) أي كونهم مبشرين في الدارين (هو الفوز العظيم) أي النجاة الوافرة فازوا بالجنة وما فيها ونجوا من النار وما فيها . وهاتان الجملتان اعتراض لتحقيق المبشرين وليس من شرط الاعتراض أن يقع بعده كلام يتصل بما قبله . واعلم أن الولي هو الذي إذا روى يذكر الله وهو المؤمن التقي وهو الذي يحب جلال الله لا مال ولا جاه وهو الذي يذكر الله بذكره ويذكر إذا ذكر الله وهو من الولاء وهو القرب والنصرة فهو يتقرب لله بكل ما افترض عليه وهو مشغل القلب بالله مستغرق في معرفة نور جلاله ولا يرى بقلبه غير الله . ولا جرم أن هذه الصفات انصف بها الأنبياء ومنهم سيدنا محمد ﷺ وإذا كان الولي لا يخاف إذا خاف الناس ولا يحزن إذا حزنوا فالأنبياء أولى ولذلك قال (ولا يحزنك قولهم) أي تسكديهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وإبطال أمرك . وكيف يحزن وأنت ولي الله كما في آية أخرى - إن ولي الله الذي أنزل الكتاب وهو يتولى الصالحين - وإذا كان العبد كذلك فلا يخاف من شيء ولا يحزن على شيء لو توفقه برحمة الله في السراء والضراء صحح أو مرض حيي أو مات . وكيف يحزن والحياة والموت عنده سياتن كما في آية - قل هل تر بصون بنا إلا إحدى الحسنيين - فجعل النصر والقتل حسنيين فالقتل في الجهاد حسني والنصر حسني . ولعمري كيف يحزن من يرى النصر والملك يساويان الموت وترك

لدينا وإذا كان الأمر كذلك فكيف به إذا كان الله وعده بالنصر وله العزة وحده فان عدم الحزن أحرى
فذلك أعقبه بقوله (إن العزة لله جميعا) كأنه يقول كيف تحزن من قولهم فان القلب والقهر والقدرة لله
جميعا وقد وعدك بالنصر فأنت ستعصر عليهم فعلمهم الحزن إذن وقوله (هو المميع) أى لأقوالهم (المليح)
أى بعزمهم فيكافئهم عليها وقوله (ولله من في السموات والأرض) أى من الملائكة والنقابين • وإذا كان
هؤلاء مملوكين لا يصلحون للرؤية فخيرهم من باب أولى وهذا استدلال على ما بعده وهو (وما يتبع الذين
يدعون من دون الله شركاء) وكيف يكونون شركاء وهم مملوكون (إن يتبعون إلا الذنق) أى إنما يتبعون
ظنهم أنهم شركاء (وان عدم إلا يخوضون) يكذبون فيما ينسبون إلى الله وقوله (هو الذى جعل لكم الليل
لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) أى مضى لتبصروا فيه • فطالب أرزاقكم ومكاسبكم • يقول العرب (أظلم
الليل وأبصر النهار) أى صار ذا ظلمة وذا ضياء (إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون) أى سمع اعتبار وتدبر
(قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه) تنزيها له عن اتخاذ الولد وتعجيب من كتمانهم الجاهلة • وكيف يكون له ولد
والولد إنما يكون (لأمرين) • أن ينفع أبويه في كبرهما وأن يكون بقاء لذكرهما بعد فناءهما والله (هو
الغنى) وإذا كان الولد لقوية ضعف الولد ولغناه من فقره وابتساف به من ذله فكيف يكون لله ولد وهو
غنى عن ذلك كله (له ما فى السموات وما فى الأرض) ملكا ولا يجتمع القوة مع الملك • وهاتان الحجتان
تدحضان أن له ولدا فلا حاجة لكم أيها الناس في ذلك وهذا قوله (إن عندكم من سلطان بهذا) أى ما عندكم
حجة بهذا القول فان الولد لمن افتقر إليه ولا فقر عندى والولد لا يكون مملوكا وأنا أملك السموات والأرض
ومن فيهن فكيف أملك ما ألد والملك والولادة لا يتجانسان فذلك ونجهم فقال (أقولون على الله ما لانعمون)
فهذا توبيخ وتقرير على اختلافهم وجهاتهم ولذلك رتب عليه قوله (قل إن الذين يفترون على الله الكذب)
باتخاذ الولد وإضافة الشريك إليه (لا يفلحون) لا يفوزون بالجنة ولا ينجون من النار لا فرائضهم (متاع قليل)
يقيمون بدرائسهم في الدنيا وهم كافرون (ثم ألينا مرجعهم) بالموت فيلقون الشقاء المؤبد (ثم نذيقهم
العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) أى بسبب كفرهم • انتهى التفسير اللفظي لهذا القسم

﴿ غرائب القرآن في سورة يونس وهود ويوسف بمناسبة قوله تعالى - قل من يرزقكم من السماء

والأرض - الى قوله تعالى - ذلكم الله فأنى تؤفكون - ﴾

جلّ الله وجلّ العلم والحكمة وعظمت المنة وظهر النور وبهر وتجلت الآلاء باهرة زاهرة

يارب هل نامت الأهم الإسلامية هذه القرون عن هذه البدائع القرآنية • يقول الله في أول سورة

يونس التي نحن بصدد الكلام عليها مملخصه

(١) ان الذى رباكم هو الذى خلق السموات والأرض

(٢) وهو الذى استوى على الملك

(٣) وهو الذى يدبر الأمر

ويقول هنا في مقابلة الأول - قل من يرزقكم من السماء والأرض - وفي مقابلة الثانى انه يملك أسماكم
وأبصاركم ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى - وهذه الأعمال من مقتضى الاستيلاء على الملك
وفي مقابلة الثالث - ومن يدبر الأمر -

ذكر هذه الأمور في أول السورة على هيئة الخبر وذكرها هنا على هيئة الاستفهام وذكر في ختاميهما
تدبير الأمر فالعناية متوجهة الى تدبير الأمر وهذا كقوله في سورة الطلاق - الله الذى خلق سبع سموات
ومن الأرض مثلهن ينزل الأمـر ينزل لتعلموا أن الله على كل شئ قدير • وأن الله قد أحاط بكل شئ
علما - • فالعناية موجهة في هذين المقامين الى التدبير العام والنظام • هذا مقام الشهود

فهذا هو المقام المحمود ومقام الشهود الذي جاء في سورة آل عمران - شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم - أنزلت يا الله القرآن وصرفت فيه من كل مثل وقلت في هذه السورة كما قلت في غيرها • يا عبادي ها أنا ذا أدبر الأمر من السماء الى الأرض فانظروا هذه المشاهد وزوروا هذه المعاهد أما أنا فقد عجت كل العجب من أم ينزل كتابها موجهها عنايته الى هذا المقام المحمود ومقام الشهود مقام العلم والحكمة مقام الحكماء الذين يقرؤن علوم هذه الدنيا فيها يعيشون وبها يوقنون وبها يخرجون الى العالم القدسي • ياليت شعري هل يعلم الناس بعدنا • هل يعالجون أن سياسة القرآن وان كانت متوجهة الى الدعوة الى الله قد تضمنت جميع مطالب الدنيا فانه يستحيل علينا أن نشهد هذا التدبير والنظام إلا بعد دراسته ومتى درسناه قام فريق منا فاختص بالمقام المحمود مقام الشهود فخرجت روحه الى المقام الأقدس وهذا كقوله في سورة البقرة - لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة - لجميع العلوم الكونية مبدؤها النظام النبوي ونهايتها الرقي العقلي وشهود التدبير • والى أحد الله وأشكره أن هيا الأسباب وأعد العدد لهذا المقام بهذا التفسير فهو ان شاء الله كاف لمن قرأه وأجله وفهمه يهديه الى مقام الشهود وبه يكون من أولى العلم الذين هم معطوفون على الملائكة الذين يشهدون الوحدة سارية في هذا العلم مع العدل والقيام بالقسط • ولهذا أمثاله يقول الله تعالى - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون - هذا مقام العلماء والحكماء والأولياء • هذا مقام الحد ومقام الصديقين وسيكتفون في هذه لأمة عما قريب هذا ما تجل في نفسى اليوم صباح السبت السادس من شهر أغسطس سنة ١٩٢٧ (أما سورة هود) فلقد تجلى فيها ما ستره هناك من العجب • فستجد هناك من آيات الله الباهرة التي لم تعرف حق معرفتها إلا في زماننا وستشهد هناك مشهدا يهرك وترى نور الله مشرقا على الحيوانات وتذكر منها ما لم يكن ليخطر ببال حكم من أكابر الحكماء فينا ترى حيوانا أمامك له لون أو شكل فتمر عليه بلا فكير اذا بك أمام مشهد إلهي باهر عجيب • أتدري لم هذا • هذا لأن الله ذكر في أول السورة أنه مامن دابة في الأرض إلا عليه رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها • ثم بعد آيات كثيرة جاءت قصة هود وأعاد السكرة على مسألة الحيوان فقال - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها - إذن يعلم العقلاء أن هنا سرا يجب التنبه له • فكما كان السر في سورة يونس تدبير الأمر العام • هكذا كان السر في سورة هود تدبير أهم الأمور في الأرض وهو عالم الحيوان • ولعله لذلك سميت السورة بهود لأن أهم ما فيها انما هو الأخذ بناصية الحيوان المذكورة في قصة هود • يرشدنا الله بعنايته بتدبير الأمر واعادة ذكره وبنظام الحيوان وكلامه الى أن القرآن أنزل لمثل هذا أنزل القرآن لأقوام يعلمون هذه النعم ويفكرون في التدبير المحكم العام نارة والخص أخرى • أملا نعجب معي يا صاح كيف نام المساكين وهم يقرؤن القرآن ويدرسون التفاسير أين كانت عقول المتأخرين • اللهم إني قد نصحت وأذيت ما على • اللهم فاشهد فانه لا عذر للمسلمين بعد ما كتبت في هذا التفسير ولا عذر لمن عرف هذا ولم يصرف حياته في نشر هذه الفكرة في أمم الاسلام

أما سورة يوسف فقد جاء في أولها - تلك آيات الكتاب المبين - ثم أعاد ذكر الآيات قبيل أواخر السورة فقال - وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون - يقول ليست قصة يوسف ولا غيرها هي كل الآيات • ان أهل الأرض مغمورون في الآيات تحيط بهم من كل جانب ولكنهم عنها معرضون • إذن سورة يوسف عنايتها بالنظام العام • وسورة هود عنايتها بنظام الحيوان وسورة يوسف وجهتها أن التدبير العام والتدبير الخاص كلاهما دلالات دلى الله وهي كثيرة جدا حتى ذكرها بلفظ - كأين -

﴿ مقاصد قصص القرآن ﴾

اعلم أن قصص الأنبياء أشبه بأشجار ذات فروع وأوراق وأزهار . فاجتهلوا يكتفون منها بشواهرها والحكماء والعلماء ينتقون ثمراتها . فترى سفار العلم يبحثون في الآثار وفي كتب التاريخ يقول أحدهم أين قوم عاد . أين آثار نوح . وهل نجد في آثار المصريين ذكر يوسف . وهل حقيقة كان يوسف وزيراً للمالية وديراً لأمور . فبينما هؤلاء يضيعون أوقاتهم في ذلك عسى أن يعثروا على ضالّتهم المنسودة فيؤمنوا إذا بالطائفة الحكيمة تعرض عن هذا وتقول هذه أشجار وأزهار جاءت لمواعظنا نحن آمنّا بها والايمن لن يكفينّا فلا بد من اليقين وأين هو اليقين ثم يجلسون ذلك اليقين في ثيابا القمص إذ يقول هود إن كل دابة أخذ الله بناصيتها وفي يوسف أن قصته ليست هي كل شيء فالدينا كلها آيات فاليعقوب والرفي في الدنيا والآخرة إنما يكون بالنوحيه للمقاصد والثمرات لا للأغصان والزهرات ولذلك ختم سورة يوسف بأن في قصصهم عبرة لأولي الألباب إشارة إلى أن الناس ﴿ قسما ﴾ قوم أولو الألباب . وقوم أولو قشور . فأولو الألباب يعمدون إلى لب هذه القصص وأهل القشور يرجعون إلى قشور العلوم كعلم الآثار في المتاحف أو في نواويس قدماء الأمم عسى أن يعثروا على تصديق هذه

كل له غرض يسمى ليسدركه * والحرّ يجعل ادراك العلا غرضاً

﴿ للتدبير ثمرتان ثمرة علمية وثمره عملية ﴾

إن تدبير الأمر الذي ذكره الله هنا وفي آيات أخرى قد ظهر لك أيها الذي ظهر على قدر الطاقة الانسانية وقد رجع إلى نظام هذه الدنيا وحسن اتقانها وعجائنها ومن نال هذا الحظ في هذه الدنيا فإنه يختلس له أوقافاً يلحظ فيها جمالا لا يعقله الغافلون فيسلخ من هموم هذه الدنيا انسلخاً موقتا . وهذا الانسلخ يقرب من السعادة ويبعد من شقاوة المادّة . وهذا هو المعنى فيما ورد ﴿ إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة يارسول الله قال مجالس الذكر ﴾ ولما نبحت الآن في صحة سند الحديث وإنما معناه صحيح لأن الدين أدركوا معنى هذه الدنيا يتخلصون من ذل الحياة وأسر المادّة في بعض أوقاتهم وهذا هو الذي يشير له الحديث ﴿ أرحنا يا بلال بالصلاة ﴾ واليه الإشارة في قوله تعالى - قلنا يا نازك كوني بردا وسلاما على إبراهيم - فأقال هموم الحياة فيها آلام قد تصير أشد من ألم النار بل كثيرا ما يحرق الإنسان نفسه في أيامنا هذه تخلصا من هموم هذه الحياة . إذن هموم حياتنا قد تعادل النار وقد تكون أشد منها . وكما ورد من الأخبار في هذه السنة عن قوم أحرقوا أنفسهم وأنا نفسي أعرف رجلا بعينه في قرية (المرج) بالقرب من القاهرة عانت منذ شهرين أنه تخلص من آلامه المرضية بإيقاد النار في جسمه فبات محترقا بالنار تخلصا من نار المرض الشديد . فإذا جعل الله النار المحسوسة على إبراهيم بردا وسلاما فهو يجعل نار الحياة التي تشبهها أو تزيد عليها بردا وسلاما أيضا وذلك باهتمام النفس بالعلوم العامة الداخلة في قوله - يدبر الأمر - ﴿ ضرب مثل لهذا المقام وهو الاستلذاذ بمشاهدة التدبير ﴾

اعلم أن جميع العلماء الذين أغرموا بعلم خاص كالطب والهندسة والعلوم اللغة وكلهم الحيوان . وهكذا يحسون براحة من هموم الحياة في الوقت الذي يحسرون همومهم في عالمهم ويحسون بلدة . فهناك ﴿ أمران ﴾ نسيان هموم الحياة في لحظة الاشتغال بالعلم ولذة نفس هذا العلم . فإذا كان هذا في علم جزئي فما بالك بمن نظره في هذا النظام العام كما هو مذكور خلال هذا التفسير . لاجرم إن هذه الطاقة لها لذة أعلى من لذات غيرها ثم يعقبها آلام الحياة المعتادة وهكذا . فهذه هي الثمرة العلمية للعلم بالتدبير العام

﴿ الثمرة العملية لذلك التدبير ﴾

أما الثمرة العملية فاعلم أن التدبير كلما كان أتم كانت الوحدة أقوى وأكمل وكلما كان التدبير أنقص

كانت الوحدة أضعف . ولعلك تقول هذا لغز فما معنى ضعف الوحدة وما قوتها أقول . اعلم أن الأمم التي فوق هذه الأرض ونهش معها من أمم الشرق والغرب ﴿ قسمان ﴾ أمم تعامت وعقلت فقامت بالعدل في أمور الحياة واتصفت بصفات الانسانية فهذه يكثر عددها كأهم الألمان والitalians وهكذا الولايات المتحدة فهذه الأمم عظمت وقويت وحدتها وهذه الوحدة لم تتم لها إلا بنظام وتديير . ولولا حسن التدبير والتعقل ما اجتمعوا فالاجتماع نتيجة حسن التدبير والنظام . فأما الأمم الجاهلة فهي التي يقل فيها حسن التدبير فتتفرق شيعا ويدوق بعضها بأس بعض . فالأعراب في البوادي والأمم الجاهلة نراهم متفرقين يحارب بعضهم بعضا . واعلم أننا في زماننا نرى الأمة العظيمة الواسعة الأكناف الكثيرة العدد تسطو على التي قل عددها وكأن الله بذلك يذكرنا بأنكم أيها الناس مادتم غير عاملين بنظامي غافلين عن حكمتي في تدبيرى فأنكم مغلوبون على أمركم . ألا ترون أنكم لما قل عددكم سلطت عليكم من هم أكثر جمعاً لأنهم غالباً ما أكثر جمعهم إلا أصلات بينهم وحكومات تقضى بالحق في مشكلاتهم . فأما المتعابذون المتشاكسون فاني أسلط عليهم الأقوياء الذين قلدوني في عملي . اننى دبرت هذه الدنيا وجعلتها عالماً واحداً ولذلك تراه متصلاً غير منفصل يستمد بعضه من بعض والناس لما عجزوا عن تقليدى في صنعتى عذبتهن على مقدار هذا العجز ولو أنهم قلدوني في تدبيرى لسكانوا أوفر جمعاً غفاف عددهم منهم لوحدهم القوية المستمدة من وحدانيتى هذا ما فهمته من قوله تعالى - ومن يدير الأمر - في هذه الآيات وملخص هذا كله أمران ﴿ الأمر الأول ﴾ أن الناظر في هذا العالم الذى درسه يكون له أوقات يلمح فيها جناب القدس وينال بهجة لا يعرفها سواه ﴿ الأمر الثانى ﴾ أن الأمم التي هي أتم نظاماً تكون أوفر عدداً والعكس بالعكس ويكون العز غالباً لكثرة العدد المنظم وأولقوة الجماعة الثامة والنل لمن ليس كذلك

﴿ كيف يشهد الناس التدبير في هذا النظام ﴾

اعلم أننا مادمننا في هذه الأرض فاننا لانشاهد صانع هذا العالم بحواسنا كالسمع والبصر الخ لأن هذه لا تدرك إلا الأجسام وانما تدرك آثاره في نظامه وتدييره وتتهيج ويكون ذلك سمادة مجعولة في الدنيا وهي أرقى السعادات لأنها خاصة النفس الانسانية . فاذا انسجنا من هذه الأجسام إما بالموت وإما بالرياضات . فقد نرى فوق ما يراه الناس في الأرض ولسكن لانشاهد الله عز وجل قط إلا اذا خلصت أرواحنا من كل ما يلازمها من عوائق الكمال فانها بعد الموت مادامت ملطخة بالآثام فانها تكون أشبه بالمادية ولا تزال ترتقى في الصفاء طبقاً عن طبق حتى تصير روحاً خالصة أشبه بالملائكة فتعابن الله

ولما كان الانسان في هذه الأرض على هذه الحال ذكر في المرتبة الثالثة في قوله - شهد الله أنه لا إله الا هو والملائكة وأولو العلم - فأولو العلم في الأرض يشهدون آثار النظام والملائكة يشهدون مشاهد أرقى ولا يعلم الله حق معرفته الا الله تعالى وليس كلامنا في الأنبياء فهذه طبقة لها مقام لسنا من أهلها حتى نخوض فيه . انتهى

﴿ لطيفة في قوله تعالى - ألا إن أولياء الله الخ - وتحقيق هذا المقام ﴾

اعلم أن قوله تعالى - وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة - متصل بقوله تعالى - وما تبع الذين يدعون من دون الله شركاء - فأما ما بينهما وهو قوله تعالى - إن الله لنوفض على الناس - وما اتصل به من ذكر أن الله مطلع علينا حين نندفع في شؤوننا وحين اتلو القرآن لأجل تلك الشؤون لنعمل بمقتضاها وحين نعمل أى عمل وأن الله عز وجل لا يغيب عنه شئ صغير أو كبير وذكر الأولياء وأنهم لا خوف عليهم الخ وذكر صفاتهم وأمر النبي ﷺ ألا يحزنون وبذلك يره بأن العزة لله جميعاً وذكر أن لله مافى السموات ومافى الأرض فهذا كله كدسات لقوله - وما ينبغ الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الطائ - لتأييد قوله

أولاً - وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة - وأعم أن عادة القرآن أن يدخل في غشونه من المصالح والمعارف والحكم ما يطلع له قلوب المستعبرين فيها تراءى ثبت علم الشريك وخطأ الكافرين تراءى بآتي لك بالعجب العجيب من عموم علمه وأسرأوليائه وكان حكاية الكفار كانت سبباً في ادخال هذه الحكمة الخفية الخفية

واعلم أن مدار المقال في هذا المقام على عموم علم الله لكل صغيرة وكبيرة وأولاً الله تعالى هم الذين تقدم تعرفهم بأنهم المتحابون في الله كما في حديث مسلم (يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة أين المتحابون بحال اليوم أظاهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي) وفي رواية الترمذي (لهم منابر من نور يفرطهم النبيون والشهداء) وفي رواية (يحمل لهم منابر من أنوار مقام الرحمن يفرغ الناس ولا يزعجون ولا يخافون) وتقدم أيضاً تعرفهم أنهم يذكرون بذكر الله ويذكر الله بذكرهم فقد روى أن النبي ﷺ قال (قال الله تبارك وتعالى إن أوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكرى وأذكر بذكرهم) وهذا ذكره بغوري بعير سند

فهؤلاء الأولياء لا يخافون ولا يحزنون . واعلم أن في الآية معنى القرب وليس القرب من الله بالمكان وإنما القرب له بالعلم . فإذا علم العبد أن الله سبحانه هو الذي نظم هذه الكائنات وأحاط بها علماً وربط العالم العلوي بالسفلي بحيث جعل ضوء الشمس والقمر والكواكب نافعاً لزعمنا ولنا وللحيوان وجعل حركات تلك الأجرام معقدة لنا وهادية بحيث نعرف بها أوقاننا وسير سفننا في البحر بمواقع النجوم وكان هذا العالم كله جسم واحد فشكل حركة وسكون معلومة عنده جعلت لمصلحة حتى أدنى حركة من كوكب وهذه الأرض التي نحن عليها ومن هم فوقها مرتبطون بالعالم الأخرى ارتباطاً لا انفكاك له

فإذا عرف العبد هذا وأيقن به لم زاد ذلك الايقان بما يرى من الأدلة والبراهين الدالة على علم الله تعالى بكل صغيرة وكبيرة فانه لا يخاف ولا يحزن وقد قال الله تعالى في آية أخرى - إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم - فهذه الآية تشير إلى أن العبد متى أيقن أن الله يعلم كل شيء وقد كتبه في النوح المحفوظ فانه لا يحزن ولا يفرح لأنه يعلم أن ذلك لابد منه وأن الله يفعل لمصلحة العبد ولا يظلم أحداً وأن العبد إذن لا تقصير عنده لأن القدر غالبه فالمدار على ايقان العبد بأن الله يعلم كل شيء وهذا اليقين عزيز الوجود وإنما الذي في القلوب إنما هو الايمان والايمان أقل من اليقين

ولما كان المقام مقام العلم وعمومه لكل شيء أتبعه بذكر الأولياء للإشارة إلى أن ولايتهم امتدادات من جهة اقترابهم بالعلم . ومن يجب أن يذكر في الحديث (الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له) فمن عبادة بن الصامت قال سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى - لم البشرى في الحياة الدنيا - قال هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له (أخرجه الترمذي) وفي البخاري عن أبي هريرة قال قال ﷺ لم يبق بعدى من النبوة إلا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة (وفي البخاري أيضاً أن رسول الله ﷺ قال (رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة) وروى مسلم (وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً) والرؤيا ثلاث الرؤيا الصالحة بشرى من الله . ورؤيا تحزين من الشيطان . ورؤيا مما يحدث المرء نفسه)

قال العلماء إن ولي الله لاستغراق همه في جلال الله يكون عند النوم مشغول القلب بالله فلا يرى إلا صدقا * ويقال إنما كانت جزءاً من ستة وأربعين لأن مدة الرحي ٣٣ سنة وكان في ستة منها يؤمر في النوم بالانذار وستة أشهر من ثلاث وعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزءاً

أقول إن في ذكر الرؤيا هنا إشارة إلى أمر أعجب وعلم أحكم فإن الناس كما قاله بعضهم لم يصدقوا الأنبياء إلا لما ركز في نفوسهم من أن فيهم من يرى بعض رؤى صادقة تقع كما رؤيت فلذلك جوزوا أن يكون من

الناس من يطالع على المغيبات الدينية كالأنبياء . وأيضاً أن الانسان اذا رأى رؤيا ووقعت كما هي وكان قد رآها قبل وقوعها فان ذلك دليل أن الله تعالى يعلم كل شيء قبل حصوله . واذا كان العبد قد علم ذلك قبلها بزمن يسيراً فأنه يعلمه قبل خلق الانسان فعليه تسكون الرؤيا الصادقة من الدلائل عند الناس أن الله يعلم كل شيء قبل حصوله والايمان لا يكفي لذلك لأن الايمان لا يعطى الناس اليقين وانما الايقان بأحوال أخرى فوق الايمان فاعجب لذكر أولياء الله بعد ذكر علم الله وكيف كانت الولاية هي القربى والقربى انما تكون بالعلم ومن زاد علمه بهذا العالم ونظامه وأيقن بانتظامه ورأى تناسق العوالم العالوية والسفلية وارتباط بعضها ببعض وأن حركات الكواكب لها اتصال تام بعالمنا ونظامه وهذا النظام أشبه بما في الصلاة من الدعاء بالهداية العامة إذ يقول المصلي - اهدنا الصراط - ولا يقول اهدني وحدي . ويقول إن الحمد لله لأنه ربى العوالم كلها . ويقول إن التعظيمات كلها لله ويلقى نظرة على النبوّة العامة وعلى الناس الصالحين كأنهم شخص واحد تصلهم السلامة من الله الذي يسلم عليهم يوم القيامة . أقول فن ينظر للعوالم وهي مرتبطة ارتباطاً محكما ولازمة كلها وارتباطها في دعاء المسلم وانهم جميعاً متضامنون متحابون يدعو آخرهم لأتوهم ويعلم أولهم آخرهم كما ارتبطت العوالم كلها ببعضها فانه يعتريه الدهش من نظام بدیع وثيق ويحار له لاسيما اذا لاحظ تأاني الأنوار المشعة في نواحي هذا العالم وحسابها الدقيق البديع فانه يخرّ ساجداً لتلك العظمة ويجب ذلك الجبال ويبحث في العوالم على ضالته المنشودة ويرى أن بعينه أن يقف على ذلك السرّ المصون وأن العالم بحكم واحد تدبره ذات واحدة لا يعزب عنها صغير ولا كبير من أموره ثم اذا ازداد هذا الرأي عنده فعرف أنه لا يفعل إلا المصلحة لئلا يخلو نفسه وأن الخير والشرّ الجارين على كل مخلوق انما جعل لأكملها . واذا تأكد عنده أن الله يعلم كل شيء وهو المحرك لكل شيء فانه لا محالة يزول عنه الخوف والحزن فلا يخاف من مستقبل لأنه يرى الله الرحيم هو الذي يتولاه كما تولى كل حيوان ونبات ولا يحزن على ماض لأنه يعلم أنه لا يفعل له فكيف يندم على ما لاقدرة له عليه . واعلم أن الناس وإن كانوا مؤمنين لا يزال يساورهم الوسواس ويقولون لو فعلنا كذا لحصل كذا ويخافون من أحوال آتية في الحياة وبعد الموت وذلك لعدم تقهّمهم بأن الله مطلع على الصغيرة والكبيرة ولوعلموا ذلك مع علمهم أنه أرحم من الأمّ ما هلت قلوبهم ولا جرت نفوسهم ولكنهم إلا قليلاً منهم لا يعلمون ذلك فكانت الرؤيا التي وردت في البخاري ومسلم أنها من المبشرات نافعة أيضاً في ايقان الناس بأن الله يعلم الأشياء قبل حصولها فيستيقظون لذلك العلم ويفتح لهم باب المعرفة فيرون الله مطلعاً على العباد ولا يعزب عنه مثقال ذرة فيقل الحزن والخوف

واعلم أن الأولياء والأنبياء والعلماء والأكابر والحكماء جميعاً يخافون ويحزنون ولكن الخوف والحزن عندهم جزئى لا كلى لأنهم يعتقدون نهاية كل شيء وأن الله هو الخالق فيفترضون الأمر إليه . وأيضاً اذا جدّ العبد واجتهد وفعل كل ماوجب عليه ثم نزل المقدور فخره يكون ضئيلاً بالنسبة لحزن الجهلاء الذين قصر نظرهم . هذه هي الحال العامة في سائر الأولياء والأنبياء فجميعهم هذه حالهم على سبيل الاجمال وهناك حال خاصة (ذلك) أن العبد اذا استغرق في معرفة الله بحيث لا يخطر بباله في تلك اللحظة شيء مما سوى الله ففي هذه الساعة تحصل الولاية الثامة وصاحبها لا يخاف شيئاً ولا يحزن بسبب شيء . وكيف يعقل ذلك والخوف والحزن لا يحصلان إلا بعد الشعور بالشيء . والمستغرق في نور جلال الله غافل عن كل ما سوى الله فيمتنع أن يكون له خوف وحزن وهذه درجة عالية والناس في كل وقت يشاهدون من هو مغرم بمشوقه حتى ينسى ماله وولده . ومن هو مغرم بقتال عدوه فينسى ولده وماله وقت الانهماك في القتال . ومن هو مستغرق الهمة في شؤون أخرى وكلهم على هذا المنوال وهذه حال خاصة ليست دائمة . وكل هذا الذي ذكرناه في الدنيا . أما أحوال الناس في الآخرة فالأولياء والأنبياء هم الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فهذا

﴿ حكاية ﴾

عن ابراهيم الخواص أنه كان بالبادية رمعه واحد يصحبه فانفق في بعض الليالي ظهور حالة قوية وكشف تام له جلس في موضعه وجاءت السباع ووقفت بالقرب منه والمريد تسلق على رأس شجرة خوفا على نفسه منها والشيخ ما كان فزعا من تلك السباع فلما أصبح وزالت تلك الحالة ففي الليلة الثانية وقعت بعوضة على يده فأظهر الجزع من تلك البعوضة فقال المريد كيف تليق هذه الحال بما قبلها فقال الشيخ انما تحملنا الباردة ما تحملناه بسبب قوة الوارد الغيبي فلما زال ذلك الوارد فأنا أضعف خلق الله . وهذه الحكاية سواء أصدقت أم لم تصح رمز لحال جميع الناس أنهم ان ورد وارده عليهم أهمهم شغلهم ذلك الوارد فرب رجل تقطعه السيوف في الحرب وقد غاب شعوره من خوف أو ذهول وهنا في حب الله قد يغيب الشهور للحب أول مشاهدة جمال غالب في النفس . وعلى ذلك تفهم ما يتقنى به كثير من الناس من قول ابن الفارض

وبما شئت في هوائك اختبرني * فاختباري ما كان فيه رضاك

فإن هذا القول نقله صاحب الاحياء الذي كان قبل ابن الفارض بأكثر من قرن عن بعض الصوفية وقال ان قائله أصيب بحصر البول ثلاثة أيام فاضطر أن يجمع الأطفال ويقول لهم قولوا فلان كذاب فلان كذاب ثم عفا الله عنه وشفى . والحاصل أن الناس في الدنيا أقسام (١) منهم من يرى أن العالم ماذى لا عقل فيه وكل ما فيه انما هو مصادفات وحق وخزن . وهؤلاء يحزنون ويخافون

(٢) مؤمنون بالله ولكن هؤلاء في أكثر الأوقات غافلون عن أنه مطلع ومقدر لكل شيء فهؤلاء ربما قلّ الحزن والخوف عند التذكير ولكنهم في أكثر الأحوال مثل غير المتدينين يسرون على مقتضى العادة من الهلع والجزع

(٣) مؤمنون أتقياء صالحون وهؤلاء بتكرار ذكر الله والاعتبار يقلّ الحزن عندهم ولكن هذا ليس مطردا فيهم . ومنهم من تغلبه الحال فلا يخاف ولا يحزن إذ ذلك فإذا زالت تلك الحال رجع الى عادته (٤) مفكرون عرفوا أن الله مطلع على كل شيء ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء . وهؤلاء ربما يقل الحزن والخوف عندهم ولكن ذلك يعوزه أن يقف المرء بنفسه على أن الله يعلم كل ذرة ويكون ذلك نصب عينيه ببراهين لا تقبل الشك عنده ويقتنع بهوبها وهذا يكون أقرب الى السعادة فلا خوف ولا حزن عنده إلا قليلا وهذا هو المذكور في قوله تعالى - إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على شيء -

والحق أن الانسان لا يهدأ له بال إلا اذا أيقن وشاهد أن هذا العالم في يد الله وأنه المطلع على صغير الامور وكبرها وأنه لا يفعل إلا لمصلحة العبد وأن كل ما يفعله العبد أو ينتابه كان مقدرًا في الأزل . متى تم ذلك تمت سعادة المرء في الدنيا قبل الآخرة لأنه أصبح ولا حزن عليه ولا خوف . وكيف يخاف وهو يعتقد أن الله رحيم وأن ما أصابه من خير ليس من نفسه وما أصابه من شر ليس من نفسه وأن ذلك بالقضاء والقدر والله لا يتبدل أحكامه ومقدراته فانها كلها بقضاء الله ولا يتبدل لذلك القضاء وهذه راحة تامة نفسية . فاذا انضم لذلك أن يكون المرء متوكلا على الله حقا أي قائما بكل الواجبات وكل ما يجب عليه وقام في حياته على السنن المرسوم الطبيعي فقل هذا العبد سعيد اليوم وسعيد غدا فلا حزن اليوم ولا خوف ولا شقاء غدا . وإياك أن تظن أن التوكل على هذا النمط غير سائغ فلتعلم أن المتوكل ان لم يقم بكل ما ذكرته فهو مغرور وليس عتوكل انتهى القسم الرابع

(الْقِسْمُ الْخَامِسُ)

قِصَّةُ سَيِّدِنَا نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي
بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ
أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ * فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَسْأَلُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِن أُجِرَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمَرْتُ
أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ
وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَدَبِّرِينَ * ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا
إِلَى قَوْمِهِمْ نَجَاؤُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى
قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

اعلم أن الله لما ذكر في هذه السورة أمر الكفار وانهم لا يفلحون وأن العزة لله جميعاً وأن لكل أمة أجل
وأن العذاب آت وما أشبه ذلك من الوعيد تصريحاً وتلويحاً ناسب أن يذكر قصة لأن التاريخ أحكم في النفوس
وأوفى للعدل وأشد وقعاً وأعظم وعظماً فقال (واتل عليهم) يا محمد (نبأ نوح) خبره مع قومه (إذ قال
لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم) عظم عليكم وشق (مقامي) مكاني يعني نفسه كقوله تعالى - ولئن خاف مقام
ربه جنتان - أي خاف ربه أو مقامى أى مكثى بين أظهركم ألف سنة إلا خمسين عاماً (وتذكيري) إياكم
(بآيات الله فعلى الله توكلت) وثقت به (فأجمعوا أمركم) فاجتمعوا عليه من أجمع الأمر إذا نواه وعزم عليه
(وشركاءكم) الواو بمعنى مع أى اجمعوا أمركم مع شركائكم (ثم لا يكن أمركم) فى قصدى (عليكم غمة) أى
لا يكن قصديكم إلى إهلاك مستورا عليكم ولكن مكشوفاً مشهوراً تجاهرونى به * والغمة السترة من غمه
إذا ستره (ثم اقضوا إلي) ذلك الأمر الذى تريدون بى أى أدوا إلى ما هو حق عندكم من هلاكى كما يقضى
الرجل غريمه أو اضعوا ما أمكنكم (ولا تنظرون) ولا تهملون (فإن توليتم) فإن أعرضتم عن تذكيري
ونصحتي (فما سألتكم من أجر) من جعل يوجب توليتكم عن نصحتي ويستدعى الحزن على ما يفوتنى إذا
توليتم وإنما أذكركم لوجه الله وذلك أوقع فى النفس (إن أجرى إلا على الله) وهو الثواب الذى يثيبني به
فى الآخرة (وأمرت أن أكون من المسلمين) من المستسلمين لأوامره ونواهيه (فكذبوه) فداموا على
تكذيبه (فنجعلناه) من الفرق (ومن معه فى الفلك) أى السفينة * يقال إنهم كانوا ثمانين (وجعلناهم
خلائف) أى وجعلنا الذين معه فى الفلك سكان الأرض بعد الهالكين (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا)
بالطوفان وقوله (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) تحذير لمن كفر بالرسول ﷺ وتسليم له وقد تم هذا
فإنهم حلت بهم ما حل بقوم نوح فى الغزوات المتتابعات فأولئك أغرقوا وهؤلاء قتل منهم قوم والآخرون
أسلموا كما أسلم ذرية الذين قتلوا وتم الأمر وهو من عجائب القرآن بل هذه أهم معجزة فكيف يقول هذا
فى مكة ثم يصح الأمر ويتم النصر كما أنذرهم وهذا هو العجب العجيب (ثم بعثنا) أرسلنا (من بعده) من
بعد نوح (رسلاً إلى قومهم) كل رسول إلى قومه (نجأهم بالبينات) المعجزات الواضحة المثبتة لادعواهم (فما

كانوا ليؤمنوا) فما استفهام لهم أن يؤمنوا أشدة تمسكهم بالكفر (بما كذبوا به من قبل) أى بسبب تعودهم
تكذيب الحق وتجرحهم عليه حتى صار كالطبيعة فيهم . ثم قال مشى ذلك الطبع (نطبع) أى نغثم (على
قلوب المعتدين) أى المجاوزين الحد فى التكذيب . انتهى تفسير القسم الخامس

(الْقِسْمُ السَّادِسُ)

قِصَّةُ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ فِرْعَوْنَ

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا
قَوْمًا مُجْرِمِينَ * فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ * قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ
لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ * قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتِنَا عَمَّاهُ وَجَدْنَا عَلَيْكَ
آبَاءَنَا وَنَحْسَبُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءَ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ
أَتُتَوَنَّى بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقُوا مَا أُنْتُمْ مُلْقُونَ * فَلَمَّا
الْقُوا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ *
وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْغَافِرُونَ * فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى
خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالِي فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ *
وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ * فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ
تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ *
وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ الْقَوْمَ مِثْلًا بِيُوتَا وَأَجْمَلُوا يُؤْتِكُمْ قَبْلَةً وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ * وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا
حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا
يَعْلَمُونَ * وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا
أُذِرْكُمُ الرِّقُّ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ *
الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ
خَلَفَكَ آيَةً وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ * وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا
صِدْقٍ وَرَفَعْنَا مِنْهُمُ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ

الْقِيَامَةُ فِيْمَا كَانُوا فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَ *

(التفسير اللفظي)

قال تعالى (ثم بعثنا من بعدهم) من بعد هؤلاء الرسل (موسى وهرون الى فرعون ربائيه باياتنا) بالآيات التسع (فاستكبروا) عن اتباعهما (وكانوا قوما مجرمين) معتادين الاجرام واجترؤا على تكذيب الرسل لما انطبع في نفوسهم من الذنوب والقسوة . ثم أخذ يفصل ذلك فقال (فلما جاءهم الحق من عندنا) بتظاهر المعجزات الباهرة (قالوا ان هذا لسحر مبين) فائق في فنه واضح (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم) هذا استفهام الانكارى والمقول محذوف تقديره انه لسحر ثم قال (أسحر هذا) وهو استفهام آخر على سبيل انكارى يعنى انه ليس بسحر ثم احتج على صحة هذا بقوله (ولا يفلح الساحرون) يقول لو كان سحرا لاضمححل ولم يبطل سحر السحرة ولكنه لم يضمحل وأبطل سحر السحرة فهو إذن ليس بسحر وما لم تستقم دعواهم أنه سحر شرعوا يذمون دعوى أخرى إذ (قالوا أجبنا لثافتنا) لتصرفنا . والفت والفتل أخوان (عما وجدنا عليه آباءنا) من عبادة الأصنام (ونسكون لسكنا السكبرياء فى الأرض) أى الملك فى أرض مصر وسمى الملك كبرياء لأنه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا (وما نحن لسكنا بمؤمنين) بمصدقين (وقال فرعون إئتوني بكل ساحر عليم) حاذق فى السحر وذلك لمعارضة المعجزة التى أتى بها موسى (فأجابه السحرة) قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون * فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر) أى الذى جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا (ان الله سيذللهم) سيمحقه أو سيظهر بطلانه (ان الله لا يهتدى به السفسدين) لا يثبت ولا يقويه لأن السحر تمويه لاحقيقة له . وقد شرحت هذا الموضوع فى سورة البقرة فارجع اليه إن شئت (ويحق الله الحق) ويثبت (بكلماته) بأوامره وبوعده الصادق لموسى أنه يظهره أو بما سبق من قضائه وقدره لموسى أنه يغلب السحرة وأن الحق يعاود على الباطل ولو بعد حين (ولو كره المجرمون) ذلك (فأآمن موسى) فى مبدأ أمره (إلا ذرية من قومه) إلا طائفة من ذرارى بنى اسرائيل أى الأولاد من أولاد قومه لأنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون ولم يجبه إلا طائفة من أبنائهم مع الخوف كما هى العادة أن الشبان أسرع تقبول الدعوة الصالحة . أما الشيوخ فقد تصدبت فيهم الآراء القديمة ولبسوا ثوب المذلة ضافيا عليهم ولم يصل لذلك أبنائهم كما هو دأب الأمم كلها . فالشبان أول سابق للوطنية والسياسة وللانقلاب العام فقولهم (على خوف من فرعون وملئهم) أى أشراف آل فرعون (أن يفتنهم) أى أن يعذبهم فرعون وهو يدل منه . فهذا القول تبیان لحال كل دعوة دينية أو سياسية فى أول أمرها إذ يكون المتبعون من الشبان ومن الضعاف وهم خائفون وجاهلون من رجال السياسة والملوك وإنما أفرد الضمير الفاعل فى قوله - أن يفتنهم - للدلالة على أن الخوف من الملأ كان بسببه (وان فرعون لعال فى الأرض) فغالب فيها (وانه من المسرفين) فى الكبر والعتو حتى ادعى البرية . ولما كان الدعاة دائما يشجعون المدعويين ويثبتونهم على المبادئ الجديدة ورأى موسى شبان بنى اسرائيل خائفين وجلين أخذ يثبتهم ويقوى إيمانهم ويربهم أن الله هو مدبر الامور وأمرهم بالتوكل عليه فامتثلوا أمره وطلبوا من الله ألا يبتليهم بتعذيب الظالمين وأن ينجيهم برحمته من كيد القوم الكافرين ومن شؤم مشاهدتهم وهذا هو قوله (وقال موسى) الى قوله (ونجينا برحمتك من القوم الكافرين) وقوله (توكلوا) أى تقوا (مسلمين) مستسلمين لقضاء الله مخلصين له (فقالوا على الله توكلنا) لأنهم كانوا قوما محضين فاذلك قبل تركهم وأجاب دعاءهم إذ قالوا (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) موضع فتنة أى عذاب يعذبوننا أولا تعذبنا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على الحق ما عبدوا ويظنون أنهم خير منا فيقتنون بذلك (ونجينا برحمتك من القوم الكافرين) أى وخاصنا برحمتك من أيدى قوم فرعون الكافرين لأنهم كانوا يستعبدونهم ويستعبدونهم

في الأعمال الشاقة . ولما كان من عادة الأنبياء وسائر المصالحين أنهم بعد أن يطعمشوا قومهم ويسكنوا جاشهم يبعثون فيهم روح النظام ويأمرهم بالاستقامة ونظام المدن وحفظ الحال العامة أردفه بما يفيد أن الله أوحى إلى موسى وهرون أن يجعلوا لقومهما بمصر بيوتا من بيوتها يرجعون إليها وينوطنون فيها وأمر الجميع أن يجعلوا تلك البيوت مصلى يصلون فيها خيفة من الكفرة من آل فرعون لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان ذلك في أول الاسلام وفي أول كل دين جديد من الأديان وأمرهم بإقامة الصلاة فيها حتى يأمنوا على أنفسهم ثم أمر موسى أن يبشرهم أنهم لا يصل اليهم مكروه وهذا قوله تعالى (وقال موسى ربنا إنك آتيت) إلى قوله (وبشر المؤمنين) ولما كان لكل داع من الدعاة نظرة فيمن بلغهم رسالته فتارة يدعو بالهلاك كنوح . وتارة يرجو أن تكون منهم ذرية مؤمنة فيقول ﴿ اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ﴾ كسيدنا محمد ﷺ وتارة يكون الدعاء بين هاتين الخصلتين كما في هذا المقام دعا سيدنا موسى ربه قائلا ربنا إنك أعطيت فرعون وأشراف قومه ما يتزينون به من الملابس والمراكب ونحوها كما هو مشهور في الشرق والغرب من آثار الفراعنة وأنواعا من المال وتكون عاقبة ذلك أنهم يصلون الناس عن سبيلك ويكونون فتنة لمن رآهم من الناس على هذه الحال فيارب اطمس على أموالهم واحمقها بحيث لا يفتنعون بها بأن يدفنها في المقابر والنواويس ويجعلوها حليا للملوك والملكات في قبورهم فاجعل يا الله كل همهم في ذلك الطمس واشدد على قلوبهم أي قسها واطبع عليها حتى لا تؤمن إلا بدينها القديم ورأيها العتيق من دفن الأموال والتزين بها تحت التراب وتحلية الأموات بها وتبقى البلاد المصرية معرة من الحراس لأن الحراسة يلزمها المال والمال معظمه يكون تحت التراب فلذلك تجد بيوت المصريين القدماء أكثرها من اللبن . أما المقابر فاتها من ينسج بالرسوم والتماثيل والذهب والفضة وبجميع الأحجار الثمينة . ولما استمر وأعلى هذه الحال مدة طويلة وقست قلوبهم دخل البلاد ملك الفرس وأهلك الحرث والنسل وذقت مصر العذاب الشديد بسبب انعقاد الموروث التي جعلتهم منه مكيين في دفن الأموال مع الأموات وجعلتهم يعبدون الحيوانات كالهرة ولما دخل ﴿ قبير ﴾ مصر في مدة الأمرة السادسة والعشرين التي هي الأسرة الثامنة بعد خروج بني اسرائيل من مصر لم يساعده على اهلاك البلاد إلا عبادة الهرة فانه أمر بإيقاف صف من القطط بين الجيشين فتعاضى العسكر المصريون أن يضربوا آلهتهم وهي القطط وانقض عسكر الفرس على مصر بسبب أن قست قلوبهم على عبادة الحيوانات كما قست بدفن الأموال في القبور فذهبت مصر سدى ولم يؤمن المصريون إيماننا صحيحا إلا بالدين المسيحي بعد ذلك والا بالدين الاسلامي آخر الزمان . فهذه هي القساوة وانك لترى آثار المصريين الآن في القبور وأهل الشرق وأهل الغرب ينقبون عليها وتعجب من القرآن وحكمه وتعجب كيف ذكر الله هذا وكيف قال اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم وكيف ظهر الأمران . فالأموال ملأت متاحفنا المصرية ومتاحف فرنسا وأمريكا وانكأتا وسائر متاحف أوروبا وطمس القلوب ظهر أثره في بقائهم على جهالتهم حتى تنصروا لما كانت النصرانية في أول أمرها ثم أساموا إلى الآن

أليس هذا من العجب . أوليس من العجب أن الله لم يذكر طمس الأموال فيما أذكر ولم يذكر نجاة الأجسام كما سيأتي إلا في الفراعنة . أوليس هذا من عجائب القرآن . وكيف يذكر طمس الأموال وقد ظهرت ونجاة الأبدان بغير أرواحها وهذا أمر مشاهد كما سأوضحه قريبا . وكل هذا وذالك في الأرض المصرية الآن واضح . إن هذا العجب عجب وهذا هو قوله تعالى (وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون) إلى قوله (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) فقوله (ليضلوا عن سبيلك) أي ليضلوا الناس عن طاعتك وهو متعلق بآتيت وربنا تكرر للأول للاخاف في التضرع وهذا كقوله - انما نبي لهم ليزدادوا إيمانا - والطمس على الأموال هنا معناه دفنها وعدم ظهورها والاتشاع بها وهو المعروف الآن . وليس ما قيل في

بعض التفاسير أنها مسخت حجارة بحق لأنه ظهر خطؤه الآن والقرآن مجزة باقية الى آخر الزمان وقوله (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) جواب للدعاء والمراد بالعذاب الأليم ما أحاط بالأمة المصرية من العذاب الذي حل بها من العقائد المنحرفة عن سنن دينهم الأصلي الذي كانت فيه العبادة على وجهها فطمسوا على الأموال وعبدوا الأشجار والحيوانات فكان ذلك سببا لدخول الأمم بلادهم كما تقدم وهذا هو العذاب العام ولم يؤمنوا بدين خال من الوثنية حتى جاء المسيح فاتبعوا دينه قبل أن ينسخ ثم جاء الاسلام فاتبعه أكثرهم ولم يكن ذلك إلا بعد أن ذاقوا العذاب الأليم من الأمم المحتلة من الفرس واليونان والبطالسة والرومان فهذا هو العذاب الأليم العام وهناك عذاب أليم خاص وهو ما حصل لفرعون وجنوده لما غرقوا في اليم ولم يؤمن فرعون حتى رأى العذاب الأليم بالغرق ولم ينفعه إيمانه كما ستراد قريبا . ولما كان هذا الدعاء واردا من موسى موافقا لما في علم الله وأمره المطرد في الأمم من أنها تسير على نوايس ثلاثها وتوافقها ومن نوايس المصريين ملازمة التفنن في عبادة الأوثان ودفن النقوش والرسوم والأشجار الثينة والذهب والفضة أردفه بما يفيد الاجابة (قال قد أجيبتم دعوتكم) يعني موسى وهرون (فاستقيا) فاثبتا على ما أتمتا عليه من الدعوة والزمام الحجة ولا تستجلا فان ما طلبتما كائن ولكن له وقتا معلوما * ويقال انه مكث فيهم بعد الدعاء أربعين سنة (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) أي طريق الجهالة في الاستججال أو عدم الوتوق والاطمئنان برعد الله تعالى فليس في الأرض من دافع لأمر عظيم إلا اذا كان واثقا بنجاح دعوته وظهور أمره . فأما الذي لا ثقة له بمستقبل أمره فانه لا نجاح له في عمله ولا ثبات له في دعوته . ثم أخذ يشرح العذاب الأليم الخاص المتقدم فقال (وجاوزنا بيني اسرائيل البحر الأحمر وجوزناهم فيه حتى بلغوا الشط حافلين لهم * وقرئ - جاوزنا - كضعف وضاعف (فاتبعهم فرعون وجنوده) أي لحقهم وأدركهم (بغيا وعدوا) أي ظلموا وعدوانا أي باغين وعادين أولادغي والعدو (حتى اذا أدركه الغرق) حقه (قال آمنتم أنه) أي بأنه (إلا الله) أي آمنتم به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين) في وقتها * قال ابن عباس لم يقبل الله إيمانهم عند نزول العذاب به وقد كان في مهل والايان والتوبة عند معاينة الملائكة والعذاب غير مقبولين وفي آية أخرى - فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا - وفرعون ذكر الايمان والاسلام واعترف بهما ولم ينفعه (آلان) أي قال الله أو الملائكة آلان تتوب وقد أضعت التوبة في وقتها وتكبرت عنها وآثرت دنياك الفانية (وقد عصيت قبل) كفرت بالله (وكنت من المفسدين) في أرض مصر بالقتل والشرك والدعاء لغير الله وعبادة الجمل المسمى (عجل أيس) وبعض الطيور (فاليوم نتجيك بيدك) نبعذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعاك على نجوة من الأرض ليراك بنوا اسرائيل وغيرهم (بيدك) في موضع الحال أي كاملا سويا (لتكون لمن خلقت آية) لمن وراءك من بني اسرائيل وغيرهم من أمم الشرق والغرب - آية - أي عبرة وموعظة ليعرف الناس أن أعظم الملوكة قدرا وأبعدهم صيتا وأعظمهم ذكرا وأرقاهم منزلة وأسماهم مقاما وأرفعهم مجدا قد تخطفته المنون ونزل به الهون . وهاهوذا في المحدث مدفون وفي الصندوق مقفلا عليه . وأيضا يعتبر الناس بالقرون الخالية والأمم الماضية فيعرفون صناعاتهم وعالمهم ومعارفهم . ومن عجب أن القرآن لم يذكر هذا القول في آية من الأمم ولا في جيل من الأجيال إلا في قدماء المصريين فانهم هم الذين سخرهم الله بعقائدهم التي أودعها في نفوسهم وربطها رباطا وثيقا في قلوبهم أن يحفظوا أمواتهم في صناديق مقفلة . وليس يعرف أحد من المسلمين معنى قوله تعالى - فاليوم نتجيك بيدك لتكون لمن خلقت آية - إلا اذا حضر الى بلادنا المصرية وشاهد جثث الملوكة في صناديق عجيبة الشكل بديعة الصنع وهي محنطة منذ ثلاثة آلاف وأربعة آلاف وخمسة آلاف أوستة آلاف سنة وعليها أكتافها لم يبل منها ثوب ولم ينقثت عضوم الأعضاء فيها ولم يكن رميا . فهذه الجثث الباقية التي نشاهدها في متاحفنا

المصرية لاسيما ما يتجدد حديثا كقبرة ﴿توت عنخ آمون﴾ التي أشرنا اليها في سورة البقرة عند قوله تعالى - يحبونهم تحب الله - شواهد ناطقة وحجج قائمة على جمال الله عز وجل ونعمه التي أغدقها على الأمم السالفة والأجيال البائدة . وكيف أعطاهم هندسة وعلمها ونظاما عجيبا غفل عنه المحدثون . وكيف نطق آثارهم بما لله من مجد وفضل ومن على الأمم القديمة . وكيف عجز اللاحقون عما أنشأ السابقون . وكيف ألهم الله قدماء المصريين أن يبقوا هذه الجثث ذخيرة لنا وآية قائمة على جمال الله وجلاله . وكيف كان ذلك منفعة للأمم الحديثة ودرسا لعلمائها أنهم مسبوقون بأهم أعظم قدرا منهم . إن هذه الآية من بدائع القرآن وعلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاريها أن يدرسوا علوم قدماء المصريين . أليس من العيب عليكم أيها المسلمون . أوليس من العار الخجل . أليس من أكبر المصائب التي حلت بأمة الاسلام أن الفرجة هم الذين يتسابقون الى تعلم لغة القوم ويعنون علينا أنهم أعلم منا بها . أوليس من المحزن المبكى أن أمة الاسلام هي التي تجهل قدماء المصريين الذين قال الله فيهم - وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون -

فيا ليت شعري لم ذكر هذه الجلة هنا . وكيف أوردتها في هذا المقام . وكيف يقول ان كثيرا من الناس غافلون عن آياتنا لا يفكرون ولا يعتبرون بعد ما تقدم . أليس ذلك لعظم الأمر وأن قدماء المصريين سيكون لهم شأن وأنه بهذه الآية نبه المسلمين الى ذلك . وأنا أقول . أيها المسلمون . أما أن لكم أن تدرسوا الأمم القديمة . أما أن لكم أن تدرسوا علوم الأمم القديمة والحديثة . أما أن لكم أن تدرخوا مجدكم وشرفكم . وكيف يسبقنا الى علمهم أهل أمريكا وأهل ألمانيا وغيرهم . إن ذلك هو الضلال الكبير والغزى العظيم والمصاب الجلل

يا أمة الاسلام . قد شبعتم نوما فاستيقظوا . قد أدرككم الغرق فأفiezوا . قد طعنكم الدهر بكل كاله فانتبهوا . فها هو ذا كلام الله وهذه حوادث أيامه قد أحاطت بكم ولله عاقبة الامور

واعلم أن كل أمة لها مبدأ وجهاد للكمال . ثم تناقص واختلال . فهكذا بنو اسرائيل جاءهم موسى بجاهدوا حتى خرجوا من أرض مصر ونجحوا وتم أمرهم واستقام مثاث من السنين ثم اختلفوا في دينهم وهذا قوله تعالى (ولقد بوأنا) أنزلنا (بنى اسرائيل ميثاقا) منزلا صالحا مرضيا وهو ﴿الشام والقدس والأردن﴾ لأنها بلاد الخصب والخير والبركة (ورزقناهم من الطيبات) أى تلك المنافع والخيرات التي رزقهم الله بها (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) فما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بنى اسرائيل إلا من بعد ما قرؤوا التوراة وعلموا أحكامها (إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) فيميز الحق من المبطل بالانجاء والهلاك

﴿لطيفة في موازنة هذه القصة بأحوال الأمة الاسلامية﴾

اعلم أن هذه الآيات أفادت ما يأتي

- (١) انكار قوم فرعون لدعوة موسى وادعاءهم أنها سحر
- (٢) احتجاجهم أن هذا فيه هدم المجد القديم وهو مجد الآباء فخالفتهم ذهاب لفضاهم وانحراف عن سنتهم

- (٣) انكم تريدون أنه يكون لكم الملك في البلاد
- (٤) احضار السحرة ومعارضة معجزة موسى سحر الساحرين
- (٥) ذكر إيمان طائفة من أولاد بنى اسرائيل
- (٦) أن هؤلاء خائفون من فرعون وقومه أن يعذبوهم
- (٧) وعظ موسى لبنى اسرائيل أن يتوكلوا على الله

- (٨) موافقتهم له وطاعتهم وتوجههم الى الله بالدعاء
 (٩) أمر الله لموسى أن يحض قومه على اتخاذ المساكن وجعلها مصلى
 (١٠) تبشير المسلمين
 (١١) دعاء موسى على بني اسرائيل بطمس أموالهم وبقائهم كافرين
 (١٢) استجابة الدعاء
 (١٣) عبور بني اسرائيل البحر
 (١٤) اتباع فرعون لهم وغرقه هو وجنوده
 (١٥) نجاته ببدنه وحكمة ذلك
 (١٦) استحكام أمر بني اسرائيل ورفيقهم
 (١٧) وقوع الاختلاف فيما بينهم
 واعلم أن هذه الصفات التي لحقت بني اسرائيل هي بعينها التي لحقت بأمة الاسلام ونبينا ﷺ
 (١) فقد دعا الله فكذبوه
 (٢) وظنوا أنه يريد الملك فعرضوا عليه أن يملك أمرهم ويترك ذم آلهم وأيضاً أنه يريد هدم ما كان عليه آبائهم
 (٤) آذوه كثيراً وكادوا له كيذا عظيماً
 (٥) ما آمن به أولاً إلا الضعفاء
 (٦) كانوا خائفين من أهل مكة كصهيب و بلال وغيرها حتى هاجروا الى الحبشة وهاجروا جميعاً الى المدينة
 (٧) وعظ النبي ﷺ المؤمنين بالتوكل
 (٨) موافقتهم له وطاعتهم
 (٩) بني النبي ﷺ مسجداً في المدينة واتخذ المسلمون مساجد كثيرة وسكنوا بيوتهم وصاوا فيها وفي مساجدهم
 (١٠) في أكثر القرآن بشائر للمؤمنين
 (١١) دعا النبي ﷺ لقومه فقال ﴿ رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ﴾
 (١٢) استجاب الله دعاءه ففتح مكة وأسلم قومه وذريتهم للآن
 (١٣) نصر المسلمين في زمن النبوة وبعده
 (١٤) هلاك الكافرين في كل وقعة
 (١٥) نجاة المسلمين في كثير من الوقائع
 (١٦) استحكام أمر المسلمين وعظمتهم في القرون الأولى ورفيقهم
 (١٧) اختلاف المسلمين وتناوبهم منذ (٨) قرون فهم في اضطراب سياسي عظيم
 فهذا التاريخ يضارع تاريخ الاسلام وقد ذكر هنا ليكون عبرة للمسلمين ودرساً لهم ليتعلموا
 ﴿ لطيفة في قوله تعالى - وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون - ﴾
 تقدمت أني قررت في هذه الآية أنها للحض على فهم علوم المصريين والبحث في أطوارهم وأن الله لم يذكر أمة بأن أبادها عبرة لمن بعدهم وأتبعها بجملة كهذه إلا المصريين . فلنذكر من آيات الله التي ألهمها للمصريين القدماء ليكون ذلك ذكرى للمسلمين وعبرة وليجدوا في البحث عما دُفِنه الله في الأرض وما أظهره في الأم حتى يعرف المسلمون كل شيء بحيث تختص كل طائفة بمباحث خاصة يتقدمون في معرفتها

وهذه العلوم كلها فرض كفاية . فلا تقل لك ﴿ أربع نبذ ﴾ من علومهم

﴿ النبذة الأولى . محاوره فلسفية بين مصرى وروحه ﴾

وجدت في قرطاس محفوظ في متحف (برلين) واليك أهميها من كتاب الحضارة القديمة

(١) قالت الروح اصحابها ليس في الموت فرع ثلاثان

(٢) أقول لنفسي كل يوم انه كرجوع الصحة الى المريض حين يخرج ويذهب الى الساحة بعد تأمله

هكذا حال الموت

(٣) أقول لنفسي كل يوم كأنه استنشاق شذا العطر أو كاجلسة في بلد السكر . هكذا حال الموت

(٤) أقول لنفسي انه كجري تمر به مياه النيل الفائض

(٥) أو كرجل دخل الجندي ولم يثبت أحد أمامه . هكذا حال الموت

(٦) أقول لنفسي انه كرجل ذهب في ضياء القمر ليصيد الطير بالشبكة فوجد نفسه في اقليم لا يعرفه .

هكذا حال الموت اه

﴿ النبذة الثانية ﴾

اعلم أن من أعجب معجزات القرآن هذه الآية التي نحن بصدها ولم يكن المتقدمون من أمتنا الاسلامية ولا قدماء العرب ولا المعاصرون للنبي ﷺ يعلمون شيأ عن الجثث المصرية ولا عجائب علومهم . ولذلك تجد المفسرين يذكرون أن أموالهم مسخت حجارة . أفلا تعجب للقرآن كيف ظهر في هذا العصر العجب العجيب من الجثث المحنطة والعلوم الخبأة والحكم المنظمة التي أشار لها القرآن بقوله - لتكون لمن خلفك آية - وأفاد أن أكثر الناس غافلون عن العجائب . فانظر كيف ظهر في هذا الزمان أيام كتابة هذا التفسير أعظم الكنوز المصرية وهو كنز ﴿ توت عنخ آمون ﴾ وقد كشفه رجل يقال له (هوارد كارت) بعد أن بحث ٣٣ سنة في البلاد المصرية مجدا في ذلك وقد أحدث ظهوره دهشة عجاب في العالم كله . وفي يوم ١٦ فبراير سنة ١٩٢٣ فتح الباب المختوم بمختم الملك لبعض الغرف ووجد بالغرفة الثالثة صندوق بديع داخله جثة الملك وجواهره الثمينة وهو مذهب ومزخرف ومرصع بالحجارة الكريمة ويبلغ طوله نحو ستة أمتار وعرضه نحو أربعة أمتار وارتفاعه أربعة أمتار تقريبا ووجدت الغرفة الرابعة مملوءة بأثاث من أنقى المفاخر مرتبة ترتيبا حسنا يفوق منظرها في بهائها وعظمتها ما وجد في الغرفتين الخارجيتين . وتوافد عشرات الألوف من أوروبا وأمريكا على القطار المصري للتمتع بمشاهدة هذه الآثار الثمينة . وفوق ذلك قد اهتمت دور الصناعة في أوروبا وأمريكا للحصول على نماذج للأزياء المصرية الأثرية لللباس وأثاث المنازل والأواني ليصنعوا نظيرها وهم يضعون عشرات الألوف من الجنيهات في سبيل الحصول على هذه النماذج وبدأت السيدة الغربية في مدن أوروبا وأمريكا متجملات بلبس ملابس قدماء المصريين في عهد (توت عنخ آمون) وفي صباح ٨ مارس سنة ١٩٢٣ أبصر المارة في شارع (ففت أفنيو) وهو أعظم شوارع نيويورك ثلاث سيدات يسرن معا وقد لبسن من قبة الرأس الى أخمص القدم ثيابا مصنوعة على مثال ثياب ملكات مصر القديمة واحتدين أحذية على شكل (الصندل) فكانن بلباسهن هذه موضع عجب وقبلة أنظار الجميع وهكذا في إنكلترا وغيرها . وقد اشتد الاقبال في أوروبا وأمريكا على درس تاريخ مصر وحضارتها القديمة ومشاهدة آثارها الكثيرة المنتشرة في المتاحف فالتاس يقبضون زرافات على المتاحف التي فيها آثار مصرية . وقد أغلق المدفن يوم الاثنين ٢٦ فبراير سنة ١٩٢٣ على أن يفتح ثانيا في الحريف المقبل . وهذه الليلة التي أكتب فيها هذا المقال ٢٧ من شهر سبتمبر سنة ١٩٢٤ لم يفتح القبر الى الآن وسيظهر بعد فتحه العجب العجيب

أفليس هذا من سرّ قوله تعالى على سبيل الإشارة والتلميح .. لتكون إن خلقك آية - فهذه آيات الله التي ظهرت لعباده آيات الصنعة والتطريز والزخرفة والنقش والهندسة والبناء وكذلك الاعتبار والاتعاظ وتذكر الموت والبلى . كل ذلك ظاهر اليوم لجميع الأمم . فعلى المسلمين أن ينظروا جلال الله في كل شيء سبحانه وتعالى جلّ جلالا وعزّ كعلا

﴿ النبتة الثالثة ﴾

أقسم كتاب في العالم نصائح الحكيم المصري القديم ﴿ آتى ﴾ لتلميذه ﴿ خونسو هتب ﴾ في عصر مصر الذهبي في عهد الملك العظيم ﴿ توت عنخ آمون ﴾ أى منذ ٣٣٠٠ سنة تقريبا وهي ٤٨ نصيحة نقلت عن ورقة بولاق البردية التي عثر عليها (مارييت باشا) مؤسس مصلحة الآثار المصرية في أحد مقابر الدبر البحري بطيبة بالاقصر سنة ١٨٧٠ م وترجمت الى الفرنسية والألمانية والانكليزية وسميت (ورقة بولاق) لأنها حفظت بالمتحف المصري في وقت أن كان في بولاق . ولأذكر لك بعض هذه الحكم تيمنا بالقرآن القائل - وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون - ولأذكر لك ما اخترته منها اختصارا للقول

(١) أخلص لله في أعمالك لتتقرب اليه وتبرهن على صدق عبوديتك حتى تنال رجنه وتلحظك عنايته فانه يهمل من توانى في خدمته

(٧) من اتهم زورا فليرفع مظلمته الى الله تعالى فانه كفيل بإظهار الحق وإزهاق الباطل

(٨) اجعل لك مبدءا صالحا وضع نصب عينيك في جميع أحوالك غاية شريفة تسعى اليها لتصل الى شيخوخة جيدة وتبقي لك مكانا في الآخرة فان الأبرار لا تزعمهم سكرات الموت

(٩) صن لسانك عن مساوى الناس فان اللسان سبب كل الشرور وتحترح محاسن الكلام واجتنب قبائحك فانك ستسأل يوم القيامة عن كل لفظة

(١١) لاتهمل الترحم على والديك ومتى قت بذلك قام به لك ولدك

(١٢) اعتن بأبنائك كما اعتنت بك أمك ولا تقصها لئلا ترفع يديها الى الله فيستجيب دعاءها عليك

(١٥) اذا كنت قوى الارادة فلاتدع المرأة تسلط عليك

(٢٠) النظام في البيت يكسبه حياة حقيقية

(٢٥) اذا فاتتك فرصة فترقب غيرها

(٢٨) لاتجرح بكلامك شعور الناس فيستهان بك

(٣٤) ليست السعادة بالثروة وحيارة الأموال . انما هي في استنارة العقول بالفضيلة والتخلق بالقناعة

والرضا والكفاف

(٣٨) لاتسلم لئامس والقنوط مهما قام في سبيلك من العقبات والشدائد

(٤١) لاتثق بالناس المجهولة مبادئهم ولو خدعوك بتقديم أنفسهم لخدمتك متظاهرين بالاخلاص فانهم

يجرّونك الى الخراب العاجل

(٤٦) تطف مع ضيفك وحادثه ببشاشة ولا تسمح له بالتطرف في الحرية حتى يخرج عن حدود الاحتشام

(٤٨) لانك شرها فان الانسان لم يخلق ليا كل بل يأكل ليحيا حياة طيبة يجعلها طريقا للحياة

الأبدية . انتهى

هذا هو الذى اخترته من حكمه . وهناك نصائح أخرى لرجل يقال له (قافنه) وآخر يقال له (بتاح

حنط) وهذا الأخير قد وجدت له (٤٤) لوحة قد نقش عليها حكمه . ولأذكر لك منه ثلاثة ألواح

﴿ لوحة ١٠ ﴾ اذا تواضعت امثالا لرئيس فليكن سيرك مع الله حسنا جدا فالسعد لا يأتي إلا عن ارادته

وليس هناك أحكام سوى مشيئته

ومما جاء في اللوحة الرابعة عشرة ﴿ تمسك برأيك متى كان الحق بيدك ٥ ان الذى يملك نفسه خير من غمزه الله بهطاياه لأن الرجل الذى يتقاد طواد يكون تحت سلطان امرأته ٥ بين منهاج سلوكك من غير كلام ﴾

وجاء في اللوحة (٣٤) ليكون وجهك باشا ماعشت

﴿ النبتة الرابعة ﴾

كان قدماء المصريين يعتقدون بقاء النفس وكانوا يرون أن الانسان يكون أمام محكمة مكونة أمام الاله أوزيريس و٤٢ قاضيا ويتولى الرئيس عملية وزن القلب ووضعه في كفة الميزان والعدل في الكفة الأخرى فاذا رجحت الكفة الأولى أوساوت قبل المتوفى في مملكة أوزيريس ٥ وأهم هذه المملكة عندهم الزراعة فتقوم الأرواح بحرق الأرض وبذر الحب وجنى محصول النرة السماوى وهى أحسن وأجل من ذرة الأرض وفى تلك المملكة تسكون الأرواح فى المجارى السماوية وتجلس تحت وارف ظلال الأشجار الباسقة وتلعب الألعاب التى تمهوها ٥ والانسان يكون له جسم روحى يبدأ فى الوجود من وقت أن يوضع فى القبر ويأكل المتوفى خبزا لا يتفنى ويشرب نخرا لا يفسد وملابسه أردية بيضاء ويجلس على عرش وسط الملائكة الذين يجلسون حول شجرة الحياة ويلبس التاج الذى يعطيه له الاله ويعيش مع الاله (رع) الى الأبد وعملية التحنيط المعروفة عند قدماء المصريين التى أشار لها القرآن بقوله - فالיום نتجيك ببدنك - محفوظا كسائر قدماء المصريين إنما اخترعوها سنة ٤٥٠٠ قبل الميلاد وبقى الى سنة ٥٥٠ بعد الميلاد لاعتقادهم أن النفس بعد أن تمرّ في أدوار كثيرة تعود فتحل في الجسم فلهذا كان التحنيط ٥ ولهم قصة خرافية وهى أن (أوزيريس) كان يحب أمته المصرية فعلمها وفتح البلاد الأخرى بغير حرب ومعه (نوت) ولكن أخوه (سيت) غار منه فصنع له صنديقا وأهداه له على شرط أن يكون على مقدار جسمه فلما دخله أقفله عليه وهو متحد مع الضباط وألقاه فى النيل فبحث عنه زوجته (إيزيس) وعثرت عليه فى البحر وخبأته فى غابة كانت أشجارها متكاثفة وذهبت تبحث عن ابنها (حوريس) فى مدينة (بونو) جنوب البرلس فى الدلتا ٥ ثم ان (سيت) عثر على الصندوق وهو يصطاد فى ضوء القمر فقطعه ١٤ قطعة وبعثها فبحث عنها (إيزيس) وجعلتها إلا قطعة واحدة وركبتها فى مواضعها من البدن وحنطت الملائكة جسمه وصنعوا له تماثم ولفائف ٥ فهذا انتقل من القبر الى السماء وله فيه قصر عظيم وأصبح ملك (أوزيريس) هو الذى يصعد اليه الأرواح الطاهرة بعد الموت ٥ ولا بد من التحنيط وعمل السحر والطلاسم ٥ هذا هو السبب فى التحنيط عندهم اه

فسبحان من جعل الخرافات سببا فى العلوم النافعة للانسان وحفظها على مدى الزمان والحمد لله أولا وآخرا * ويقال ان فرعون موسى عثر عليه منذ سنين فى جهات الوجه البحرى فى مديرية الشرقية . وعسى أن أعثر على هذا النص فألحقه بهذا الكتاب والله المستعان

﴿ فرعون موسى قد وجد بدنه وهو بالمتحف المصرى ﴾

وبعد كتابة ماتقدم بيومين اطلعت على ما كتبه أستاذنا فى علم الآثار المصرية الاستاذ أحمد بك نجيب أمين ومفتش الآثار المصرية فى (الموسوعات) فى أعداد مختلفة فلا تلخص ما كتبه بغاية الاختصار قال ان رمسيس الثانى (سيزوستريس) هو الذى ربي موسى عليه السلام وأن ابنه (ريان با) وهو المعروف باسم (منفطه) هو الذى غرق فى البحر وهما معا من الأسرة التاسعة عشرة ٥ قال وقد أجمع العلماء أن فرعون (منفطه أوريان با) هو الفريق والحمد لله على وجود جسده الآن ٥ وأما العبرانيون فانهم دخلوا

مصر أيام احتلال العمالة لها وأقاموا في وادي غسان المعروف الآن برأس الوادي بمديرية الشرقية ولفظة (فرعون) كانت اسما عاما لما نوك مصر كلفظة (قيصر) علم على كل من ولى الروم و (كسرى) لكل من ولى العجم و (نجاشي) لكل من ولى الحبشة و (إمبراطور) لكل من ولى رومه . و فرعون أصله (إبرعا) أو (قرعا) معناه (الدار العظيمة) لأن (فر) معناها الدار و (عا) معناه العالية أو الجليظة أو العظيمة كما يقال الآن (الباب العالي) أو (الباب الهمايوني) . قال وبعد رمسيس الثاني الذي ربي موسى و (منفطه) أو (ريان با) الذي غرق في اليم لم يذكر في الآثار شيء عن العبرانيين . قال واتي في اليوم الثاني من شهر مايو سنة ١٩٠٠ فتحت تابوت (فرعون) بمشهد من علماء الآثار وقسمته فسكران طوله من قبة رأسه الى قدمه مترا واحدا واثنين وسبعين سنتيا وعرضه عند الأكتاف أربعون سنتيا ومن قبة رأسه الى الكتف الى الصفرة صدره ٤٥ سنتيا . قال ولم أر وجهه لأنه مسجى بأ كفان من قش السكتان يضرب لونه الى الصفرة الداكنة من تأثير الحنط عليه وتابوته مصنوع من قش كالورق القوي خال من الكتابة وهو لاشك أنه ليس تابوته الأصلي ومعنى (ريان با) شمس العلم أو روح الشمس . وقال أستاذنا أيضا ان رمسيس الثاني استعمل العبرانيين في بناء قلاع كبيرة وعمل طريق يمر بوسطها يخرج من مدينة رمسيس ويسلك الى الشرق مع الجنوب حتى يدخل قسم آسيا . وهناك قلعة باسم فرعون موسى نفسه بن رمسيس الثاني وهي مذكورة في ورقة من البردى أرسلها أحد العمال الى رئيسه يعلمه بما فعله وهناك نصها ﴿ مما أسر به خاطر سيدى هو أنى أخبره أننا أعطينا الحرية التامة الى قبائل الاعراب الآتية من اقليم (إيدوم) لتمر بغاية الحرية من قلعة (خاتوم) لذلك (منفطه) وهو فرعون موسى كما تقدم . وهناك حجر محفوظ بالمتحف المصرى مكتوب في السنة الخامسة من حكم هذا الملك عليه لفظة (اسرائيلو) أى الاسرائيليون وهناك ترجمة بعض عباراته ﴿ وقبيلة خاتى سالت فسالت . وقبيلة كنعان قد سجنحت على أقبح كيفية . وأهل عسقلان أحضروا أذلاء . وأهل غزوة وما حولها جاؤا أسارى . وقبيلة (أيانوايم) انعدمت وأمة (اسرائيليو) هلكت وما عاد لديها حبوب للأكل . وقبيلة خارو صارت كأرملة حقةيرة بمصر ﴾ اه

وقال رحمه الله في سبب ادعاء الملك (منفطه) الالهية ان هذه عادة هؤلاء الفراعنة جميعا ضعافا كانوا أم أقوياء . قال وانظر الى مسألة المطرية تجد عليها ماصورته ﴿ الجليل حياة كل مولود ملك الصعيد والبحيرة دام بقاء صاحب التاج معطى الحياة لكل موجود الاله العظيم ابن الشمس الخ ﴾ وهذا الممدوح هو الملك (أوزرتسن الأول) فى العائلة الثانية عشرة وهو صاحب هذه المسألة . قال ولقد كان (رمسيس الثانى) والد فرعون مصر أول من سخر العبرانيين فى الأعمال فبنوا له مدينة رمسيس ومدينة يتوم وهناك نص ورقة بردية محفوظة فى بلاد الانجليز بقلم رجل مصرى يسمى (كانيزاك) أرسلها الى رئيسه المدعو (بى كانبنتاج) يعلمه أنه أنفذ أمر الملك سيده وصورتها (قد أطعت أمر سيدى رمسيس وفعلت ما أمرنى به حيث قال لى اعط قححا الى العساكر الخفراء والى العبرانيين الذين ينقلون الحجارة لبناء الحصن العظيم بمدينة رمسيس الذين هم تحت رئاسة (أمنان) رئيس فرقة المحافظين على العمال فكنت أعطيهم قححا فى كل شهر حسب الارادة السنية التى أمرنى بها سيدى) وعلى ظهرها مكتوب (هذا حساب البنائين الذين أدوا الأعمال المفروضة يوما فيوما بدون انقطاع عن العمل ماعدا الرجال الذين يصنعون الطوب . ومدينة رمسيس اختلف العلماء فى مقرها فقيل انها مدينة (صان الحجر) بمركز فاقوس بمديرية الشرقية . وقال أستاذنا بدار العلوم المفتش المذكور انها فى مكان أطلال (المسخوطة) بالشرقية . فالمسخوطة المذكورة هى رمسيس وقد وجد اسم رمسيس على لبنا (طوبها) وهذه المدينة أجمل المدن المصرية وقد وجدت ورقة من البردى محفوظة فى بلاد الانجليز فيها قصيدة لشاعر مصرى اسمه (نبنتا) يخبر أحد الأمراء المسمى (أمنى ايت) وكان الملك رمسيس

دعاه لوليمة يوم الفراغ من بنائها . قال (لما دخلت مدينة رمسيس وجدتها في أحسن حال ماها مثل في عمارات (طيبة) ولا عمارات (جبل السلسلة) فهي مدينة النعيم وحقوقها مملوءة بالأشياء اللذيذة والمأكولات الفاخرة وحيطانها مملوءة بالسماك والطيور المائية تدرج على غدرانها وصروحها خضرة وسفن البحر تأتي الى ثغرها وتكثر فيها الخيرات طول السنة وينشرح صدر من يقيم فيها إذ ليس بها من يعارض ولا من ينافع والصغار والكبار فيها سيان وترى فيها الجوارى الحسان جوارى الملك قائمات على أبوابها والفرح علما في جميع أرجائها . عشت يارمسيس في صحة وعافية

وقال بروكش باشا ان موسى عليه السلام تربى فيها حيث كانت محل اقامة الملك . أما تحت مصر فكان في مدينة (طيبة) أو (طيوة) ومكانها الآن الأقصر أو الكرنك والقرنه ومدينة أبو مديرية قنا اه وذكر أستاذنا أيضا في تلك المقالات ما وجد منقوشا باللغة البربائية على جدار معبد الكرنك مما يختص بتعذيب الأسرى . قال (سطر ٥) لما كان الملك (منفطه) هو الذي يعطى الحياة الى قومه حضهم على ترك الخول (سطر ١٣) أتى (مرمايو) ملك الليبيين بن ديد بجنوده المؤلفة من المشاوشين والكحاكين والسردانيين والشكلاشين وهجم على مصر (سطر ١٦) وجع ملك مصر رؤساء عساكره وقال لهم اسمعوا أنا الملك (منفطه) الحارس أنا رب مصالحكم أنا أبوكم هل فيكم من يمانئني ويحيي أولاده مثلي ها أتم ترعشون كالوز أمانى (سطر ١٩) ها هو العدو دخل بلادنا هل يستطيع النيل أن يردّه عنا . كلا ثم كلا (سطر ٢٢) مرادى الآن قتل الأعداء وسحبهم على بطونهم كالسماك ولا عبرة برؤسهم الذي صورته كصورة الكاب (٢٥) أنا الذي بيدي الاعطاء والمنع والدنيا تحت حكمى . أنا (منفطه) القاهر ملك مصر (سطر ٣٣) واندفعت عساكر المشاة مع عساكر العربات على العدو فأغرقوه في بحر السم (سطر ٤٦) أما عساكر مصر وشبانها فعادوا يسوقون جيورا تحمل الغنائم والأحاليق المقطوعة من العدو مصنوعة حوما وموضوعة في جلود (سطر ٥٢) ٦٣٥٩ لبيدون مقتولون وأحضرت أحاليهم (سطر ٥٦) ٦١١١ رجلا من الأعداء قطعت أحاليهم بحضرة الملك (أنظر لهذا التوحش) . (سطر ٥٧) ٢٣٧٠ أيد مقطوعة أحضرت لى الملك . (سطر ٥٩) ٩٣٧٦ أسرى

ورجع الملك الى طيبة في موكب حافل وقد وجد مكتوبا في ورقة محفوظة مانصه (ما أعظم عودتك أيها الملك الى (طيبة) تظلك سحابة النصر وعربتك تسحبها الرجال . أما الرؤساء المغلوبون فيمشون أمامك القهقرى وأنت تسوقهم الى حتفهم اه

وانما نقلت لك هذا لتعرف كيف كان فرعون موسى يعذب الأمم المغلوبة . وكيف سخر بنى اسرائيل كما سخرهم أبوه . وكيف كان يفهم قومه أنه معطى الحياة وفي يده كل شئ وهذا هو ما جاء في القرآن من قوله - أنا ربكم الأعلى - وغيره . وهكذا تعذيب بنى اسرائيل المتكرر في القرآن اه

﴿ نبرة خامسة ردّ اعتراض ﴾

لعلك أيها الذكى المطلع على هذا الكتاب تقول كيف أطلت في هذا المقام . ولماذا تذكر حكم القوم تارة ومظالمهم تارة أخرى . ولماذا تكرر هذا القول . أتريد أن تعلمنا علمهم . أوليس القرآن بكاف . أوليس ديننا يغنينا . أقول على رسلك ولا تلنم . اعلم أن من يظن أن قراءة القرآن وفهم معانيه القرية والانتصار عليها يكفي المسلمين مخطئ كل الخطأ بل جاهل كل الجهل . فقل لى بربك اذا سمعت الله يقول - والله على الناس حج البيت - أفلا تسعى الى الحج أم تكفى بفهم الآية فلا اخالك إلا قتلا لابد من الحج أقول . هكذا يقول الله هنا - فاليوم نتجيك - يامنفته (ريان با) ونحفظك في أماكن بالبلاد المصرية ونأمر بتحنيطك وبقائك للسائحين والغادين والزائحين - لتكون - أنت وأمثالك من الفراعنة

لمن خلفك آية - ترشدكم الى العلوم والمعارف والانعاط بذهاب القرون ويقف على صنائع قومك وعلومهم أهل أمريكا وآسيا وأفريقيا وأوروبا . والمسلمون أيضا متى فقهوا وعقلوا - وأن كثيرا من الناس - في الشرق والغرب - عن آياتنا - في بلادك وقومك وعلومكم ومعارفكم وسيركم وغيرها مما خلقنا في السموات والأرض - لغافلون - والغفلة موجبة الحرمان كما سيأتى في قوله تعالى - ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون - فأما اذا لم يغفل الناس واطاعوا على علوم الأوائل كقدماء المصريين وشاعروا في الحكم السابقة وغربها أن الله قد أنزل عليهم منذ سبعة آلاف سنة أنه يزن الأعمال وانها اذا ثقلت نجح صاحبها واذا خفت لم ينجح . وأن الرجل المظلم اذا دعا الله ينجيه . وأن قوى الإرادة لا يقاوم النساء . وأن المخلص لله تلحظه عنايته ومن تولى في خدمته يمهله . وأن من اتهم زورا ورفع مظلمته الى الله فانه يظهر حقه . وأن السعادة ليست في المال وحده بل في الفضيلة والقناعة . وعكذا من الحكم الشريفة العالية . اذا فعل الناس ذلك ولم يغفلوا عرفوا أن شرائع الله القدسية كانت كالخديشة وانها متتالية متتابعة متحدة في الاصول وبحصل للرء اثنتاس واطمئنان . أوليس الله يأمرنا أن ننظر في السموات والأرض . فاذن آيات القرآن تشير الى آيات السموات والأرض وما أنتجه عقل الانسان قديما وحديثا . فآيات القرآن أشبه بالمنظار المعظم ترى به الأشياء القريبة والبعيدة . فنظن أن المنظار متصو له فانه فهو جاهل كمن يرى أن القرآن وحده كاف فهو مخدع . انما القرآن نزل ليعمل به ولا يعمل به إلا بأن نبعث فيما خالق الله في السموات والأرض من العجائب ونقرأ العلوم وندرس علوم الأمم أى أن يكون في الأئمة طوائف لكل علم طائفة تقوم بعلم أو صناعة ولو كانت تعد بالمئات . انتهى الكلام على حسنات المصريين وسياتهم العملية

﴿ الكلام على محاسنهم العملية . نظام السموات عند قدماء المصريين ﴾

جاء في أوائل السورة - هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل - وقال - إن في ذلك لآيات الخ - وكرر لفظ الآيات ثلاث مرات وهكذا ذكر الآيات وذم الاعراض عنها في الكلام على فرعون فياليت شعري يمر هذا القول مرورنا علينا ولا نعطيه حقه . ذم الله الغفلة عن الآيات عند ذكر الشمس والقمر وذمها عند الاشارة للفراغنة فما هذه الموافقة في سورة واحدة . ولماذا تدم الغفلة عن الآيات في سورة واحدة . إن في ذلك سرا عجيبا فاستمع لما سيأتى

﴿ علم الفلك وقداماء المصريين ﴾

(جمال الصور السماوية يسحر العقول - احتجب عن جميع الناس وهم ينظرونه - محاولة قدماء المصريين قبل غيرهم كشف هذا الحجاب - رسمهم الصور السماوية التي يقرؤها الناس في أوروبا والشرق الآن - وجوب معرفة نتائج العقول في الشرق والغرب لأن العقل البشرى صنع الله كما أن عقول الملائكة من صنعه فالعالم كله مصنوعة وعلى المسلمين أن يعرفوها)

اعلم أننا خلقنا في جو من الجمال والبهجة والحسن والانتقان والحكم والسعادة والخبور . ولو أننا أدركنا ما نحن فيه من الجمال لذهلت عقولنا وأصبحنا فاقدى الشعور والاحساس لانعقل أقول هذا لك أيها النكى وأنا موقن به . ان الله وضع أرواحنا في هذه الأجسام الأرضية تلك الأجسام التي وضعت بحكمة ودقة وأحاطت بها الأنوار من الشمس والقمر والكواكب والجمال . الشمس تقسم الزمن أياما . والقمر يقسمه شهورا كما تقدم موضحا والشهر الواحد يجعله أربعة أقسام فمن الحاق الى التربع أسبوع ومن التربع الأول الى ليلة البدر أسبوع ومن ليلة البدر الى التربع الثاني أسبوع ومن التربع الثاني الى الحاق أسبوع

فالشمس والقمر قد فصلا الزمن تفصيلا . فالأيام والسنين الشمسية عرفت بسير الشمس كما تقدم

والأسابيع والشهور القمرية والسنين القمرية عرفت بالقمر . إذن الشمس والقمر تسكفلا بتقسيم الزمن أياماً وأسابيع وشهوراً قمرية وشمسية وسنين كذلك ولولا ذلك لم نعرف الأيام وما بعدها ونجد القمر والشمس والكواكب لا تخطئ في سيرها والأنوار الفاضلة منها على الأرض جميلة بهجة تملأون كما تملأون في أنوارها الغول فأنوار الكواكب ليلاً مختلفة في الظلام الخالك والقمر يقسم الليل تقسيماً بأضوائه ويظهر ويختفي على أشكال مختلفة . وهكذا أنوار الشمس تختلف في أثناء النهار . فبينما نرى ضوء أدنى كوكب بالنسبة إلى الشمس أقل من مليون مليون وضوء غيره من الكواكب أقل من جزء من مليون من ضوء الشمس وضوء البدر أقل من جزء من ثمانمائة ألف جزء من ضوء الشمس نراها أيضاً والقمر يتلوان ألوأنا محسوبة منظمة جميلة لا يستقران في هيلتهما على حال . الحيوان حولنا والنبات وعجائبها لا تنهاى . في أرضنا عجائب كثيرة . أجسامنا مصنوعة من الحكمة بل هي حكمة مدججة . لو أن أرواحنا خلقت في هذه الأرض مجردة عن المادة لذهلنا من الجلال الذي غرقنا فيه . ولكن من لطف الله أنه أجاعنا وأعرانا وسلط الحر والبرد علينا وجعل الأرض لنا دار عمل ونصب وشقاء . لماذا . ليحجبنا عن هذا الجلال . ولماذا لأجل أن يحفظ عقولنا فيريها فلا يعطيتها هذا الجلال إلا بعقدار شيئاً فشيئاً بالتدريج وهذا التدريج يكون بالتعليم

﴿ فصل في أن أول من تفتن لرفع الحجاب عن جبال السماء هم قدماء المصريين ﴾

قد قلت لك أيها الذكي أن الناس خلقوا في الجبال وحجبوا عنه وهم بالتعلم يعرفونه شيئاً فشيئاً . وها أنا ذا أذكر هنا أن أول من ابتدأ معرفة هذه العالوم هم قدماء المصريين على خلاف في ذلك وإنما أردت ذلك ليظهر سر القرآن ولماذا يذكر الغفلة عن الآيات ويدمها في السموات والأرض وفي معرض ذكر أبدان الفراعنة وسوى بينهما في ذم الغفلة . إن هذا الزمان هو زمان ظهور النور الاسلامي . أنظر ماذا ترى . ترى أن الأمم ما عدا المصريين كانوا في غفلة ساهون قبل العصر المكدوني فقد كان العبريون لا يعرفون سوى بلادهم وما جاورها من الممالك وكان اليونان في أيام هوميروس الشاعر المشهور أى قبل المسيح بسبعمائة سنة يظنون أن بلادهم وآسيا الصغرى في وسط المسكونة بحيث جعلوها شأغلتين جزءاً عظيماً من سطح الأرض وقالوا إن حوطها جزائر البحر المتوسط وأن مصر وسوريا وإيطاليا حول ذلك البحر المحيط . وتنبه بعد ذلك (بطليموس) في عهد الرومان سنة ١٣٠ إلى شيء من ذلك . وهكذا أخذ العلم ينفوس شيئاً . أما الأمة المصرية فانها كانت قد سبقت هذه الأمم إلى معرفة نظام السموات وصور نجومها وبروجها

﴿ هيئة السماء في صندوق حتر بطييه وهيئة البروج فيه ﴾

وما صاحب هذا الصندوق إلا من الفراعنة الذين نجاهم الله ببدنهم فكان لمن خلفه آية للشرقيين والاوروبيين فهو مصداق للقرآن وذلك من آيات الله في القرن العشرين . واعلم أني قد قدمت لك في سورة الأنعام نبأ من الصور السماوية عند قوله تعالى - وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر - وأن تلك الصور ثلاث أقسام ﴿ الصور الشمالية والصور الجنوبية والبروج التي هي داخل منطقة فلك البروج . وذكرنا هناك أن الصور كلها نحو ٤٨ صورة وهي مسماة بأسماء أشياء أرضية من الحيوانات وغيرها . ثم أقول الآن إن الناظر إلى السماء لا يرى فيها رسم حيوان ولا إنسان ولا شيئاً من ذلك . فإذا سمعهم يقولون الثور وهو أحد البروج أو الميزان أو الجدى أو السنبلة أو الخوت فاعلم أنه لاحوت ولاسنبلة ولاثور ولاشيء من ذلك . وإنما هي صور خيالية تخيلوها وسموها . وتجد أم الأرض قد اتفقوا جميعاً على تسمية مجموعات النجوم بأسماء ولكنهم لم يتفقوا على تلك الأسماء . ولا في واحد منها . فالصينيون أكثروا من أسماء المجاميع حتى بلغت ثلثمائة اسم وسموها بعضها بأسماء عظمائهم والعرب سموها بالمجاميع بأسماء حيوانات وغيرها كالدب الأصفر والدب الأكبر وبنات نعش الصغرى وبنات نعش الكبرى . والآريون سكان الهند صوروا السماء بصور أخرى في

كرتهم التي أتموها قبل المسيح بنحو تسعة قرون فرسموا فيها نجمة ووزنين وشجرة كبيرة فيها كتاب وصورة زنجي ضخم الجثة . والصور اليونانية التي ذكرها بطليموس في المجسطي يظهر كما قال بعضهم انها عملت في بلاد العرب أيام الجاهلية وأهل (أسكندينا) سموها بالكتاب والمركبة والمغزل و (الاسكيمو) وضعوا بينها صورة حيوان بحري في بلادهم . وترى اثرها في العربية مشتقة من الثراء أى الغنى . وفي اللسان المصرى اسمها الكثرة الكثرة نجومها . وفي الهندية الدجاجة وفراخها . وهنود أمريكا يسمونها بما معناه الرجال والنساء أو الراقات . والمصريون القدماء كان عندهم كرات مصورة من قديم الزمان ولم تزل آثارها في قبر الملك (سيتي الأول) في بيبان الملوك وكذلك في قبر الملك رعسيس الرابع في مدينة (أبو) ففيها صور بعض مجاميع النجوم مثل النهر والسهم والسكر كدن ومغن

ها أنا ذا الآن أكتب هذا وبين يدي الصور المنقولة من كتاب أبي الحسن الصوفي الذي ألفه في أواسط القرن الرابع للهجرة نسخت للسلطان (أولغ بك كوركمان) والصور المنقول عنها كانت ملونة وهي لسائر الصور السماوية وقد أجاد المصور رسمها ونزويها وأفرغ فيها دقيق الصنعة ورسم الكواكب فيها بالذهب . وها أنا ذا أشاهد في الكتاب أماني الآن صورة التين من رسم العلامة المذكور ولكن ليست هذه الصورة ملونة كالمثقال عنها . هذا ما أردت أن أقدمه في هذا الموضوع قبل الدخول في المقصود وهو الكلام على صور قدماء المصريين التي صورتها ووجدت الآن في مقابرها مصورة على صناديقهم مصداقا للآية إذ يقول الله - فاليوم ننجيكَ بسدنةِكَ لتكون لمن خلفك آية - . ها نحن أولاء نقرأ آيات الله المرسومة في مقابر قدماء المصريين

أكتب هذا وأما هيئة البروج الاثني عشر وهي الحل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت . وها هو ذا صندوق حترالدى وجدوه بطيبة وفيه رسمت السماء على صورة امرأة رافعة يديها ويستترها ثوب طويل وفي رجليها إعلان وعلى رأسها عصابة وقد رسمت فوقها الشمس وعلى جانبي المرأة البروج الاثنا عشر منها ستة عن اليمين وهي السرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس وستة على اليسار وهي من الجدي الى الجوزاء . وترى هذه الصور واضحة جليلة فترى صورة السرطان على يمين المرأة الخ

وهكذا بقية البروج فترى الجوزاء بهيئة امرأتين متقابلتين قد مدت احداهما يدها الى الأخرى للسلام عليها وأمسكت كل منهما بيد الأخرى ورجل كل منهما تخطو الى الأخرى والثور واقف قبل تلك الصورة والدلو عبارة عن رجل واقف يصب الماء من إناء بين يديه والجدي نصفه معزى ونصفه الآخر على هيئة السمك (صورة منطقة فلك البروج التي وجدت في هبكل (دندرة) في عصر القياصرة الأول)

ها أنا ذا أرى شكلها أماني في كتاب (الحضارة القديمة في مصر والشرق . الجغرافيا الرياضية) أو (علم الهيئة عند قدماء المصريين) لصديقنا المرحوم الأستاذ الجليل أحمد بك كمال . ها أنا ذا أيها الذكي أبنت لك كيف تصوّر الناس هذه النجوم قديما . وكيف جعلوها مجاميع . وكيف صورتها بما يعرفون . وكيف كان قدماء المصريين قد رسموها وجعلوها في مقابر عظمائهم وكبرائهم . وكيف صورتوا البروج التي نعرفها نحن بنفس الصور التي نقرؤها كالثور والسنبلة والحل والحوت الخ . وكيف كان هذا العمل من النوع الانساني كله قديما وحديثا وعند علماء الاسلام وأوروبا ليكشف الناس الحجاب الذي حجب عقولهم عن ذلك الجمال الذي ستره عنهم الشهوات والحروب والنوائب وحداثان الدهر وتقلباته فهم بهذا الدرس يحتالون ليدركوا جمال هذا العالم الذي نعيش فيه . وكيف حث الله على النظر في هذه السورة وذكر الشمس والقمر والضياء والنور . وكيف ذم المعرضين عن ذلك الجمال في الآيات كما ذم المعرضين عن الآيات في مقام ذكر

نحاة فرعون ببذنه ليكون لمن خلفه آية . وكيف كانت القراعة قد رسم على صناديقهم تلك الصور السماوية وأودع في مقابرهم وآثارهم حكمة الله عز وجل في السماء والأرض

﴿ القرآن يأمر بالنظر لكل ما هو بحكم الصنع ﴾

إن الله يأمرنا بالنظر في مصنوعاته كلها كالشمس والقمر والأرض . وبالنظر في مصنوعات الحيوان كالعنكبوت والنمل والنحل وفي النبات الذي هو تحت تدبير الملائكة . وهكذا كل حيوان وإنسان وغيرها إن الملائكة بالنسبة لله تعالى . ولله المثل الأعلى . كالعين والأذن واليد والرجل للإنسان . فكما أن أحدنا يقول رأيت عيني أرايت أنا ويقول سمعت أذني وسمعت أنا . فالسامع والرأى إنما هو نفس الإنسان إذ الأذن والعين إنما هما له . فهكذا يقول الله تعالى . الله يتوفى الأنفس حين موتها . ويقول . قل يتوفاكم ملك الموت . فعمل الملك هو عمل الله وما الملك إلا نوره سبحانه وتعالى وشأن من شأنه . وما عمل العقلاء من نوع الإنسان من هندسة وتصوير وعلم وحكمة إلا أثر من آثار الملائكة إذ الثابت في ديننا أن كل عمل إنما يكون من إلهام ملك إن كان خيرا ومن وسوسة شيطان إن كان شرا . إذن علوم قدماء المصريين المرسومة في الهياكل وكذا كل العلوم التي ألقاها الملائكة على قلوب العلماء في الهند والصين وعلماء الاسلام وعلماء ألمانيا والنمسا والمجر واليابان وغيرها . كل هذه يجب علينا النظر فيها وجوبا كفايا . وإذا قصرنا فيها عاقبنا الله بما نحن فيه الآن وزادنا منه . أما أنا فاني أدت ما قدرت عليه ونصحت أمتي

إن الله ذم المعرضين عن آياته في هذه السورة بعد ذكر الشمس والقمر كما ذم المعرض عن آياته بعد ذكر فرعون الذي نجا ببذنه وجعله آية . فثبت بهذا أن مصنوعات الله ومصنوعات الحيوان ومصنوعات العلماء والعقلاء من بني آدم كلها مصنوعات وآياته . وإذا كنا مأمورين أن ننظر في النبات وجماله وفي نظام النحل وأفعاله والعنكبوت ونسجه . فبالأولى نؤمر بأن ننظر في فعل من هو أرقى وهو الإنسان ونأخذ بالأحسن والأفضل منه . اللهم إني قد أدت الأمانة لآمتنا الاسلامية وأنت أيها الذكي القاريء لهذا التفسير مسؤول مثلي فعلم أمتك وأدركها وأخرجها من سجن الجهالة وأفهمها كتاب الله والله لا يضيع أجر المحسنين اه

﴿ تذكرة ﴾

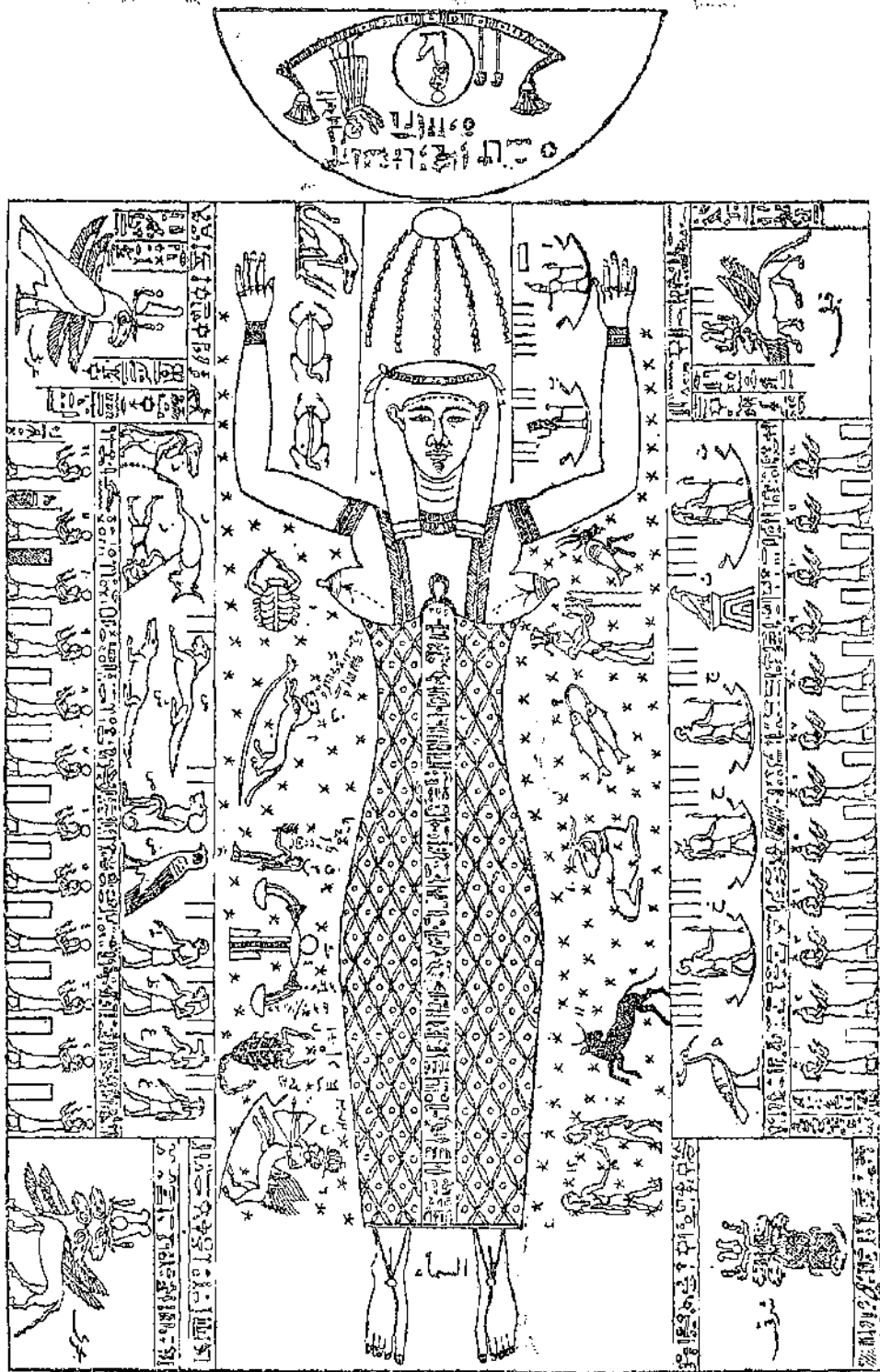
اعلم أني كتبت ما تقدم ولم يكن ليخيل لي أني أرسم هاتين الصورتين الفلكيتين المصريتين لما فيهما من صور بعض الحيوانات فاتفق أن وقع نظري على كتاب مؤلف حديثا فيه صور بعض الحيوانات وقد صدر بمقدمة فيها أحاديث وردت يؤخذ منها جواز صور الحيوانات إذا كانت لا تظل لها . ففجئت كيف اطلعت على هذا اليوم ففكرت في الأمر ونظرت نظرا علميا ففتحت لي باب لن يقلل على المسلمين بعد الآن ﴿ ذلك ﴾ أنه ظهر لي أن الصور الشمسية ما هي إلا أضواء شمسية ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ظلالها والظلال إذا حرمها امرؤ فقد انسلخ من عقله ودينه . وكل امرئ يباح له النظر الى صورته في المرآة فإذا دام النظر وتكرر لم يحرم وما الصور الشمسية إلا كالصور في المرآة الخ ماسيأتي فاعتقدت الاباحة والأحاديث الواردة في الجواز لما يرسمه الناس بأيديهم لا يرسم الشمس الى آخر ما سيأتي شرحه

فها أنذا الآن أذكر ثلاثة فصول ﴿ الفصل الأول ﴾ في رسم الصورتين الفلكيتين المنقولتين عن قدماء المصريين مع شرح العلامة أحمد بك كمال ﴿ الفصل الثاني ﴾ في الكلام على ما يجوز من الصور وما يمنع وما يجب ﴿ الفصل الثالث ﴾ في الكلام على بناء الاهرام بمصر لأن ذلك البناء من أسباب النجاة لبعض أبدان القراعة القدماء

﴿ الفصل الأول في رسم الصورتين المذكورتين وشرحهما ﴾

قال العلامة الأثرى الكبير أحمد بك كمال في كتابه ﴿ الحضارة القديمة ﴾ مانصه

إن قدماء المصريين في عصر اليونان أو الرومان حسبوا هيئة السماء بالسكيفية التي وجدت على صندوق
 حتر بطيبة (شكل ١٩) وفيها رسمت السماء على صورة امرأة رافعة يديها و يسترها ثوب طويل مثبت على
 الأكتاف بحمالات وفي رجلها نعلان وعلى رأسها عصاة وفوق رأسها إشارة هيروغليفية يشار بها إلى الشمس
 ذات الأشعة وعلى جانبي هذه المرأة البروج الاثنا عشر منها ستة عن اليمين وهي السرطان والأسد والسنبلة
 والميزان والعقرب والقوس وستة عن اليسار وهي الجدى والثور والحوت والحل والثور والجوزاء وأجل شيء يستحق
 الالتفات إليه الكواكب السيارة الخمسة البادية الذكر وهي بين النجوم المنتشرة عن عين المرأة (نوت) منها
 اثنان فوق برج الأسد وهما كوكب المشتري وكوكب زحل أشير اليهما بحرف (ف) كما أشير بحرف (ق)
 إلى كوكب المريخ الموضوع بجانب برج السنبلة وفوق هذا البرج اسمه وهو (نتر - سب تاحم) وبين الميزان
 والعقرب عند حرف (ك) كوكب عطارد ويسمى (سبك) وتحت ذلك نقوش صعبة الحل مرموزها بحرف
 (ل) وهي تدل على برج الميزان وبين العقرب والقوس في المكان المرموز له بحرف (م) كوكب الشعرى
 اليمانية (نتر - دوا) والكتابة التي فوق العقرب صعبة الحل أيضا وهي اسم برج العقرب ويرى فوق
 القوس اسمه (بشت) وقد وضع فوقه حرف (ن) للدلالة عليه . أما الصور المرموز لها بحروف
 (ت ث ج ح خ د) فانها تدل على كواكب عرفت مدة الفراعنة لأنها وجدت مرسومة على بعض آثار الأسرة
 التاسعة عشرة والعشرين . وقد عرف قدماء المصريين نجوما غير ما ذكر كالرسومة بين ذراعي (نوت)
 وكالجوزاء المشار اليها بحرف (ا) والشعرى اليمانية والنجم المسمى (حس - مون) أو (رتز) أي النسر
 الواقع والدب الأكبر المرسوم على هيئة نغد الثور يسمى (ضبس) والنجم (آن) والأسد (س) والتمساح
 (ش) والصور الأربعة المشار اليها بحروف (ط ظ ع غ) يرمز بها للثلاثكة الأربعة المختصة بحفظ أحشاء
 الأموات وهي (أمست) و (حي) و (دواموتف) و (قبح سنوف) وقد جعلت هنا رمزا للنجوم أما
 الأربعة والعشرون صورة التي عن يمين ويسار المرأة الدالة على السماء فهي رموز للأربع وعشرين ساعة
 فساعات النهار جعلت على هيئة نساء فوق رؤسهن قرص الشمس إشارة إلى النهار وساعات الليل رست أيضا
 كنساء فوق رؤسهن نجمة إشارة إلى الليل وبجانب ساعات النهار كتابة معناها السلام عليك أيها المتوفى
 حتر بن المرحومة بحر الخ



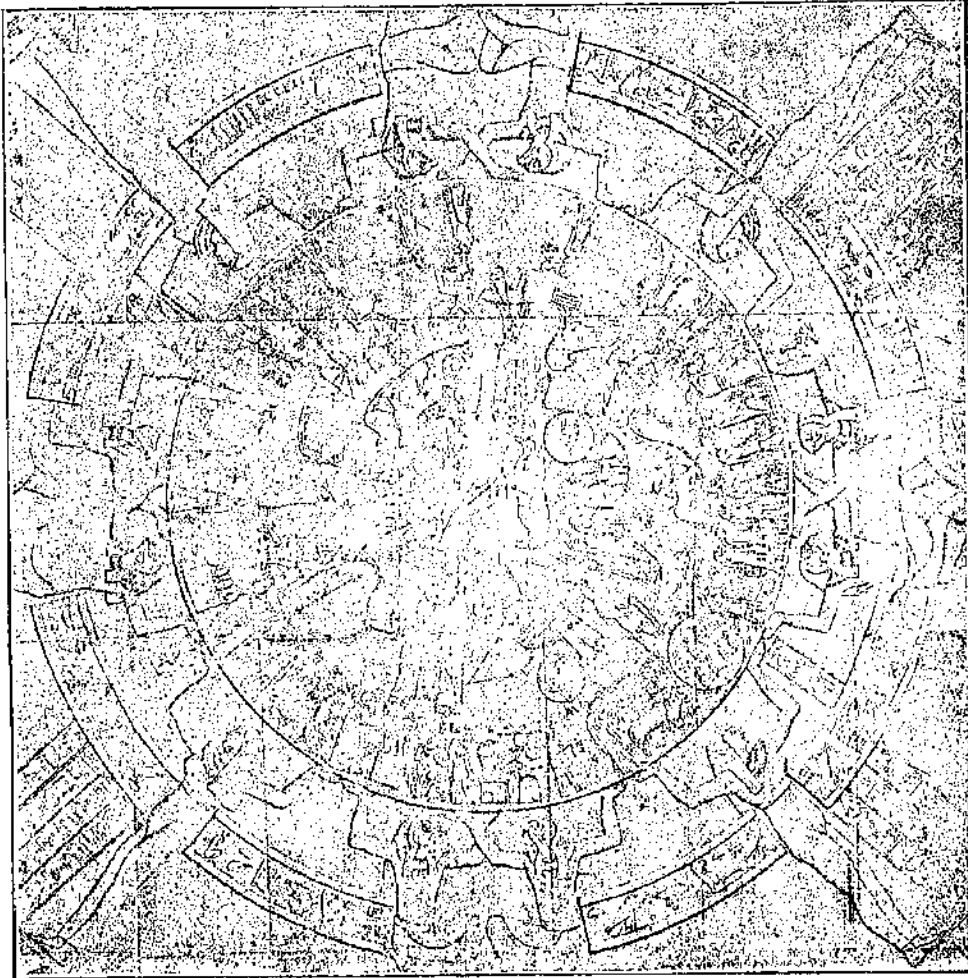
(شكل ١١)

فالساعة الأولى هي ساعة الفجر والأخيرة هي ساعة المساء وقد رمز للنقط الأربع الأصلية في أركان شكل (١١) أيضا بحيوانات فالجهة البحرية سبع له أربعة أجنحة ورأس كبش فوقه قرنان وبينهما قرص الشمس تعلوه ريشتان وبجانبه ثعبانان وأشاروا للجهة الشرقية بجمل له أربعة رؤس كباش وللجهة الغربية بياشق له أجنحة ورأس كبش عليه ريشة وقرنان فوقهما ثعبانان وللجهة القبلية بسبع له أربعة أجنحة وأربع رؤس كباش ويشاهد في الرسم الذي فوق رأس المرأة (نوت) الدالة على السماء مركب الشمس وفيها صورة

المتوفى (حتر) انتهى الكلام على الشكل الحادى عشر

(الكلام على الشكل الثانى عشر)

هو الذى وجد فى هيكل (دندره) وهو رسم لمنطقة فلك البروج صنع فى عصر القياصرة الأول وهو وإن كان متأخرا لا يخلو من الفائدة واليك رسمه



(شكل ١٢)

هذه الدائرة وجدت فى هيكل (دندره) الذى بنى فى القرن الأول وهدم فى آخر أيام البطالسة وتم بناؤه فى عهد القيصر أغسطس وذلك فوق معبد قديم من الطبقة الأولى اهتمت به ملوك الأسرة الثانية عشرة وأعظم ملوك الطبقة الوسطى مثل (نختمس الثالث) و (رمسيس الثانى والثالث) وكانت المنطقة مرسومة فى سقف الرواق الثانى من جهة الجنوب وقد أخذها الفرنسيون بأمر المرحوم محمد على باشا سنة ١٨٢٩ وجعلوها الى مدينة باريس . فترى فى هذه المنطقة (١) أربعة من صور النساء واقفات جعلت للدلالة على الشرق والغرب والجنوب والشمال وهى تحمل السماء ويساعدهن فى ذلك ثمانية من صور (حوريس) جانيات رؤسها على شكل الباشق وجسمها كجسم الانسان وهذه المنطقة المحمولة على أيدي هذه الصور الاثنى عشر تنقسم الى (٣٦) قسما وكل قسم الى عشرة أقسام فيكون مجموع الأقسام (٣٦٠) قسما والقسم يوم وكانت هذه الصور الاثنا عشر التى ترمز الى الملائكة ترأس منطقة فلك البروج القديمة المصرية فى أقسامها كافة . ثم لما جاء اليونان بمصر ونشروا منطقهم الفلكية جعلوا كل ثلاثة من هذه الصور لقسم من الدائرة

وبهذه التجزئة بقيت المنطقة معتمدة للآن لاسى علماء الفلك ويشاهد في نفس المنطقة وفي أقسامها بعض نجوم رصدها المصريون قديما كالدائرة المشتعلة على ثمانية من المذنبين المغلولي الأيدي الجائين على الركب وعلى الثعبان الكبير المتوج بالتاج (اتف) وتبتدى المنطقة في أعلى هؤلاء المذنبين يبرج الأسد ثم بواسطة البرج الأخير وهو السرطان تدخل في الدائرة الموضوعة فوق الأسد بحيث يتكوّن من الجميع شكل حلزوني ويرى في داخل الدائرة أن الكواكب قد رسمت كل خمسة معا في هيئة رجال تسير الهوينا

قال (شامبلون فيجك) من تأمل هذه الدائرة وجدها مبتدئة في وسطها يبرج الأسد المرسوم كالسبع السائر فوق ثعبان ومن خلفه امرأة . ثم يبرج السنبلة وهي امرأة في يدها اليسرى سنبلة قحج ثم يلي ذلك من اليمين الى اليسار برج الميزان بكفتيه ثم برج العقرب ثم القوس نصفه انسان ونصفه الآخر نور وله أجنحة ثم يليه الجدى نصفه ماعزى ونصفه الآخر سمكى ومن بعده الدلو وهو كرجل يصب الماء من إناء بين يديه ثم الخوت وهو أسماك مجتمعة في مثلث محصنة بإشارة الماء ثم الحمل وهو أول البروج اليوم عند علماء الفلك وبعده الثور وكلاهما مرسوم فوق صورة انسان سائر وبينهما الجوزاء ثم السرطان . هذه هي البروج الاثنا عشر المرسومة داخل المنطقة ولأجل الوصول الى معرفة ترتيبها والوقوف على أول بروجها نكتفي بالتأمل الى السرطان إذ هو الموضوع مباشرة فوق رأس الأسد . وعليه فالاثنا عشر برجا موضوعة على شكل حلزوني وتعرف الككل بسهولة لأن مبدأها الأسد كما تقدم . أما غيره من البروج فيتبعه مرتبة حسب ترتيبه الوارد في المنطقة . وأما بقى الصور المنتشرة في دائرة المنطقة فهي نجوم أشهرها الشعرى الخيانية وهي المرسومة كالبقرة فتراها نائمة في سفينة وعلى رأسها نجمة وفي جيدها هذه العلامة (♌) الدالة على الحياة وهذا النجم يعرف عندهم باسم (أسبس) ويتبع هذا الفصل «جوهرة ثان» الجوهرة الأولى في عجائب هذه الصور الفلكية المصرية . الجوهرة الثانية في فوائد ذلك للأساميين

«الجوهرة الأولى»

أنظر أيها النكي في هاتين الصورتين . لقد تبين فيهما ما في علم الفلك من ثوابت وسيارات وما عرف الناس من البروج الاثني عشر . وانظر كيف تجلى ذلك في الصورة الأولى التي وجدت في قبر حتر مرسومة على صندوقه بهيئة صفيين عن يمين وشمال وفي صورة معبد (دندره) بهيئة شكل حلزوني عجيب وكيف أمكن القوم أن يبينوا في صورة على مقدار راحة اليدين الجهات الأربعة وأيام السنة وفصولها وشهورها وبروجها وقد رسموا ذلك بصورة آية في الحكمة وآية في الصنعة وغرائب الابداع . ههنا تجلى معنى القرآن ههنا تجلت بدائع الفرقان . ذكر الله في أول السورة الشمس والقمر ونورهما وحسابهما وذمّ المعرضين عن ذلك . وههنا أبان أن للانسان صنعا في ذلك وذمّ المعرضين عنه . إذن الله يذمّ المعرضين عن صنعه والمعرضين عن صنع عباده . ألا ترى رعاك الله أن صنعه قد تجلى في الصور المرسومة في أول السورة مثل صور أوجه القمر وصور سديم المرأة المسلسلة وسديم الأسد وصورة المجرة . هذه هي الصور التي لم تمسها يد البشر وانما وضعت في السماء بيد خالقها ورسمت على قرطيسنا بضوء شمسه . ثم انك ترى هنا صورا أخرى رسمت بيد العباد من آلاف السنين لتجمع أشنات الصور السماوية وتبين للناس مناظر السماء وبروجها موجهة بأشكالها حتى تكون أسهل مأخذا وأوضح تصوّرا وأقرب فهما . جلّ الله وجلت الحكمة . ههنا «رسمان» للصور السماوية رسم في أول السورة بيد الله ورسم هنا بيد العلماء . ذمّ الله المعرضين على الصورتين ولم يفرق في الذم بين من أعرض عن الآخرة ومن أعرض عن الأولى بل ان صور قدماء المصريين الصناعية أقرب الى الفهم لأنها صور معدة للدراسة وأقرب الى الأذهان ألا انها هي أشبه بكتلة المخ الانسانى رسم عليه صور شتى فيحفظها . هكذا الصور الفلكية لقدماء المصريين جمعت شتات علم الفلك فصارت

كمرآة المنجم وهي صغيرة تزيه كل عامرة وقفر . انتهى الكلام على الجوهرة الأولى

﴿ الجوهرة الثانية في فوائد ذلك للمسلمين ﴾

رب مطلع على هذا يقول كيف ساغ لك أن تحترض على قراءة علوم القدماء وهم قوم عباد أوثان .
 أليس القرآن يغنيننا . أقول هذه شبهة قد نشرها إبليس بين المسلمين ليبعدهم عن ربهم ويذلهم بخلقه .
 لم يقل أحد من علمائنا أن هؤلاء قوم محكوم عليهم بجهنم بل أجمعوا أن أهل الفترة ناجون وإن غيروا
 وبدلوا وعبدوا الأوثان . فالأثم التي لم تبلغها دعوة نبي تحاسب على مقتضى عقائدها وليس محكوما عليها
 بالهلاك . فهذه شبهة ضالة خاطئة . وأيضا هب أنهم ضالون فهل ضلال قوم يمنعنا عن أخذ ما لديهم من
 المنافع . اللهم إن كل قوم يحرّمون ذلك فهم قوم ضالون . وكيف يحرّم الناس ذلك وقد قال الله - أفلم
 يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لاتعصى إلا بأمر من الله ولكن تعصى
 القلوب التي في الصدور - يقول - لهم قلوب يعقلون بها - ولم يبين أي معقول يعقلون أعلى يدكافر هو أم
 على يد مسلم . وإذا كان ابن آدم يقول في سورة المائدة كما مرّ هناك - ياويلتي عجبت أن أكون مثل
 هذا الغراب فأورارى سوءة أخى - أى إن الانسان يتلقى العلم عن الغراب ويأخذ الحكمة عنه اذا وجد نفسه
 مقصرا عنه في فضيلة أو عمل ما . فاذا رأى الغراب يدين أخاه يكون من النقص أن لا يدين أخاه . فكما
 تحسر ابن آدم على نقصه بالنسبة للغراب . فكذلك يتحسر المسلم على كل ما يمكنه علمه مشتق من علم الطيور
 وبالأولى ما كان من علم الانسان . والمتحسر على نقصه عن الغراب يكون أكثر تحسرا على نقصه عن
 الانسان الذي هو أقرب اليه وهو من جنسه . وهذا هو المقصود في هذه الجوهرة يعني اننا نكون في
 حيرة ونقص شديدين اذا سبقتنا أوروبا التي هي في زماننا . واذا سبقنا قدماء المصريين ولم نعلم ما علموا
 فن تحسر على معرفة الغراب في دفن أخيه الغراب فما أحرأه أن يتحسر على علوم مكتوبة له مرسومة
 على ألواح مرصودة في المقابر مهيئة له ثم هو يولى معرضا عنها فحق عليه قول الله - يا حيرة على العباد الخ -
 حكاية النملة وسيدنا سليمان عليه السلام ﴿

وباليت شعري اذا كان نبي الله سليمان عليه السلام يقول - يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا
 من كل شيء إن هذا هو الفضل المبين - ثم أخذ يذكر قصة النملة التي سمعها في وادي النمل تقول - يا أيها
 النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون - . سمع النملة سليمان . فاذا فعل
 (١) تبسم ضاحكا من قولها (٢) - وقال رب أوزعني - أى ألهمني - أن أشكر نعمتك التي أنعمت
 علي - (٣) - وأن أعمل صالحا ترضاه - (٤) - وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين - .

تبسم سليمان فرحا بأنه عرف ما تقوله النملة واعترف بنعمة الله عليه وعلى والديه وطلب من الله أن يعمل
 صالحا الخ . فيقول سليمان انه علم منطق الطير وأوتي من كل شيء . ويقول إن هذا فضل مبين . فاذا
 كان منطق الطير مع ما عطف عليه فضلا مينا فما بالك بمنطق الحكماء والعلماء من نوع الانسان . إن
 الانسان اذا عرف ما نطق به الحكماء وما دونوه في الألواح والكتب والطوامير يكون أولى بالشكر والاقرار
 لله بالفضل . إن العلم المودع في الانسان أعلى من العلم المودع في الحيوان . فاعلان النبي سليمان شكره
 لله على علمه بمنطق الطير حضن لنوى العقول أن يعرفوا نعم الله فيما نالوه من حكمة الحكماء وعلم العلماء .
 اللهم لم يبق بعد هذا البيان عذر لأهم الاسلام بعدنا . اللهم قد أبنت بفضلك لهم ما يجب عليهم من العلوم
 ونقل الحكمة . إن المسلمين بعدنا هم الذين يعرفون ما قرأته جميع الأمم وما ظهر من عجائب هذه الدنيا

مرت على المسلمين قرون وقرون وهم نائمون بعد العصر الأول أنامهم شيوخهم المغرورون فقلّ أولو
 الأبواب وذات الأعقاب وهذا أوان استيقاظهم فليكونوا فيها مضى أشبه بحيوان عاش في بيضة فصار دودة

ثم فيلجئة كدودة القز . وها هو ذا قد جاء أو ان استيقاظهم وبناء مجددهم فيكونون أشبه بذلك الحيوان وقد حل وثاقه وصار في حرية يتمتع بالنسج والشجر وأعمال الأزهار اه
فهذا هو قوله تعالى - فالיום فنجيك بسيدك لتسكون لمن خلقك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون - انتهى

﴿ ذكرى أيام الشباب وشكر الله تعالى على نعمة العلم والعرفان ﴾

قد ذكرت في سورة الأنعام أن عويل نساء قريننا على عظيم من عظمتها كان ذلك يورثني حزنا على جهلى . وأوضح الآن أكثر اياها فأقول . لقد كانت هذه حالى أيام الشباب فكنت اذا سمعت الندابات يندبن بهيئة منظمة موسيقية تحدث في قاي رقة وآلاما على جهلى بعلم النك لا نى كنت أنظر إذ ذاك الى النجوم في الليالى المظلمة وهى تلمع خلال النخيل المحيط بالقربة فكان يخيلى لى أن أصواتهم ترتفع في طبقات الجو صاعدة وأنا أصعد الأنفاس حزنا على جهلى بعلم هذه النجوم . وتارة كانت تحدث هذه حزنا فى نفسى على الآثار التى خلفها الأولون وآتخسر وأحزن على ما أودع فيها من عجائب . ولست أدري سبب اقتران بكاء النساء بهذا ولا بذلك ولكن هذه كانت حالى وقد كنت أيام الصبا قبل المراهقة أبيت فى الحقل مع أقارنى فأسمع طنين الناموس فى الحقول فأحس فى نفسى بحزن عميق على جهلى بهذه الدنيا وهذا الوجود وكان ذلك الطنين أرسل الى لىذكرنى بالجهل الطويل الممتد كامتداد هذه الدنيا فلا أدري أوائلها وأواخرها . هذه كانت حالى أيام الصبا وحالى أيام الشباب . أفلا يحق لى الآن بل أفلا يجب على أن أشكر الله وأعلن فضله على إذ جمعت من عجائب وغرائب النجوم والأفلاك صورا جميلة وبدت بهيئة ظريفة قدزيت للناسرين وبعض هذه الصور إلهية وبعضها بأيد بشرية مدفونة تحت أطباق الثرى كما كنت أجد فى نفسى أن فى السماء عبرا وفى الأرض وآثارها المدفونة خبرا . اللهم انى قد علمت من ذلك على قسدر الطاقة البشرية وأدركت بعض نظام هذه الدنيا . فأنا اليوم أحمذك وأشكرك على فضلك العظيم ومنتك السكبرى إذ أرى نى من عجائب كواكبك ومن غرائب خزائن الآثار التى رسمها القدماء وقد انقلب حزنى فى الشباب على الجهل سرورا فى المشيب على العلم والحكمة والمجد لله رب العالمين . انتهى

﴿ الفصل الثانى فيما يجوز من الصور وما يمنع ﴾

ولما أردت أن أصنع صورة البروج المستخرجة من قدام المصريين المذكورة حضر صديق لى من قراء هذا التفسير وهو من أهل العلم الصالحين المطلعين ومن قرأنى وهو الشيخ محمد السيد دياب فقال كيف تضع صورا فى التفسير والتصوير حرام . فقلت إن الصور على ﴿ نوعين ﴾ نوع ورد ذكره فى الأحاديث وكلام العلماء ونوع لم يرد . أما الذى ورد ذكره فى الأحاديث وكلام العلماء فهو ﴿ قسبان ﴾ التصوير الذى له ظل والذى لا ظل له والأول منهما محرّم بالسنة وقد شرط له العلماء أن يكون على هيئة يعيش بها الخ . القسم الثانى مباح لما روى عن زيد بن خالد رضى الله عنه أن أبا طائفة حدثه أن النبى ﷺ قال لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة قال بسرفرض زيد بن خالد فعبدناه فاذا نحن فى بيته بستر فيه تصاوير فقلت لعبد الله الخولانى ألم يحدثنا فى التصاوير فقال انه قال ألقا فى ثوب ألا سمعته قال لا قال بلى فذكره * وروى الترمذى بسنده أنه دخل على أبى طلحة الأنصارى يعود فوجد عنده سهل بن حنيف فقال فدعا أبوطلحة انسانا ينزع نمطا تحته فقال سهل لم تنزع قال لأن فيه تصاوير وقد قال النبى ﷺ ما علمتم قال ألم يقل إلا ما كان رقا فى ثوب فقال بلى ولكنه أطيب لنفسى وقال الترمذى حسن صحيح * وروى أن عائشة رضى الله عنها كان لها قرام (ستر) سترت به جانب بيتها فقال لها النبى ﷺ أميطى عنى فإنه لا تزال تصاويره تعرض فى صلاتى اه وجاء فى صحيح مسلم وأبى داود والنسائى والترمذى عن أبى هريرة أن جبريل أمر النبى ﷺ أن يأمر بالستر

بالستر الذي فيه تماثيل فيجعل منه وسادتان توطآن . فهذا يدل على أن تلك الصور ترجع الى المقصود منها وهي مباحة

أما النوع الذي لم يرد ذكره في الأحاديث ولا كلام العلماء فهو التصوير الشمسي وما هو إلا صور رسمها الله بشمسه فاحتمال الناس على سكونها فسكنت كما يرى الانسان صورته في المرآة فهل يباح لنا أن نراها فيها ولا يباح بقاؤها انها من نوع الظلال الشمسية ومن حرم الظلال الشمسية تحت جبل أو حائط أو جمل فقد انحلع من عقله ودينه معا . فالصورة الشمسية لم ترسم بأيدينا والنظر اليها كالنظر الى الظلال المعروفة على أن هذه كالمعجزات القرآنية في هذا الزمان . يقول الله سبحانه - ألم ترالى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا - فها هو ذا سكونه المرموز له في الآية . فقال الشيخ محمد السيد إذن هذا مباح . قلت بل هو واجب . فقال أين الدليل . قلت هو هنا للتعليم والتعلم واجب ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب كما يقول الشافعي رضى الله عنه في غسل المرفق مع غسل الذراع . قال وهل هذه تعاليم اسلامية . قلت بل هي لب الاسلام وقلبه . انها صور البروج والبروج تشمل المنازل المذكورة في هذه السورة في قوله تعالى - وقدره منازل - فكيف يعرف الناس المنازل إلا برسمها فهي تفسير للقرآن وهي توحيد لله تعالى وهي شكر له . إن التوحيد هو العلم بما هو في هذا الوجود وهذا الوجود لا يعرف إلا بأمثال ما ذكرناه وهو من ملكوت السموات والأرض الذي أراه الله ابراهيم الخليل فقال تعالى - وكذلك ترى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين - فهذا يكون الايقان الذي هو أرقى من الايمان . ومعلوم أن الشكر علم وعمل وهذا لب العلم وهو الذي حضّ النبي ﷺ على تعلمه فقال ﴿ نحن أحق بالشك من ابراهيم ﴾ ومعنى هذا أن علينا أن نبحت ونجد حتى نوقن ولا معنى للبحث والجد إلا في علوم هذه الكائنات التي يكون بها اليقين تشبها بالخليل عليه السلام الذي نظر فيها وأيقن وإن كنا لانصل الى مقامه . فقال ذلك الصالح ولم خصص الرسم بما نقل عن قدماء المصريين . فقلت أولا إن هذه أرقى وأكمل من غيرها في التعليم (ثانيا) أن الله سبحانه ذكر المنازل في هذه السورة ثم جاء في نفس السورة فذكر فرعون وهو من قدماء المصريين وقد جعل بقاء جسمه آية فنحن نرى للناس بعض هذه الآية التي وجدت في مقابرهم لنخلص من الغفلة عن الآيات في قوله - وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون - فها هنا استبان أن الغفلة عن آيات الله (ومنها الآيات التي خباها الله في قبر الفراعنة) مذمومة منهي عنها وهذه الأسرار لم تظهر إلا في هذا الزمان فوجب علينا أن نظهر للناس أن القرآن قد أشار الى علوم قدماء المصريين وهذا منها لاسمائه أنه هو المذكور في نفس السورة وهي صور البروج والمنازل . فهذه العلوم من جهة فرض عين على كل قادر على الازدياد من التوحيد ومن الشكر وفرض كفاية بحيث يكون في الأمة من يعرفونه مثل جميع العلوم والصناعات ما يخص ماتقتم

إن هذه الصور وضعت فيها هو فرض عين على كل قادر من ﴿ وجهين ﴾ وجه التوحيد ووجه الشكر وفرض كفاية على الأمة بحيث تخصص له جماعة يقومون به من وجهين أيضا وجه أنه علم الفلك ووجه أنه علم قدماء المصريين فيكون ثوابه هنا مضاعفا والقائم به قائم بغرضين معا كفاية الأمة . ثم قلت له أيها الفاضل لنفرض أن أحاديث الجواز وإباحة الصور لم ترد وأن حديث أبي طلحة وهو قوله ﷺ لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة لم يذكر فيه مابعد وهو إباحة التصوير إذا كان رقيا في ثوب . وبالأجمال لنفرض أنه لم يرد شيء من الحل ولم يرد إلا انتهى فهل نمنع رسم الصور . قال نعم . قلت له قد ورد في رواية من نفس هذا الحديث ﴿ لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب أو صورة ﴾ قال أذكر ذلك . قلت إذن سوى الحديث بين الكلب والصورة . قال نعم . قلت فهل هناك نهى عن كلب الصيد أو حراسة الغنم . قال لا . قلت

لماذا . قال لأن كلب الحراسة ينفعنا لحفظ غنمنا . قلت ثم ماذا . قال وأيضاً كلب الصيد يفيدنا في حياتنا نأكل مما يصطاد لنا . قلت إن الصور في عصرنا الحاضر أنفع لنا من كلب الصيد و كلب الحراسة أنها تحرسنا وتفيدنا . قال هذا لا أعقله . قلت أنت تعقله ولكنك تريد أن تعلم الناس قال حقاً . فقلت له أعلم أن الناس اليوم في أوروبا وأمريكا واليابان و بلاد الترك قد عرفوا من العلم ما يجعله كثير من الناس . ذلك أن الحيوانات على ﴿ قسمين ﴾ قسم نراه وقسم لا نراه والذي نراه بالنسبة لما لا نراه قليل جداً . إن جميع ما على الأرض من الانعام والبهائم والحشرات والطيور لا تساوى في تعددها ما في جسم رجل أصابه طاعون أو حى أومرض الجدري أو الحصبة أو حى التيفوس أو حى التيفود . فهؤلاء جميعاً لا يمرضون ولا يموتون إلا بالحيوانات دقيقة تحدث ذلك . وقد احتال علماء هذه الأمم فصوّروا تلك الحيوانات وعرضوها على الناس وهي مكبرة ألف مرة وعشرة آلاف ومائة ألف فظهرت خراطيمها مع أجسامها فعرفها الناس فاحترسوا منها بأن أتوا بما يضادها فأهلكوها فأنجوا كثيراً من الناس بذلك ولولا ما فعلوه ما بلغ قطرنا المصرى اليوم (١٤) مليوناً بعد أن كانوا (٣) ملايين أيام المرحوم محمد على باشا تقريباً . وهكذا جميع الأمم . وأيضاً هذه الحيوانات وغيرها لما رسمت في الكتب وظهرت صورها عرف الناس جمال ربهم وحكمته واتقانه وابداعه فآمنوا به ألا ترى الى ما ذكرته لك في سورة الأعراف عند قوله تعالى - ورجنى وسعت كل شئ - فقد قلت لك هناك ان علماء القرن العشرين من المعاصرين لنا في أوروبا أدهشهم نظام ربهم في حيوانه فقالوا إن علماء القرن التاسع عشر آراؤهم في العالم كأراء المجازى وهو أقرب الى الخرافة إذ يظنون أن هذا العالم جاء بالمصادفة والانتخاب الطبيعي الخ . فإذا كان هذا شأن الصور الحيوانية المكبرة اذا فرضنا أنها مرسومة بأيدينا . أفلا تساوى تلك الصور كلاب الصيد و كلاب الحراسة . وإذا جاز لنا أن نحرس غنمنا بكلبنا ونصطاد الغزالة به والصيد واقتناء الغنم مباحن . وقد خرجنا بذلك عن كراهة اقتناء الكلب أفلا نخرج عن كراهة الصور أو نحرمها اذا كانت مرسومة في الورق . قال أما هذا القول فهو حسن . قلت ماذا تريد بحسنه . قال انه ثبت الجواز ان لم يرد في الحديث جوازه مع أن الأحاديث نطقت بجوازه . قلت ليس هذا جوازا انما هو وجوب وكيف لا يكون وجوباً ونحن لو تركنا معرفة هذه الحيوانات وحرمنا رسمها على أطبائنا لجهلوا أمراضنا وفتكت بنا تلك المخلوقات أفلا يكون ترك ذلك حراماً . قال بلى . قلت إذن حراسة الانسان والحيوان من الطاعون والموت أفضل آلاف المرات من حراسة غنمنا في البادية لاعرابى . قال نعم . قلت إذن رسم الصور وتكبيرها يكون واجباً ﴿ لأمرين ﴾ معرفة الله وشكره . وحفظ الأمم الاسلامية من الهلاك . فقال يا للعجب إن هذا القول جيل وإن من البيان لسحرا وأود أن ينشر هذا القول بين المسلمين لأن هذه الأمة قد رسخت فيها هذه العقيدة وأكثرت الناس لا يفرقون بين صورة وصورة ولا بين حالة وحالة بل الناس غافلون نائمون يسمعون تحريم الصور فيأخذونها على عاداتها والعامة يتبعون صغار العلماء وصغار العلماء أعينهم في غطاء عن ذكر الله ومن الغطاء عن ذكر الله أن تخفى صور الحيوانات العجيبة فلا يظنون لها . فالمسلمون اليوم وقعوا في برائن أسدين مفترسين أسد جاء من الخارج وهي الأمم الراقية يذلونهم ويفترسونهم للجهل الخيم عليهم . وأسد من الداخل وهم صغار الفقهاء في الدين الذين تصدروا للفتيا واتبعهم الناس وأعينهم في غطاء عن ذكر ربهم فضاعت الأمة فريسة للأسدين أسد الأعداء الخارجين وأسد الأعداء الداخلين بجهلهم وهم الأعداء حقيقة وفى المثل ﴿ عدو عاقل خير من صديق جاهل ﴾ فهؤلاء أصدقاء جاهلون يحفظون كلمات ولا يفقهون معناها فانا لله وانا اليه راجعون * وقد قال الامام الغزالي رحمه الله تعالى ﴿ إن من ينصر الدين بطريق الجهل أضرب عليه من أعدائه وناصرو الاسلام أكثرهم جاهلون ﴾ . قلت له لا تأسف وتعلم أن الله أذن للمسلمين اليوم بالارتقاء وهذا التفسير من مقدمات تلك النهضة

فلا يكن في صدرك حرج مما ابتلى به المسامون من الجهل والله على كل شيء وكيل . فقال أنا كما قدمت موقن بهذا الموضوع ولكن بهذا البيان أفرح ليطالع عليه المسامون . وإن قد اطلعت في تفسير الفاتحة الذي نشر حديثا في كتاب خاص أنك ستكتب في النحل وفي العنكبوت وغيرهما عجائب لا تحصى . فأنا أود كما بود أهمل العلم جميعا أن ترسم تلك الحيوانات بالتصوير الشمسي لنرى بأعيننا تلك الحيوانات مكبرة فنرى أرجل النملة والنحلة الست ونرى أرجل العنكبوت الثمان وهكذا وإذا كانت محاورتي معك قصدت منها أن يطلع المسامون في بلاد الاسلام وأنا قبل ذلك مقتنع بحديث مسلم وغيره فاني أود أن أقابل أكابر علماء الحنفية والشافعية والمالكية وأتت بآرائهم ليوضع هنا حتى يكون رسم الصور اجتماعيا من يعتد بهم . فلما أطلعني على ما كتبه جماعة من هيئة كبار العلماء بالجامع الأزهر من المذاهب كلها رأيت أنهم اتفقت آراؤهم واختافت عباراتهم ورجعوا جميعا في المعنى إلى أمر واحد وهو جواز التصوير الشمسي كالذي يصور في هذا التفسير وهذا نص ما قاله شيخنا وأستاذي بالجامع الأزهر شيخ السادة الشافعية ومن هيئة كبار العلماء بنصه قال ﴿ التصوير المحرم انشاء صورة تشبه صورة الحيوان بخلاف حبس صورة حيوان بنحو زجاج فليس بتصوير وحينئذ لا حرمة بل هو مثل حبس الصورة بالمرآة وهذا الحبس ليس بمحرم ﴾ ونحو نحوه . صدقنا الشيخ يوسف الدجوي من كبار علماء المالكية وهكذا غيره . فلما قرأت ما ذكر قلت له الجواز لا يكفي بل هنا يكون الوجوب لأن العلم لا يظهر حقائقه في هذا الزمان الذي اتسعت فيه دوائره إلا برسم صور المخالقات الحية وغير الحية كما تقدم

وإذا سمعناه عليه السلام يقول لعائشة أميضى عني فإنه لا تزال تصاويره تعرض في صلاتي فانا نفهم منه أنه لم يمنع من ظهوره أمامه في الصلاة إلا أنه شغلها عنها . إذن التصوير شغلته في الصلاة فأمر بامطائها . إذن إذا كانت التصوير تعرفنا جمال الله وحكمته في كتبنا التي ندرسها فانا لا نخطئها ولا نبعدها لأنها مذكورة بالله وبجماله . إن العلماء استنتجوا من وجودها عنده وأمره بالامطاة في تلك الحال أن الصور التي لا تطل لها مباحة . فكيف بنا إذا رأينا صور الكتب التي ترشدنا إلى جمال ربنا ونظام حياتنا . فهل هذه تخطئها كلا والله . ثم كلا بل المفهوم من الحديث أننا نقيمها وجوبا أو ندبا

﴿ تذكرة ﴾

بعد أن كتبت هذا زارني أحد الفضلاء فاطلع عليه . فقال . إن ما أبديته من الأدلة كاف في جواز بل وجوب الصور الشمسية لآظهارها أخفايا والدقائق كي يحيط الانسان علما بما في هذه الحيوانات من العجائب ولكن هذا ليس يتنفع به جميع المسلمين وهذا التفسير عام لا يختص بأهل سنة ولا بشيعة ولا بأمامية ولا يزيدية بل هو كتاب عام . وفي هذه الطوائف من لا تنفعه البراهين العقلية ولا تنفعه الأدلة الحكمية . وانما يقول على نصوص القرآن والحديث وما عدا ذلك يضربون به عرض الحائط . فهل لك أن تذكر ما يناسب الصور الشمسية من الآيات القرآنية ولا تنقف عند ما ذكرت من قوله تعالى - ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا - وأن هذه الصور انما هي من أشعة الشمس واحتمال الناس عليها فأسكنوها فان مثل هذا لا يجترئ به ذلك الفريق من المسلمين . فقلت إن تصوير الكبير وتكبير الصغير قد جاء معا في غزوة بدر . ألم تر أن الله يقول - وإذ يركبهم إذا التقيتم في أعينكم قليلا ويقللهم في أعينهم ليتفقدوا الله أمرا كان مفعولا - ويقول - إذ يركبهم الله في منامك قابلا ولوأراكم كثيرا لفشلتم ولتنزعكم في الأمر - فهنا صغر الله الكبير كما رسمت صور السماء في هذه السورة مصغرة . وهكذا صور الهجرة وأنواع السديم فهذه قدر سمت لنا مصغرة لكي تكون أمامنا . أما هي فلا حصر لعظمتها فهناك صغر الله المسامين في أعين الكفار وصغر الكفار في أعين المسامين عند اللقاء وصغرهم في عين رسول الله ﷺ في المنام . كل ذلك ليقدموها على الحرب . وههنا صغرت صور الجرات وأنواع السديم ليدفعنا هذا لمراسمتها . فهناك التصغير

لايقاع الحرب لينتشر الاسلام والعلم . وهنا وضعت أمامنا صور الكواكب والأرض وغيرها في العلوم جميعها كالجغرافيا والنبات والحيوان والفلك وعلم طبقات الأرض لتعقلها وتنعادها . فالتصغير هناك للحرب والحرب لنشر العلم وهو دين الاسلام . والتصغير هنا لتجتهد في البحث فتعلم فكلاهما للعلم صغر جيش الكفار في رؤيا النبي ﷺ وفي أعين الصحابة عند التقاء الجيشين لنشر العلم . وهكذا هنا صغرت هذه الخواقات بالتصوير الشمسي لنشر العلم . فقال صاحبي هذا والله أعجب العجب . إن هذه أمور لا تخاطر بالبال واستنتاج غامض ولكنه حق . ولكنه لا يزال ناقصا أنت الآن عرفتنا تصغير الكبير ولكنك لم تأت بما يدل على تكبير الصغير ولا يكفينا قوله تعالى - ولوأراكمهم كثيرا لنفسكم ولتتازعتم في الأمر - لأن - لو - تدل على الامتناع فهذا أطلب منك أمرين ﴿ الأمر الأول ﴾ ما المناسبة بين رؤيا النبي ﷺ ورؤية الصحابة جمع السكينة من أعدادهم جمع قلة وبين التصوير الشمسي ﴿ الأمر الثاني ﴾ أين تكبير القليل . فقلت له الرؤيا عبارة عن انطباع صور في الخيال الذي اصطالحوا على أنه في مقدم الدماغ . فإذا رأى الإنسان شيئا في المنام فعناء أنه انطبع في مخيلته لا أقل ولا أكثر . فالتصغير لما رأى الأعداء قليلا انطبعوا في الخيلة قليلا وهكذا لما رأى الصحابة رضى الله عنهم أعدادهم طبعوا في الخيلة عند كل واحد منهم قليلا بعارض سهوى لانعاشه وحصل لهم في البقطة ما حصل للنبي ﷺ في المنام وهذا أمر سهل والصورة الشمسية ماهي إلا ما طبع على جرم من الأجرام بأشعة الشمس وهذا المطبوع ينتقل بنظر العين إلى الحس المشترك والحس المشترك يوصله إلى الخيال فرجع الأمران إلى التصوير الشمسي ورؤية الصحابة ورؤيا النبي ﷺ إلى النتيجة وهي وجود صور في الخيلة لا أقل ولا أكثر وبهذه الصور تكون نتائج على مقتضاها فيكون الاقدام على الحرب هناك والاقدام على التفكير والعلم هنا . أما ﴿ الأمر الثاني ﴾ وهو تكبير القليل فهو المذكور في غزوة بدر أيضا . ألم يقل الله تعالى في سورة آل عمران - لقد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء - فانظر كيف أيدهم بالنصر إذ جعلهم في أعين العدو ضعفي عدده وعدد العدو كان نحو ألف . إذن يكون جيش الصحابة صار مقدار نفسه نحو ست مرات ومقدار جيش العدو مرتين لأن جيش الصحابة نحو ثلث جيش الأعداء . فهنا لما التقى الجيشان وكان كل منهما يرى الآخر صغيرا صار أصغرهما أكبر من أكبرهما لما أراد الله نصر ذلك الأصغر فأراهم للآخرين ضعفي عددهم . فهذه الإرادة قد جعلها الله لنصرهم على عدوهم . هكذا هنا إذا نحن كبرنا صور الحيوانات الصغيرة كالتمل والنحل والعنكبوت والحيوانات الدرية التي تكون سببا في الحى والجدرى وأمثالها نثال علما . وذلك أننا نزيد بالله علما فنوحده ونشكره وبطباع الحيوان فهما فتتجاشاه وتتركه وتكثر جوعنا وتقل أمراضنا . ثم قلت إذن التكبير والتقليل قد جاء في القرآن والله عز وجل أنزل ذلك في القرآن ليعلم المسلمين أنهم سادات هذا العالم . فليصغروا الكبير لهذه الرسوم الكوكبية والجغرافية وغيرها حتى يستطيعوا دراستها . وليكبروا الصغير حتى يتمكنوا من فهمه وتعقله . فلما سمع ذلك صاحبي قال الآن عرفت أن هذا القرآن لا يزال بكرا وأن آياته لم تزل محجوبة عن الناس . ها نحن أولاء نقرأ هذه السور صباحا ومساء ونكرر تقليل الكثير وتكبير القليل والناس حولنا قد انتهوا من يتابع العلم وكرعوا من أنهر الحكمة والمسلمون هم الساهون اللاهون . تصغر الأمم الصور السماوية والمناطق الأرضية وتكبر الحيوانات الصغيرة وذرات طلح الأزهار في الأشجار وتعرف مستقر كل شئ ومستودعه والمسلمون لا يعتبرون بما في القرآن ولا يفكرون . أن الصور التي رسمها الناس كلها ترجع لذين تصغير كبير لتقريبه وتكبير صغير لا مكان فهمه . هذا هو أول العلم وهذا آخره والقرآن ذكر الأمرين معا في نفس القرآن فجعل التصغير للاقدام على الحرب والتكبير لفصل الخطاب وإيقاع الهزيمة ونصر من يشاء . فقلت له إن في

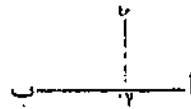
قوله تعالى - إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار - إشارة إلى ما ذكره الآن . فالعبرة في الآية ترجع إلى نصر جند الله مع قتلهم وبخلان الكفار مع كثرتهم وهذا الاعتبار قد سار شوطا بعيدا باجتهاد الأمة كالشافعي إذ جعل القياس مأخوذا من هذا الاعتبار ونحن نقول ويقاس على تكبير الصغير هناك وتصغير الكبير ماذا كرهنا هنا ويكون ذلك اعتبارا لأولى الأبصار والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله اه
فقال صاحبي أرجو أن تفصل فوائد المسلمين في تصغير الكبير وتكبير الصغير . فقلت سيقوم المسلمون قومة رجل واحد على علوم السموات وعلوم الأرض من القارات والمعادن والنبات والحيوان والانسان ويرسموها ليفهموها مصغرة ثم يرسمون أيضا الحيوانات الذرية الصغيرة فيكبرونها وينتفحون بكل موجود صغيرا أو كبيرا لأنهم بهذا يقدررون على فهمه . واعلم أن المسلمين أقدموا على ذلك ولكن باعتبار أنه لعل له بالدين . أما اليوم فانهم سيقدمون عليه باعتبار أنه من الدين . وسترى في هذا التفسير ان شاء الله تعالى عجائب الحيوانات وغيرها مكبرة . وترى رسوما مذهشة كما ترى في سورة النمل فهناك صور مساكنه مكبرة ومزارعه التي يزرعها ويحصدنها ويخزنها . وترى فيها طرقا زراعية جميلة يقرأها أهل أوروبا لآبائهم ويفرحون بعمل ربهم والمسلمون محرومون من جمال ربهم وقد آن أوان ارتقاؤهم - ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز - والحمد لله رب العالمين اه

﴿ الفصل الثالث في الكلام على بناء الاهرام لأنه من أسباب النجاة لبعض أبدان الفراعنة ﴾
ظهر جمال الله للأنم قديما وتجلي لهم بنجومه الباهرة وأنواره الظاهرة . يا الله أنت سلبت العقول وسخرت النفوس وأخذت الأفئدة وأدعت حبك في البرية وأثرت نفوسا في أرضنا وهي محبوسة في هذا الهيكل المنصوب . يا الله نثرت كواكبك الذرية في سمواتك العلية وقسمتها مناطق وبروجا وخالفت بين أماكنها وأقدارها وأبعادها وأضواؤها وقلت في القرآن - وأشرق الأرض بنور ربها -
يا الله أنت أمهجت العقول وأثرت النفوس بنور هذه الكواكب تلك الراقات في الدياجي الساحرات الطرف الداعسات العوانس . انك يا الله خلقت في هذه الأرض نفوسا أمكنتها في هذه الأجسام ثم شرحت صدورهم لهذا الجلال وزينتهم عندها وصرفت أكثر الناس عنه وهم غافلون . وهؤلاء الذين أدركوا هذا الجلال جعلتهم للناس قادة وجمت وجوههم وقلوبهم وأقوالهم وشرفتهم على عبادك وعامتهم من لدنك علما وأكسبتهم حكمة وجعلتهم للعلم وارثين . كلما نظروا نجما يتلأأ أو قرأ يضيء أو شمسا تشرق رأوا في ذلك سناءك وجمالك وأنت تقول في القرآن - وهو الله في السموات وفي الأرض -
من هذه الأمم الأمة المصرية . أولئك الذين بهرهم جلالك وشغف قلوبهم بآه نور نجومك فأولعوا بك مغرمين وهاموا في جمالك متيمين . وأرسلت لهم نبيك ادريس الذي يسمونه (هرمس الهرامسة) وأيضا (هرمس المثلث) وأيضا (اخنوخ) وينطق به في هذه الأيام * وقد يقال له (سيزوستريس)
هذه أسماء لمسمى واحد عندهم . ويسمى بهذا الاسم النجم المسمى (الشعري اليونانية) أو (كلب الجبار) وهذا الكوكب أيضا يسمى (نوت) فاعلمهم بجمال النجوم الباهرات اختلط عليهم نور العلم الذي أفضته على رسولك ادريس بالنور الظاهري الذي أفضته على هذا الكوكب فأشركوها معا في هذا الاسم فكلاهما يسمى بالأسماء المتقدمة ماعدا لفظ (نوت) فيظهر أنه خاص بالكوكب المذكور . وقد نسبوا إلى من يسمى بهرمس المذكور أنه كان حاكما في الأرض ووضح بها كشيء من العلوم وألف مئات من الكتب . ثم إن الكوكب المذكور يظهر مدة الفيض ويختفي في آخر تلك المدة فسموه باسمه وقالوا شهر (نوت) أي الشهر الذي يظهر فيه المعبود (نوت) وهو خفير السماء وملك الكواكب ويبقى الشمس من الوقوع في الهاوية المهلكة وهو الموكل بكتابة أعمال الأموات يوم الحساب ويسد الميزان وكانوا يصورونه

قابضا على رقعة يكتب فيها موازين الناس . هذا ما كان عند قدماء المصريين في هذا الكوكب
 ﴿ هذا الكوكب هو قبلة المصريين القدماء ﴾

فلما فتنهم جالك وأنسهم أنوار وجهك واتجه حكماؤهم إلى مقامك الكريم بنوا مقابرهم بحيث تكون
 أنوار هذا الكوكب ساقطة عليها عمودية لا مائلة ليكون الشعاع أمكن منها وأكثر اشراقا عليها لتتوالى
 الرحمت على ماوصل اليهم في دينهم القديم . ومن هذه المقابر الاهرامات الثلاثة الظاهرة بناحية الجيزة التي
 تبعد عن النيل ثمانية كيلومترات وثلاثمائة متر وهي منسوبة إلى (خفو) و (خفرع) و (منقرع) وهؤلاء
 الملوك من الأسرة الرابعة بمدينة (منف) بالقرب من الجيزة والهرم الأول منها للأول من الأسماء وهو (١٧)
 فداناً والباقيان للأخيرين . والحجارة التي بنى بها الأول تسكنى سورا يحيط بأرض مصر ارتفاعه ثمانية أمتار
 وعرضه متران ويبتدىء من الاسكندرية إلى اسوان إلى البحر الأحمر ومن السويس إلى العريش

وهذه الاهرام الثلاثة التي هي من عجائب الدنيا دعا إلى بنائها الاعتقاد الديني إذ ذاك ونحن ليس لنا في
 هذا مدخل لأن ديننا جاء بعد ذلك الدين فهم أم قبلنا لا نحكم عليهم بل يحكم عليهم النبي المرسل لهم وهو
 سيدنا ادريس عليه السلام وقد قال الله فيه - ورفعناه مكانا عليا - وألهم المصريين أن يجعلوا نور ذلك
 الكوكب الجليل ذا وضع عمودي على الهرم كما تقدم . حيثئذ سأئتي ذلك الصالح فقال لي . قل لي نورك
 الله بالعلم مامعنى كون الوضع عموديا . قلت معناه أن هذا الكوكب الذي يطلع جهة الجنوب أيام الفيضان
 يسقط نوره على حائط الهرم متجها انجها مستقيما كقطرات المطر تنزل على الأرض فلا تنحرف يمنة ولا يسرة
 قال أوضح هذا المقال . قلت إن أستاذي المرحوم أحمد أفندي نجيب مفتش وأمين عموم الآثار المصرية
 نقل في كتابه عن المرحوم محمود باشا الفلكي أن بناء الاهرام كان قبل الميلاد بنحو (٣٣٠٠) معتمدا في
 ذلك على أن القدماء لما بنوها جعلوا أشعة الكوكب النورية تقع عمودية عليها من جهة الجنوب ليتبرك
 بها الأموات من داخل الهرم كما أننا نجعل رؤس أماننا متجهة دائما نحو القبلة تبركا بالكعبة المطهرة .
 وقال وقد علم من رصد هذا الكوكب أنه ينحرف في كل سنة عن وجه الهرم بقدر ثانية وثلاثي ثانية . وكان
 قبل الميلاد بأربعة آلاف سنة يوازي في مسيره لمدار الشمس متى كانت في نهاية منطقة البروج أو المنقلب الشتائي
 فقال صاحبي هذا قول لا يفقهه أكثر الناس . فقلت سل . فقال مامعنى كون الضوء يميل ثانية وثلاثي ثانية
 فقلت أنظر هذا الشكل



فالخط (ج د) عمود على (أ ب) فالضوء كان يأتي أيام البناء مستقيما كالخط (ج د)
 والفراغ الذي بين (ج د) وبين الناحيتين من الخط (أ ب) يقال لها زاوية وهما زاويتان (أ ج د)
 و (د ج ب) فهاتان الزاويتان تقسم كل منهما (٩٠) جزءا كل منها يسمى درجة والدرجة (٩٠) دقيقة
 والدقيقة ستون ثانية الخ فهذا الضوء كان يسقط عموديا يعني ليس مائلا إلى إحدى الجهتين . وكلما مرت
 سنة مال ميلا يسيرا جدا وهو ثانية وثلاثي ثانية . والثانية تتكون من تعدادها الدقيقة والدقائق تكون
 منها الدرجات . قال فهتم الآن ولكن بقي أمر واحد وهو كيف يتبركون بهذا النور . قلت هذه
 كانت عقيدة القوم سواء كانت عن نفس النبي ادريس أم كانت من تغيير وضع الدين . انما الذي يظهر
 أن أصل هذا الدين كان شريفا ذا جمال وكمال لأنه جذب نفوس القوم إلى المعالي والحكمة والجمال الإلهي
 الذي يكون الأحق به أئمة الاسلام . فقال وأي دخل لأئمة الاسلام في هذا المقام . قلت حيالك الله قل لي
 أليس ادريس رفعه الله مكانا عليا . قال بلى . قالت أليس نبينا ﷺ قد أمر أن يتبع الأنبياء ويقتدى

بهم • قال بلى • قلت هؤلاء القوم أغرموا بالكواكب وجمالها وحسبوها ويقول الله - والشمس
وفضائها • والقمر اذا تلاها - ويقول - فلا أقسم بمواقع النجوم • وانه أقسم لوتعلمون عظيم - ويقول
- والنجم اذا هوى - ويقول - رب المشرق والمغرب - وأخيرا يقول
- رب الشعري - شوق المسلم للنجوم وجمالها ونص على أنه - هورب الشعري - والشعري هي (توت)
وتوت هذا معبود المصريين وقد دخل في أسماء ملوكهم فقبل (توت عنخ أمون) مثلا وهؤلاء الملوك الغرمون
بهذا الكوكب جذبوا الى مصر في زماننا أعظم العلماء والحكماء من أوروبا وأمريكا وغيرها • كل ذلك
أبشاهدوا تلك العلوم وتلك المعارف التي ذم الله من أعرض عنها فقال - فاليوم ننجيكم ببدنك لتكون
لمن خلقت آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون -

الحمد لله المنعم المتفضل وقد أراني الله في زماننا سر القرآن قد ظهر للعيان وقد كشف الله بعض آيات العلوم
التي تركها قدماء المصريين وأبرز الهرم ومجائب الهرم وما الهرم إلا مقبرة جعلت لتضم عظام بعض الموتى من
ملوك القدماء والناس يتقاطرون لينظروا آياته في ذلك مصداقا للقرآن

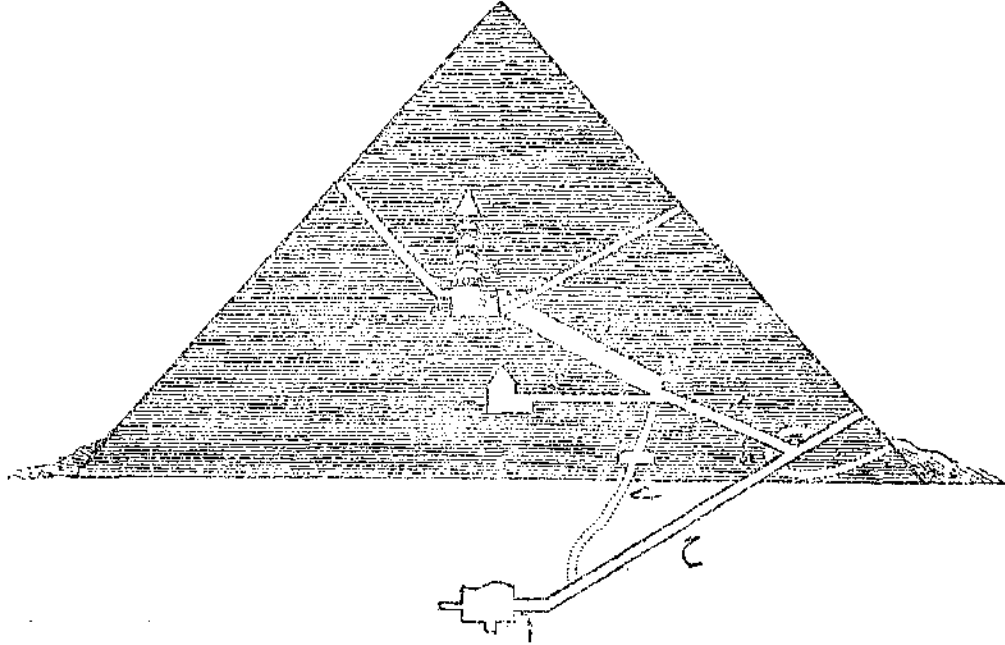
﴿ الكعبة وكوكب الشعري ﴾

فقال ذلك الصالح • يا عجباً اذا كانت الشعري وغيرها من الكواكب قد جذبت نفوس القوم وصرفت
همهم الى جمال العلوم فاماذا لم تكن لنا احدى تلك الكواكب قبلة بدل الكعبة التي بناها الناس بأنفسهم
مع أن الكواكب أجل وأبهى • فقلت اعلم أن الله عز وجل جعل أمة الاسلام آخر الأمم لتقتبس سائر
علومها وقصص الأمم لذلك • ولما كان القدماء الغرمون بالكواكب اذا طال عليهم الأمد قست قلوبهم
وجذوا على ذلك الكوكب الذي هو قبلتهم وعبدوه ونسوا رب الكوكب • صرف المسلمون عن ذلك وجعل لهم
الكعبة قبلة وفتح عقولهم لسائر العلوم وحرضهم على النظر في كل جميل من كوكب وجبل وشجر وخص
الشعري بالذكور فقال - وأنه هورب الشعري - فالشعري التي عبدها قدماء المصريين وبعض العرب كإسأني
في سورة النجم ليست الها بل هي من آيات الله تعالى وهو ربها كما هوربكم • فالمسلم يستقبل الكعبة
ويعبد الله بالنظر في عجائب الشعري وغير الشعري وسيث علوم الأمم ويقرأ ما قرأه قدماء المصريين من
عجائب هذا الكوكب وغيره وهذا كان النظر في العالم العلوي أعلى ما يطلبه الدين قال الله في ادريس - ورفعناه
مكانا عليا - فليكن هذا العلو لادريس نورا للمسلمين الذين لا يعتقدون ألوهية في الشعري ولا في غيرها
ولا يشتنون بكوكب ولا غيره بل يؤمنون الكعبة التي لا يتخيل فيها ألوهية كما تخيل القدماء ألوهية الشعري
لأنها تطلع عند الفيضان فتصبح القبلة كأنها إله لا أمها قبلة • بهذا أصبح المسلم بعيدا عن مظان الكفر
بما هو قبلته وفي الوقت نفسه مجذوب الى النظر في جمال هذه النجوم • فقال صاحب عجايب لهذا المقام الى
لم أر أحدا من المفسرين ذكر هذا • فقلت إن هذه العلوم لم تظهر إلا في زماننا • وللقرآن عجائب
وبدائع يظهرها الله حيناً بعد حين والنبي ﷺ لما توفي جعل الله في القرآن أسراراً تظهر وقتاً بعد وقت
كأن الذي ﷺ لا يزال حياً وهذه معجزاته تتوالى ليظهر للناس ويوقنوا بربهم ويزيدوا علماً كما قال تعالى
- وقل رب زدني علماً - فالمسلم يزد علماً والمسلم يقرأ جميع العلوم والعلوم فروض كفايات والمسلم ما دام
قادراً على النظر والفكر فهو مأور به شكراً لربه وزيادة معرفة

إن المسلمين في مستقبل الزمان سيكونون أرقى علماً من غيرهم • ولهذا التفسير ان شاء الله دخل في
تشويقهم الى كل علم وكل حكمة وكل جمال في الأرض وفي السماء لأنه مصداق لقوله تعالى - سريهم آياتنا
في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - فهذا التفسير فيه بعض الآيات التي أراها الله للناس في زماننا

﴿ معجزة القرآن في هذا الزمان ﴾

ومنها هذا الهرم الذى أفضنا فى الكلام عليه الداخلى فى قوله تعالى - فالיום ننجيك بيدك لتكون
لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون - انتهى



(رسم الهرم • شكل ١٣)

﴿ بيان قوله تعالى - لتكون لمن خلفك آية - ﴾

اعلم أن صورة الهرم المرسومة أمامك فيها تعاريج يقصد منها اضلال من يريد دخول الهرم معجزة لقوله
تعالى - لتكون لمن خلفك آية - وذلك أنه لن يكون آية من قدماء المصريين إلا من بقيت جثته محفوظة
وكيف تبقى محفوظة إلا ببناء يكفها وضلال الذى أراد سرقتها واجاع أعم أوروبا وأمريكا على حفظها • هذا
هو المعجزة القرآنية • أنظر الى نقطة (أ) التى هى رواق تحت الأرض فذلك لا يمكن الوصول اليه الآن
لأن طريقه مسدود • ثانياً نقطة (ب) وهى الرواق المعروف الآن باسم رواق الملكة وذلك التسمية لم يقم
دليل عليها للآن • ثالثاً نقطة (ج) وتعرف باسم رواق الملك • رابعاً نقطة (د) وهى بـسطة يخرج منها
مجرى للهواء انزاق منهما حجرات كبيران فأغلقنا منفذى رواق الملك غلقاً محكماً بعد وضع جثته فيه داخل
تابوته • خامساً نقطة كل من (هـ و ز ح) وهى سراديب معدة لتوصيل الأماكن لبعضها • سادساً
نقطة (ط) وهى بـسطة يخرج منها السرداب الذى فتحه المأمون • سابعاً نقطة (ي) وهى البئر التى تحير
فيها عقول أولى النهى • والقصد من ذلك كله أن يضل السائر فلا يهتدى الى السبيل • ونقل أستاذنا فى
الأثر الجليل مانصه ﴿ قال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحيم فى كتابه (تحفة الألباب) فتح المأمون الهرم الكبير
وقد دخلت فى داخله فرأيت قبة مربعة الأسفل مدورة الأعلى كبيرة فى وسطها بئر وهى مربعة ينزل الانسان
فيها فيجد فى كل وجه من تربع البئر بابا يفضى الى دار كبيرة فيها موتى من بنى آدم عليهم أ كفان كثيرة
أكثر من مائة ثوب على كل واحد وقد بليت لطول الزمان واسودت أجسامهم وهدم مثلنا ليسوا طوالا ولم
يسقط من أجسامهم ولا من شعورهم شئ وأجسامهم قوية لا يقدر الانسان أن يزيل عضواً من أعضائهم البتة
ولكنهم خفوا حتى صاروا كالغشاء لطول الزمان • انتهى

ونقل عن غيره أنهم بعد التمشا والتى والجهد الطويل والمشقة وجسدوا فى أعلاها بيتاً مكعباً وفى وسطه

حوض من الرخام مطبق فلما كشفوا غطاءه لم يجدوا فيه غير رمة بالية ففسد ذلك كفت المأمون عن تقب
ماسواه . انتهى

﴿ شكر الله على الحكمة والعلم وأن الاسلام أعتق الانسانية من الخرافات ﴾
انى أجد الله على نعمة العلم والحكمة . اليك اللهم الشكر على ما تفضلت بالحكمة وأهملت من العلم
أذكر أيامك معي وأذكر أيام أن كنت مجاورا بالجامع الأزهر حوالى سنن العشرين ثم أرجع الى بلادي في
القرى ببلاد الشرقية ثم أخرج من بين البيوت لعلنى * أحدث عنك النفس بالليل خاليا *
وكنت أنشد قول مجنون ليلي

وأخرج من بين البيوت لعلنى * أحدث عنك النفس بالليل خاليا
وكنت أسامر النجوم الراقصات في دياجى الظلمات وأفكر في أمرها وأمر هذا العالم وأمر آثار قديما
المصريين وأمر الأمم التى فى الأرض التى مدت في بلادنا السكك الحديدية وقطارها . ولطالما كنت أقول
يا ليت شعري ماهذه الأطلال القديمة وماعلوم أهلها وماذا تصنع الأمم اليوم في علومها وصناعاتها ولماذا لا
أرى للمسلمين حركة فكرية مثلهم ولماذا أرى شيوخ الدين لا يفكرون فيما حولهم الى آخر ما في كتاب
(التاج المرصع) في أوله . كل ذلك كان ديدنى . وأذكر أنى كنت عاهدتك أننى اذا اهتديت لحل المعنى
من هذا الوجود وعرفت بعضه فاني أنشره لمن بعدى حتى لا يضل شبان بعد ضلالي ولا ينالهم نصب كما نالني
بل أنا أجعل ما أعلمه لهم شرابا خالصا سائفا للشاربين . هذا كان مايجول بخاطري . فها أنا ذا اليوم
أحدث بنعمتك على وأقول . لقد من الله على بعد طول الزمان واليأس والنصب بالحكمة والعلم وأهملني
أن أؤلف هذا التفسير الذى أرجو أن يكون ذخيرة ونورا للأذكياء بعدى . إن أكثر ما أكتبه في هذا
التفسير يجول بنفسى الآن ويكون قوى الهجوم على النفس بحيث لا يفارقني في غسدى ورواحي وخالتي
وجلوئي وسمرى مع الأصحاب وصحتي ونومي ويقظتي فلما لجأت الى من هذه الخواطر إلا بكتابتها ومتى سطرتها
هدأت النفس واستراحت واستقبلت غيرها . ذلك شأنى في هذا التفسير . وهذا الذى أكتبه في هذا
المقام قد كان خاطره قويا . فكما كنت أتخيل هذه الامور فى الصغر متحسرا أشد الحسرة على جهلى بها
هكذا أنا اليوم أجد فى النفس ميلا قويا الى كتابتها ونشرها وأحس بأنى بلغت أسمى من هذه الحياة بذلك
﴿ والله فى خلقه شؤن ﴾ ويخطر لى أن هذا سيكون سائفا وشائفا لأولى الذكاء الى حوز العلم والحكمة
وانى كثيرا ما يقع فى قلبي اننى لو لم أكتب ما بهجم على نفسى من الخواطر الجبيلة الهاججة على فان الله
يجعل العقوبة لى فى هذه الحياة . ولقد من الله على بنشره . لقد من الله على بذلك وشرح صدرى وقد
كتبت ما أجده فيها والله هو الولي الجيد

﴿ تفصيل أتم لقوله تعالى - لتكون لمن خلقك آية - ﴾

(وكيف أعتق الاسلام الأمم من الخرافات)

اعلم أن الديانات القديمة كلها كانت أشبه بهذا العالم الذى نعيش فيه . ألا ترى رعاك الله أن الشوك
يصحب الورد والغذاء الذى تأكله تصحبه فضلات والثر لا يكون إلا معه الورق والحب لا يكون إلا مع
العصف . هكذا كانت الديانات . فاذا نزل انريس على المصريين بدين سماوى فهاهوذا قد تغير الدين
وصار ممزوجا بخرافات حتى انك لترى أنهم وجدوا كثيرا من الأشجار المنحوتة على هيئة الاهرام والمسلات
موضوعة فى المقابر بجوار الأموات . وهكذا وجدوا أشجارا رسمت عليها صورة الاهرام وبازائها علامة
الكوكب المتقدم . وكل ذلك للتبرك فكانت الاهرام رمزا لهذا المعبود الذى كانوا يصورونه فى معابدهم
فى هيئة جسم انسان له رأس طائر (أييس) وهو أبو قردان وكانوا يعبدونه أيضا . إن فى نظر ذلك لعبرة

للعقلاء . فانظر الى قبلتهم وهو الهرم كيف جعلوه مع كوكب الشعرى مناط الالهية . ثم انظر في مسألة السماء كيف كانوا يقولون ان جميع الأجرام السماوية تحت رئاسة الشمس وتارة كانوا يرسمون السماء على شكل وادى مصر تشقه المجرة وقد مثاها بالنيل رحصروها مثله بين سطحين ممتدّين من الجنوب الى الشمال وقسموا السماء الى أقسام كأقسام مصر والشمس تطوف عليها كل يوم في مسيرها من المشرق الى المغرب وتدخل في المساء في قفحة جبل مثاوه (جبل العرابة المدفونة) أو (الخرابة المدفونة) التي بمدينة جرجا بالصعيد ثم تغور في سراديب وتقاسى آلاما وتضىء على قوم آخرين ثم ترجع لناكرة أخرى بعد المشقة والآلام وقالوا أيضا في الروح ان الروح الشقية تحول دعواتها وصواتها الى عبث وهزؤ فتجلد وتلعن وتبحث عن جسم انسان لتسكنه وتكون في مرض وذل أوجنون . أو عن جسم حيوان وتدوم على ذلك قرونا الى أن تستوفي العذاب ثم تموت وذلك بشهادة القلب . قال أستاذنا المذكور . وقد وجد على أحد أوراق البردى ماصورته ﴿ أيها القلب الذى خلقت لى وأنا فى بطن أمى وأنت مئى الى الدنيا لا تنازعنى ولا تشهد علىّ بين يدى الله ﴾ أما الروح الراضية المرضية فانها بعد الحساب يأخذ بيدها الرجاء الصالح وتحفها الشياطين ولكن تلاوة العزائم تمنعهم ثم تتحد الروح بأوزيريس وتصور مشله أى تدخل فى العنصر الذى خرجت منه وتقطع المساكن السماوية وترزرجسمها متى شاءت ولذلك يحنطون الأجسام

هذه آراؤهم فى السموات وآراؤهم فى الأرواح وآراؤهم فى الدين . فانظر أيها المسلم الى دين الاسلام ان الديانات القديمة فيها الفث والسمين واختلط فيها الكذب بالصدق كما هو شأن الناس فى أقوالهم وأفعالهم وكما هو شأن ماكلهم ومشاربهم ولكن الله يريد رقى الانسانية . فإذا فعل . أنزل الدين المسيحى . فإذا حصل . لم يرض بالأصنام وجعل الاله واحدا ولكن أتباعه جعلوه ثلاثة فجاء الاسلام وقال كلا الاله واحد . هنالك زلزلت الأرض زلزالها . زالت الأصنام تماما . وفات الزمان الذى تقدس فيه الشمس والكواكب ونزل قوله تعالى - وأنه هو رب الشعرى - فليست الشعرى التى ترسم على أحجار المصريين مع هرمهم هي الله بل هو ربها . وأيضا ليست الشمس هي الاله . وبعد ذلك انطلقت العقول وقام المسلمون بحركة العلم فى العالم من القرن السادس الميلادى الى القرن الحادى عشر . وهنالك تعلمت أوروبا من المسلمين كما وضع بعضه فى آخر سورة التوبة وبتضح باقية فى قوله تعالى - وذكرهم بأيام الله - فى سورة ابراهيم عليه السلام وصار المسلم بل كل عاقل فى الأرض فك عقال عقله المسلمون يقرأ كل علم وكل فنّ ويقرأ المسلم - وقل رب زدنى علما - ويقرأ قوله تعالى - سترهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم - فآيات الله فى كل بناء وشجر وحجر وكوكب . فالهرم آياته والنجم آياته . وتدرج الأمم من الجود فى القرون الأولى الى الحرية العلمية اليوم فى عصرنا آياته . وتنوير المسلمين الأوّلين للعلم الانسانى من آياته . وسترى فى سورة ابراهيم تصميم العلامة (سديو) الفرنسى وحزمه أن العرب وسائر الأمة المحمدية هم نور العالم ولولاهم لم يكن لهذه الدنيا رقى وأنى فيه بمئات الأدلة القطعية كما رأيت وسترى بعضه . ولذلك ترى الأمم اليوم عرفت أن الشمس التى هي سيدة الكواكب عند قدماء المصريين والبابليين صارت فى أخبار الشمس كما أطلعتك عليه فى سورة البقرة وآل عمران والأنعام وغسيرا حتى أن بعض تلك الشمس ضوءها مقسدار ضوء شمسنا (٨٠٠٠) ثمانية آلاف مرة بل أكثر من ذلك وأن الشمس لا حدّ اعظمها وعددها وانها تبلغ مئات الملايين ولا يزال الكشف يزيدنا بيانا . إذن علم قدماء المصريين من العلم الذى حدث وانتشر بسبب ظهور الاسلام الذى حرّك أوروبا والعالم للبحث . إن دين الاسلام جاء لمحو الخرافات وللاعتقاد على العقل وبند كل ما ليس معقولا . هذا هو سرّ قوله تعالى - لتكون لمن خلفك آية - فالآية هنا واسعة انطاق من علوم وصناعات بلا اعتقاد بالقرآن يحصر الفكر عندنا فك عقال العقول حتى اقتنصت شوار العلم فى الأرض وفى السماء . إن الانسان

اليوم غيره بالأمس فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

﴿ لطيفة وذكرى ﴾

قد كنت وأنا مراهق رأيت أهل قريننا قد عثروا على رجل مدفون في قاع بركة أمام قريننا ولم يجدوا إلا عظامه وقد وجه وجهه إلى جهة الجنوب وقد بنى عليه قبر بكتل من الأرض المصرية الحصيد الجافة المعروفة في بلادنا (بالشرقي) وقد حفظ ذلك القبر جثته آلاف السنين وهو تحت وجه الأرض بنحو ثلاثة أمتار . فها أنا ذا أعبد الله عز وجل اليوم إذ عرفت سرّ هذا الدفن وأنه قصصه به التوجه للهرم المشمول بعناية كوكب الشعرى وعرفت اليوم أن هذه خرافات وأن الاسلام محاذ ذلك وجعل قبلتنا الكعبة ودأبنا النظر في كل كوكب وجمال كل شمس ووجهنا وجهنا لله لا للكوكب ولكن ندرس كل كوكب وكل شمس وقد فتح الله للناس أبواب السماء فدرسوها وهاعلم أولاء يدرسون علم الأرواح كما اطلعت عليه في سورة آل عمران والبقرة . فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

وفي اعتقادي أن هذا التفسير وأمثاله سيفتح مجالاً للأهم الإسلامية وستقوم أمم بعدنا من المسلمين يرقون رقباً عالياً ويحدثون في الأرض قوة كما أحدث أجدادنا أصول هذه النهضة والحمد لله رب العالمين اهـ

﴿ وجدان المؤلف أيام الشباب والمشيبي وكتاب الله تعالى وأهم الاسلام ﴾

ها أنا أحدثك أيها الذكي عن أيام شبابي ومشبي بأوسع مما تقدم فأقول . ذكرت لك آنفاً شوقي إلى العلوم أيام الشباب . وها أنا ذا أوفحه فأقول

قد كان يطربني صرّ النسمات على الأعشاب فيسرتني تغريدها ويطربني تمايل الأغصان وحفيف الأوراق وتغني الحشرات وعصف الرياح . والليل اذا عسعس * والصبح اذا تنفس - واذا غربت الشمس وظهرت النجوم اجلس على بساط من الحشائش وأخذ أستمع لما في الحقول من نغمات وأنظر لما في السماء من نجوم باهرات . وكنت كأتى في محفل جمع بين ﴿ بهجتين ﴾ بهجة النظر للراقصات الحسان القاصرات الطرف الناضرات البهجات وهي النجوم . وبهجة الموسيقى تشنف الآذان ببسائع الألحان . فالناظر سماوية والنغمات أرضية . هذه الصور الجميلة عندي طبع في الخيلة يوماً فيوماً وليلة فليلة . دام ذلك سنين وسنين وقد كان خلوا الجوف بالصوم وللقيام بعض الليالي أثر في ذلك الجمال والبهجة والشوق . ذلك الجمال الخيالي دعا العقل إلى الجمال العالمي . ظواهر المحاسن في الطبيعة التي ارتسمت في خيالي لانفراقه ألجأت القوة العاقلة أن تتجمل بالمحاسن كجمال الخيال ولا محاسن للعقل إلا صور منقوية هي الحكمة والنظر في مختلف العلوم الجمال مغناطيس العلوم يجذب اليه كل ماهو جميل معنوي . جمال الوجوه في الخي يجذب العاشقين وانطباع الخيال بالجمال يجذب العلوم والحقائق لتسكن في العقول . جعل الله وجل العلم ان شبه الشيء منجذب اليه وللمجاورة حكمها . جاور الخيال العقل في السماع فلما رجع الأول بالذرا الحسن من السكواكب والنغمات حق الثاني إلى حقائق الموجودات لينحلي بالحكمة ويزدان بالعلوم . النفس واحدة والعالم واحد العالم الذي نعيش فيه واحد ونفوسنا ننظر له أيام الصغر واحداً فجميع العلوم عندها علم واحد لا علوم كما أن العالم أشبه بجسم واحد . هكذا العلوم المختلفة كأنها واحد . العلوم كشجرة واحدة لها فروع وأغصان ضعف الانسان فوق الأرض فلم يطق الفرد الواحد أن يعرف هذا الوجود فتقسم أوصافه إلى أقسام سمي كل قسم منها علماً مع انها كلها أوصاف شيء واحد هو هذا العالم . لهذا نرى العلوم قسمت على الأفراد كما وزع الاحساس في الجسم على الحواس . فالسمع غير ما للبصر . هكذا العلوم قسمت على الناس فيحسن زيد ما لا يحسن عمرو ذلك لضعفهما كما ضعفت العين أن تضم السمع إلى البصر وضعفت الأذن أن تضم البصر إلى السمع - وربك يخلق ما يشاء ويختار - لا معقب لحكمه وهذا قوله تعالى - ونخلق الانسان ضعيفاً -

فلولا هذا الضعف لكانت جميع العلوم عنده علما واحدا . كنت أنظر للأشياء جميعها بلافاقة بين علم وعلم أنظر للأشجار والأشجار والأخبار وتاريخ الأمم والصناعات وأمم الفرنجة وأمم الاسلام ودين النصارى ودين الاسلام . ذلك هو الذى حركنى الى سائر العلوم التى اطلعت على كثير منها بمدرسة دار العلوم وعلى باقىها بالاطلاع على علوم شرقية وغربية . ها أنذا الآن فى العقد السابع من حياتى أنظر فى أمر نفسى فأجد الغرام القديم والحب والشوق قد تجلت لها مع طرب وسرور كما قال مجنون ليلى
فشاب بنوليلى وشب بنوايتها * وعلاق ليلى فى الفؤاد كما هيا
فنفسى فى شبيها مغرمة كما كانت أيام شبابها بل هى أشد غراما والغرام اليوم بالنشر والتعليم والغرام
إذ ذاك بالتحصيل وفى النشر ازدياد للعلم وابتهاج بالتحقيق

﴿ كتاب الله تعالى ﴾

لقد كنت أيام الشباب لا أرى فى هذا القرآن معانى لأنى حفظته بالعقل ولا فسر وكنت أسىء الظن بمن يقولون انه يدعو الى العلوم وكنت أقول إن هؤلاء مراؤون كاذبون . فلما درست ونظرت أيقنت بأن هذا القرآن يدعو الناس الى مختلف العلوم ويشوقهم لها كما كنت اشتاق لها زمن الشباب . فسكان هذا القرآن يدعو النفوس الى فطرتها . وإذا قال الله - لقد جاءكم رسول من أنفسكم - ففيه تيسيح الى ما قررنا فنفسنا قطب كل العلوم وهذا القرآن يشوق لها - ولكن أكثر الناس لا يعلمون - وما ذكرته الآن سيظهر أثره فى أمة الاسلام

﴿ أمة الاسلام ﴾

إن الأمم الاسلامية تطلع اليوم على أمثال هذا الكتاب وهناك نفوس خلقت مقصورة على النظر مجبولة على التسكر فستقابلها الحيرة والحسرة كما قابلتاني أيام شباني ولكن الله أذن بآراز هذا التفسير ليكون مفتاحا يفتح للعقول مجال النظر فيفرون من سجون الجهالة العاقة فى البلاد الاسلامية وينطلقون من حبس العقول الى ساحات الجمال وباحات العلوم وحدائق الحكمة ويشمون أزهارها ويقتطفون ثمارها . هذا الكتاب تبصرة مستزید ومنهج لمريد وبلغية لقاصد وزاد لمسافر وفك عقال معتقل وفتح باب وهدى وذكري لأولى الأبواب . انتهى

﴿ تحفة مهداة للمستبصرين فى الاسلام والنظر فى كتب الفرنج وجمال الصور الموجودات فى الأرض والسموات ﴾
تبين من هذا أن سبب هذا التفسير ومبدأ النظر فى جمال هذه الدنيا صغرا وتحصيل العلم وحب النشر فى الكبر . ذلك كله مبدؤه النظر فى جمال الأرض وجمال السماء . ولقد اطلعت على كتب الفرنجة للمتدينين فرأيتها محلاة بالصور الجميلة الحسنة من شجر وزرع وتمر وكوكب وقر بحيث يشاهد الطفل فى مدرسته صورما كنت أشاهده فى الحقول فتبارك الله الذى ألهم الناس أن يحاكيوا الطبيعة وياكلوا صور الموجودات وجمالها . هكذا فلتفعلاوا أيها المسامون . لتقم طوائف منكم وليدرسوا نظم التعليم ونظم الكتب والصور التى فيها والحكايات التى تدرس للأطفال والتحف العامة اللذيذة . ولتأخذوا لكم أحسن المثل وأجمل الطرق . ولتعالسوا أبناءكم حب هذا الجمال كما أحببناه . فشكل هذا الوجود آيات الله وكلمه نور الله وكلمه دين الاسلام والحمد لله رب العالمين . انتهى تفسير القسم السادس من سورة يونس

(القسم السابع)

فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِ

اللَّهِ فَتَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ * إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ
كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ
يُونُسَ لَمَا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ * وَلَوْ شَاءَ
رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُسْكَرُهُ النَّاسُ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * وَمَا
كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرُّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * قُلِ انْظُرُوا مَاذَا
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْزِي الْأَيَّاتُ وَالنَّذِيرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ * فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا
مِثْلَ آبِلٍ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ * ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا
وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ * قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ
دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ، وَأُمِرْتُ أَنْ
أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَلَا
تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ * وَإِنْ
يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَهِنْ
أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ * وَاتَّبِعْ
مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّى يَخُصِمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (فان كنت في شك مما أنزلنا إليك) من القصص على سبيل الفرض والتقدير (فاسأل الذين
يقرؤون الكتاب من قبلك) فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما ألقينا إليك والمراد تحقيق ذلك
والاستشهاد بما في الكتب السابقة وأن القرآن مصدق لما فيها والخطاب وان كان للنبي ﷺ فالمقصود أمته
ولذلك قال ﷺ لا أشك ولا أسأل (فلانكونن من الممترين) أى الشاكين بالزلزل عما أنت عليه من
الجزم واليقين وقوله (ولانكونن من الذين كذبوا) الى قوله (من الخاسرين) من باب التهميج والتثني
وقطع الاطماع عنه كقوله - فلانكونن ظهيرا للكافرين - (حق عليهم كلمة ربك) أى وجبت عليهم لأن
استعدادهم يمنعهم من قبول الايمان (لا يؤمنون ولوجاءتهم كل آية) فانهم لا يؤمنون بها (حتى يروا العذاب
الاليم) فحينئذ لا ينفعهم الايمان كما حصل لفرعون الذى قال - آمنت - بعد فوات الفرصة كما في قوله
- أئتم اذا ما وقع أمتنم به الآن وقد كنتم به تستعجلون - فانظر كيف ذكر فرعون وغرقه لمناسبة ما مضى في
هذه السورة لتكون تلك القصة تطبقا على هذا القول فقوله في مسأله فرعون - آلا آن وقد عصيت قبل -
هو كالقول المتقدم آنفا - أئتم اذا ما وقع أمتنم به - وهو بمعنى ما جاء في سورة الأنعام - يوم يأتي بعض آيات

ربك لا ينفع نفسا إيمانها - وقد أرفحت المقام هناك بما لا مزيد عليه * وههنا يقول الله في هذا المعنى - إن الذين حققت عليهم - الى قوله - حتى يروا العذاب الأليم - ثم أتبعه سبحانه بما يفيد فتح باب التوبة وقت القدرة فقال (فلولا كانت قرية آمنت) أى فهلا كانت قرية من القرى التى أهلكتها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر الإيمان كما أخره فرعون (فنفعها إيمانها) بأن يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها (إلا قوم يونس) لكن قوم يونس وهو استثناء منقطع (لما آمنوا) أول ما رأوا أماراة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله (كشفنا عنهم عذاب الخزي فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين) أى الى انتهاء آجالهم * يروى أن يونس عليه السلام بعث الى أهل نينوى من الموصول فكذبوه وأصروا على تكذيبه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث * فلما دنا الموعد أغامت السماء غيا أسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشى مدينهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فأيقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدته ولدتها فحق بعضها الى بعض وعلت الأصوات والحجيج وأظهروا الإيمان وأخلصوا التوبة وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم الضر * ويقال انه كان يوم عاشوراء يوم الجمعة (ولولاه ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا) بحيث لا يشد منهم أحد وانما لم يجتمعوا على الإيمان بل منهم من لم يقبله للنظام الذى اختاره الله بحيث يختلف الناس باختلاف الأمزجة والأحوال والأخلاق وأن الاستعداد هو الذى عليه مدار الارتقاء والاحتياط ولن يكون القضاء إلا على مقتضى الحقائق الثابتة وهؤلاء هذه حقيقتهم وهل يشاء الله إلا ما هو حق (أفأنت تكفره الناس) بما لم يشأ الله منهم (حتى يكونوا مؤمنين) بخلاف المشيئة مستحيل * وقد كان ﷺ حريصا على إيمان قومه شديد الاهتمام به * ولذلك قرره بقوله (وما كان لنفس أن تؤمن إلا بأذن الله) أى بإرادته وأطافه وتوفيقه (ويجعل الرجس) أى العذاب (على الذين لا يعقلون) لا ينتفعون بعقولهم فلا ينظرون الحجة والآيات ولا يفكرون فيها فيكونون غافلين عما حل بالأمم السالفة وما أصابها من خيرا وشر وعقل وفكر وجهل وغباوة كما جاء آنفا - لتكون لمن خلفك آية - ونعى على الناس غفلتهم عن ذلك وعما أعقبه من ذكر السموات والأرض وعجائبهما فقال (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض) من عجائب صنعته والآيات والعبر باختلاف الليل والنهار وخروج الزروع والثمار ما لا يتناهى من حكم بارعات وآيات بينات وغرائب مدهشات كما أمرهم بالنظر فى عجائب الأمم وأبدانها الباليات وآياتها الباهرات * فنقرأ العلوم الفلكية والعلوم الرياضية والطبيعية فهو من الموحدن توحيدا حقيقيا أرقى من علم التوحيد المشهور اذا وجه نظره الى نظام العالم العام وتعجب من جلال صنعته * أما اذا قرأ قراءة الغافلين كأكثر من يتعلمون بالمدارس اليوم فأولئك عن ذلك مبعدون وهم عن الله غافلون وهكذا من قرأ علوم المصريين والبابليين والآشوريين والاوروبيين فى تاريخهم وأحوالهم العجيبة يكون ذلك منه امتثالا للدين وترقية للعقل وله ثواب عظيم مادام يرمى لغرض شريف * ولما كان ذلك لا ينتفع به إلا ذوو الاستعداد العقلى أردفه بقوله (وما تنفى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) بحسب ماسبق به العلم وما نافية (فويل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم) مثل وقائعهم كما يقال (أيام العرب لوقائعها) (قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين) أى فانتظروا هلاكى إني معكم من المنتظرين هلاككم * واقد جرت عادتنا فيما مضى أنا نهلك الأمم الذين كذبوا (ثم نجى رسلا والذين آمنوا) من تلك الأمم انجاء كذلك الانجاء نجى محمدا ﷺ وصحبه حين نهلك المشركين حق ذلك - حقا علينا - وهذا هو تقدير قوله تعالى (كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين * قل يا أيها الناس) خطاب لأهل مكة (إن كنتم فى شك من دىنى) وصحته وسداده فهذا دىنى فاستمعوا وصفه ثم وصف دىنه فقال (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) أى الأصنام (ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم) يمتكم وانما وصفه بذلك ليرى بهم أنه هو الذى يتقى ويخاف بخلاف

ما يعبدون وهو ما لا يقدر على شيء فكيف يخاف (وأمرت أن أكون من المؤمنين) أى بأن أكون أى
 إن الله أمرنى بذلك بما ركب من العقل وبما أوحى الىّ فى كتابه (وأن أقم وجهك للدين) أى وأمرت
 بالاستقامة فى الدين بأداء الفرائض والانتهاز عن القبائح أوفى الصلاة باستقبال القبلة فهذا عطف على أن أكون
 (خيفاً) حال من الدين أو الوجه أى مستقيماً عليه غير معوج عنه الى دين آخر (ولا تكونون من المشركين)
 مع المشركين على دينهم (ولا تدع) لا تعبد (من دون الله ما لا ينفك) فى الدنيا والآخرة إن عبده (ولا
 يضرك) إن لم تعبد (فان فعلت) عبت (فانك اذا من الظالمين) من الضارين نفسك (وان عيساك)
 يصبك (الله بضر) بشدة وأمر تكرر (فلا كاشف له) فلا رافع للضر (إلا هو وان يردك بخير) بنعمة
 وأمر تسر به (فلا راد لفضله) لا مانع لعطيته (يصيب به) بالخير (من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم)
 فتعزّوا لرحته بالطاعة ولا تأسوا من غفرانه بالمعصية (قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) الرسول
 أو القرآن وليس لكم بعده عذر (فن اهتدى) بالإيمان والمتابعة (فانما يهتدى لنفسه) لأن نفعه لها
 (ومن ضل) بالكفر (فانما يضل عليها) لأن وبال الضلال عليها (وما أنا عليكم بوكيل) بحفظ موكول
 الى أمركم وانما أنا بشير ونذير (واتبع ما يوحى اليك) بالامثال والتبليغ (واصبر) على دعوتهم وتحمل
 أذيتهم (حتى يحكم الله) بالنصر واطهار دينك (وهو خير الحاكمين) لأنه لا يمكن الخطأ فى حكمه لأنه مطاع
 على السرائر كاطلاعه على الظواهر بخلاف حكام الناس فليس لهم إلا الظواهر

﴿ خاتمة فى عجائب هذه السورة وما تقدمها من السور ﴾

أنظر الى عجائب هذه السورة وما تقدمها • أنظر كيف ذكر فى أوائلها بدء الخلق وهو يعيده • وكيف
 جعل الشمس ضياء والقمر نورا • وكيف قدر المنازل وعلم عدد السنين والحساب • وذكر اختلاف الليل
 والنهار وأخذ يذم الذين هم عن آياته غافلون وجعل لهم النار بما كانوا يكسبون • وانظر كيف ذكر فى
 خواتيمها كما ذكر فى أوائلها • ذكر أنه جعل جنة فرعون الموضوعة فى نجوة أى مكان مرتفع من الأرض
 آية وذم المعرضين عنها كما ذم المعرضين عن آيات السموات والأرض • فهناك يقول - إن الذين لا يرجون
 لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون * أولئك مأواهم النار - وهنا يقول
 - وان كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون - فجعل الغافلين عن آيات الله فى الأمم كالفافلين عن آيات الله فى
 السموات والأرض • عجب عجب للقرآن وحكمه العجيبة • وهنا أمر بالنظر فى السموات والأرض وأوعده
 الذين لا يعقلون فقال - ويجعل الرجس - أى العذاب والخذلان على الذين لا يعقلون أى لا يستعملون عقولهم
 فانظر كيف كانت أوائل السورة نخواتيمها • نظر وفكر وتعقل • وذم للغافلين • وانظر كيف
 سوى بين الجهل بالعالم العلوية والقلية والجهل بأحوال الأمم كأمّة المصريين • فهذه من القرآن دلائل
 وأصحات • إن علوم قدماء المصريين وغيرها كعلوم الفلك والطبيعة من تركها من الأمم أصعبوا فى أسفل
 سافلين ولهم جهنم فى الآخرة وهم فى الدنيا أيضاً معذبون لأنهم جهلاء - ومن كان فى هذه أعمى - لا يعرف
 العلوم السكونية والنظامية والسياسية - فهو فى الآخرة أعمى - لا يرى طريق النجاة والمقصود أن تكون
 هذه العلوم قائماً بها طوائف من الأمة لكل علم جماعة • فن قرأ تاريخ المصريين فهو قارئ لآيات الله
 ومن قرأ علومهم فهو مطالع لآيات الله وكذلك الآشوريون والبابليون وجميع الأمم • ومن درس ما عرفه
 الألمان والانجليز والأمريكان من علوم الفلاحة والسياسة والتجارة والحجارة والعبادة واللباقة وما شاكل ذلك
 كان مطلعاً على آيات الله بدرسه للعلوم التى يرضاها والحكمة التى للعباد أهداها • فويل للمسلمين الغافلين
 وويل ثم ويل لهم اذا غفلوا بعد ما بيناه وهاك لهم اذا ناموا بعد ما بسطنا

فيا ليت شعري ماذا يريد المسلمون أولم يكفهم أن الله سلط عليهم أوروبا فملك بلادهم شرقاً وغرباً

وهم نائمون . أولم يكفهم أنه ألهم طائفة من المسلمين الآن فنبهوا المسلمين أن جميع العلوم والصناعات واجبة فرض كفاية وهم غافلون . أو ما علموا أن العذاب حل بهم وهم لا يشعرون . وسلام ثم سلام على من يفهمون المسلمين في الأقطار الإسلامية واجباتهم وعلومهم التي حرموا منها وهم لا يعلمون . وكما فعل ذلك في هذه السورة فعلم في سورة الأعراف فجعل في أوائلها ذكر الرياح والسحاب والمطر والنساء والثروات وفي آخرها النظر في ملكوت السموات والأرض وحذرهم من اقتراب آجالهم . هكذا فعل في الأنعام فجعل في أولها خلق السموات والأرض والظلمات والنور . وفي آخرها أنه أنشأ جنات معروشات وغير معروشات وأنه رب كل شيء . وفي المائدة ذكر في أوائلها حل الأنعام وحرماتها وقصة ابني آدم المشتملة على أن الإنسان يتعلم من الحيوان . وذكر في آخرها أنه له ملك السموات والأرض . وفي سورة النساء ابتداء بذكر خلق الإنسان وأنهم من نفس واحدة . وجعل في آخرها ذكر السموات والأرض مكررة وهكذا سورة آل عمران ابتداء بوصف الله بأنه الحي القيوم وكيف خلق الجنين في بطن أمه وصوره وجاء في آخرها - إن في خلق السموات والأرض الخ -

وهكذا البقرة جاء في أوائلها - يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم الخ - وفي آخرها - لله ما في السموات وما في الأرض الخ - فهذه السور من ابتداء البقرة إلى هذه السورة هذه كانت مبادئها وهذه كانت خواتمها كلها حاضرة في أوائلها وآخرها على النظر في عوالم السموات والأرض . فأما هذه السورة فقد أبانت أن الغافلين عن علوم الأمم السالفة ملومون غافلون والغافلون معذبون في جهنم والعذاب هنا في ترك فرض الكفاية . اللهم ألهم أمتنا الإسلامية عقولا راقية وقفوسا كبيرة . فوالله لئن لم يفته علماء الإسلام عن هذا التقصير لتكون هذه الأمة في الهاكين ويستبدل الله بها غيرها - إن يشأ يذهبكم ويستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم -

فيا عجبا لأمة الإسلام . كيف بنامون . كيف يغفلون . وهذا القرآن بين أيديهم يقرؤنه صباحا ومساء . ولتعلم أيها النكي المطلع على هذا الكتاب أنك مسؤول عن هذه الأمة وإياك أن تقول من أنا فانك متى كنت مغرما بقراءة أمثال هذا الكتاب فلا جرم تكون نفسك من ذوى الجدد والعلم الذين يعرفون قيمة أنفسهم وهم مصلحون فلتكن مصلحا ولترشد الناس بقلمك وإسنانك وحديثك ولتحرّض الأمة على حوز العلوم . فلعمرى لقد قابلت طوائف هذه الأمة المسكينة من أهل جاوه وسومطرة وبلاد الملايو وبلاد سيام وبلاد الغرب وغيرهم من الأمم والممالك ومن بلاد الصين فوجدتهم جميعا خاملين خامدين نائمين لم يفتنوا وذلك لما رسخ في عقولهم من الدين أن الدين بعيد عن العمران . بعيد عن الأوطان . بعيد عن العلوم . بعيد عن الصناعات فضلوا بذلك وأضلوا وهم لا يعلمون فلتنقذ الأمة من ضلالها ولتنشلها من هذبتها ولتطلعها على دينها الصحيح في نحو ماسطرنا وفي مثل ما كتبناه والله هو الهادى إلى سواء الصراط . تم تفسير سورة يونس عليه السلام

﴿ سورة هود مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية ﴾

﴿ وهي أربعة أقسام ﴾

﴿ القسم الأول ﴾ في المقصود من الرسالة من أولها الى قوله - ليلوكم أيكم أحسن عملا -
 ﴿ القسم الثاني ﴾ تأنيبهم على استبعادهم البعث والامناع الى نقص الانسان ومقاصد أخرى من قوله -
 ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت - الى قوله - هل يستويان مثلا أفلا تذكرون -
 ﴿ القسم الثالث ﴾ من قوله - ولقد أرسلنا نوحا الى قومه - الى قوله - بشئ الرفسد المرفود - في
 قصص الأمم والأنبياء
 ﴿ القسم الرابع ﴾ في طريق هداية الأمم الى الفلاح من قوله - ذلك من أنباء القرى نقصه عليك -
 الى آخر السورة

هذه أقسام السورة . ولقد كنت لخصتها منذ ١٤ سنة وأنا مدرس بدار العلوم وقسمتها على هذا
 النمط ولكن القسم الثالث تبعه قسمان موضحان له تابعان له فصارت الأقسام ستة . ولما كان للانسان في كل
 سنق من أسنانه عمل يناسبه وإنشاء يلائمه ورأى يوافقه رأيت أن أكتب ذلك الملخص لتطلع على ما كتبت
 إذ ذاك وأنا مدرس بدار العلوم وتوازنه بما أكتبه الآن فستجد أن الرأي اللاحق هو السابق فساذكر
 ذلك الملخص ثم أتبعه بتفسير السورة إن شاء الله . هاك ما كتبت إذ ذاك لتطلع على بجممل تفسيرها كأنه
 مرآة ثم أذكره مفصلا في اللاحق

﴿ تفسير هذه السورة . مقاصدها ست . المقصد الأول من أول السورة الى قوله - ليلوكم أيكم أحسن عملا -
 ابتداء الله عز وجل هذه السورة بالمقصود من الرسالة وهو عبادة الله عز وجل والانابة اليه بالتوبة وعدة
 المؤمنين الثابتين بالفوز في الدارين والسعادة في الحياتين الدنيا والآخرة وانذارهم بالعذاب إن أعرضوا فقد
 جمع بين الانذار والتبشير والاحاطة والاطماع وهذه هي الطريقة المثلى وذلك في قوله تعالى - الر * كتاب
 أحكمت آياته - الى قوله - عذاب يوم كبير - ثم أخذ يشرح سعة علم الله واحاطته بالكائنات فلا تخفى عليه
 خافية بما أبان من اطلاعه عليهم وهم مستغشون بنياهم في اختلاهم وفي أسرهم وعند نومهم ويقظتهم وعلى
 الدواب نورية والبحرية في غسدها ورواحها ولبيلها ونهارها وتقديره أرزاقها وقيامه بم يقم به أودها
 ويبقي حياتها ويحفظ نسلها الى أجل مسمى . ثم شرح قدرته عز وجل بما أبدع من عجائب السموات
 وغرائب الأرض ولم تكن شيأ مذكورا حينما كان عرشه على الماء فما قدمناه منحصر في العبادة والتوحيد
 والانذار اجبالا والتبشير . ولقد كانت العناية بصفات الله أتم والاهتمام بقدرته وعلمه أعظم ليكون ادعى
 للخضوع لعظمته والايقان بعلمه وحكمته وذلك أدعى لاجلاله والخوف من عقابه وهيبة سلطانه وامتنال أمره
 واجتماع نهيه والايقان ببديع حكمته حتى لا يكون العالم بلاغاية ولا أعمال العباد بالنتيجة

والمقصد الثاني وهو من قوله - ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت - الى قوله - هل يستويان
 مثلا أفلا تذكرون - . أخذ فيه يؤنبهم على استبعادهم البعث بعد الموت ووصفهم له بالسحر واستبط - لشها
 عذاب الدنيا إذ يقولون - ما يحبس - وما أجمل أن يشرح خلق الانسان العالم وما فيه من النقص والجهل
 فهو اليؤس من الفرج . المكفور بالله اذا أصابه الضر وهو الفرج البطر الفخور ان أذاقه الله نعمة . ذلك
 لجهل الانسان وقصر نظره الحيواني الطبيعي . ولا مفر من هذه الخلة الشائنة إلا بالصبر في الضراء والسرء
 بالعفة والسكينة والوقار وضبط النفس في الغنى والتعالى عن الاثناس بالمادة وأن يفكر في زوال الحياة وفناء
 اللذات وانتقال المال من يد الى يد وتصرم الآجال وذهاب الأموال وسرعة تقلب الأحوال وضبط النفس

في الحالين من فقر وغنى يصير الانسان رجلا كاملا . وما أنسب أن يسلي النبي ﷺ عما يضيق به صدره عما يقولون عليه تسلية له وتثبيتا لفؤاده فأنزل عليه ما يثلج صدره إذ قال - فلعنك تارك بعض ما يوحى اليك - الى قوله - انما أنت نذير -

ثم شرح حال المرانين والمنافقين والمشركين وأبان أن أعجزهم حاطة وأظهر ما عليه المؤمنون والنبي وصحة حججهم ووضوح طريقهم وتبليغ نور شمسهم وانقشاع الغيوم بأضوائه ووضوح الحجج بالقرآن وسطوع النور بالبيان بقوله - أفن كان على بينة لعل - ولم يبق من أنواع الايضاح إلا أن يمثل أولئك الذين لم يروا شمس الهداية ولم يقيموا نور العلم والحكمة وسطوع الحجج الواضحة في القرآن بأنهم عمي لا يبصرون وصم لا يسمعون والآخرون مبصرون سامعون . فتعجب كيف تدرج من أول السورة الى هذا المقام من حال الى حال فتوحيد دينه عبادة يشاؤه نظام وتعلم يتاوه انذار بعذاب من بعد ذلك ايضاح وايضاح وبيان يتفقوه بيان حتى صار المعقول محسوسا والغائب مشاهدا فصعد بالأمر فوصف قوما بالعمى والصمم . وآخرين بالبصم والسمع فالعمى عن رؤية السموات والأرض والذباب ومستقرتها ومستودعها والصمم عن سماع الموعظة والانذار والتبشير . ولم يبق بعد هذا البيان إلا أن يقص القصص ليعتبروا . ويقوم البلدان لينذكروا . ويسمعهم التاريخ ليندجروا لعلمهم ببصرون عادا إذ قال - وتلك عاد الخ - ولعلمهم يسمعون ما حل بالأمم الغابرة والأجيال البائدة ولا يكونون صما عن المواعظ عما فلا يبصرون آثار الأمم البائدة وأطلأها الهامدة وأحوأها الغابرة ذلك هو العجب العجيب

﴿ المقصد الثالث ﴾ من قوله - ولقد أرسلنا نوحا الى قومه - الى قوله - بئس الرفد المرفود - وفيه تخطيط البلدان التي سكنتها هذه الأمم والاماع الى تاريخهم . ذكر الله في هذه السورة عادا وثمود وإبراهيم ولوطا وشعيبا . فقوم نوح بنهم نوح . وعاد بنهم هود . وثمود بنهم صالح . وقصص إبراهيم لم يذكر معه قومه فيها . وأهل سدوم بناحية حص بالنشام بنهم لوط . وأهل مدين بنهم شعيب . وأهل مصر بنهم موسى

﴿ مساكنهم ﴾

أما قوم نوح قليل بالهند . وقليل بالعراق وما والاها . وأما عاد وثمود فهما بجزيرة العرب حوالى اليمن وأما إبراهيم فقد كان في تلك الحال بفلسطين من أعمال الشام بعد أن رحل باين أخيه لوط من أرض بابل فكان هذا بفلسطين وهذا بسدوم وهي خمس قرى بينها وبين فلسطين نحو أربع فراسخ . وأما أرض مدين فعلى شاطئ البحر الأحمر تجاه بلاد صعيد مصر من الجهة الشرقية . وأما أرض الفراعنة فعلاوة وهي مصر . ألا تعجب كيف كانت الأمم المذكورة في السورة محصورة في جزيرة العرب وماحولها داخلة الآن في حوزة الاسلام . ليتعجب طلاب العلم ولتندكروا كيف كانت هذه السورة جامعة لقصاص الأمم المحيطة بالكعبة أو ما يقرب منها . وكيف أراد الله إيقاف أقوام سكنوا تلك الأقطار بعد نومتها وحياتها بعد موتها وعزتها بعد ذلها وشرفها بعد ضعفها . وكيف دخل الاسلام هذه الأقطار وعم هذه الديار فدخل اليمن وماحولها وضم جزيرة العرب ومصر والعراق وبعض أقطار الهند . هذه بعض حكم القصص لم يذكرها الله إلا إيقافا لأهلها فاستيقظوا وتذكروا لأهلها فتذكروا

﴿ المقصد الرابع استنتاج الأخلاق مما ذكر في المقصد الثالث ﴾

جرت عادة الله أن لا يهلك أمة . ولا يبيد دولة . إلا إذا عاث أهلها في الأرض فسادا أو بطشوا بطش الجبارين وطغوا وبلغوا واستكبروا وأفسدوا فتكون العقوبة الهلاك في الدارين والعذاب في الحياتين والشقاء بالويلين . فان الله لا يهلك القرى لكفر أهلها إذا كانوا مصلحين لشأنهم منظمين مدنهم حافظين لأمرهم

ضابطين لنظامهم قائمين بأعمالهم كما قال تعالى في هذه السورة - وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون - فأما أهلاك قوم نوح فبسبب الاعراض عن الهدى واستمرار مرضى الجهل والاخلاد الى الأرض والتباعد عن الرشد واتباع طرق الفنى والاستكبار على العقلاء الذين آمنوا واسترذاهم واستهزأهم بالعلم والهدى وانفتهم أن يأخذوا العلم عن بشر مثلهم والحكمة عن واحد منهم . إلا أن نفوسهم حيوانية وجبيلاتهم حجرية كمثل أولئك الذين لا يرضخون إلا للمعلم غريب عن الديار نازح عن الأوطان لما أنهم لا يعقلون إلا كما تعقل العامة الجهلاء من الخضوع للجبارين والأخذ عن المجهولين أو السحرة الساكرين أو القوم الشاذين لقوة سلطانهم بالترهات وحبيلهم بالطلمات . أما العقول فهم معزولون . ثم إن الكبر والجهل صنوان وهما رضيعا لبان وفرسارهان وخيلان لا يفترقان وشقيقان لا ينفصلان فهلكوا بالغرق وبدادوا بالطوفان وأما قوم عاد فلقد طغوا في الأرض وبغوا وقالوا من أشد منا قوة فأبادتهم الرياح والزلازل وأهلكتهم فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم . وأما ثمود فكفروا النعمة ولم يشكروها وجمعوا بين نقيصتين نعت في طلب الآيات وخوارق العادات وكفروا على نعمة أعطوها فلم يحمدها الله فيشكروها بل ذبحوا الناقة ظالمين وأكلوا لحما كافرين فاصفرت الوجوه ثم احمرت ثم اسودت ثم أخذتهم الصيحة التي صاحها جبريل وزلزلت الأرض ورجفت بهم رجفة فأصبحوا هالكين . جعت ثمود بين الحستين معاداة العلم بالنعمة وطلب الخوارق للعادات والبنى والظلم فقد أساءت في القوة العامية ولم تحسن في القوة العملية . وقوم لوط فسقوا وأولعوا بالشهوات الجثائية ففعلوا ما يبيد النسل وطغوا في شهوة الفرج كما طغى أهل مدين فيما به قوام الأجسام من المكمل والموزون . وماطغيان قوم فرعون إلا كعاد وقوم نوح فالنتيجة أن قوم نوح وقوم فرعون وعادا ملكتهم القوة الفضيحة وأضلتهم النفس الشيطانية . وقوم لوط وأهل مدين ضلوا بالقوة الشهوية وهؤلاء فيما يبق الأجسام وهؤلاء فيما يبدى النسل . فهؤلاء فيما يسد الجوعة وهؤلاء فيما به يتناسل الحيوان والانسان وقوم شعيب عليه السلام أغضوا القوة العقلية فاستحبوا العمى على الهدى

هذه مجامع علم الأخلاق ذكرها الله في السورة تذكرة لهذه الأمم وإيقاظا لها وإبذانا بأن الأمم التي أهملت شأنها فلم تقو ارادتها ولم تستيقظ عقولها ولم تصلح شؤون نفوسها أولئك التي اغترت بأنفسها وفرحت بما عندها من العلم ونامت على مهاد الراحة واستكبرت عن أخذ العلم ممن كانوا أعلى منهم مقاماً وأرق شأنها وأوسع حكمة كملكه مرا كش أيام استقلالها وعظمتها أولئك التي أطلقت أيدى العابثين من أبناءها فلم يأخذوا على أيدى الظالمين فساد الفساد بتطفيف المكيال والميزان وعموم الرشوة واعطاء المرء ما لا يستحق من الأعمال وبخس الفضلاء حقوقهم وترك حبل الامور على غاربها فأولئك لا محالة ذاهبون للدمار واقعون في شرك الويل والثبور

﴿ المقصد الخامس استنتاج النظام العام الخالى من هذه السورة في هذه الأمم وكيف كان هلاكهم تابعا

لسقوطهم في الأخلاق والفضيلة والآداب . وكيف رجعوا لتاريخهم القديم اليوم ﴾

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت * فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

إن هذه الأمم التي قصها الله تعالى في هذه السورة بعد أن هلكوا واستوصلت شأفتهم ملكت أرضهم وسكنها قوم آخرون وهى الآن بلاد الاسلام فنحن أهلها المالكون وأصحابها المسيطرون . ولما طغى أهلها البائدون أخذتهم صاعقة العذاب الهون . فمنهم من أغرق . ومنهم من أهلك بريح صرصر عاتية . ومنهم من أخذته الصيحة . ومنهم من خسفت دياره فصاروا صعيدا جزا . وتلك القصص من المسامات عند سامع القرآن . فلننقس حالنا اليوم بمن حالنا ديارهم واتخذنا مساكنهم وننظر هل أحسننا الخلافة وعرفنا قوله تعالى - عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون -

نرى أن البلاد العربية خاوية من العلوم • خالية من النظام • عريقة في التقاطع والتدابير • وهكذا مصر لما أن رأت بصيصا من النور لم تعرف كيف تبصر ولم تزن أعمالها وخلطت عملا صالحا وآخر سيئا • وهذا القول منذ ١٤ سنة كما قدمت لك • أما الآن فإنها أخذت في الاستقلال والرفق • وهكذا أرض بابل ومابين البحرين فان الجهل لا يزال ضاربا أطنا به في ربوع الاسلام فلذلك أحاطت به من كل جانب المصائب وفاق بنا المكره من كل جانب وهذا مقدمة لعذاب الخزي في الحياة الدنيا مثل ما حلّ بأسلافنا • حذونا حذوهم حذو القذة بالقذة • وما ذكر الهلاك الدفئ إلا لينذرنا بالهلاك التدرجي والعذاب العظيم باحترار الأمم لنا واستهزائهم بنا • فلقد تركنا عقولنا وشأنها فلم نرب القوة العقلية ولم نتم الفكر الانساني وكثرت الرش والفساد في المبيعات كما فعل أهل مدين وتجرأنا على المحرمات كقوم ثمود • والطامة الكبرى أننا فرحنا بما عندنا من العلم وصممنا آذاننا عن الحكمة التي أرسل الله أنوار شمسها على أرض المغرب وكساها وجه اليابان والصين وأذاقها لأمة الأمريكان فتكبرنا عن العلم ونحن الجاهلون وأعرضنا عن الحكمة ونحن معرضون ونمنا والناس مستيقظون • هذا ما كتبته إذ ذاك ولكن الآن دبّت الروح في جميع هذه البلاد وعسى أن ترقى هذه الأمم وهم فرحون مستبشرون

﴿ المقصد السادس دواء هذا الداء وخاتمة السورة من قوله تعالى - ذلك من أنباء القرى -

الى آخر السورة ﴾

لقد بان لك حالنا اليوم وما أحاط بنا من مكروه وما نزل بنا من شر • وكيف أصبحت أم الاسلام غارقة في بحار الجهل تائهة في قفار الضلال بعيدة عن طريق الهداية لإقبيلا • وكيف عكفوا على المجد القديم واستكبروا في الأرض بغير الحق واكتفوا بما عندهم من علم قديم ومجد موروث وأهملوا الأخلاق والفضائل وقال قائلهم لمن يسأله عن سبب انحطاط أمم الاسلام (إنها المعاصي) ولوسألتهم أي هي لقال الغيبة والنميمة والخمر وما أشبهه وأكثرهم يجهل أن الجهل أكبر المعاصي وأن نظام المدن ورفق التجارة واتقان الصناعة واحكام الزراعة ونظام الامارة من أفضل العلوم والجهل بها أكبر المعاصي وأقبح المخازي وأن عكوف كل امرئ على شأن نفسه وحده وتركه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أسوأ أثرا وأكثر خطرا وأعظم ضررا من غيبة ونميمة • ولا سبيل لإصلاح البلاد الاسلامية وإسعاد الأمة المحمدية إلا أن يجتدوا في العلوم والصناعات واحكام التجارات والامارات ونظام المدن والجماعات ولم يؤيسر بنا من السعادة ولم يقنطنا من اصلاح حالنا وتغيير العادة • ألا ترى كيف ذكر السوء بعد الداء فقال - إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين * واعتبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين * فلو كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظالموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين - فان معناه هلاك في الأمم الغابرة والقرون البائدة مرشدون ناصحون وعلماء واعظون وحكام مبصرون ينهون غوغاءهم ويرشدون جهالهم ويضربون على أيديهم كما فعلت أمة اليابان والصين والأمريكان • فان الأمة إذا اقتربت من العطب وانسل إليها الاهلاك من كل حذب فأيقظ أهلها الموقظون وأرشدوا لموضع الداء الناصحون أرجعت العز إلى نفسها ونصرت على عدوها وإذ ذاك لا ينهاهم هلاك الدارين ولا يحيط بهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولا عذاب السعير في الآخرة • وتجب كيف يقول بعد أن أتم قصة فرعون - تلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد - وكيف أرجع انظلم اليهم وقال - وما ظلمناهم الخ - ولكن ظلموا أنفسهم فأنفعتهم الآلهة المعبودة • هكذا لم ينفع أهل الشرق اليوم من يمدهم ويمنيهم من بعض الرؤساء الجاهلين بل زادوهم تقيييا • ثم قاس أحوال الأمم في الأرض بهذه الأمم المذكورة فقال - وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة - ثم شرح عذاب الآخرة وكيف يسعد قوم بالجنة ويشقى آخرون بالسعير

مقاصد الدين ﴿أمران﴾ بقاء الأجسام بنظام المدنية وحفظ النسل وسعادة الأرواح بالعالم والشوق الى معرفة الله والعبادة ولا أرواح بالاحياء ولا حياة بالانظام • لذلك كان جل مقاصد هذه السورة حفظ الأجسام وبقاء المدن ونظام الجمعية وحفظ الأموال ليهب الناس لجمعها ويتضافروا على العمران ويكثر النسل فبني الله عليهم البخس في المبيعات واللوام والاسكبار عن العلم النافع • فهذا كله لبقاء الأجسام وهو النظام المدني ولقد أرشد الله لحفظ الأرواح وتركيتها بالعبادة والتوحيد والأخلاق الفاضلة فتعجب كيف غفل المسلمون اليوم عن النظام المدني • وكيف يقرؤن ولا يعلمون ويعيشون ولا يفكرون • إني أنذر المسلمين اليوم كما أنذرهم الله وأقول لهم ليقم في كل قطر من أقطار الاسلام رجال يحضون على العلوم ليكثروا ليرشدوا اخوانهم ليأمرؤا بالمعروف لينهوا عن المنكر • أحذر المسلمين أن يهلكوا كما هلك من قبلهم • إني أنذرهم صاعقة المدافع والعذاب الواقع ماله من دافع وحصد النفوس وذهاب الفلوس وضياع القرى ومن يعيش به

﴿ آيات الأخلاق • آيات العلوم • آيات الأحكام • آيات النظام العام ﴾

(آيات العلوم من هذه السورة إحدى عشرة آية)

- الى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير - الى قوله - في كتاب مبين - وقوله - وقيل يا أرض - الى قوله - الظالمين - وقوله - إني توكلت على الله ربي وربكم - الى قوله - مستقيم - وقوله - فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم - الى قوله - حفيظ - وقوله - ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة - الى آخر السورة

وهذه الآيات في الأكثر تبيان لعظمة الله عز وجل وجلاله وقدرته وسلطانه وعلمه ورحته التي وسعت كل شئ • ومن أعجب ما في هذه الاحدى عشرة قوله تعالى - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - • لن يعقل دقائق لحاطة الله علما بالدواب إلا من قرأ علوم الحيوان ووقف على غرائزه وعجائبه وبدائع تركيبه ومحاسن صنعته وما أتيح له من أعضاء منظمة ووهب من قوى دراية وصور براءة ونفوس مختارة • إن في الحيوان لآيات وفي النمل لحجبا وفي النمل حكما • واقرأ إن شئت هندسة العنكبوت ونظام بيوت النمل وبدائع دودة الحرير ونظام الجراد ودود القطن وكيف أكلت مما تلبسه ولبسنا مما نسجت أختها دودة الحرير فكيف كانت احدهما تلخ علينا لباسها والأخرى تسلبنا مازرعنا لتلبسه • إن في الحيوان والانسان لغرائب - وفي خلقكم وما يث من دابة آيات لقوم يوقنون - • كل ذلك في كتابي ﴿جمال العالم﴾ انتهى

﴿ آيات الأخلاق منها قوله - الر • كتاب أحكمت آياته - الى قوله - عذاب يوم كبير - ﴾

في هذه الآيات الثلاث خلق التوبة ثم إن قوله تعالى بعد ذلك - ولئن أدقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور - الى قوله - وأجر كبير - فيه ذم خلق الأشر واليأس وطلب الصبر على البأس وضبط النفس في السراء والغنى وقوله - فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا - الى قوله - وباطل ما كانوا يعملون - فيه ذم صفة الرياء وقوله - والى ثود الخ - فيها خلق التوبة وشرفه وقوله - والى مدين أخاهم شعبيا - فيه طلب العدل في السكيل والميزان وقوله - ولولا كلمة سبقت من ربك - الى قوله - لا يضيع أجر المحسنين - فيه الأمر بالاستقامة وترك المداينة والركون الى الظلمة والصدع بالحق والاستعانة بالله وفعل الحسنات والصبر • أما آيات الأحكام فقوله تعالى - وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل - إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين * واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين - وقد نزلت في عمرو بن عرفة بائع النمر وقد قبل اجنبية • وهذه الآية تدل على أوقات الصلوات الخمس • فطرفا النهار الفجر فيه صلاة العداة • والعشي فيها الظهر والعصر • والزلف أي الساعات القريبة من النهار لصلاة المغرب والعشاء

ولا تكفر الصلاة إلا الذنوب الصغار على الأوجه . أما آيات النظام العام فهو فري السورة ومقصودها والله أعلم

هذا هو الملخص الذي كتبه في ذلك التاريخ . فلا أشعر في تفسير السورة تفصيلا بعد ما عرفت اجالا وقرأت حكمها الشريفة وعجائبها المنيفة لتكون على بينة من معانيها وفي الفهم على صراط مستقيم

(الْقِسْمُ الْأَوَّلُ)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

الرَّ * كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي إِلَهُكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ * وَإِنْ أَسْتَعْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ فَضْلُ كُلِّ شَيْءٍ فَضْلُهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ * إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * أَلَا إِنَّهُمْ يَمُنُّونَ بِصُدُورِهِمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ تَعْمَلًا *

لأبدي الكلام على البسملة وعلى قوله تعالى . وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين .

جرت عادة العلماء في الاسلام أن يسهبوا في الكلام على البسملة في أول كتبهم ويشرحوا ما يخصها من العلوم الاثني عشر الأدبية كالنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والخط والانشاء الخ أما في هذا التفسير فاني تكلمت عليها في أول سورة الفاتحة وينت الكلام في رحمة الله عز وجل أي في المقصود من انزال القرآن الى هذه الأرض . ان أكثر العلماء رجحوا الله أرادوا ترقية العقول واتساع الذهن بالعلوم التي هي آلات الفهم . أما أنا فاني بحمد الله أكتب هذا التفسير لأناس لهم حظ من هذه العلوم فعلى أن أوجه اهتم الى ما هو المقصود من ذكر الرحمة قد ذكرت شيئاً منها في الفاتحة وشذرات في سورة آل عمران عند قوله تعالى . بيدك الخير . وقوله تعالى . وترزق من نساء . فبينت هناك رحمة عز وجل في الحشرات وغيرها وأنه سبحانه أخذ بناصيتها وهكذا عند قوله تعالى في سورة الأنعام . وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم . وكذلك في قوله تعالى في سورة الأعراف . ورحمتي وسعت كل شيء . وههنا أقول إن الله كرر الرحمة في القرآن في أول السور فوق المائتين وهكذا ذكرها في مواضع كثيرة كقوله تعالى . وهو أرحم الراحمين . في سورة يوسف . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل قال في نبينا ﷺ . وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين . ولا جرم أنه الآن في العالم الأعلى فوجب أن نكون نحن المساهمين على الأرض قائمين بالرحمة والرحمة على ﴿ قسمين ﴾ رحمة بالحيوان . ورحمة بالانسان . أما الرحمة بالانسان

فلن تتم لنا إلا إذا أصبحنا عالمين بقدر طاقتنا بعالم هذه الدنيا حتى نرقى نفوسنا ونرقى غيرنا . ومستحيل هذا الرقى إلا بنشر العلوم بيننا أولاً وهكذا الصناعات وحيفئذ نرشد غيرنا ونكون رجة * أما الآن فلا فن يحيل الرجة العامة كيف يستعملها وكيف ينشرها بين الناس فرجتنا على مقدار عملنا فيها وعملنا فيها على مقدار علمناو علمنا اليوم قليل . وأما الرجة بالحيوان فاننا نعاشر الأمم الإسلامية لننشرها بين الشعب بل حصرت في كتب الفقه والأمم الإسلامية ساهية عنها لاهية والفرجة قاموا بتجميعات للحفاظ على الحيوان في بلاد الاسلام وهذا بسبب كتبهم التي ألفوها لصغارهم وفيها ما يرقى القلب على الحيوان ويورث الشفقة فلا ذكر هنا ما جاء في الأحاديث الصحيحة عنه ﷺ ثم أتبعه بما يفتح الله به . وقبل أن أذكر الأحاديث أقدم مقدمة فأقول

إن العالم على (قسمين) عالم لطيف وعالم كفيف . فالعالم اللطيف لا ندري منه شيئاً إلا العلوم والأنوار والجمال . نحن في هذه الأرض نحسّ بنعمة العلم وبنعمة الجلال وبجمال النور . هذه النعم الثلاثة نحس بأنها خالية من الحزن ومن السكدر والنحس والشقاء . يقف الانسان مهتوا أمام الجلال فينسى كل حزن ويشعر بسرور وخفة روح واطف والحب الذي سببه الجلال يأخذ بلبّ صاحبه على مقدار الاحساس بالجمال فيغيب عن كل حزن وكدر في ذلك الزمن الذي غشى الحب على قلبه . ولقد عرف الناس أن الحب درجات درجة دنيا وهو حب الجهال للجمال الظاهري فانه سريع الزوال . وحب العلماء للجمال العلم . فهذه درجة وسطى . وحب الحكماء وأولى الألباب لخالق الجلال . وهذه هي الدرجة العليا . فالجاهل يليه الجلال الحيواني في وقت ما عن حزنه وغمه وشقائه . والعالم والحكيم يجدان لذة لا يحس بها الجاهل في علمهما وحكمتهما وادراك منظم هذا الوجود على قدر طاقتهما وهكذا النور الذي هو عالم وسط بين الماديات والمعنويات يسر النفس على قدر ادراكها له . هذه مظاهر تبعث في النفوس ارتياحاً لعالم المجردات الذي لم تنله في هذه الدنيا . أما عالم الماديات فان الرجة فيه لا تكون إلا باستعمال الحكمة واطهار بدائع القدرة واستكمال صور الموجودات بأنواع التنظيم والاحكام . إذ يظهر أن هذا العالم المادى الذى نعيش فيه عالم متأخر تغلب عليه الشقاوة ولكن يد القدرة وعجيب الابداع والاحكام قرّبه من الرجة . وفي هذا التفسير من عجائب التدبير لأجل الرجة ما يكفي اللبيب مثل ما ذكر في سورة البقرة عند قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض - وفي آل عمران عند قوله - بيدك الخير - وفي آخرها أيضاً ومثل ما ذكر أول سورة المائدة . وهكذا ما جاء في آية - ورجنى وسعت كل شئ - فلانعيده ولكن نشير الى هذا الأخير مما ذكر هناك (١) مثل أن الأرض يعوزها ما يقلل أضرار المواد الرطبة التي يفسد الخبث بقاؤها فيحصل الهلاك . لذلك خلق الذباب والجراد ونحوهما من الحشرات (٢) وكثير من هذه الحشرات تضرّ الزرع بجاء البرد أيام الشتاء تقتل تلك الحيوانات (٣) وهذا البرد يضرّ البذر والزرع الناشئ حديثاً زمن الشتاء لاسيما في البلاد التي اشتدّ بردها فجعل لها الثلج واقياً ماتحت من بذر وزرع في البرّ ومن سمك في البحر لأن الثلج فوق سطح البحر يمنع البرودة عما تحته فيبقى الماء يغدو فيه السمك ويروح برجة الله ثم يشتدّ حرّ الشمس فيذيب الثلج فيخرج الزرع نظراً بهما جيلاً . فانظر لتدبير منظم حشرات لاقبال الرطوبة فبرد لقتلها فتلج لاضفاف آثار البرد فشمس لازالة ذلك الثلج ليخرج النبات . هذا مثل واحد من آلاف الأمثال التي نراها في هذا العالم تدلنا أن النظام والحكمة والتدبير هي التي جعلت في عالمنا بعض الرجة لا كلها . إن أرضنا كثيرة التغير سريعة التبدل قصيرة الأعمار كثيرة الزلازل منيت بالشرّ ممزوجة بالخير فلا خير إلا جعل مصحوباً بشرّ ولا نفع إلا مع ضرّ . ذلك كله لأن عالمنا غير مستعدّ لتعام الرجة فليس من العالم اللطيف الجميل الذي تطول فيه الأعمار ويظهر فيه الجمال ويتلأأ فيه باهر الأنوار المدهشة بل إن ما لدينا من النور يصرفنا عن

السرور به الرزايا الأرضية . هذا هو عالمنا . لكناك من هذا تفهم الحديث الذي أخرجه الشيخان والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ﴿ جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرهما عن ولدها خشية أن تصيبه ﴾

إن هذا الحديث لا يعقله إلا من درس علوم الطبيعة والفلك وكنا ازداد الانسان علماً ازداد بصيرة . نحن رأينا الناس لا يرتقون في هذه الدنيا في مال أو علم إلا ينصب وتنب ورأينا نظام الحيوانات في البرية مبني على المغالبة ورأينا الآساد تأكل الطباء رحمة بالآساد وبالطباء وبالناس فلو لا هذه الخصلة لملائت الحيوانات الآكلة العشب السهل والجبل ولملائت رحمها عند هلاكها أقطار الأرض فكان الوباء فاقنضت الحكمة بقاء العالم . وليس لهذا طريق إلا أن يخلق حيواناً يقال ذلك التكاثر ويظهر الأرض من الرم فيجعلها في جوفه بحيث يطحنها ويحيلها الى مادة لاتعفن فيها فيكون بعضها من جلة جسمه وبعضها فضلات خارجات من السبيلين فهذه وأمثالها تدبير ولطف - إن ربي لطيف لما يشاء - فهذا التدبير يدهش العقول المفكرة وترى فيه ما لا يخطر ببال المشعوذين من الحيل المعجبة الناظرين المدهشة للفكرين . ولعل هناك عوالم اللطف والأطف فتكون الحياة فيها أشرف وأشرف وأبقى وأطول ويكون الأحياء أعلم وأعلم لا كما نحن عليه في الأرض من رحمة أقلّ وعلم ضئيل حتى خاطبنا الله قائلاً - وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً - قلة علمنا مناسبة لقلة الرحمة الواسلة إلينا التي منعها نقص استمدادنا حتى لم نزل من الرحمة إلا واحداً من مائة . وافق الحديث الآية

الحديث ينص على أن رحمتنا واحد من مائة والآية جعلت علمنا قليلاً . قلّ العلم فقلت الرحمة وليس ذلك كله إلا من نقص عالمنا الذين نعيش فيه ولم نستعد إلا له . إن نبينا ﷺ رحمة للعالمين . وقد ورد في الأحاديث ما أوجب علينا أن نخدو حنوه فيها (١) مثل حديث ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عنه أنه قال ﷺ ﴿ الراحون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء الرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعها الله تعالى ﴾ أخرجه أبو داود الى قوله من في السماء والترمذي بتمامه . والشجنة بكسر الشين المعجمة وفتحها بعدها جيم القرابة المشتبكة كاشتباك القرون * وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ﴿ لا يرحم الله من لا يرحم الناس ﴾ أخرجه الشيخان والترمذي * وفي رواية أخرى لأبي داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال ﷺ ﴿ لا تنزع الرحمة إلا من شقي ﴾ وقد وردت أحاديث في رحمة الله تعالى منها الحديث المتقدم الذي جاء فيه ذكر مائة رحمة عن الشيخين والترمذي وورد فيه زيادات لمسلم مثل قوله فيها أي فبالرحمة الواحدة تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض * وجاء في حديث رواه الشيخان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قدم على رسول الله ﷺ بسي فاذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها إذ وجدت صبياً في السبي فأخذته فالزقته بطنها فأرضعته فقال ﷺ أثرون هذه المرأة طارحة ولدها في النار قلنا لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه قال فأنه تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها

وجاء في رحمة الحيوان (١) ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيه فشرب ثم خرج وإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني فنزل البئر فإلا خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب فشكر الله تعالى له فغفر له قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجراً قال في كل كبد رطبة أجر . أخرجه الشيخان وأبو داود * وفي رواية أخرى أن امرأة بغيا رأت كلباً في يوم حار يطيف ببئر قد أدلج لسانه من العطش فنزعت له موقها فغفر لها به (الموق الخف) * وعن عبد الله بن جعفر رضي الله

عنهما قال كان أحب ما استر به رسول الله ﷺ حاجته هدف أو حائش نخيل (تهدف ما ترتفع من الأرض وحائش النخيل نخلات مجتمعات) فدخل حائطا (بستانا) فإذا فيه جمل فلما رأى النبي ﷺ حين وذرفت عيناه فأنابه رسول الله ﷺ فمسح ذفره فسكت ﴿ ذفرى البعير الموضع الذى يعرق من قفاه خلف أذنيه ويجعل فيه القطران وهما ذفران فقال من رب هذا الجمل فقال فتى من الأنصار هو لى يارسول الله فقال أفلا تتق الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله إياها فإنه شكاك الى أنك تجيعه وتدنيه (تتعبه بكثرة استعماله) أخرجه أبو داود * وقال ﷺ ﴿ لا تتخذوا ظهور دوابكم منابر إنما سخرها الله لكم لتبلسكم - الى بلد لم تكونوا بالفيه إلا بشق الأنفس - وجعل لكم الأرض فعليها فاقضوا حاجتكم * أخرجه أبو داود

وعن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فربأنا حجرة (بضم الحاء وتشديد الميم نوع من الطير فى شكل العصفور) تعرش (ترفرف) وترخى جناحها وتدنو من الأرض لتقع عليها ولا تقع فلما جاء رسول الله ﷺ قال من جفع هذه بولدها ردوا ولدها اليها * ورأى قرية نمل قد أحرقتا فقال من أحرق هذه فقلنا نحن قال انه لا يذنب أن يعذب بالنار إلا رب النار وروى الشيخان وغيرهما عن أنى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ﴿ قرصت نملة نبيا من الأنبياء فأمر بقرية نمل فخرقت فأوحى الله تعالى إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح ﴾ اه

﴿ نظرة فى هذه الأحاديث وفى الآية التى نحن بصدد الكلام عليها ﴾

يقول الله تعالى - وما من دابة فى الأرض إلح - ويقول هود - ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها - ويقول فى سورة الأنعام - وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمت أمناكم إلح - وهما هو رسوله ﷺ يقول شكاك الجمل الى ويأمر صاحبه بالرفق به * ويقول غفر الله لى سقت السكاب بخفها * ويقول فى الطائر من جفع هذه بولدها * هذه الأحاديث توجب النظر والبحث وتوجب على علماء الاسلام فى سائر الأقطار أن ينشروها وينشروها ويقولوا للناس فى نشراتهم وفى كتبهم ﴿ يذنبى عدم أخذ صغار العصافير والطير من أعشاشها ﴾

﴿ خطاب الى علماء الاسلام ﴾

أيها العلماء * ويا أيها المسلمون * أما آن لكم أن تذيبوا هذه الأحاديث وتقولوا للأمة إياكم وأخذ فرخ الحمام من أمة قبل استكمال تربيته وذبح الجمل مادامت أمة ترضعه * وإياكم وصيد الطيور البرية ما دامت تربي أولادها وتقولوا يجب دراسة علم الطير والدواب والحشرات وفهم طباعها فهما تاما ثم جعل الأحكام مطابقة لذلك بحيث تحرمون الصيد فى وقت التريبة والبيض وما أشبه ذلك * إن هذه الأحكام يختلف فيها العلماء اختلافا كثيرا ولكن لا معنى لاختلاف مع وجود الحديث * وأهل الأئمة المسيحية أقرب الى الرحمة منا اللهم إني أبرأ اليك من هذا الجهل الفاشى فى أمة الاسلام * اللهم قد نبهت وأوصحت وحسبنا الله ونعم الوكيل * اللهم ان نبيك محمدا ﷺ نبي الرحمة وقد أئذر وحذر ولكن الناس أهملوا والأمة كلها تيقظت الى هذه الرحمة ونحن اليوم جهلاء بها وأنت أرحم الراحمين فألهم العلماء فى الاسلام اكمال ما ابتدأناه وشرح ما أجبناه * ألهمهم إلهي أن ينظروا فى هذا الوجود * ألهمهم أن ينظروا فى الأمم حولهم ويقروا علومهم بلغاتهم فانهم يجدونهم قد عطفوا على هذه الحيوانات وفكروا فيها ومنهم من يرحمها وقد أقفوا جماعات تجوس خلال ديارنا لرحمتها وان كان علمهم أبترونا قضا * ألهمهم أن يفكروا فى أمر الاسلام وكيف يكون المسلمون أقل رحمة بالحيوان من غيرهم غفلة وجهالة وبعدا عن الحق وأنت قد ذكرتنا بأن هذه أمة أمثالنا وما فرطت فيها وأن ذلك رزقها وانك تعلم مستقرها ومستودعها وانك أخذت بناصيتها فإذا كانت هذه منزلتها منك فكيف جهل ان ر المسلمين منزلتها عندنا * أباح المسلمون صيد الحيوان بلا قيد ولا شرط وخالفوا

العلماء وخالفوا رسولك القائل ﴿ من جُفِعَ هذه بولدها ردّوا ولدها إليها ﴾ هذا الحديث المذكور في كتاب (تيسير الوصول لجامع الأصول) فهو في حكم الأحاديث الصحاح . ألم يأن للمسلمين أن يدرسوا هذه الأم درسا مدققا أننا وإياها نكون أسرة واحدة فهي تساعدنا في الزرع والضرع والسفر وهي المغنيات لنا لتطربنا في حقوانا والمعطيات لنا لملايس ومساكن ومناظر جميلة . ومنها القائنات لحشراتنا الفاتكات بزرعنا . وكيف يعرف الناس أن ولد الحمام يخالف ولد البط والاوز والدجاج من حيث عطف الأبوين وأن الفريق الأول في حاجة إلى الأبوين معا يعطفان عليه لضعفه وبطعمانه وأن الفريق الثاني يخرج قليل الحاجة إلى الوالدين لقوته بالريش والنقار والقوة والاستقلال والجري وراء أمه من وقت الولادة وتعطى الغذاء من الأرض فلذلك لم يحتاج إلى عطف ذكر البط ولديك بخلاف ذكر الحمام الذي يعارن الأم ويعطفان معا على الولد ويتقطع قلبهما أسفا وحسرة وحزنا إذا فارقهما وهو ضعيف . أقول كيف يعرف الناس ذلك كانه إلا بالدرس والعلم . أفلا يحسن أن يأمر العلماء وحكومات الاسلام بعد ظهور ما كتبنا هنا إلى هذا الأمر ويحرموا الناس صيد أمثال (الخطاف والعصفور والسمان) أيام تربية الأولاد . وهكذا صيد أفراسها الضعاف أي أن يتركوا الأبوين والذرية أيام الحضانه ثم يصطادون ما شاؤوا بعد ذلك حين استقلال الولد عن الوالدين فيصبح الأفراس في غنى عن الأبوين فلا يتقطع قلبهما ولا يترك الأفراس الصغار مقطوعات لأعائل لها

ومتى زال سبب العطف زال التحريم وهناك يكون المسلمون قائلين بأمر رسول الله ﷺ القائل ردّوا إليها ولدها وذلك لسبب الحزن الشديد والعطف من الأم المرفقة . فأما بعد الاستغناء فإن الأولاد تكون مباحة واذن يصبح هناك فرق بين صغار الحمام وصغار الدجاج فيؤخذ فرخ الدجاج وهو صغير لأن الأم لا يتقطع قلبها أسى وحسرة . أما الحمام فيعكس ذلك . وهكذا بقيت الطيور التي يقول فيها الحديث ﴿ ردّوا ولدها إليها ﴾ ويكون ولد البط كولد الدجاج لأن المدار على شدة العطف وعدمه . هذا ما أراه في هذا المقام . إن هذا الكتاب عام للمسلمين من جميع المذاهب فلا هو خاص بأهل السنة ولا بالشيعه ولا بالامامية ولا بالزيدية بل هو تفسير للقرآن مع الاستعانة بالسنة . فها هو ذا كتاب الله وها هو ذا حديث رسوله ﷺ وها هو ذا وجدناكم ورحمتكم واحساسكم الشريف أيها العلماء وعطفكم ورحمتكم ورحمة رسولنا ﷺ فهل ترون أننا نكون أقسى الأمم ريننا بمرحمة للعالمين . البوذية يحرمون جميع الحيوان . ونحن أمة وسط فأبيع لنا حيوان وحرم علينا آخر وأمرنا بالنظر والاعتبار وتقدم في سورة المائدة أن هناك حيوانات نافعات لنا منعت حكومتنا المصرية صيدها بسبب ما كتبناه كما ستراه في سورة يوسف قريبا فقلنا فليحرم صيد هذه الطيور لمنعتها لنا في حقولنا ولتجعل هذه قاعدة . إن المسلمين يدرسون علوم هذه الدنيا ويحرمون صيد كل حيوان نافع لهم وهذا أمر يجب ألا يختلف فيه العلماء . فمن قطع أصبح نفسه أويده حرم عليه هكذا هذه المالاتي تساعدنا فتأكل حرام لأن ذلك يفوت منفعتها . أما التحريم الذي أذكره هنا فهو للشفقة والرحمة التي تكررت في أول كل سورة وفي كل ركعة صباها ومساء وفي القرآن وفي الحديث . فمن الجبهالة والتقليد الأعمى المذموم الأبله ألا يفرق المسلم بين أفراس الحمام مثلا وأفراس الدجاج فلنأمر بحكومات الاسلام قاطبة بتحريم اصطلياد كل طير في فصل الربيع إبان تربية أولادها حتى يستغنى الصغار عن الأبوين ومن هذا الحمام الذي تربيته في منازلنا . فليحرموا عليهم ذبح صغار الذرية مادامت في حضانه الأبوين . فأما الصغار منها إذا استكملت قوتها فهناك يكون آلام الأمهات قد قل كثيرا وخفت فلا بأس إذن من أخذها

قد اعتاد المسلمون أن يقدموا دروس الصلاة والصيام على أمثال هذا . وكان الأجدر أن تؤلف كتب للصغار فيها عجائب هذه الدنيا باختصار ويذكرون فيها بعض الأخلاق ورحمة الحيوان وذلك كله قبل الكلام على أركان الاسلام حتى إذا اشتاقوا لربهم وأحبوه بحمال صنع وعموم رحمة أخذوا يبينون لهم كيف يصاون

ليصاوا اليه وليقرؤا منه فيصاؤون بحب لما يعرفون من عموم رحمته لهم ورأفته بهم وباطميوان . هذا ما وقت له اليوم والحمد لله رب العالمين

فعليك أيها القارئ لهذا التفسير أن تنشر هذا بين الناس بقامك واسانك ومالك من قوة وقدرة أوامرة . فالمسلمون اليوم في حاجة قصوى الى التذكير وأنا أرجو أن يحيي الله بك قلوبا وقلوبا فان الكتاب لا عمل له وانما العمل للرجال والله عز وجل يسألني عن المسلمين ويسألك عنهم مادمت موقفا بما تقرأه في هذا التفسير والله هو الولي الحيد وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . انتهى الكلام على البسملة فلا شرع في تفسير السورة

في التفسير اللفظي

قال تعالى (الر) تقدم في أول سورة آل عمران هذا (كتاب أحكمت آياته) نظمت نظاما رصينا محكما لا يقع فيه نقص ولا خلل كالبناء المحكم من الفساد وليس يفسد دين بعدها وأحكمت بالخبر والدلائل ويصح أن يقال أنها من حكم بالضم اذا صار حكما فان فيها أمهات الحكم النظرية والعملية كما قدمنا في ملخص السورة (ثم فصلت) كما تفصل القلائد بالفرائد فن دلائل توحيد الى أحكام الى مواعظ الى قصص أو فصل فيها ما يحتاج اليه العباد أي بين وخلص ونم للتراخي في الحال لا في الوقت كما تقول محكمة أحسن الأحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل (من لدن حكيم) فذلك أحكم الآيات (خير) بتفصيلها فذلك فصلا . ولما كان في فصل معنى القول بجى بأن المفسرة في قوله (ألا تعبدوا الا الله إني لكم منه نذير وبشير) كأنه قيل أى لا تعبدوا الخ ثم عطف عليه (وأن استغفروا ربكم) من الشرك (ثم توبوا إليه) بالطاعات (يمتكم متاعا حسنا) يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة ويمسكم في أمن ودعة وعيشة مرضية ونعمة متتابعة (الى أجل مسمى) الى أن يتوفاكم (ويؤت كل ذى فضل فضله) ويعط كل ذى فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا والآخرة وهذا وعد المؤمن الثابت بثواب الدارين (وإن تولوا) وإن تولوا (فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير) يوم الشدائد في الدنيا بتخطأ أو قتل كما حصل فقد أسكوا الخيف كما قيل وقتلوا في الفزوات النبوية وفي الآخرة أيضا بعذاب جهنم (الى الله مرجعكم) رجوعكم (وهو على كل شئ قدير) فيمتع من يستحق بالرزق ويعطى ذا الفضل فضله ويعاقب المسيء ويثيب المحسن يوم القيامة . وهذه الآيات دالة على قدرة الله تعالى ثم أتبعها بما يفيد عموم علمه كما عمت قدرته وأبان ما كان عليه المشركون فانهم اذا دخلوا بيوتهم يدخلون ستورهم ويخفون ظهورهم ويتنصتون بآياتهم ويقول الرجل منهم هل يعلم الله ما نى قلبى فرد الله عليهم قائلا (ألا أنهم يتنصتون صدورهم) يعرضون بآياتهم من قلوبهم ثبوت عناني وهم قد أرخوا الستور وأحنوا الظهور واستغشوا بالثياب (ليستخفوا منه) ليظابرا الخفاء من الله بتلك الأعمال (الآحين يستخفون ثيابهم) ويخفون ظهورهم ويخفون ستورهم (يعلم مايسرون وما يعلنون) فلا تفاوت في علمه بين سرهم في تلك الستور والثياب وعلمهم في الجوامع والمحافل (إنه عليم بذات الصدور) أى بالأسرار ذات أى صاحبة الصدور وإذا علم ماخفى في الصدور فعلمه بشيرة أولى . ولما أثبت قدرته وعلمه العاقلين لجميع نوع الانسان شرع يقررها لجميع الكائنات مبتدئا بالذوات التي هي أقرب الى الانسان لما شاركته في الحس والحركة ومنها السموات والأرض شاملا باستنتاج أنه قادر على البعث فقال (وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها) غذائها ومعاشها (ويسلم مستقرها) في الأصحاب (ومستودعها) في الأرحام فآيات القدرة بسوء الرزق وإثبات العلم بأنه يعلم مستقرها ومستودعها كما ذكر في الانسان أنه يتبع مقاما حسنا متى استحق ذلك وأنه يعلم مايسر وما يعلن على سبيل التلويح والنشر المرتب (كل) كل واحد من الذوات وأحوالها (في كتاب مبين) مذكور في التوراة المخفية قبل خلقها (وهو الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام) تقدم شرحها

فما مضى في يونس وفي أول الأنعام (وكان عرشه على الماء) وقد تقدم تفسير هذا في أول سورة يونس بأن الماء العلم أى وكان ملكه قائما على العلم ولا يزال كذلك وإنما خلق السموات والأرض ليرى ذوى الأرواح فيهما بالخير والشر وهذا قوله (ليلوكم أيكم أحسن عملا) أى ليختبركم بين الحياة والموت أيكم أخلص عملا ولولا ذلك لكان خالق العالم شبيها - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا عبيد - بل خالقهما لنرى فيهما نفوسا وترقيها حياة دائمة وغايات شريفة ويكون لها حياة وموت وارتقاء وانحطاط ابتلاء وامتحان

(الطائف)

(اللطيفة الأولى في قوله تعالى - كتاب أحكمت آياته ثم فصلت الخ -)

لما اطلع على هذه السورة بعض العلماء حديثي قائلا

إني رأيت (الر) في سورة يونس وفي سورة هود قد ذكر الله بعدها الحكمة فهو سبحانه يقول في يونس - تلك آيات الكتاب الحكيم - وهنا يقول - أحكمت آياته - ثم يقول - فصلت - ثم يصف نفسه بأنه حكيم وأنه خبير . ومعلوم أن كلام الله موزون بميزان . وإذا كنا نرى جميع أفعاله موزونة في أصغر النرات فهكذا فليكن كلامه فلماذا أكثر من ذكر الحكمة بعد هذه الحروف

(ج) لو أنك اطلعت أيها الناضل على ما تقدم في هذا التفسير فيما تقدم لأمكنك الجواب ولعرفت الحقيقة (س) كيف لا أعرفه وأما متذكر كل ما قلته أنت في هذا المقام . أنظر ألم تقل في سورة آل عمران أن - ألم - جاءت لا يقاط المسامين للغرور الذى فشا في الاسلام كما اغتر اليهود وأن نتيجة ذلك وجوب نشر العلوم الفلسفية والطبيعية والرياضية والعقلية والاحقت بكلمة العذاب علينا وهذا واضح في سورة آل عمران وأيضا أنت قلت أن - ألم - في سورة البقرة مذكر بمسألة الجود ومسألة تحليل العناصر ومعرفة حقائق المادة بعلم الكيمياء العضوية وغير العضوية لأن هذه الآيات هناك مبدوءة بهذه الحروف - ألم - فقال تعالى - ألم ترالى الذين خرجوا من ديارهم الخ - وقال - ألم ترالى الذى حاج الخ - فصارت هذه الحروف مشيرة لعلم الكيمياء وللجهاد ولتعميم العلوم وكذلك في - المص - جاء فيها ما يقرب من هذا مفصلا موضحا شارحا المقصود من (ص) التى تشير الى القصص وأن تلك السورة قد جاء فيها قصص آدم وبنيه من الأنبياء وأن هناك استنتاجا قد ذكره الله في نفس السورة ليعلمنا كيف نستنتج من القرآن ومن كل شئ كمسألة اللباس الذى زال عن آدم المذكر بأنه أنعم علينا بالقطن والسكتان الخ وأنه أنعم بلباس التقوى الذى هو خير الخ وهكذا توالت قصص الأنبياء هناك وظهر أن كل حجة احتج بها المعاندون كانت أشبه بحجة إبليس كأن يقولوا - هذا ما وجدنا عليه آباءنا - فصار الاعتراض بالآباء أشبه باعتراض إبليس بأصله وأنه من نار وأن الناس على الأرض اليوم وقبل اليوم وبعد اليوم سائرون على هذا النمط . فهذا بعض ما تقدم في معاني هذه الحروف فكيف تقول انى لو كنت عرفت ما تقدم لعرفت الجواب أما أنا فاني بعد ما تقدم أقول انه لا يكتفى للجواب فان تكرار الحكمة والتفصيل وأنه حبيب يدل على مغزى أعم مما تقدم وأبعد مدى وأقوى وأهم

(ج) إن هذه الحروف أنزلها الله في القرآن ليخرج بها المسلمين من ظلمات الجهالة الى مشارق النور ومباهج الحكمة ومناهج السعادة وباحات الجمال وساحات العلم والكمال . علم الله عز وجل قبل أن يخلق الخلق أن المسامين سينامون نوما عميقا وهم غير مقصرون بل هم مخلصون لربهم ولدينهم فأنزل الله هذه الحروف لترفع الغشاوة عن أعينهم بعد نومتها وتوقظ جعائهم بعد غفلتها

(س) أما كون هذه الحروف ترفع عن أعينهم الغشاوة وكونهم هم غير مقصرون في نومهم فهذان أمران لا أعقلهما وكيف أعقلهما

(ج) أما كونهم غير مقصرون في نومتهم فاني أوضحه لك . أنا من البلاد المصرية ولى نظراء من بلادنا

توجهنا الى الأزهر لتعلم العلم فوجدنا أمامنا النحو والفقه والتوحيد وهكذا علوم اللغة العربية وعلم الاصول وما أشبه ذلك تلك العلوم التي انحدرت اليها عن آباءنا وأجدادنا من عصور مضت وقد سلطت عليهم ملوك وأمراء ووقوعوا فيها وقتت فيه الأمم من الضنك ولم يستخلصوا لنا من ظلم الظالمين إلا ما وصل لنا . تعلمنا هذه العلوم ثم نظرنا حولنا فرأينا أمما ودولا وعالما فرجعنا الى القرآن فوجدنا أن العلوم التي ارتقت بها الأمم يطلبها القرآن فعلا نصا صريحا فنصحننا الأمة بتلك العلوم . أقول لك لولا اطلاعنا على هذه العلوم ما مكنتنا أن ندعو الأمة لها فأسلافنا للذين ورثوا هذا العلم كان أكثرهم لم يطلع على هذه العلوم ومن اطلع منهم ألف ونصح الناس بقراءتها ولكن الجهل كان يمنع الناس من اتباعهم وعلى ذلك نقول أن أحوال الأمم الاسلامية كانت محزنة عليهم أن يعيشوا على هذا المنوال . فاذا كان علماء الدولة العباسية قد حاز كثير منهم العقول والمنقول ودعوا اليها كالعزالي رحمه الله والرازي ومثلهما ابن رشد بالأندلس وكثير غيرهم فان المتأخرين ارغموا أن يتعلموا العلوم العقلية وقلت فيهم العقلية فهم كانوا لا يعلمون . ولذلك ترى كثيرا منهم حاربوا المفكرين في هذه العلوم كما تراه واضحاً في سورة الأنعام عند قوله تعالى - تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا - فاذا علماء الاسلام المتأخرون منهم من عرف ودعاهما عرف ومنهم من جهل ومنهم من عرف أن هذه حق ولكنه خاف على شهرته فحارب القائمين بها وهؤلاء كلهم عند ربهم وهو مجازي كلا بما فعل . فالمدار في الأمم على شيوع الفكرة فتى شاع أمثال ما كتبنا في هذا التفسير فان الأمة تسير على منواله ومثاله أمثاله ولا تقصر . والمسؤل الآن عن هذه العلوم أمثالك أنت ممن أيقنوا بهذه الفكرة فهم هم المسؤلون كما اني أنا مسؤل ولكن الله سبحانه أعانني بنشر هذا الكتاب وهو حقاً سيعينك كما أعانني بأن تنشر الفكرة بين المسلمين فأنا وأنت وكل من عرف هذه الآراء التي رأيتها في هذا الكتاب فهو مسؤل . أما الذي لم يطلع فكيف يعلم الناس فالتاس على حسب أسانديتهم ومن يعاشرهم . فعلم الناس فأنه سائلهم عنهم واحذر من التقصير . هذا معنى قولي انهم غير مقصرين في قولهم أي غالباً فتجد علماء الدين الاسلامي اليوم راضون بما حصلوا من العلم وذلك بسبب ما لقنه الأساتذة لهم والخلف يتبع السلف ولكن هذه النهضة الحالية ستقلب التعليم رأساً على عقب ويصبح الجو الاسلامي جو حكمة وعلم وابداع واختراع ونظام واطلاع على بدائع الجبال الالهية وروائع الاحكام الصمداني وغرائب النور السماوي . هذا شرح لقولي انهم كانوا غير مقصرين وأما ...

(س) فقال أرجو ألا تجيب عن اسؤال الثاني أى ان هذه الحروف سبب في ازالة العشاوة الا بعد أن أسألك في نفس الجواب الأول (ج) سل ما بدا لك

(س) ما أهم الأسباب في جهل المسلمين بجمال هذا العالم الذي نعيش فيه مع أن الله لا يعرف إلا به والحكمة لا تتم إلا به والعقول لا ترتقي إلا به ونظام الأمة لا يتم إلا به

(ج) قد أشرت اليه في الاجابة (س) هذا لا يكفي (ج) قد تكرر ذكر هذا في التفسير في مواضع كثيرة ﴿ذلك﴾ أن الامام الغزالي في كتاب الاحياء شرحه شرحا وافيا وبين أن علماء الفقه في زمانه اعتادوا أن يسموا هذه الأحكام الشرعية بلفظ (فقه) ولفظ فقه كلمة مدحوة فان الله يقول في القرآن - لقوم يفقهون - فهي كلمة مدحها القرآن والحديث فجرت على الألسن بأنها الأحكام الشرعية وصرفت الناس عن جمال ربهم وعجائبه ونباته وحيوانه وشمسه وقره ونجومه الباهرات وعجائبه الظاهرات وآياته المدهشات وحكمه العاليات ثم درج الخلف على ما كان عليه السلف وأصبح العالم في الاسلام هو من يتعاطى هذا العلم في ذلك العصر وبه يتولى القضاء ويتصدى في المجالس ويصبح غنياً بالمال والعظمة والجاه يحتاج اليه الملوك في تسيير الدولة لأن الفتوى عليها مدار أمر الأمة لأن الدولة اسلامية والأحكام شرعية ذلك هو ملخص ما قاله الامام الغزالي

(س) الآن قد آمنت بأن هذه هي أسباب الفقه وحفظ القرآن فأرجو الآن أن ترجع للموضوع الذي كنا فيه فقد صددتك عن اكمال الكلام فانك كنت ابتدأت تجيب عن قولك لماذا كانت هذه الحروف هي التي ستوقظ الاسلام

(ج) تبين عما قدمته لك أن المسلمين غالبا تقودهم العادات والاتباع والعامة يتبعون الخاصة والخاصة يتبعون من قبلهم ولا يفكرون لماذا سار الأولون على نمطهم . قال نعم . قلت فهذه الحروف قد أنزلها الله في القرآن وذكر الحكمة والتفصيل وقال - من لدن حكيم خبير - فالله حكيم والله خبير والله فصل الآيات والله أحكمها . هذا كله ينبئنا عن أمر بعيد الغور عظيم المغزى . فان العاقل اذا سمع هذا القول وعرف أنه قول الله يقول في نفسه لماذا هذا كله بعد حروف لا معنى لها فيفكر فيها طويلا ثم يقول انما أفردتها الله بالذكر في أول السور لأمر عام هام وهو ما أشرت اليه سابقا ألا وهو قراءة جميع العلوم . إن هذا العصر عصر الكيمياء . إن الكيمياء ترجع المركبات الى عناصرها الأولى والعناصر الأولى قد بلغت ثمانين ولها جدول ستره في سورة (العنكبوت) والجدول عجيب شيق جليل يدلنا على حكمة ونظام بديع حتى ان من يطلع عليه يدهشه هذه الحكم فانك ترى أن كل عنصر له مع العناصر التي قبله في صفه والتي بعده والتي فوقه والتي تحته أي في الصف الأفقي وفي الصف الرأسي بنسب وزنيه وأخرى طبيعية وكيمائية فسترى هناك أن العناصر التي بناها الله في الأرض والكواكب والنبات والحيوان مثل الاكسوجين والادروجين الى آخرها عند النظر الى صفاتها الطبيعية والكيمائية والوزنية تصبح متشابهة مرتبة منظمة مصفوفة بحيث لو غاب أحدها لعرف محله من هذه الصفوف . ولقد أخبر العلماء عن بعض العناصر قبيل كشفها ولما كشف ثلاثة منها وضعوها في موضعها فصارت أشبه بجسم انسان واحد عرف موضع عينه وأذنه وبطنه وهكذا فانظر لعناصر متفرقات في البراري والقفار والبحار لما جمعها العلماء شككت شكلا واحدا في هيئة تدهش العقول

فهذه العناصر هي أصل العالم الذي نعيش فيه وهذه العناصر كلها ترجع الى عالم لم يره أحد يسمى (الأثير) وهو عالم واحد لا يشم ولا يذوق ولا يلمس ولا يسمع ولا يرى . هذا هو الذي منه كانت العناصر ومن العناصر كانت هذه السموات والأرضون على رأى العلماء في عصرنا الحاضر الذي هو أقرب الى القرآن وإلى حروف (الم) و (الر) التي في هذه السورة . فان القرآن وجميع الكلام في سائر اللغات مركب من الحروف الهجائية ولن تعرف لغة من اللغات إلا بتحليلها الى حروفها الأولية ولا يتسنى الكتابة ولا طبع كتاب ما إلا بافراد الحروف ثم تركيبها . فكما لا تعرف اللغات إلا بمعرفة حروفها هكذا لا يعرف شئ من هذا العالم إلا بتحليله ولا يعيش حيوان ولا انسان إلا بتحليل المواد التي حوله والام لم يكن شئ في عالم الحيوان ولا عالم النبات فالله عز وجل حكم على عالمنا الذي نعيش فيه ألا يكون حسن قوام إلا بالتحليل ورجوع المركبات الى عناصرها سواء أكانت أغذية للأجسام أو أغذية للعقول فلاغذاء لانسان أو حيوان أو نبات ولا علم لعالم بأمر من أمور هذا العالم إلا بالتحليل ذلك المعالوم والارقي في صناعة أو طب أو زراعة إلا بتحليل الأشياء الى عناصرها

(س) هذا كلام غامض وأي مناسبة بين العلوم وهضم الطعام ان هذا مما يسمى المفارقات لا المواقفات (ج) إن الذي أذكره الآن هو الحقائق وسأوضحها لك الآن ولتعلم أن هذا هو السر الذي نزلت له هذه الحروف وهذا أن ظهوره للناس لأن الله علم أن المسلم منقاد للقرآن وقد جعل الله هذه الحروف لتكون نورا يستضيء به المسلمون لأنه حكيم ولأنه خبير ولأنه أحكم الآيات ولأنه فصالح ومن تفصيل الآيات أنه أتى بحروف الهجاء التي هي أصول للكلمات فكأن الكلمات فصات الى حروف . وكما أن الحروف أصول الكلمات هكذا العناصر أصول هذه المخلوقات . فالى المسلمين أن يبرعوا في فن التحليل والتركيب في هذه العوالم التي هي مركبات من العناصر كما ركبت الكلمات من الحروف . هذا هو السر الذي أراد الله اظهاره

في هذا الزمان

(س) أرجو أن توضح هذا المقام من وجهين ﴿أولاً﴾ كيف كان الإنسان هو الذي يحلل هذه العوالم
 ﴿ثانياً﴾ كيف تستدل هذا الاستدلال وهل رأيت أحداً من العلماء نحا نحوك في هذا الاستدلال
 (ج) اعلم أن الله وضع هذا الهيكل الانساني بهيئة ناطقة بما يأتي أي أن الجسم الانساني كأنه الآن أمانى
 بهيئة خطاب من الله للعباد وهذا ما يسمعه قلوب الآن بكلام أفصح من كلام اللسان وأسرع قبولاً في الأذهان
 يقول الله • أي عبادي المسلمين • إن العالم الذي تعيشون فيه خلق لأجل أن تحلوه وتركبوه
 ولا فلبقاء لكم ولا سعادة في الدنيا ولا الآخرة • أي عبادي المسلمين • ها أنا ذا خلقتكم على الأرض
 وخلقت لكم النبات والحيوان والمعدن فنفس أحدكم واحدة ولكنها لها قوى ظاهرة وأخرى باطنة • فبالقوى
 الظاهرة التي لنفوسكم حللت مركبات العالم حولكم • ألم تروا إلى أسباعكم كيف اختصت بعالم الأصوات التي في
 المادة سواء أكانت حيوانية أم إنسانية أم نباتية مرسقية وغير موسيقية • ألم تروا إلى أبصاركم كيف اختصت
 بالصور والأشكال والألوان والأضواء والحركات والسكنات والأحجام والأشكال والسطوح والقرب والبعد •
 ألم تروا إلى أذواقكم المثبتة في أنسنتكم كيف اختصت بأن تميز الحلو من الحامض والمالح والحريف والمز والنعص
 والمر وغير ذلك • ألم تروا إلى حاسة الشم فيكم التي تميز الروائح الخبيثة من الطيبة وإلى حاسة اللمس التي تميز
 الناعم الملمس من الخشن والحار من البارد والثقيل من الخفيف والصلب من اللين
 أي عبادي هذه صفات المادة وهي ست وثلاثون صفة مقسمة على حواسكم الخمس • أنا الذي خلقت
 لكل امرئ منكم نفساً واحدة وجعلت لها خمس قوى وقسمت المحسوسات على هذه الحواس • أنا الذي
 حللت هذه المحسوسات بهذه الحواس فهذا نوع من التحليل الذي أودعته فيكم ولكن أكنتم لا تعلمون
 إن العالم الذي أنتم فيه غليظ ثقل كثير فانظروا رجتي أيها المسلمون كيف تطلقت فجعلت حواسكم وأعضاءكم
 فطلقت هذا الغليظ فصالح لطعامكم ولعابكم • حلات الغذاء في أجسامكم حتى استحق أن يتحقق بحملة
 أجسامكم وحوالت صور المواد حولكم إلى عقولكم فكانت مواد لها تزيدها ذكاء وفطنة • كل هذا من
 نوع التحليل • أيها المسلمون فلهذا حرمت أنفسكم من رجتي الواسعة التي وسعت جميع العالمين • ضربت
 لكم الأمثال بأجسامكم وبعقولكم وأريتكم أني لطف المادّة فصاحت لأغذيتكم وأوديتكم وتعليمكم
 وأدخلتها في عقولكم فامتزجت صور معانيها بعقولكم كما امتزجت أطايف موادها بأجسامكم • كل هذا
 أبرزته لكم أيها المسلمون في هياكلكم رجّة بكم وحناناً وسعادة وأنتم أيها المسلمون تصرون على الجهالة
 فأبرزت ذلك في الحروف التي في أوائل السور لعلمكم تقولون
 يعيش ابن آدم ويموت بل ربما يكون من العلماء وهو لا يدري أني جعلته بطبعه يحلل المخلوقات أمامه
 بحواسه وهو لا يشعر وأكثر الناس لا يشعرون
 أي عبادي المسلمين • ها أنا ذا قسمت المخلوقات حولكم على حواسكم فجعلت الشموس والأقمار والنيران
 من قسم الحاسة البصرية وجعلت النغمات في الجو من اختصاص الحاسة السمعية وجعلت الحلاوة ومابعها
 كلها من قسم النوق التي في أنسنتكم وجعلت رائحة الورد العطرية وضدها من حاسة الأنف الشمية وجعلت
 الحرارة والبرودة والنعومة الخ من قسم حاسة اللمس • أليس هذا هو التحليل • لا تقدر حاسة واحدة أن
 تقوم بهذا كله ففرقته على الحواس الباطنة
 فإذا اجتمعت هذه الصور في عقولكم استخلصت قواكم الباطنة منها صوراً حفظتها عندها فكانت
 هناك رسوم وأشكال في عقولكم فيها تنصرفون ومعانيها تغنون كما أنكم بأجسامكم تعيش أبدانكم •
 فصور المحسوسات ترتقي العقول وبالتغنى بها تبقى الأجسام

﴿ الأغذية والعلوم لا يمان إلا بتحليل ﴾

وكأنه سبحانه يقول مخاطبا لنا بهذه البيعة التي نعيش فيها أيضا يقول . أي عبادي هذه الأغذية المحيطة بكم من حيوان ونبات ومعادن بها تعيشون وتتفككون وتتداون وتفرحون وتمرحون وتسرون ولم يتم ذلكم لكم ولن يتم إلا بتحليلها الى أصغر أجزاءها . ألا ترون أن الطعام تتناولونه بقواطعكم وأنيابكم وأضراسكم فكل من هذه يعمل في الطعام عمله . فمنها ما هو للقطع كالسكين . ومنها ما هو للتزيق كاللسان . ومنها ما هو للطحن ثم يتل الطعام بالريق فيساعد على هضمه ثم ينزل في المعدة فتقابله العصارات المختلفة فتزيد في هضمه أي رجوعه الى مادة أشبه باللبن قد وصلت الى أقصى تحليلها حتى يمكنها أن تتركب مرة أخرى في أجسامكم فتصبح لحما وشحما وظفرا وعظما وكبدًا وقلبا وورثة وكلية وشعرا ومخا ومخجخا وهكذا فلولاً رجوعها الى أدق حالاتها بتحليل ما أمكن أن يكون هيكلًا عظميا أو وجها جيلا أو شكلا بهيا عجيبا

أي عبادي المساكين . هذه أعمالي في بنيتكم تحليل لغذائكم ثم تركيب لأعضائكم . هذا عملي في حياتكم وحياة حيوانكم ونباتكم لولا التحليل التام ما كان هذا التركيب الجليل . هذا هو الذي تشاهدون آثاره . هذا عملي في أجسامكم ويشابهه عملي في عقولكم فأتم قد خزنتم صور المحسوسات في عقولكم وريتموها في نفوسكم . وكما أني فصلت المحسوسات على حواسكم هكذا صور المحسوسات في نفوسكم قد قسمتها على قواكم الباطنة . فهذه الصور المرسومة في عقولكم التي اقتبستموها مما تشاهدون قد جعلت فيكم قوى في السماع منها ما يحلل ويركب لتلك الصور كما تصورون أعلام يا قوت نشرن على رماح من زبرجد ومنها ما يحلل المعاني ويركبها بقوة عاقلة تصرف فيها كعلم المنطق وكتدبير المعاش ومنها قوة تحفظ الصور وأخرى تحفظ المعاني لأجل أن تستحضروا ذلك عند الحاجة اليه وهذا كله تحليل . فهذه المادة لاسلطان لكم عليها إلا بتحليلها إما تحليلًا ماديًا وإما تحليلًا عقليًا والتحليل المادي إما بالحواس الخمس وإما بتحليل الأغذية . والتحليل العقلي بالخيال والعقل

أي عبادي المساكين . هذا هو فعلي في حياتكم الجسمية والعقلية لاهياة لكم إلا بتحليل الغذاء ولا علم لكم إلا بتحليل المعلومات . هذا حاصل عندهم ولكن أكثركم عنه غافلون . لهذا أنزلت هذه الحروف ان هي إلا تحليل للالفاظ لأرشدكم الى مستقبل أمركم . ان مستقبل الاسلام العلم والحكمة وتفصيل هذه العوالم كما فصلت الآيات . ان مستقبل الأمم جمعاء مرتبط بدراسة نظام هذه الدنيا ولادراسة إلا بتحليل الموجودات المادية والمعنوية . ولا جرم أن الحروف من عالم الكلام وعالم الكلام يكاد يكون وسطا بين عالم الحس وعالم العقل وان كان هو من أعراض المادة ولكنه لطيف يقرب في لطفه من عالم الضوء الذي يقرب من الأثير فيكون تحليل الكلمات الى الحروف رمزاً الى دراسة هذه الدنيا كلها دراسة تامة ترجع الأشياء الى أصلها كما رجع الطعام الى مادته في أجسامنا وكذلك المعقولات في عقولنا حللت هكذا فليكن مستقبل الاسلام وهو النظر في ملكوت السموات والأرض ولكنه نظري يقيني ولا يقين إلا بتحليل العلوم تحليلًا تاماً . انتهى

ولقد ظهر أن هذا العصر عصر الكيمياء فيها تقدمت الزراعة والصناعة والطب وجميع مرافق الحياة فالكيمياء الآن عليها مدار الحياة . وناهيك مافي هذا التفسير من خبر كشف استخراج السكر من نشارة الخشب ومن النيرة . وكذلك كشف أن الفحم يقرب في تركيبه من البترول وأن كلا منهما يحتوي على كربون وعلى أ كسوجين بمقادير مختلفة وأنهم يحتشدون في أن يجعلوا مقدار الاكسوجين في الفحم مساويا له في البترول فيحول الفحم الى بترول وحيثئذ يصبح في العالم قوة جديدة لا يستهان بها . ويظن قوم أن الناس سيجدون حتى يخترعوا قوتنا لنا كما نشاهده من أضعف المواد المخاوقة . هذا فعل الكيمياء في وقتنا

الحاضر فهي قوام المدنية الحاضرة

هذا هو الذي يرمى اليه القرآن . هذا هو بعض السر في ذكر هذه الحروف في أول السورة وهذا هو بعض الحكمة التي ذكرها القرآن وهذا هو الزمان الذي ناسب ظهور هذه العلوم فيه . فاذن هذه الحروف خزنت في القرآن لأجل هذا الزمان حفظناها وحفظها من قبلنا لتوصلها لمن بعدنا مع مقصودها وهو حوز جميع العلوم وما العلوم إلا بعد التحليل والتحليل هو الذي أتت به الحروف فقل ماتشاء في العلوم وفش فانك لا ترى علما إلا فيه تحليل فتركيب ولا تركيب إلا بعد التحليل التام وأخصها فن الكيمياء

إن المخلوقات التي حولنا ونعيش بها ماذيا وعقليا كلها ترجع لهذا المعنى . نحن نأكل النبات والحيوان فتغذي بمادتهما ونحلل أجزاءهما وتركيبها ونقتنى صورها في عقولنا ونحللها وتركيبها وهكذا نفعل في المعاني وذلك لتغذية عقولنا وترانا نذكر الثور والأسد في كناية ودمنة وابن آوى وتمثيل حيل ابن آوى وضحه على الأسد وعلى الثور حتى أوقع بينهما العداوة فافترس الأسد الثور ثم ندم ثم حاكم ابن آوى فقتله بالجرمة السياسية . وترانا نتخيل الجمال وهو يتخلص من شبكة القانص كأهل مدينة واحدة متحدين

وكذلك نرى الغراب والسلحفاة والطير وماشا كلها قد اجتمعت وهي طوائف متنافرة لمصلحة وهكذا نرى السنور والفأر لما فاجأهما عدو لهما أخذ الفأر يقرض قيود السنور ولم يأمن لعدوه القديم وهو السنور وأبقى بعض طيات الحبل فلم يقطعها حتى اقترب الصياد خيفة أن يفترسه القط

وهكذا نخيلنا وتصورنا صوراً شتى في الحيوانات كإبن عرس وإناسك الذي رجع فوجد ابن عرس قد قتل الثعبان الذي أراد أن يقتك بإبن الناسك فظن حياقة أن ابن عرس قتل ابنه هو فجعل بقتله ثم تبين له أنه أخطأ لأن ابن عرس حافظ على ابنه فندم ندما شديداً وهكذا من الحكم التي لاحظها الإنسان وتخيّلها ووضعها على ألسنة الحيوانات . كل ذلك لصفاء ذهنه وذكاء عقله وجودة قريحته . وكل ذلك لم يخرج عن كونه تحليلاً وتركيباً والتحليل هو الوارد في الحروف التي في أوائل سور القرآن وأعقبها الله بذكر الحكمة والتفصيل والحكمة والتفصيل ظاهران واضحيان في هذا الوجود المحسوس والمعقول

أنزل الله القرآن وقال انه أحكمه الخ ومعالم أن الكلام اسم وفعل وحرف والاسم والفعل كلمتان دلنا على معنى والحرف كلمة تدل على معنى في نفسها . أما هذه الحروف التي في أول السور فهي حروف لا معنى لها في نفسها ولا في غيرها فأين هي من الحكمة وهي قد نزلت في كتاب مقدس أنزله الله والكتب السماوية تكون اشارتها أبلغ من عبارة غيرها

﴿ أبو بكر الصديق والشافعي وكيف استنتجنا من القرآن نطقن الصحابة والمجتهدون لأمثال هذا المقام ﴾
إن القرآن كتاب مقدس والكتب المقدسة شريعة المغزى ولكل حرف ولكل كلمة ولكل آية منها سر يلاحظ ويعلم . وإذا كان الأمراء والملوك ورؤساء الجمهوريات في وقتنا متى جاء دورهم في القول ونطقوا بجملة تحركت الأسلاك البرقية برا وبحرا ونشروها في أقطار الأرض وشرحوها شروحا وبحشوا ودققوا واستنتجوا وأخذوا بمنطوقها ومفهومها ومقدمها ومؤخرها وألقوا عليها ما يحمله بعيران وثلاثة إذا جمع ما كتب في الأمم كلها فما بالك بمن هو الذي خلق الدول والأمم كلها . فإذا نقول في كلامه . فاذن لنا الحق أن نوضح ونستنتج ونفهم ونقول لم جاء بهذه الحروف التي لا معنى لها في أوائل السور بل نقول كيف يفاجئنا الله هكذا في أول سورنا القرآنية بهذه الحروف وهي التي لا معنى لها ثم نسمعه يقول لنا بعدها إن هذا الكتاب أحكم آياته وفصلت ويقول إنها من لدن حكيم خبير . كل هذا ليفتح لنا الطريق . ناهيك ما استنتج أبو بكر الصديق رضي الله عنه أنه استنتج من شيء ليس بحرف ولا صوت ولا فصل ولا اسم بل هو استنتج من تقديم كلمة على أخرى فقط . وماذا استنتج منها . استنتج منها الدولة الأموية والدولة العباسية .

استنتج منها دولا وممالك ومالوكا . لولا هذا الاستنتاج لم تكن تلك الدول ولا أولئك الممالك في الأندلس وفي الشرق . ألم ترالى ماورد أنه رضى الله عنه لما وقف في سقيفة بني ساعدة وخطب أيام وفاة النبي ﷺ والأنصار يقولون ﴿ منأمر ومنكم أمير ﴾ قال لهم قولا أقنعهم . وماذا قال . قال ان الله قدّم المهاجرين على الأنصار فنحن الأمراء وأنتم الوزراء . فلما قالها طأطأت الرؤس وخشعت القلوب وخضعت الأعناق ورضى الأنصار بخلافة قريش ولم يعارضوهم . لماذا هذا كله لأمر معنوى هو تقديم وتأخير . قدّم الله كلمة على أخرى فأذلت وأعزت وجعلت دولا ومالوكا في قوم وحرمت آخرين في زمن ألف وثلاثمائة سنة أى ١٣ قرنا . كل هذا لتقديم كلمة على أخرى . وترى الامام الشافعى اعتبر هذا في الوضوء فأوجب الترتيب في أعضائه . لماذا . لأن الله رتب فقّدّم عضوا على آخر . فلذلك يجب علينا تقديمه في وضوئنا . فاذا كانت هذه حال الصحابة والمجاهدين قبلنا فالأمر هنا أهم وأعظم ذلك ليس تقديما ولا تأخيرا بل هو اثبات لأمر عجيبة مكررة في (٢٩) سورة وهى حروف تبلغ نصف الحروف الهجائية وقد كوّرت في أول القرآن ووسطه وآخوه فهذا أمر عظيم أعظم ألف مرة من تقديم أو تأخير بل هذا أمر أعظم فكيف يأتى في القرآن إلا لغاية أعظم وأعظم . إن الغاية والسر قد ظهرا في زماننا . فاذا كان تقديم المهاجرين على الأنصار أنام دولا وأقام دولا فهكذا فليكن ما هو أهم وأعظم وهى هذه الحروف القرآنية المفرقة لا يفاظ للمسلمين في آلاف السنين الآتية لدراسة جميع العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية والنفسية والعقلية والنقلية . ذلك هو السرّ الخزون والجوهر المسكون خزنه الله في القرآن لأهل هذا الزمان

(س) هل تريد أن الانسان منا يعرف جميع العلوم

(ج) كلا لقد ضرب الله لنا المثل بأنفسنا فكل امرئ منا نفس واحدة وقد قسمت العلوم بالمحسوسات على حواس متعددة . فهكذا فاتكن الآية ينحصر نواب الأئمة ورئيس الجهور والملك كل طائفة من الأئمة لعلم من العلوم خاصة أو لصناعة . وهذا هو المسمى فروض كفايات فكما قام السمع بالأصوات والبصر بالصور والأشكال الخ وكان في ذلك مصلحة جميع الجسم هكذا تكون الأئمة

(س) ان أوروبا قامت بهذا العمل كما طلبه الله في القرآن وأبرزه في هذه الحروف

(ج) أوروبا فعلت ذلك بعقولها ونعم ما فعلوا أما المسلمون فقد أناموا عقولهم وجهلوا دينهم وهاهوذا الآن قد ظهر سره وسيطلع على هذا السرّ المسلمون في هذا التفسير وفي غيره ويقرؤون العلوم معقولة ومنقولة ويقومون بدورهم في الحياة ويعرفون علوم الأنفس وعلوم الآفاق والحمد لله رب العالمين اه
﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها

ومستودعها كل في كتاب مبين ﴾

اعلم أن القرآن أصبح اليوم مفسرا بالعلوم التى عرفها الناس شرقا وغربا . وأن العلماء في أوروبا قد تبصروا في علم الحيوان فلما اطلعنا على ما كتبوه في كتبهم وما ترجم عنهم ألقينا هذه العلوم كلها مقصود القرآن قل لى رعاك الله . يقول الله في سورة الأنعام - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم - وهنا يقول إنه - يعلم مستقرها ومستودعها - ويقول عليه رزقها ويقول إن ذلك كله في كتاب مبين . وإذا كان الكتاب الذى فيه رزق الحيوان ومستقره ومستودعه مبينا فان الحيوان يسير على نهج قويم نبال الكتاب الذى بينت فيه أعماله . ولقد ذكرت حوادث عجيبة للحيوان في سورة الأنعام في المجلد الرابع فارجع اليها ان شئت . وههنا أذكر حوادث حيوانية أخرى تعرفنا كيف كان ذلك في كتاب مبين وكيف كانت هذه كلها أمما منتظمة المستقر والمستودع كما سترى في سورة النور عند ذكر الطير هناك أن لها رحلة الشتاء ورحلة الصيف كالتى تكون من أواسط أفريقيا الى بلاد الانجليز في فصل من السنة

وهكذا طيور أوروبا تأتي إلى مصر وتونس والجزائر وهو أمر شجب ستره هناك مفصلا وهكذا النحل والنمل والعنكبوت وعجائبها كل في سمويته فانتظره واقرا واراق لتسكون عليها حكيما . فهناك ما ذكره لك من عجائب الحيوان ومستقره ومستودعه

﴿ العجبة الأولى قضايا الطير وأحكامها ﴾

اعلم أن الناس في عصرنا الحاضر أدركوا أن للحيوان ادراكا خاصا وتديرا محكما على قدره فقد رأوا أولا أن الطير قد تقيم النحاحات وتتجاسر كالشجر فيها ما يشاهد في الغربان ذات القنارح التي تكون بجزار (شتلندا) فهذه تجتمع في حقل أو على تل و ينتظر بعضها بعضا يومين أو أكثر عند تواليه عن الحضور حتى تجتمع كلها معا ثم تفرد اثنين أو أكثر منها جانبا وتقيم عليها غربانا تحرسها فتدفعها من الفرار ويشرح ما بقي في التعيق والنعيب جماعات أو كاهها معا مدة من الزمان ثم تهجم على المحجور عليها هجمة واحدة ولا تزال تنفذها وتنقرها بمناقيرها حتى تمزقها كل ممزق ويمضي كل منها بعد ذلك في السيل الذي جاء منه .

فالمحجور عليها بمثابة المجرمين والممارسة لها بمثابة الحرس والجماعات الناعبة والناعقة بمثابة القنطرة والمحامين والمدفنين للأحكام . ولذلك زعم المشاهدون لهذه النعاع أن غربان (شتلندا) تقيم المحاكم وتتجاسر كالشجر

(٢) ومنها ما يشاهده القس (أدمند فقس) في غربان بلاد الانكليز المعروفة بالغدغان قال كنت يوما راكبا جوادى فسمعت نعييا شديدا ملاء الأفاق فالتفت وإذا غدغان كثيرة في حقل فدنوت منها ووقفت حيث أراها ولا تزال وجعلت أراقبها فإذا هي منتظمة في حلقتين حول غدغان في الوسط وكلها تنعق وتصفق بأجنحتها شديدا كأنها تنقد غيظا وتهيج انتقاما والغدغان التي في وسطها ينهق ويصفق مثلها ويقاومها ويخاصمها والخراس تطير هنا وهناك كأنها لا تنبى إلى ما حولها لاشتغالها بما هو دأبها وفطانتها . ولذلك لم ترني ولم تنذر بالخطر كجاري عاديها . وبعد هنيهة تغيرت أحوال الغدغان التي في الوسط بغتة فتمكسر رأسه وخفض جناحه وأقل من النعيب كأنه أقر بذنبه فجعل يطلب الصفح عنه وحينئذ وثب عليه غدغان الحلقة الداخلية ومنقرته بمناقيرها تمزقا ونعيت شديدا وطار بعضها بعيدا وبعضها قريبا اه

والغدغان مشهور بالسرقة والاختلاس فتسلطو صفاره على عشاش كباره وتسرق ما فيها من دقاق الحطب وتبني عشاشها بها تحفيفا لشقة جمعها عنها ولكنها لا تفعل ذلك إلا إذا كانت الكبار غائبة عن أعشاشها فلا تراها . ثم متى عادت ووجدت أعشاشها مسروقة لا تزال تبحث عن السارق حتى تعرفه فتشكو أمرها إلى جماعة الغدغان فتبعث ثمانية أو عشرة منها إلى عش السارق فتخرجه ولا تبقى له أثرا

(٣) حكى بعض المصعدين في جبال (اليا) قال كنت يوما أضع في جبل من جبال سويسرا فأبليت مطمئنا من الأرض قد أحرق فيه ستون أو سبعون غرابا بغراب واحد أو أكثر من النعيق والتصفيق كأنها تتشاور في أمره وكانت تصمت أحيانا فيبتدىء هو بالنعيق والتصفيق كأنه يدافع عن نفسه دفاع المتهمين أمام المحاكمين . ولا يزال يفعل ذلك حتى تعود جماعة الغربان إلى الصياح والغوغاء ويضع صوته بين أصواتها فيصمت . واستمرت على تلك الحال مدة . وكأنها رأيت ثبوت التهمة عليه فأعملت فيه مناقيرها حتى قتلتها ومنقرته إربا إربا ثم طارت وتفرقت وغابت عن الأبصار . وهل هذا إلا كونها أمما أمثالنا وقد علم خالقها مستقرها ومستودعها

(٤) ومن ذلك ما يشاهد في العصفير وهو أنه إذا تشاجر اثنان منها يذهب أحدهما إلى جماعة العصفير ثم يأتي أربعة أو خمسة منها وتنقض على المعتدى وتبادره بالنقد وهي تتواقع بعضها على بعض حتى ينال منها كفافه . وكأن جماعة العصفير تصفع عنه بعد ذلك فتعامله معاملة من لم يرتكب ذنبا

وحكى الأديب يوجان الفرنسوى أن خطافا بنى عشا فراه عصفور فدخل إليه وامتنع فيه عليه فاستعاث

الخطاف برفاقه بقات مئات وحاولت اخراج العصفور منه فلم تستطع لأنه كان محوطا بالقش من كل جانب وكان ينقد التي تمهاجه من الباب نقدا شديدا فيصدها ويطردها مولولة من الألم . ولما أعيانها أمره رجعت عنه وظن الناظرون أن العصفور قوى عليها ولكنها ما غابت حتى رجعت والطين من أفواهها فهجمت على المنفذ وسدته بالطين لتقتل العصفور داخله خنقا جزاء اعتدائه ذلك لأنها أتم أمثالنا علم الله مستقرها ومستودعها (٥) ومنها مارواه المرسل الفرنسي لا كروى عن السبيطر وهو أنه كان يوما راكبا قاربا فرأى جماعة

من طائر (السبيطر) المعروف (بمالك الحزين) ترعى في الماء الضحضاح فقاربها محاذرا لأنها شديدة الغيرة والاجفال واختبأ وراء شجرة بحيث يراها ولا تراه . والذي نبهها إليها شدة لغوها ولغظها فلما وقف مراقبتها سكنت وأحدقت بسبيطر منها من كل جانب ووقف السبيطر بينها لا يبدى حراكا ثم عادت إلى ما كانت عليه من اللغظ واللغو وبقيت كذلك مدة ثم سكنت فجأة ووثبت عليه وما زالت تنقره حتى قتله . قال لا كروى المذكور وكل من رأى ما رأيت يحكم أن السبيطر المقتول تمضى شريعة جماعته فكمت عليه بالقتل وقتلته (٦) وروى المكناب عن (اللقاق) روايات كثيرة تؤيد ما ذكرنا وتدل على أن (اللقاق) شديد الأنفة

والغيرة على عرضه . من ذلك أن جراحا فرنسويا مقبلا في أزمير رغب في الحصول على لقلق رغبة شديدة فلم يحصل عليه وانفق أنه عثر على عش لقلقين فاختلس بيضهما منه وأبدله ببيض السجاج . وما أفرخ البيض إذا الفراخ كلها دجاج لا لقلقين فغاب الذكر ثلاثة أيام ثم عاد معه لقلق كثيرة فنزلت كلها وأحاطت بالأنثى وجعلت تلتلق وتلغظ شديدا ثم وثبت عليها ومزقتها عريقا وطارت ولم يبق في العش حتى

ومن ذلك مارواه المطران ستنلي الانكليزي عن لقلقين في جوار مدينة (برلين) وهو أنهما بنيا عشهما على مدخنة بيت فطلع صاحب البيت يوما ووجد فيه بيضة فأخذها ووضع بيضة أوز مكانها ولم يشمرا بها ثم أفرخت البيضة أوزة فلما رآها الذكر طار وحلق فوق العش وهو يلقق شديدا حتى غاب عن الأبصار وبقيت الانثى في مكانها ترى فرخ الأوز كأنه فرخها . وبعد أيام سمع أصحاب البيت لغطا شديدا في سفل بجانبهم فنظروا وإذا جماعة من اللقاق قد اجتمعت معا وأخذت تلتلق شديدا حتى سدت أصواتها الفضاء ثم صمتت ووقفت لقلق على عشرين ذراعا منها وجعل يصوت كأنه يخاطبها ثم عاد ووقف آخر مكانه ولقلق لرفاقه كالأول وما زالت تفعل ذلك حتى قارب الزوال ثم طارت كلها معا طالبة العش وأمامها دليل منها هو صاحب العش وكانت أثناء ملازمة عشها وهي خائفة خوفا شديدا ولا تبدى حركة فاما دنا منها دفعا عنيقا حتى أخرجهما من العش . ثم انقضت اللقاق عليها ومزقتها ومزقت فرخ الأوز معها وأخربت العش وطارت

وروى (القس مورييس) أن بعضهم أبدل بيض اللقاق ببيض السجاج في عش والآن لا تدري ذلك فلما فرخ البيض ورأى اللقتان أن الفراخ فراخ دجاج اغتاطا ومزقا الفراخ بمنقارهما

وحكى آخر أن رجلا أتى بلقلق ووضع مع آخر داجن في بيته فقام الداجن على رفيقه ونقده نقدا مؤلما حتى اضطره إلى الفرار وهو على آخر رمق وبعد أربعة أشهر عاد ومعه ثلاثة غصير فهاجمت على اللقاق الداجن وما زالت تنقره حتى هلكته انتقاما وهذا كله تفسير للقرآن وبيان المستقر والمستودع وأنها أتم أمثالنا

(٧) إن الذي يراقب طبائع الحيوان الأعجم يحكم أنه يدرك وجوده حق الإدراك وما يترتب على ذلك الإدراك أيضا . أنظر إلى الكلب مثلا ترمي أفعاله وظواهره أنه عالم بوجود نفسه . اطرح له عظمة ينهشها فتعلم أنه يدرك حقوقه ويدافع عنها . راقبه جروا ابن ستة أو سنتين يلعب مع ولد ابن أربع سنوات أو خمس تعلم أنهم كاهنهما ينشمران باللب ويقف أحدهما الآخر فوجدان أحدهما مشابه لوجدان الآخر . وراقبه بالغا يذهب للصيد مع صاحبه فتجد أنه يفهم ما يجب عليه فعلة ويفعل ذلك الواجب كما يفعله الصياد صاحبه فيصيد كما يصيد ويفرح عند الفوز بالطريدة وينتأظ عند الفشل كما هي الحال مع صاحبه

إن الكلب لا يستطيع أن يحول انتباهه للبحث عن قوى عقله والنظر في أفعاله وأن يكشف الشرائع التي هي خاضعة لها إلى غير ذلك من مباحث الفلاسفة وعقلاء الناس ولكن ذلك لا يستطيعه الأولاد الصغار أيضا وربما عجز عنه أكثر العامة الذين لا يهتمون إلا بملاحظة ماحولهم ولا يلتفتون إلى الكليات والبحث عن أفعال عقولهم . فعقل الكلب كما قيل مناسب لحاله كما أن عقل الطفل مناسب لحاله . ولا يمكن أن يعقل الطفل عقل الفيلسوف الكبير مالم يخرج عن الطفولية . وكذلك لا يعقل الكلب عقل الفيلسوف مالم يخرج عن الكلبية . فالتفاوت في العقل بين البالغ والطفل والكلب تفاوت في الدرجة فقط ولا يستدل منه على أن عقل الإنسان نوع وعقل الكلب نوع آخر أرفع أن الوجدان خاص بالإنسان دون غيره من الحيوان (٨) قد اشتهر الكلب بالأمانة والوفاء وهما من أجل الصفات وقد ثبت بالتجربة والمشاهدة أن الأصناف العليا من الكلاب متصفة بأوصاف أخرى أدبية فكلاب (نيوفوندا) التي تنفصل الغرق . وكلاب (سان برنار) التي تنبش الناس من تحت الثلوج متصفة بعزة النفس فلا يمكن أن تقبل رشوة ولا أن تسرق شيئا ليس لها وهي تموت حبا بالوفاء فتبذل حياتها دون وديعة أودعتها والحراس التي تقيمها أسراب الوحش والطير لتحرسها من قدوم مفاجئ عليها تثبت في أماكنها وتفقد رفاقها بأرواحها وتلك صفة من أجل الصفات الأدبية

(٩) إن أنثى الوحش والطير تصبر على الجوع والعطش والألم لتطعم صغارها وتسقيها وتنجبها من الأوجاع فلو لم تكن تستطيع ضبط أهوائها وشهواتها ما فعلت ذلك . وأسراب القردة والفيلة وبقر الوحش والوعول والطيور القواطع ونحوها ينسلط بعضها على بعض ويخضع بعضها لبعض . وكلب الراعي يتسلط على الغنم وقد يسوسها كصاحبه وهي تنقاد له انقيادها للراعي . ومتى انتفت القردة على نهب حقل من الحقول يتقدمها كبرها دليلا فيمشی على رجليه منتصبا ويتعكر على عصا يديه وهو يتلفت يمينا ويسارا حذرا من عدو يفاجئها وهي تتبعه دابة على الأربع متحذرة حتى تصل إلى الحقل ثم يقم الدليل حراسا منها على أطراف الحقل فتقف تحرس ولا تمد يدها إلى ما أمامها وتتفرق البقية في الحقل فتعيب فيه وتمرح وتأكل حتى تشبع ثم يقطف كل منها سنبلتين أو ثلاثا ويحملها للحراس فتأكلها متى رجعت إلى مخبئها

(١٠) الطائر الذي يبني عشه في مكان ظليل ينسبط على الطبيعة وحرها وبردها كالبناء الذي يبني القصور الباذخة . وكل بائ وكرو قاطن وجو يسود على الطبيعة في ذلك لأنه يتخذها لاتمام حاجته وقضاء أغراضه وكل صائد وقاص من الوحش والطير يصيد ويقنص ويطعم صغاره باستخدام الطبيعة إذ لا تأتيه الطرائد عفوا وكل من راقب أفعال الحيوان لا يسعه إلا الإقرار بأنه يستخدم الطبيعة على قدر حاجته أيضا . انتهت اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى - وكان عرشه على الماء - ﴾

لقد تقدم الكلام على هذه الآية بما يشرح صدور الحكماء ويمزج العلم بالدين والحكمة بالقرآن وهناك قد تجلى من المعاني ما يبهير الأبصار ويشرح الصدور وفسرت هذه الآية بآيات أخرى في القرآن ولأذكر لك هنا وجه آخر لتفسيرها موافقا للذي ذكرناه مشهورا * روى عن رزين العقيلي رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال كان في عمام مافوقه هواء وماتحته هواء وخلق عرشه على الماء . أخرجه الترمذي . والعبي مقصورا معناه لاشئ ثابت لأنه مما عني عن الخلق لكونه غير شئ فكأنه قال في جوابه كان قبل أن يخلق خلقه ولم يكن شئ غيره ثم قال مافوقه هواء وماتحته هواء أي ليس فوق العبي الذي هو لاشئ موجود هواء ولاتحته هواء لأن ذلك إذا كان غير شئ فليس يثبت له هواء بوجه

والعماء بلمتد السحاب الرقيق وهو حق أيضا فان العوالم المحيطة بنا كانت كالبخار المنتشر الذي يدور ويجرى كما في آية أخرى - ثم استوى الى السماء وهي دخان - ثم تكوّنَت الشمس والسيارات والأقمار . فالمراد بالسحاب الرقيق على هذه الرواية انما هو عالم الشمس قبل تكوّنِها وقد تقدّم في تفسير البقرة أن علماء الفلك رصدوا الآن ستين ألف سديم في حال التكوّن الآن تدور حول نفسها كما كانت شمسا قبل تكوّنِها وتماثلها ثم هذه الستون ألفا بعد آلاف الآلاف من السنين ستكون شمسا كشمسنا ولها أقمار توابع لسياراتها وسيارات كما حصل لأرضنا إذ كانت قديما كذلك فكانت كالسخان المنتشر وهي دائرة ثم تقلصت بعد آلاف الآلاف من السنين حتى صارت على ما هي عليه وهي الآن تتناقص وبعد آلاف الآلاف تخرب أرضنا ثم أخوانها السيارات ثم أمهق الشمس وهذا كله سرّ قوله في الحديث ﴿ كان ربنا في عماء قبل خلق السموات والأرض ﴾ أي كان مدبرا للسحاب عاليا عليه لا الله كان فيه كما في قوله - ولأصلبكم في جذوع النخل - يعني على جنوعها وهذا أبلغ في التمكن فالله تعالى متمكن من هذا السحاب أي البخار المنتشر يتصرف فيه ويدبره وينظمه تنظيما محكما ويجعله سموات وأرضين ويخلق فيه مخلوقات عظيمة * قال أبو بكر البيهقي (على المعنى الأول) في كتاب الأسما والصفات له وقوله ﷺ (كان الله ولم يكن شئ قبلة) يعني لا الماء ولا العرش ولا غيرهما وقوله (وكان عرشه على الماء) يعني وخلق الماء وخلق العرش على الماء ثم كتب في الذكر كل شئ . انتهى

فتجب كيف ورد الحديث بلمتد والقصر على اختلاف الروايتين . فاحدهما ذكر فيها أن لا شئ مع الله والثانية أن الله كان مدبرا للسحاب . فإذا لاحظنا أن عالمنا لم يكن موجودا البتة فهناك العماء وهو العلم المحض . وإذا لاحظنا أن عالمنا كان بخارا منتشرا بعد انعدامه فهناك تدير في ذلك البخار حتى يصير شمسنا ثم يتم الخلق ويكون على مقتضى العلم . وهذا هو قوله - وكان عرشه على الماء - فالعلم ثم السخان ثم خلق العالم على مقتضى العلم وهو المقصود بقوله - وكان عرشه على الماء - ولا يزال كذلك كقوله - وكان الله غفورا رحيمًا -

فتجب كيف يطابق الحديث ما جاء في علوم العصر الحاضر وأن العالم كان بخارا وأن هذا أمر مقرر في العلوم الحديثة ثم كيف كان هذا العالم الذي نحن فيه منظما على مقتضى العلم . وتجب كيف اتضح معنى كون العرش على الماء بعد ذلك . ولا يتم لك فهم هذا المقام إلا إذا قرأت ما جاء في سورة يونس في مسألة العرش وهناك ترى العجب العجيب وحكمة الله في القرآن وجمال التعبير وحسن التنسيق . فما أجل العلم وما أبهج الحكمة إذا ازدانت بالدين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . انتهى القسم الأول

(الْقِسْمُ الثَّانِي)

وَلَيْسَ قُلْتِ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ * وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمًا بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ * إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ *

فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ
جَاءَ مَعَهُ مَلَائِكَةٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِشُرْ
سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ
يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِهِمْ مِنَ اللَّهِ وَإِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَعَلَّ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * مَنْ
كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ
الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَخَبَطُوا مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أَفَنْ
كَانَ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ
يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَلَئِنَّ أَهْلَ الْمَوَاعِدِ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ
يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ
* الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * أُولَئِكَ لَمْ
يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعِفُ لَهُمْ الْعَذَابَ
مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآخَبُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ
كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِينَ مَثَلًا أَوْفَلَ تَدْكُرُونَ *

(التفسير المنطقي)

قال تعالى (ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت) أى ولئن قلت يا محمد ذلك لهؤلاء الكفار
(ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين) يعنى القرآن (ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة)
يعنى الى أجل محدود * وأصل الأمة فى اللغة الجماعة من الناس فكأنه قال سبحانه الى انقراض أمة ومحى
أمة أخرى (ليقولن ما يحبس) أى أى شئ يحبس العذاب وذلك منهم استهزاء يعنون أنه ليس بشئ (ألا يوم
يأتينهم) العذاب (ليس مصروفا عنهم) أى لا يعرفه عنهم شئ (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) أى ونزل
بهم وبال استهزأهم (ولئن أذقنا الانسان منارحة) رضاء وسعة فى الرزق والعيش و بسطنا له الدنيا (ثم
نزعناها منه) يعنى سلبناه ذلك كله وأصابته المصائب فاجتاحته (إنه ليؤس) يعنى يظلل قانظا من رحمة
الله آيسا من كل خير (كفور) أى يجود لنعمتنا عليه أولا قايلا الشكر لله بل مبالغ فى كفران ما سلف
له من النعمة * قال بعضهم (يا ابن آدم اذا كانت بك نعمة من الله من أمن وسعة وعافية فاشكرها ولا

تجدها فان نزعت منك فينبغي لك أن تصبر ولا تيأس من رحمة الله فانه العواد على عباده بالخير ثم قال تعالى (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) أي ولئن أنعمنا على الانسان وبسطنا له العيش بعد الضيق والضنك (ليقولن ذهب السيأت عني) أي المصائب التي ساءتني (إنه لفرح) يطر بالنعم مغتر بها (غفور) على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقوقها . وإنما عبر بالمس والاذاقة ليعين أن الانسان يأس ويفخر لأدنى ضر وأدنى نعمة ويشير الى أن نعم الدنيا ونعمها قليلة بالنسبة لما في الآخرة . ثم استثنى من نوع الانسان من صبروا على الضراء إيماناً بالله واحتساباً وثقة بعده ورحمته وانهم بالضراء يرتقون عنده فقال (إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات) شكروا للنعم التي ذاقوها في حالة السراء (أولئك لهم مغفرة) لذنوبهم (وأجر كبير) وذلك كقوله تعالى - والصبر - إن الانسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر - وقوله - إن الانسان خلق هلوفاً - ثم فسره فقال - اذا مسه الشر جزوعاً * واذا مسه الخير منوعاً * إلا المصلين الخ - وهذا المقام قد استوفيته في سورة البقرة فارجع اليه إن شئت . ولما كان ﷺ كاملاً والسكامل ينال أعلى الحصان فيصبر على الضراء نبه الله على ذلك تعليماً لأئمة أن يصبروا على الضراء كما صبر النبي ﷺ على المستهزئين الذين اذا تلا عليهم القرآن قالوا له هلا أنزل عليك كنز لتنفق منه على الأتباع كالمالك وهلا جاء معك ملك يصدقك وهذا تضيق منه الصدور ويبحث على كتمان بعض القول حتى لا يصاب صاحبه بمكره وهذه الحال جميلة في النوع الانساني لأنه يأس اذا مسه الضر وهذا ضر عظيم * قال العلماء ولا يلزم من توقع الشئ لوجود ما يدعوا اليه وقوعه لجواز أن يكون ما يصرف عنه وهو هنا عصمة الرسل من الخيانة في الوحي قال تعالى (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدورك أن يقولوا لو لا أنزل اليه كنز أوجاء معه ملك) يقول الله ان هذه الحال تدعو الى كتمان الوحي وضيق الصدر فان الاستهزاء وما أشبهه يدعو لذلك ولكن العصمة النبوية منعت من الخصلة الانسانية العاقبة وذلك تعليم لجميع أهل العلم في الأمة الاسلامية أن يصبروا كما صبر رسول الله ﷺ وأن لا يأسوا من روح الله وانهم مستمتمون من هذه الروح الشريفة فليصبروا كما صبر الأنبياء وخاتمهم نبينا ﷺ ليكونوا ممن استثناهم الله في هذه الآية إذ قال - إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير - ثم قال الله له (إنما أنت نذير) أي ليس عليك إلا الانذار بما أوحى اليك فسواء ردوا عليك أو اقترحوا فأمرهم حين فبالاك يضيق صدورك وكيف يضيق وأنت قد أدت ماوجب عليك من التبليغ فليس عليك هداهم وقد أمرت بصبرك على أذاهم (والله على كل شئ وكيل) فهو يحفظ ما يقولون ويفعل بهم ما يجب أن يفعل فتوكل عليه وكل أمرك اليه فما عليك إلا البلاغ بصدر منشرح فلا التمس الى استكبارهم ولا مبالاة بسفهمهم واستهزائهم (أم يقولون افتراء) أم منقطعة وأطباء ضمير راجع لما يوحى اليك (قل فأتوا بمشر سور مثله مقتريات) كما افتريت أنا بزعمكم هذا القرآن وأتم عرب مثلي وفيكم النصحاء والبلغاء والشعراء فاذا افتريت هذا القرآن فافتروا عشر سور مثله وأظهروا فصاحتكم وبلاغتكم وقد تعداكم في سورة يونس واحدة في الاخبار بالغيب والوعد والوعيد والأحكام وما أشبه ذلك لأن الفساحة والبلاغة بدون ما ذكر أسهل . أما الوعد والوعد والأحكام والاعذار بالغيب فهي دقيقة المعاني تحتاج الى عقول أنسج ونفوس أكمل حتى تقبل النفوس على آرائها وشتان ما بين النائفة والشكلى

فأين الثريا وأين الثرى * وأين مناوبة من على

فاما تعداكم بهذا الكلام أمره أن يقول لهم (وادعوا من استطعتم من دون الله) حتى يعينوكم على ذلك (إن كنتم صادقين) في قولكم انه مفتري (فان لم يستجيبوا لكم) باينان ما دعوتهم اليه والخطاب للنبي ﷺ وأصحابه لأنهم كانوا يشاركونه في التحدث الذي يثبت يقينهم ويكمل إيمانهم ولذلك رتب عليه قوله (فاعلموا

أما أنزل بعلم الله) ملتبساً بما لا يعلمه إلا الله ولا يقدر عليه إلا هو (وأن لا إله إلا هو) أى واعلموا أن لا إله إلا هو فأما تلك الأصنام فليست بآلهة فهي عاجزة عن كل شيء . وفى هذا تهديد وإقناط لهم من أن يجبرهم آلهتهم من بأس الله إذا جاءهم ودلالة على وجود الله ووحدانيته بصدق هذا الكلام الثابت بحججهم عن الاتيان بعشر سور مثله فى البلاغة بل بسورة واحدة فى الأحكام ونحوها . ولما كان هذا الكلام برهانا على صدق النبوة ووحدانية الله رب عليه قوله (فهل أتم مسلمون) الخطاب للمسلمين أيضا أى فهل أتم ثابتون على الاسلام راسخون فيه محضون إذ تحقق عندكم اعجازة كآفته قيل أسلموا وأخلصوا لله العبادة . ولما كان الكفر مع وضوح الحجة وظهور المحجة وبيان عجزهم الظاهر من عدم آياتهم بعشر سور مثله مفتريات كما يزعمون مزريا بالقوة العقلية موقعا فى الرياء والتظاهر بخلاف الواقع ناسب أن يؤتى بعدها بما ينفر النفوس من الرياء فوصف المرائين بخمسة أوصاف (الأول) أنهم يوفون أجورهم على أعمال البر فى الدنيا بالصحة والعافية والرزق وما أشبه ذلك (الثانى) أنهم لا يبخلون أى لا ينقصون من أجور أعمالهم فى الدنيا (الثالث) أنهم ليس لهم فى الآخرة إلا النار (الرابع) أنهم فى الآخرة حبط ماصنعوه فليس لهم عليه ثواب (الخامس) أن عملهم فى نفسه باطل فترتب على بطلانه ما تقدم فى الرابع مع عدم الثواب عليه وهذا هو قوله تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) يعنى بعمله الذى يعمل من أعمال البر والطاعات والصدقات كأن يظهر الانسان الأعمال الصالحة ليحمده الناس عليها أوليعة قدوا فيه الصلاح أوليعة قدواه بالعطاء وكاوائك المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله ﷺ الغنائم ولا يريدون ثواب الآخرة وكالذين يتعاملون العلم لغرض الله تعالى (نوف اليهم أعمالهم فيها) أى نوصل اليهم جزاء أعمالهم فى الدنيا من الصحة والرئاسة وسعة الرزق وكثرة الأولاد وندفع عنهم المكاره (وهم فيها لا يبخلون) لا ينقصون شيئا من أجورهم وذلك القول فى أهل الرياء والمنافقين والكفرة (أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار) فى مقابلة ما عملوا لأنهم استوفوا ما تقتضيه صور أعمالهم الحسنة وبقيت النيات السيئة فيستوفونها فى النار . فأما الكافر والمنافق فلهما التأييد . وأما المؤمن فانهذاب منقطع بعد أجل محدود (وحبط ماصنعوا فيها) أى لم يبق لهم ثواب فى الآخرة لأن الثواب على الاخلاص وهؤلاء لا اخلاص عندهم (وباطل) فى نفسه (ما كانوا يعملون) لأنه لم يعمل على ما ينبغي وبطلان العمل ترتب عليه عدم الثواب وعدم الثواب ألزهم النار فالجالة الأخيرة علة لما قبلها وهى علة لما قبلها فافهم . ولما كان ما تقدم رافعا لشأن المخلصين فى أعمالهم واضحا لشأن المرائين أردفه بما يفيد أنه لا تقارب بين الطائفتين تأكيذا لما تقدمه فقال أنجعلون الفريقين فى منزلة واحدة فمن كان على بينة من ربه كمحمد ﷺ ومؤمنى أهل الكتاب وكل مؤمن مخلص كمن كان يريد الحياة الدنيا وزينتها . إن بين الفريقين تباعدا وتباينا فالهزمة للإنكار (على بينة من ربه) أى على برهان من الله وبيان أن دين الاسلام حق وهو دليل العقل (ويتلوه شاهد منه) أى ويتبع ذلك البرهان الذى هو دليل العقل (شاهد منه ومن قبله كتاب موسى) شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن ويتلوا ذلك البرهان أيضا من قبل القرآن كتاب موسى عليه السلام وهو التوراة حال كونه أى كتاب موسى (اماما) كتابا مؤتمدا به فى الدين قدوة فيه وحال كونه (رحمة) أى نعمة عظيمة على المنزل اليهم لأنهم به يفوزون فى الدار الآخرة (أولئك) أى من كان على بينة من ربه (يؤمنون به) بالقرآن (ومن يكفر به من الأحزاب) من أهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله ﷺ (فالنار موعده) يردها للاحالة (فلأنك فى حربة منه) من الموعود أو القرآن (إنه الحق من ربك) ولكن أكثر الناس لا يؤمنون (قلنا نظرهم واختلاف فطرتهم ولما نفي التوازن والتقارب بين الفريقين شرع يفصل الكلام على الفريق الكاذب فقال (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بأن أسند اليه ما لم ينزله أو نفي عنه ما أنزله (أولئك يعرضون على ربهم) فى الموقف

بأن يحبسوا وتعرض أعمالهم (ويقول الأشهاد) جمع شاهد كأصحاب جمع صاحب أو شهيد كأشراف جمع شريف وهم الملائكة والنبيون والجوارح لأن الأفواه يختم عليها وتساكن الأيدي والأرجل وهذه لا كذب عندها لأن شهادتها فطرية لا دخل للكذب فيها بخلاف اللسان فهو لاء كهم أشهاد يقولون (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) أى فى الدنيا وهذه الفضيحة تكون فى الآخرة لكل من كذب على الله (ألا لعنة الله على الظالمين) وهذا تهويل عظيم لظلمهم بالكذب على الله (الذين يصدون عن سبيل الله) يصرفون الناس عن دينه (ويبعونها عوجا) يصفونها بالانحراف عن الحق والصواب أو يبعون أهلها أن يعوجوا بالردة (وهم بالآخرة هم كافرون) أى والحال انهم كافرون بالآخرة وكرهم للتأكيد . ثم وصف هؤلاء الظالمين ﴿بثمانية أوصاف﴾ فقال

- (١) فهم لا يجزون الله فى الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم
- (٢) وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه
- (٣) وعذابهم يضاعف لأنهم أضلوا الناس كما ضلوا
- (٤) ما كانوا يستطيعون استماع الحق
- (٥) وما كانوا يبصرون الحق
- (٦) وهم الذين خسروا أنفسهم حيث اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله
- (٧) وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون
- (٨) - لاجرم - أى لا محالة - أنهم فى الآخرة هم الأخسرون - أى لا أحد أبين وأكثر خسرانا منهم وهذا قوله تعالى (أولئك لم يكونوا معجزين فى الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب) الى قوله (هم الأخسرون) ثم أتبع هؤلاء بضمتهم فقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم) اطمأنوا له وخشعوا له من الحب وهو الأرض المطمئنة (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) دائمون . ولك وصف كلا من الفريقين بأوصاف على حدة أخذ يضرب لهم مثلا مجتمعين فقال (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع) شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع (هل يستويان مثلا) هل يستوى الفريقان تمثيلا وتشبيها وهو منصوب على التمييز (أفلا تدكرون) تنفخون بضرب المثل . انتهى التفسير اللفظي

﴿لطيفة فى قوله تعالى - من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها الخ -﴾

لقد حملنا الآية على عموم الكافرين والمنافقين والمؤمنين الذين يطلبون بعملهم الرياء والسمعة

- (١) روى عن رسول الله ﷺ أنه قال قال الله تبارك وتعالى ﴿أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه﴾ أخرجه مسلم
- (٢) وقال ﷺ ﴿من تعلم علما لم يغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار﴾ أخرجه الترمذى
- (٣) قال ﷺ ﴿تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال واد فى جهنم تعوذ منه جهنم كل يوم ألف مرة قيل يا رسول الله من يدخله قال القراء المرأون بأعمالهم﴾ أخرجه الترمذى
- (٤) وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال ﴿إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الزرق فى الدنيا ويحزى بها فى الآخرة . وأما الكافر فيظلم بحسناته فى الدنيا حتى إذا أفضى الى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا﴾ أخرجه البغوى بغير سند

﴿تحذير﴾

إياك أن تصدك الآيات والأحاديث الواردة فى ذم الرياء عن فعل البر والطاعات . فإذا خطر لك أمر

فزنه بالشرع فان كان مأمورا به فبادر اليه فانه من الرحمن فان خشيت وقوعه على صفة منبهة كعجب أو زيا، فلا بأس عليك في وقوعه عليها من غير قصد بها بخلاف ما اذا أوقعته عليها فاصدا لها فعليك إثم ذلك فتستغفر الله منه * قال السهروردي صاحب «عوارف المعارف» لمن سأل «أنعمل خوف العجب أو لا نعمل حذرا منه . فقال اعمل وان خفت مستغفرا منه» أي ان وقع قصدا * وقد قيل «إن ترك العمل بالخوف منه من مكاييد الشيطان» كما في جمع الجوامع وشارحه . وهذه إحدى مصائب المسامين اليوم فالصالحون يخافون الرياء والطلحون يعملون الشر . انتهى تفسير القسم الثاني من السورة

(الْقِسْمُ الثَّالِثُ)

وَأَقْدَرُ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ * فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ أَنْتَ بِنَا إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِإِدْنِنَا بِأَدَى الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَدَيْتِهِ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأُتِمُّهُ لَهَا كَارِهُونَ * وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ * وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أُنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ * وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَى إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَجْرِمُونَ * وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ * وَيَصْنَعِ الْفُلَكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ نَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ * حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ * وَقَالَ أَرُكْبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ

تَجْرِيهَا وَمُرْسَاها إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ
وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَأْوِي إِلَى جَبَلٍ يَنْصِفُنِي
مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا حَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ
الْمُغْرَقِينَ * وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَفْلَحِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ
عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي
وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ
غَيْرٌ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ
إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ *
قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأَمَّا سُمْنِيئُهمُ سُمْهُمْ
مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ
مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ * وَإِلَى عادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ
مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ * يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ
إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثَابِعُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ
عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ * قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا
بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ
بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَأُشْهِدُوكُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ
فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُون * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبَّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ
أَخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ
إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ *
وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا لَنَحْيِيَنَّاهُ هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَحْيِيَنَّاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ * وَتِلْكَ
عَادُ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ
الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنْ عَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ * وَإِلَى مُودٍ

أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ * قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ
فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ
* قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَدَنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ
عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ * وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي
أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ * فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَتَمَنَّوْنَ فِي دَارِكُمْ
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ * فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ
مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ * وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا
فِي دِيَارِهِمْ جَاثِينَ * كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ تَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِمُودَ * وَلَقَدْ
جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَدْ لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا
رَأَى أَنَّهُمْ لَا يَتَّبِعُونَ إِلَهَ إِلَّا يُكَذِّبُهمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ
لُوطٍ * وَأَمْرُهُمْ قَاتِلَةٌ فَضَحِكْتَ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ
يَا وَيْلَتَى أَلِلَهُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُعْجِبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ
رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ * فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ
وَجَاءَهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ * يَا إِبْرَاهِيمُ أُعِضُّ
عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ * وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا
سِوَى بَنِيهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ * وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ
كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي
ضُرْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ * قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ
مَأْرِيدُ * قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَيَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ * قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ
لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِطَرْجِ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ
مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ * فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا

سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ سَجِيلٍ مَنُضُودٍ * مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ
بِيعِيدٍ * وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا
الْمِيزَانَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ * وَيَا قَوْمِ اتَّقُوا
الْمِيزَانَ وَالْمِيزَانَ بِانْقِسَاطٍ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْمُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ *
بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ * قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ
تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ *
قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ يَدْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ
أُخَالِفَكُم إِلَىٰ مَا أَنهَآكُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ * وَيَا قَوْمِ لَا يَجْزِيكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ
نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ * وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ
تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ * قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا
ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ
اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيَّ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ * وَيَا قَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنِّي
عَامِلٌ سَوْفَ تَعْمَلُونَ مِمَّنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ رَقِيبٌ *
وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْغَةَ
فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا إِلَّا بُعْدًا لِّمَذِينٍ كَمَا بَعَدَتْ نَمُودُ * وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أُنْزِلُ
فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ * يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ * وَاتَّبِعُوا
فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ * (قصة نوح)

هذه القصة تبين ما يلاقيه الدعاء الى الخير من مصادمة الظالمين الذين يردون الدعوة ولا يسمعون الحجة
ويودون لو يكونوا بلا علم يسمعون ولا دين يتبعونه ولا هدى ولا كتاب منير . فانظر كيف ابتداء الدعوة
بالانذار والتخويف . وكيف قابله عظماء قومه بطعنهم أولا في شخصه هو قائلين أى مزية لك علينا وأى
فضل . وكيف ينزل الوحي عليك دوننا ومادنا متماثلين في الخلقة مشاركين في العقل فن ذا الذى يصدق
بامتيازك علينا واختصاصك بفضيلة دوننا . وثانيا ان الذين اتبعوك ما هم إلا سفلتنا وأرادلنا كالحاكة

والأساكنة وسائر أصحاب الصناعات الحسيسة . فكيف تتبعك وأنت ومن معك على ما وصفنا . ثالثا إن هؤلاء الأتباع مع خستهم ودناءتهم ما اتبعوك إلا وقت حدوث ظاهر رأيهم أو أول رأيهم فاتباعهم لك ليس عن روية ونظر وتعمق في الفكر وإنما هو عن شيء دون لهم بديهة فهو لاء مع فقرهم وتأخرهم في الأسباب الدنيوية فلا جاء لهم ولا مال ولا شرف في الحياة الدنيا لم يتبعوك عن فكر ونظر الخ فقلوه - بادى الرأي - من بدا يبدو ظهر أو بدا يبدأ إذا فعل الشيء أولا وانتصابه على الظرف . رابعا ويلزم من ذلك أنه لافضيلة لك يانوح ولا لمن اتبعك ثم إنا فوق ذلك نظنك كاذبا في دعوى النبوة ونظنهم كاذبين في دعوى العلم بصدقك فلا نبوة لك ولا علم لهم بصدقك وهذه هي حجج قومه وهي موافقة لما يحصل في كل داع وأتباعه فإن الناس لا يزالون يكذبون الداعي ويصفونه بالكذب ونحوه ثم يعطفون على أتباعه فتارة يذمونهم بأنهم ليسوا على شيء وتارة بانهم اتبعوه لجهالتهم وقلة عقلهم . فالطعن إما في المتبوع وإما في التابع وإما في العلاقة القائمة بينهما وقد تم كل ذلك في الآية ووضح وهذا تعليم من الله لنا أن نشمر عن ساعد الجد ونقوم بالأمر ولا نبالي بالذم فينا ولا يمين معنا من المصاحين ولا في العلاقة القائمة بيننا بل يجب أن تكون تلك الأقوال مشجعة لنا ونحرص على ما أنعم الله بها علينا كما فعل سيدنا نوح فانظر ماذا قال في الرد عليهم فإنه رد على الأول قائلا - ولا أقول إني ملك - ردًا على قولهم - ما رالك إلا بشرا مثنا - . ورد على الثاني وعلى الثالث معا فقال (ولا أعلم الغيب) حتى أطلع على ما في نفوس أتباعي وضامرهم أى لا أقول عندي خزان الله ولا أقول أنا أعلم الغيب (ولا أقول للذين تردى أعينكم) أى ولا أحكم على من استردلتموه من المؤمنين لفقرهم (لن يؤتيهم الله خيرا) في الدنيا والآخرة لهُوانهم عليه مساعدة لكم ونزولا على هواكم (الله أعلم بما في أنفسهم) من صدق الاعتقاد وإنما على قبول ظاهر أقرارهم إذ لا أطلع على خفي أسرارهم (إني إذن لمن الظالمين) إن قلت شيئا من ذلك وقوله - تردى - من زرى عليه إذا عابه . وقال أيضا في الرد (وما أنا بطارد الذين آمنوا) حين سألوا طردهم ليؤمنوا به أنفة من الجالسة معه (إنهم ملاقوا ربهم) فيشكونني إليه إن طردتهم وقال أيضا (ويا قوم من ينصرني من الله) من يمنعني من انتقامه (إن طردتهم أفلا تذكرون) تتعظون . ورد على الرابع قائلا (ولا أقول لكم عندي خزان الله) فأدعى فضلا عليكم بالغنى حتى تجحدوا فضلى بقولكم - وما نرى لكم علينا من فضل - . وقد تقدم أن القسم الرابع جزآن (الجزء الأول) ادعائهم أنه لا فضل لنوح وأتباعه عليهم وهذا رد عليه (والجزء الثاني) أنهم يظنونهم كاذبين فرد عليهم قائلا (ولكنى أراكم قوما تجهلون) تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل وتجهلون لقاء ربكم كما تجهلون أنهم خير منكم . وهذا هو قوله تعالى (قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي) إلى قوله (إني إذن لمن الظالمين) - أرايتم - أخبروني - على بينة من ربي - بيان ويقين من ربي الذى أنذرتكم به (وآتاني رحمة من عنده) هديا ومعرفة ونبوة (فعصيت عليكم) أى أخفيت عليكم أو - خفيت - على القراءتين . ومعنى عصيت بالتخفيف لم تهديكم كما لو عصى على القوم دلياهم في المفازة فبقوا بغير هاد فالجدة كما تكون بصيرة ومبصرة تجعل عمياء لأن الأعمى لا يهتدى ولا يهتدى غيره (أنلزمكموها) أنلزمكم على الاهتمام بها (وأنتم لها كارهون) لاتختارونها ولا تأملون فيها (ويا قوم لا أسألكم عليه مالا) أجرا ينقل عليكم أن أدبتم أو على أن أبيت (إن أجرى إلا على الله) وبقية الآيات ظاهرة المعنى فلا تطويل بذكرها وهي آيات اعتراض القوم فقد لخصناها آنفا وهي مذكورة في المتن . ولما كانت حجج نوح قد وضحت ورد عليهم وقرر الرد وأبان ولم يترك لهم بابا بل أربى عليهم وطوقهم بالبراهين المقنعة (قالوا يانوح قد جادلناك خاصمتنا فأكثر جدالنا) كما ظهر فيما تقدم (فانتنا بما تعدنا) من العذاب (إن كنت من الصادقين) في الدعوى والوعيد . فأما مناظرتك فلا تؤثر فينا (قال إنما يأتيكم به الله إن شاء) عاجلا أو آجلا (وما أنتم

عجزيين) يدفع العذاب أو الهرب منه (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم) أي إن كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي وهو جواب لما أوهموا أن جداله كلام بلاطائل ثم قال (هو ربكم) خالقكم والمتصرف فيكم وفق إرادته وقد جرى علمه القديم على مقتضى الحقائق الواقعة الإلهية وأنكم تخلقون على حال لا ينفع فيها النصح (واليه ترجعون) فيجازيكم على أعمالكم . ولما كانت هذه القصة عجيبة والجدال فيها مؤثرا ذكر الله ما يختلج في عقول بعض الكفار أن هذا وأمثاله محتلق مفترى من عند النبي ﷺ فقال تعالى هذه الجبة المعترضة (أم يقولون افتراه) أي بل يقولون اختلق القرآن محمد (قل) يا محمد (إن افتريته فعلى اجزائي) ثم اجزائي * والاجرام اقتراف السيئة واكتسابها * يقال جرم وأجرم أي اكتسب الذنب وافتعله (وأنا بريء مما تجرمون) يعني من الكفر والتكذيب . وهذا قول مقاتل وأكثرو المفسرين أن الخطاب لنوح عليه السلام . ثم أخذتهم انقصة فقال بعد أن انتهى الجدال وجاء القول الفصل (وأوحى إلى نوح أنه إن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) فلا تحزن حزن بائس مستكين والابتئاس افتعال من ابتؤس وهو الحزن والفقر والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك فقد حان وقت الانتقام من أعدائك وهذا هو التاريخ العام وكل مصالح في الأرض فأولا ذم له ولأتباعه وللرابطة بينهما ثم الرد عليهم ثم العناد التام ثم ظهور الحقائق واضحة جلية . فلذلك دعا نوح على قومه فقال - رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا -

﴿ فصل ﴾

(١) صنع السفينة (٢) استهزاء قومه به (٣) النجاة من الهلاك برئوب السفينة (٤) هلاك من عصاه من أهله (٥) المقصود من القصة وهو أن العاقبة للمتقين وأن الصابرين ينالون الفوز في آخر الأمر

﴿ صنع السفينة واستهزاء قومه به ﴾

قال تعالى (واصنع الفلك بأعيننا) أي ملتبسا بأعيننا كأن الله أعيننا تكلؤه وتحفظه لئلا يزيغ في صناعته عن الصواب (ووحينا) وأنا نوحى إليك ونلهمك كيف تصنع (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) ولا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم (انهم مغرقون) محكوم عليهم بالاغراق وقد قضى به وجف القلم فلا سبيل إلى كفه (ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) استهزؤا به لعمله السفينة في برية بعيدة عن الماء . وأيضاً كانوا يقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد أن كنت نبيا (قال إن تسخروا منا فانا نسيخركم كما تسخرون) إذا أخذكم الفرق في الدنيا وجهنم في الآخرة (فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه) ويعنى به إياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الفرق (ويحمل عليه عذاب مقم) وينزل عليه عذاب الآخرة الذي هو دائم وقوله - وكلما مر عليه ملأ من قومه - أي جماعة منهم إلى قوله - عذاب مقم - جملة حاله فقوله - ويصنع الفلك - مقصود بقوله (حتى إذا جاء أمرنا) عذابنا أي وكان يصنعها إلى أن جاء وقت الموعد حتى هذه هي التي ابتدأ بعدها الكلام أدخلت على الجملة من الشرط والجزاء وهي غاية لقوله - ويصنع الفلك - وقوله (وقار التنور) أي وجه الأرض أو أشرف موضع فيها

﴿ نجاة هو ومن آمن معه ﴾

قال تعالى (قلنا اجعل فيها) في السفينة وهو جواب الشرط (من كل) من كل نوع من الحيوانات (زوجين اثنين) ذكر وأنثى والزوجان كل اثنين لا يستغني أحدهما عن الآخر كالكرك والأثني والعينين والأذنين يقال لكل واحد منهما زوج . والنعلان في الرجلين يقال لكل واحد منهما زوج فقوله - من كل - إما منونا أي من كل نوع زوجين وإما غير منون أي - اجعل فيها من كل زوجين اثنين - والمعنى واحد على كل وقوله (وأهلك) عطف على زوجين وقوله (إلا من سبق عليه القول) به من المغرقين يريد به ابنه

كنعان وأمه المسماة وإعلة فانهما كانا كافرين (ومن آمن) أى والمؤمنين (وما آمن معه إلا قليل) * قيل كانوا (٧٩) زوجته المسماة وبنوه سام وحام وياث و نساوهم و (٧٢) رجلا وامرأة من غيرهم * ولقد ذكر العلماء طولها وعرضها ولا فائدة في ذلك لنا * ويقال انه جعل في أسفلها السواب والوحش وفي وسطها الانس وفي أعلاها الطير وكانت ثلاثة بطون (وقال اركبوا فيها) أى صبروا فيها وانما سمى ركبوا لأن السفن في البحار كالذباب على الأرض وقوله (بسم الله بحريها ومرساها) جملة حالية من ها أى اركبوا فيها حال كونها اجراؤها وارساؤها كائناتان باسم الله على وجهه وبحريها ومرساها بفتح الميم والراء من جرى مصدرا ووقت وضم الميم وفتح الراء من أجرى للوقت والمصدر يعنى أن نوحا عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بأن بحريها ومرساها بذكر اسم الله * يقال انه كان اذا أراد أن تجرى قال بسم الله جرت * واذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست (إن ربي لغفور رحيم) أى لولا مغفرته لما فعلتم من الذنوب ورحته لكم مانجاكم ثم ركبوا فيها يقولون بسم الله كما أمروا (وهي تجرى بهم) وهم فيها (في موج كالجبال) الموج ما ارتفع من الماء اذا اشتدت عليه الريح فشبهه سبحانه بالجبال في عظمه وارتفاعه وكل موجة منها جبل من تراكمها وارتفاعها ﴿ هلاك من عصى من أهله ﴾

قال تعالى (ونادى نوح ابنه) كنعان وكان ابنه من صلبه (وكان في معزل) عن أبيه وعن السفينة وعن دين أبيه وهو مفعول من عزله اذا نجاه وأبعده (يا بني) بفتح الياء * وفي قراءة بكسر الياء والاولى اقتصار عليه من الألف المبدلة من الياء * والثانية اقتصار عليه من ياء الاضافة (اركب معنا) في السفينة أى أسلم واركب معنا (ولا تكن مع الكافرين) في الدين والانعزال (قال ساوى الى جبل يعصم من الماء) أن يغرقني (قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) أى إلا الراحم وهو الله تعالى أى لا عاصم اليوم من الطوفان إلا مكان من رحم الله من المؤمنين فلا يعصمك الجبل ولا غيره وانما يعصمك مكان المؤمنين وهي السفينة ويصح أن يكون الاستثناء منقطعا أى لكن من رحم الله يعصمه (وحال بينهما الموج) أى بين نوح وابنه (فكان من المغرقين) فصار من المهلكين بالماء (وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي) جعل الأرض والسماء كأنهما من العقلاء يطيعان ما يؤمران به اظهارا لنفاذ الأمر وسرعة الانجاز وحصول التأمور به حالا كما يفعل التأمور المقهور مع الأمر القاهر القادر * والبلع النشف والاقلاع الإمساك ثم قال (وغيض الماء) نقص (وقضى الأمر) وأنجز ما وعده به من هلاك الكافرين وانجاء المؤمنين (واستوت) واستقرت السفينة (على الجودى) يقال انه جبل بالجزيرة بقرب الموصل (وقيل بعدا للقوم الظالمين) يقال بعد بعدا لمن لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وحض بدعاء السوء (ونادى نوح ربه) أى أراد نداءه (فقال رب إن ابني من أهلي) أى بعض أهلي لأنه كان ابنه (وان وعدك الحق) وأن كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني أن تنجى أهلي فما بال وعدى (وأنت أحكم الحاكمين) أى أعلم الحكام وأعدلهم فلا فضل لحاكم على غيره إلا بما تجمل به من العلم وما اتصف به من العدل وأيضا انه يحكم بالحقائق لاطلاعه على بواطن الامور ودخائلها * أما الحكام الأرضيون فانهم يحكمون بالظاهر ويندرون البواطن لمن هو أحكم منهم وهو أحكم الحاكمين (قال) الله (يانوح إنه ليس من أهلك) إذ لا ولاية بين مؤمن وكافر ثم علل ذلك بقوله (إنه عمل غير صالح) أى انه ذو عمل فاسد وجعل نفس العمل الفاسد للبالغة * وقرئ - إنه عمل غير صالح - أى عمل عملا غير صالح (فلانسان) نجاة (ما ليس لك به علم) أنه ليس أهلا للنجاة * وذلك أن نوحا عليه الصلاة والسلام سأل الله أن ينجى ابنه من الفرق وكان من أهل النفاق يظهر الايمان ويخفى الكفر كالنفاقين زمن النبي ﷺ فلم يعلم حتى أعلمه الله كما حصل لسيدنا محمد ﷺ كما تقدم في سورة التوبة فقلوه - إنه ليس من أهلك - أى من الذين وعدت النجاة

لهم وهم المؤمنون حقيقة في السر والظاهر وقد خاطبه الله بقوله (ولا تخاطبني في الذين ظهروا إنهم مغرقون) ثم اتبع الأمر بعدم السؤال بقوله (إني أعظك أن تكون من الجاهلين) ومعنى - أعظك - أنهارك وهذا كما نهى رسولنا ﷺ بقوله - فلا تكونن من الجاهلين - (قال رب إني أخوذ بك أن أسألك) في الاستقبال (ماليس لي به علم) ما لا علم لي بصحته (والا تغفري) وإن لم تغفر ما فرط مني من السؤال (وترحني) برحمتك التي وسعت كل شيء (أكن من الخاسرين) أعمالا (قيل يانوح اهبط بسلام منا) أي أنزل من السفينة إلى الأرض مسلما من المكاره كالغرق من جهتنا أو بتحية منا (وبركات عليك) وهي الخيرات النامية وهي في حقه كثرة أولاده وأتباعه فقد جعل أكثر الأنبياء وأئمة الدين من ذريته (وعلى أم من معك) أي وعلى أم ناشئة من معك وهم الأمم إلى آخر الدهر لأنهم ذرية من معه في السفينة (وأم سمعتهم) أي وأم كفرة يحدثون بعدك سمعتهم في الدنيا إلى منتهى آجالهم (ثم يمسهم منا عذاب أليم) في الآخرة ثم خاطب النبي ﷺ فقال (تلك) أي قصة نوح مبتدأ خبره (من أنباء الغيب) أي بعضها وقوله (نوحيا اليك) خبر ثان (ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) وهذا خبر ثالث (فاصبر) على مشاق الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما كان لنوح وقومه (إن العاقبة) في الفوز والنصر والغلبة (للتقين) الذين يذرون الشرك والمعاصي • وهنا لطائف

﴿ اللطيفة الأولى - وقيل يا أرض ابلعي ماءك الخ - ﴾

هذه الآية في غاية الفصاحة والبلاغة حتى خصصها بعض العلماء بالتأليف لفضامة لفظها وحسن نظمها ودلالاتها على الحال مع الإيجاز البديع • فانظر كيف ابتدأ الكلام بلفظ - قيل - بالبناء للجهول فلم يذكر الفاعل لعظم قدره وجلالاته • وكيف خاطب الأرض أن تبلع السماء أن تفلح وهو مجاز عجيب • وكيف كان - غيض الماء - يعني عن جمل كثيرة - وقضى الأمر - قام مقام العبارة الطويلة الدالة على - إلاك قوم ونجاة آخرين وهكذا فكل جملة كأنها درس خاص مع الجزالة وحسن التعبير وفي هذا انتقام من المحاسن ما لا منسع للعبارة عنه والدوق كاف فيه

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

اعلم أن هذه القصة قديمة العهد ذكرت في الكتب السابقة ومما قصودها إلا إبراز رجال في الأمم يكونون قدوة للصالحين ومنبعا للكمال اليهم تشد الرحال وعليهم يعول الرجال وبهم تصلح الحال • ولو أنك درست تواريج النابغين في سائر الأمم والأجيال لم تر أحدا منهم نبغ إلا على مثال نبوغ نوح عليه السلام ولم يخلف الله في الأرض نبيا ولا حكما ولا عالما إلا إذا صادفه مثل ما صادفه نوح عليه السلام بل أقول أنظر أيها الذكي القاري لهذا التفسير • ألم تجد في نفسك مثال ما جرى لنوح من بعض الوجوه وكيف قرأت العلوم ودرست الكتب ثم وصلت لهذا التفسير وقرأته ما كان ذلك إلا بعد ما جاهدت جهادا آذاك فيه الأقربون والغرباء ثم لم تعبأ بذلك ونصرت وفزت بالعلم وضل سعيهم وخاب فآلمهم فآلمهمك لم يفز أحد في الدنيا بطائل إلا بعد أن يناله النصب ويغشاه التعب ويحل به الألم ويسومه أهله وذووه سوء العذاب • فانظر رعاك الله قصة نوح ووازنها بسيرة سيدنا محمد ﷺ

(١) النبي ﷺ قال له قومه - لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك - وقالوا - لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - في مقابلة جدال نوح وقومه

(٢) طلب كفار قريش من النبي ﷺ أن يطرد من معه من المجلس احتقارا لهم وهم يجلسون بهم فمما فقال الله له - ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي - إلى قوله - فتطردهم فتكون من الظالمين - وهذا كقول نوح - الله أعلم بما في أنفسهم إني إن لمن الظالمين -

(٣) يقول الله تعالى لنبينا ﷺ - قل ما أسألكم عليه من أجر - ونوح يقول - ويا قوم لا أسألكم عليه مالا -

(٤) صنع نوح السفينة لنجاة قومه وأمر النبي ﷺ أتباعه بالهجرة إلى الجبشة ثم هاجر هو واهله إلى المدينة وهذه في مقابلة السفينة

(٥) - ثبت يدا أبي لهب - وهو عم النبي ﷺ وطرده ابن نوح من رحمة الله ولم ينفعه أنه ابن نبي
(٦) سخر قوم نوح منه فأفهمهم أنه هو الناجي وهم الخاسرون . وقد كان المنافقون يقولون ان محمداً يعدنا ملك كسرى وقيصر وأن أحدنا لا يقدر أن يقضى حاجته خارج المدينة وكان كفار مكة يسخرون منه فكرر في القرآن أن الله سينصره وقد تم ذلك

(٧) حل نوح مع من كل نوع من أنواع الحيوان زوجين ذكراً وأنثى لبقاء النسل وهكذا جميع الأنبياء والمصلحين إنما خلقهم الله في الأرض للنفعة العامة ولإعلامه لرجال الإصلاح والعطاء إلا قصد المنفعة العامة وسيدنا محمد ﷺ في مقابلة ذلك قيل له - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - لافرق بين حيوان وإنسان وغيرهما من المخلوقات

(٨) وكما غرق الكفار من قوم نوح قتل الكفار من قريش
(٩) وكما نجى المؤمنون من قوم نوح نجى المؤمنون من العرب وأصبحت جزيرة العرب كلها إسلاماً كما تقدم في سورة التوبة

(١٠) قال تعالى - فاصبر إن العاقبة للمتقين - أي كما نصرت نوحاً وكانت العاقبة له فسيكون النصر لك فاصبر الخ

ألا تتعجب من هذا القول كيف كانت هذه السورة تنلى في مكة ولا جيش ولا جند ولا مال لصاحب الرسالة ثم يتلو عليهم هذا القول ويقول الله له ستكون عاقبتك النصر كما كانت عاقبة نوح وبعد ذلك بزمان قد تم هذا . وأمري إن هذه هي المعجزة الحقة فانه قص قصة نوح وقد حصل له مثل نوح أولاً وآخراً وقد تلاه عليهم في أول أمره بحيث لا يختلج في النفس أقل أمل في نجاح دعوته وأن العرب وغيرهم يقبضونه . ذلك هو المعجزة الصادقة وذلك هو الذي به يصدق العاقلون

﴿ مقصود القصة لسائر الفضلاء ﴾

أيها النبي إن هذه السورة تقرأ دائماً يقرؤها المسلمون ويكرر نفايرها في الكتب السماوية قبل القرآن بل إن لها نظيراً كما سيأتي في كتب الدين الهندية . فاعلمك ما بقيت هذه القصة في الديانات المتلاحقة على مدى الأزمان لأنفاظ يكررونها ولا لمجرد آيات يقرؤونها وإنما هي حكم ووعاظ وآداب يتحلى بها الفضلاء والناهبون . فإذا رأيت في نفسك ميلاً إلى فضيلة أو علم أو نفع عام فجاهد في سبيلك واعلم أن الله معك مهما اعتراك من ضيق أو هم أو مرض أو عداوة واعلم أن الله لم يعطك الميل لتلك الفضيلة ولم يزرع في قلبك حب ذلك العلم إلا وهو يريد سقيه وإنزال الغيث عليه لينضج فاعزم وتوكل على الله وأتل قوله تعالى - واصبر إن العاقبة للمتقين - وهذه القصة تنطبق على كل من يقوم بعمل شريف في نفسه وفي قومه . فإذا أراد المرء عملاً نافعا لنفسه أو لأمته أو لأمته نفسه ثوماً شديداً في أول الأمر كجدال قوم نوح ثم يبطل الجدل ويجاهد الإنسان حتى يرسم له طريقاً للخلاص كالسفينه ثم يعاديه أهله وولده في الحديث في أبعض الناس إلى العالم أهله وجيرانه . فامسرف في طريقه ولا يبالى بهم ثم يسير في طريق الفلاح وينجوي في الكفاح وهو سفينة نجاة ملاح ويقال له - فاصبر إن العاقبة للمتقين -

﴿ اللطيفة الثالثة . الطوفان في العلم الحديث ﴾

(الطوفان عام وخاص • الطوفان العام)

اعلم أن الأرض مكوّنة من (٣٦) طبقة عامّة متميزة وهذه الطبقات تكوّنت في ستة عصور كما تقدّم مرارا كل عصر منها يبلغ مئات الملايين بل آلاف الملايين من السنين وهي العصر الأصلي والعصر الاتّقي والعصر الثنوي والعصر الثالث والعصر الطوفاني والعصر اللاحق للطوفاني أو العصر الحالي • وفي كل عصر من هذه العصور الستة تكوّنت طبقات في الأرض وهي مختلفة كما قد تقدّم ذكرها في التفسير وإنما الذي يهمنا في هذا المقام العصر الطوفاني فقد قال علماء العصر الحاضر أن تغيرا عظيما بغيثا طرأ على وضع محور الأرض وقطبيها فاندفعت على أثره المياه على سطحها اندفاعا عاما وانقرض في هذا الطوفان كثير من الحيوانات ولبأ بعضها تخلصا من الغرق إلى شقوق ومغاور في أعالي الجبال فهلكت جوعا هناك أو بافتراس بعضها بعضا أو خنقا في وسط المياه اندفاعة عليها وقد كشف العلماء كثيرا من تلك المغاور الحاوية عظاما عديدة من الوحوش الكواسر التي عاشت قبل حصول تلك الفاجعة وهذا الرأي هو الذي يفهمنا كيف نقصت الحرارة فجأة في الأقطار القطبية • أنها نكبة عامّة مريضة قلبت وجه الأرض وبها انقرضت أنواع من الحيوان على بكرة أيها وتحولت المياه فجأة من مجاريها واندفعت بعزم على اليابسة فطمت على الصخور واقتاتت الغابات وجردت الجبال من حلالها السندسية وتركت رواسب جديدة يقال لها في علم الجيولوجيا (الطبقات الطوفانية) وفي هذا العصر بدأ القطبان يكتسيان بالجلد وهذا دليل على تناقص جسيم في حرارة الأرض • والتناقص المذكور حصل فجأة وليس بالتدريج فإن علماء (الجيولوجيا) استدلوا على ذلك من آثار فيلة بل أجسام صحيحة من (الماموث) كشفوها في وسط الجليد الشمالي فحسموا بحصول برد فجائي باغتيا وقتلها قبل أن تتمكن من الهجرة إلى أقطار أوفر اعتدالا وأقرب إلى مزاجها • ولما استتببت السكينة على وجه الأرض بدأ العصر الحالي وهو السادس وفيه ثبتت اليابسة وازداد الهواء نقاء وأرسلت الشمس أشعتها المنعشة فطابت النباتات وأنس الحيوان وظهر بعدها الإنسان • ولا يعلم أحد الآن هل كان الإنسان قبل العصر الحالي أي هل كان قبل الطوفان المذكور ولقد وجدوا آثارا تدلّ على ذلك • هذا هو الطوفان العام

﴿ أين الطوفان الخاص الذي جاء به القرآن والكتب السماوية كما في هذا المقام ﴾

اعلم أن الطوفان المذكور في الكتب السماوية لم يعلم عنه علماء (الجيولوجيا) إلا ما يأتي وهو أنهم كشفوا أنه كان هناك بحر عظيم يمتدّ قديما من البحر الأسود إلى الأوقيانوس الشمالي وهذا البحر من آثاره بحر الخزر وبحر الأوزوف والبحيرات الكثيرة التي في بلاد روسيا وهي مألحة منتشرة في سهول التتر ومغاور روسيا • ولما ارتفعت جبال القوقاز اندفع قسم من المياه إلى الأوقيانوس الشمالي والقسم الآخر انقلب إلى الأوقيانوس الهندي ففرقت بلاد ما بين النهرين وجميع البلاد التي يسكنها أسلاف الشعب العبراني وقد حفظت هذه الحادثة في تقاليد سائر الشعوب الذين يسكنون تلك البقاع • وجاء في أسفار (التقيدا الهندية) في هذا المقام ﴿ تحوّل براهما إلى صورة سمكة ﴾ وجاء يقول إلى الملك الصديق (فايفاسواتا) أن زوال زمان العالم قد دنا وعن قليلين تباد كل نسمة من الوجود على وجه الأرض فاصنع لك سفينة تدخلها بعد أن تأخذ منك بزورا من كل النباتات وانتظرنى فأوافيك وعلى رأسى قرن تميزنى به • فأطاع الملك الصديق أمر براهما وعمر سفينة ودخلها بعد أن ربطها بجبل متين بقرن السمكة فسارت السفينة في الظلمة سنين عديدة في وسط عواصف قاصفة واستقر أخيرا على رؤس جبال همالايا اه

هذا هو العلم الذي يعرفه الناس الآن من علماء طبقات الأرض ومن علماء الديانات • فهأنت ذا رأيت الطوفان العام الذي هو قبل التاريخ ورأيت الطوفان الذي عرفه بنو إسرائيل عن أسلافهم الذين كانوا بين النهرين وعرفت البحر العظيم الذي خلف بحيرات في أوروبا الآن وعرفت كلام البراهمة عن هذا الطوفان

ثم اعلم أني ما كتبت لك هذا لأفسره القرآن . كلا وإنما أكتبه لتحييط علما بهذه المسألة ولتعشق العلوم ولتبحث في عجائب صنع الله وفي تقلبات هذه الدنيا وعجائبا وتتجسس من هذه الأرض كيف تسكون وكيف كان القطبان أشبه بخط الاستواء تعيش فيهما القبلة العظيمة التي لانظير لها الآن بل هي أشبه بالقبلة التي كانت قديما تحمل مثات من الناس على ظهرها ثم طرأ عليها البرد فجأة فانت حالا وبقيت الى الآن دلالة على قدرة عظيمة . وكيف كان هناك بحر ثم زال من الوجود . وكيف كانت هذه القصة قد طلع بها أكثر الأمم العظيمة المتدينة

فأما القرآن فإنه قص علينا هذه القصة ليرقينا بها وليدلنا على أن الصابرين فائزون . وقد أبنا هذا أيما تبيان . فافرح بما آتاك الله من فضله . واعلم أن الله عز وجل ما أنزل هذه القصة لأجل المباحث التي ذكرناها ونحوها وإنما أنزلها لما فيها من القدوة الحسنة واليقين . إن الذين هم مصلحون وقلوبهم مغلوبة على الإصلاح فائزون في آخر أمرهم . واعلمك ان هذه القصة في القرآن تعطى المصلحين إيقانا وإيمانا وعلمنا أنهم بعد الصبر فائزون . وهذا قد أوفحناه تمام الايضاح . انتهى الكلام على قصة نوح عليه السلام . ثم قال تعالى (والى عاد أخاهم هودا) أى وأرسلنا الى عاد الخ عطف على قوله - نوحا الى قومه - وهودا عطف بيان (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أقم إلا مقترون) على الله لاتخاذكم الأوثان شركاء وجعلها شفعاء (يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجرى لإعلى الذى فطرنى) وذلك كخطاب نوح لقومه بذلك وخطاب النبي ﷺ لأن النصيحة مادامت مشوبة بالمطامع لاتنفع (أفلاتعقلون) أفلاتستمعون عقولكم فتعرفوا الحق من الباطل والصدق من الكذب (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) اطلبوا مغفرة الله بالإيمان به ثم توبوا اليه من ذنوبكم السالفة (يرسل السماء عليكم مدرارا) كثير الدور (ويزدكم قوة الى قوتكم) وكانوا قوما أصحاب زرع وبساتين وكانوا مدلين بما أوتوا من قوة وبطش * وقال بعضهم حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نساءهم ثلاث سنين فوعدهم هود عليه السلام على الإيمان والثوبة بكثرة الأمطار وتضاعف القوة بالتناسل * يقال ان الحسن بن على رضى الله عنهما قال لحاجب معاوية لما شكاه قلة الولد (عليك بالاستغفار) فكان يستغفر فى اليوم سبعمائة مرة فولد بنين ولما سئل الحسن عن سبب ذلك استدله بهذه الآية وبآية نوح - ويمدكم بأموال وبنين - (ولاتتولوا) ولا تعرضوا عما أدهوكم اليه (مجرمين) مصريين على اجرامكم وأنامكم (قالوا يا هود ماجئنا ببينة) كما قالت قريش للنبي ﷺ - لولا أنزل عليه آية من ربه - لمجود الطائفتين آيات النبيين (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) أى وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك . فقله - عن قولك - حال من الضمير فى تاركى آلهتنا (وما نحن لك بمؤمنين) أفنطوه من اجابته وتصديقه (إن نقول إلا اعتراك) أى أصابك من عراه يعروه اذا أصابه (بعض آلهتنا بسوء) أى مانقول فيك قولة إلا هذه المقالة وهي - اعتراك بعض آلهتنا بسوء - فأنت يا هود لست تخالفنا وتسب آلهتنا إلا لما أصابك بعض آلهتنا بخبل وجنون لأنك سببتهم فانتقموا منك بذلك ونحن لانفهم أمرك إلا على هذا الوجه (قال) هود محببا لهم (إني أشهد الله) على نفسى (واشهدوا) أتم على أيضا (أنى يرى عما تشركون من دونه) وهي الأصنام التي كانوا يعبدونها (فكيدونى جميعا) احتالوا فى كيدى وضربى أتم وأصنامكم التي تعتقدون أنها تضر وتنفع فانى أرى انها لاتنفع ولا تضر (ثم لانظرون) لانهم لم يسمعوا بك قوله (إنى توكلت على الله ربي وربكم) أى انه فوض أمره الى الله واعتمد عليه (مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها) الناصية مقدم الرأس وسمى الشعر الذى عليه ناصية المجاورة * وكان العرب اذا أرادوا اطلاق أسير جزوا ناصيته لينزوا عليه ويعتدوا بذلك نفرا عليه فخطبهم الله بما يعرفون يعنى أن الله هو مالكها والقادر عليها وهو يقهرها لأن من أخذت ناصيته فقد

قهرته . والدابة كل ما يدب على الأرض ويدخل فيه جميع بني آدم والحيوان لأنها جميعها تدب على الأرض (إن ربي على صراط مستقيم) أي إن ربي وإن كنتم مستخزين له مقهورين لا يعاملكم إلا بالانصاف والاحسان والعدل فيجازي كلا بما فعل المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته (فإن تولوا) أي تتولوا وتعرضوا عن الإيمان - بما أرسلت به إليكم - فلم يقع مني تقصير في التبليغ وإنما التقصير منكم (فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوما غيركم) أي انكم أن أعرضتم عن الإيمان يهلككم الله ويستبدل بكم قوما غيركم أطوع منكم وهذا عذاب الاستئصال (ولا تضروا شيئا) بتوليكم عن الإيمان (إن ربي على كل شيء حفيظ) رقيب عليهم من فاتخى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم وهو يحفظني من أن تمسوني بسوء فكما يحفظ أعمالكم ويعاقبكم يحفظني من سوء (ولما جاء أمرنا) بأهلاكم وعذابهم (نجينا هودا والذين آمنوا معه برجة منا) ذلك أن العذاب إذا نزل عم فلما أنجاهم الله كان ذلك رجة من الله وأيضا الإيمان والطاعة من رجة الله فما نسب عنهم من رجة الله لأن كلا من عند الله (ونجيناهم من عذاب غليظ) شديد (وتلك عاد) وهذه قبيلة عاد كأنه قيل سيحوا في الأرض فانظروا إليها واعتسبروا بقبورها وآثارها ثم وصف حالهم فقال (جحدوا بآيات ربهم) أي كفروا بها (وعصوا رسوله) لأنهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فقد عصى الجميع (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) أي اتبعوا أمر كبارهم الطاغين وعبدوا من عند عنودا إذا طنى فعصوا من يهديهم وأطاعوا من يغويهم (واتبعوا في هذه الدنيا لعنة) أي أردفوا لعنة تتبعهم واللعة الطرد والابعاد من رجة الله (ويوم القيامة) أي وفي يوم القيامة أيضا تتبعهم اللعنة كما أتبعهم في الدنيا ثم ذكر السبب لزيادة الايضاح فقال (ألا إن عادا كفروا ربهم) أي كفروا بربهم (الابعاد لعاد) أي هلاكا لهم أو بعدا من الرجة (قوم هود) عطف بيان لعاد . والقصد من هذا العطف المبالغة في التنصيص للتأكيد . انتهى التفسير اللفظي لقصة عاد وما قبلها

﴿ جوهرة في معنى قوله تعالى - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - ﴾
يعيش الناس ويموتون وتلاحق الأمم وتتسابق في هذه الحياة ثم يردون أحواض المنايا أمة بعد أمة ودولة بعد دولة وهم يأكلون الحيوان ويشربون ألبانه ويلبسون صوفه وفراءه ثم أكثرهم يموتون ولا هم يذكرون لا يذكرون عجائب هذا الحيوان وغرائبه وغرائب النبات ولا الحكمة المدبرة التي خصت لكل طائفة منه لونا وشكلا وأحوالا خاصة . ينظر الناس إلى هذه الصور والأشكال ثم لا يذكرون لم هذا الاختصاص (١) ولم نرى الزنبار مثلا محلى بشكل جميل مزوقا بهجا ولكنه يحمل سلاحا يعدو به على من يمس به سوء (٢) ونرى الفيران الصغيرة والكبيرة والوطايط إما رمادية اللون أو سوداء (٣) ولماذا نرى بعض السمك مرقشا منقوشا بهيئة بهجة كأنها هيئة البساتين الجميلة . والأكثر على خلاف ذلك إذ يكون ظهره أزرق مائلا للسواد أو لكخضرة وهو من أسفل أبيض اللون (٤) ولماذا نرى الجمل والأسد لهما لون خفيف رملي أو صخري رملي وهكذا من أمثلة كثيرة لا يحيط للناس أن يفكروا فيها وإنما الرأي العام عند هذا النوع الانساني أن ذلك أمر عادي . والجواب على ذلك هو عين ما نقل عن الكسائي لما سئل لم بنيت أي على الضم فقال ﴿ أي هكذا خلقت ﴾

هذا الانسان أوله وآخره قديمه وحديثه عالمه غالبا وجهله مستوون في الغفلة والاعراض عن بحث ما حولهم وفهم الدروس التي أنفأها الله عليهم . هذه هي الدروس الحقة والعالوم التي أنزلها الله للناس وآيات تنزلت عليهم وطلاسم وألغاز وزينة زين بها الأرض لامتحان عباده لينظر أفيشكرونه بمعرفتها أم يكفرونه بالتلهي بهيجتها والغفلة عن معرفتها ذلك هو مثل المسامين وغير المسامين الحاليين الذين سكنوا هذه الأرض وهم عن

أياها معرضون

اللهم انك أنت الذى أسكنت أرواحنا فى هذه الأجسام الأرضية وأحطتنا بعوالم خلقت من الجلال وحفظت من الوبال وأحطتها برحمتك وكلايتها بمنتك فهي بعنايتك وكلاءك فى بهجة وسرور ونعيم وجور وجعلتها بحسب حقائقها مكلاة بالنور مرموقة بنظرك مكفولة بحفظك وجعلت أعيننا غالبا فى غطاء عن جمالها راحة منك لنا وعطفا وإحسانا . ذلك لأن هذا الجلال الكامن فى تصويرها وخلقها لوتبتلى لنفوسنا دفعة واحدة وعرفناه لسكرنا ولذهلنا ولذابت مهجنا من الاطلاع على أسرارها لأنهم من النور خلقت ومن الحكمة صنعت وكيف نقوى أرواحنا التى لم يكمل حفظها من القوة ولم تصل الى غاية السكال أن تغرق فى بحر الحكمة الذى ليس له قرار

اعلم أنى لما وصلت الى هذا المقام حضر لى صديق صالح فاطلع على هذا فقال . هذه المقدمة لم تخرج عن مقدمات كثيرة من المتصوفة الذين تنشرح صدورهم فيشؤون المقالات تلو المقالات ولم يزد الناس من مقالانهم كالا فى علم ولا معرفة حقيقة إلا قايلا منهم - وقليل من عبادى الشكور - . ابتدأت المقال بأسئلة فى الفيران والجمال وأمثالها ولم تحب عليها ثم أخذت تتغزل فى الوجود وهذا الغزل أراك ورثته من كتب المتصوفين . إن الأمم الاسلامية اليوم لن تقوم من كبوتها إلا يعلم يفتح أعينها لهذا الوجود . فأما اذا كثرت فى الاغراب وأبعدت فى الارقال وزوّقت الجبل وجئت برائع الكلام وبديع النظام فما علمت حرفا ولا زدت للناس ذكرا فاهجم على الحقائق هجوما كما رأيت فى كثير من الأجزاء السابقة فى هذا التفسير . إن الكتب اذا خلت من الحقائق المشاهدة عكف الناس على قراءتها وغفلوا عما حولهم فهل تحب أن يقرأ الناس هذا التفسير وهم مغضون . فقلت له هدى روعك وأحسن ظنك واعلم أن المقال الذى شرعت فيه الآن علم عزيز وفق شريف جميل سيريك

حكما نسجت بيد حكمت * ثم انتسجت بالمتنسيج

انك سترى من آيات الله ومعجائب حكمه ما لم يعلمه أكثر المتعلمين فى العالم الانسانى . ذلك انى اطلعت على عشرات من عجائب ألوان الحيوان وأشكاله وكيف كان ذلك كله قد وضع بدقة وحكمة وغاية مقصودة اطاعت على ذلك فى كتب الفرنجة أى فى موسوعات علومهم . وهذه الكتب لا يؤلفها إلا المختصون بالعلوم ثم لا يطلع عليها أغلب المتعلمين لأن أكثرهم لا يسعى إلا لغدائه ولردائه ولمظهره بين الناس وأمثال هذا انما يتحلى به العقول وتساق به الى السكال . وأكثر الناس فى الشرق والغرب عن هذه المعالى معرضون

﴿ تشبيه الأرض بدرّة ﴾

إن ما سألقه عليك اليوم هو النور والبهجة والجمال . إن هذه الأرض فى حقيقةها بعد ما تسمع اليوم ما أتاه عليك أشبه بدرّة بهجة جميلة متلألئة قد سطعت عليها أنوار السكواكب وأشرقت عليها أضواء السيارات يتلاقى على ظهرها ﴿ الجلالان ﴾ جمال الأنوار وجمال السرّة . فترى أرضنا قد امتزجت على سطعها الألوان السبعة التى فى قوس قزح بأضواء هذه الجوهرة فتدخلت الأشكال وتشابكت الألوان وامتزجت الصور فى أمواج فوق أمواج وبحار من الصور والأشكال والبهجة والجمال . تلك صور هذه الأرض فى عقولنا بعد أن ترى ما سأقصه عليك الآن بل هذه هى الصورة التى ظهرت فى خيالى بعد ما قرأت هذا الموضوع الذى أنا بصدد ذكره الآن على أن هذا التشبيه دون الحقيقة

نعم الله نور السموات والأرض والنور على ﴿ قسمين ﴾ نور محسوس . ونور معقول . ونور النجوم والشموس والأقمار وضوء الجواهر . كل ذلك محسوس ولا مناسبة بين المحسوس والمعقول . إن النور المحسوس بالابصار قد سبق ذكره فى سورة الأنعام وسورة يونس وقد رسمت هناك الصور الشمسية والأشكال

السكوكية والمجرة وأنواع السدم والقنوان . قد تقدم هذا كله وتقدم شرح ذلك من علم الفلك بحيث يسهل على القارئ فهمه ولكن هذا كله هو النور الحسى . أما النور العقلى فهو أكمل وأكمل وهو النور الذى أنزل فى هذه السورة (سورة هود) إذ يقول الله تعالى - ومامن دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين - ثم يذكر أنه استوى على العرش وأن عرشه على الماء وأنه يدبر بالحكمة . فهذا باب آخر من أبواب العلم وهو علم الحقائق . ويقول هود - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها - الأخذ بنواصى الدواب ليس بالأمر السهل انه يحتاج الى علم الأمم كلها ودرس هذا الوجود كله أنزل الله القرآن وقال لنا - هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا - فى سورة يونس ومدح المفكرين فيها وهكذا فى سورة الأنعام وغيرها . ولكن فى سورة هود أتى بما هو أبعد مرعى وأدق مغزى يدل على ذلك قوله - كتاب أحكمت آياته - إشارة الى الحكمة المودعة فى الحيوان وغيره وقوله - ثم فصلت من لدن حكيم خبير - فيه إشارة الى عجائب الوجود الذى نعيش فيه سيفصلها الله ويظهرها للناس والا فكيف يقول لنا - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها - والناس فى الشرق والغرب لا يرون هذا الأخذ بناصية الدواب لأنهم يرون الدواب ولا يرون الأخذ بنواصيها . فالأخذ بالنواصي لا يرونه ولكن نفس الأخذ بالنواصي هو الممكن للناس معرفته ولا يمكنهم ذلك إلا بالعلوم والحكمة . أنزل القرآن على أمة العرب وأمة العرب نشرت القرآن ثم نامت ولكن الله لا ينام لأنه هو القائل - ثم إن علينا بيانه - والقائل - سأريكم آياتى فلا تستعجلون - والقائل - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها -

فهاهو ذا أرانا بعض آياته فى كتب أسلافنا المتقدمين وفى كتب المتأخرين من الفرنجة أولئك الذين عرفوا بعض العلوم ونبعوا فيها ولكنهم لا يعلمون أن هذا يطلبه القرآن بل هم فوق ذلك يكتبون العلم محققين لمسائله ولا يفكرون إلا فى الصنعة أما الصانع فلا يقول أكثرهم على ذلك أثناء كتاباتهم . أما أنا فأتى أقول بأعلى صوتى أيها المسلمون كتاب الله المنزل عليكم لاندرك بعض أسرارهِ إلا بقراءة جميع علوم الشرق والغرب ثم لا يتم مقصوده إلا باجتهاد أبناء الاسلام بعد قراءة علوم القوم إذ يزيدون على ما علموه وهم محققون . وأقول أيضا - هذه بضاعتنا ردت إلينا - هى متبعة تمام الانطباق على آيات القرآن . فهاأنا ذا الآن أيها الأخ أريك العجب وستعلم أن هذا من بيان الله الذى سخر له الفرنجة وهو الذى أعثرنى عليه وهذان لفهمه فهذه البضاعة بها يمر الله قراءة هذا التفسير ويحفظ بها سائر المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ويزيدهم علما بجدهم واجتهادهم أسوة باخوة يوسف إذ قالوا - هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا وزداد كيل بعير الخ -

فقال صاحبى الصالح فأجب أولا عن الأسئلة المتقدمة ثم اذكر ما تريد ذكره من عجائب الحيوان . فقلت ان الألوان على (قسمين) ألوان براقه بهجة ذات أشكال تلفت الأنظار وألوان خفيفة لطيفة ليس لها بريق ولمعان . أما الأولى فأنما أعطيت لحيوانات عندها ما يحميها من أعدائها ويحفظها من الغيرين عليها فأما الألوان الخفيفة اللطيفة فأنما تعطى الى الحيوانات التى من مصالحها ألا تظهر بوضوح لأحد (أمرين) إما لأنها عرضة للغيرين عليها . وإما لأنها لها فريسة . نغمة ألوانها ولطفها أقرب الى اختفائها عن أعين فرائسها فيمكنها أن تنال منها غذاءها ولو بنصب وتعب فى العشى والابكار . هذه هى القاعدة العامة ذكرتها الآن توطئة لما أفصله فأقول

من عادة الحيوان أن يكون لونه مشاكلا لما حوله وهذه المشاكلة تكون سببا لوقايته لأنه بها يخفى عن أعين الرقباء

﴿ الكلام على الزنبار ﴾

(١) نخذ الزنبار مثلاً تره زاهى اللون منقشا مرقشا . لماذا لأنه أعطى حجة بها يهجم على من يؤذيه لذلك اقتضت حكمة الله عز وجل أن يكون يظهره المعلوم لأنه لا يخاف عدواً يغير عليه فهو فى مأمن سلاحه الذى يحمله . فالزنبار إذن أشبه بالأمم القوية إذ يجوس رجاها خلال البلاد فى الشرق والغرب ظاهرين لأن لهم دولاً تحميهم وتحافظ عليهم . ودولة الزنبور هو سلاحه . فسلاحه يقوم مقام سلاح الدول فى حفظ رعاياها ألست ترى أن الله أخذ بناصية هذا الزنبار فجعل له شكلاً جيلاً مزوّفاً وأعطاه سلاحاً وقال له كن حراً طليقاً أيها الزنبار لأنى أنا الآخذ بناصيتك وأنا على صراط مستقيم . اللهم إنا نحمدك على العلم ونشكره على الحكمة

﴿ الكلام على الفيران والوطايط واليوم ﴾

(٢) ونخذ الفيران مثلاً آخر والوطايط التى تكون إما رمادية اللون وإما سوداء فسبب ذلك أن هذه الحيوانات من الحيوانات الليلية تخوفها من الحيوانات القانصة المهلكة فهى أبداً فى النهار مخفيات فإذا ظهرت ليلاً وكان لها لون غير السواد وما قارب به ثم ذلك اللون عليها فعمتها للعطب فكانت من الهالكات وانظر الى اليوم فانك تجد لونه ترابياً فيه بقع ملونة كثيرة لونها خفيفاً وذلك ليحصل التشابه بينه وبين قشر الشجر والأرض أثناء النهار ولا يكون كثير الوضوح أثناء الليل . أليس هذا الصنع معناه أن الله أخذ بناصية (اليوم) . نعم أخذ بناصيته فلوّنه على الهيئة التى بها يعيش فياً كل الفيران وغير الفيران لمصالح هذا المخلوق . والا فلماذا يختص (اليوم) باللون الذى يكون حافظاً له وبغير هذا اللون المخصوص يفنى (اليوم) ولا يكون فى الوجود

﴿ الكلام على السمك ﴾

(٣) وانظر الى السمك فان الذى نراه لامعاً بهجاً فانه يكون عيشه فى قاع البحر محوطاً بالجمال الرائع من أعشاب بحرية لامعة ومرجان ثابت فى قاعها بهيج ونبات من الشقائق بهية فيكون ذلك القاع أشبه بحديقة خيالية عبقرية حسنة فيخلق ذلك السمك مناسباً لما حوله حتى يختفى فيما هناك من الأشكال وبذلك يتوارى عن الأبصار . أما السمك الذى يرى ظهره أزرق مثلاً للسواد أو للخضرة و بطنه أبيض فذلك لأنه يعيش أقرب الى سطح الماء فى البحر فصار ظهره مناسباً للجو ولزرق الماء فى البحار فيختفى عن أعين الطيور القانصة للسمك وجعل بطنه أبيض ليختفى عن أعين السمك المفترس فيتشابه لون بياض بطنه بلون الماء فلا يفترسه السمك المفترس

﴿ الكلام على لون الجمل والأسد ونحوهما ﴾

(٤) أما الجمل والأسد ونحوهما وتلونهما باللون الخفيف الرملى فذلك لأنهما من سكان الصحراء والصحارى لا أشجار فيها ولا مراعى . فالأسد لو كان لونه زاهياً كالزنبور لفرقت منه فريسته . والجمل لو كان كذلك لكان عرضة لافتراس الحيوانات المفترسة فتهجم عليه كالنمر والأسد والدثاب فأعطى كل منهما لوناً ماحوله من الرمال ليشتبه بها وبالصحور الرملية التى تحيط به . وهكذا ترى القنبر وأنواعاً أخرى من الطير وكل ماله فروة من الحيوانات الصغيرة ذوات الأربع وجلد بعض الحيات والضباب . كل ذلك ملوّن بلون الرمال وقاية من الله وحفظاً لتلك الحيوانات فسبحان الخلاق العظيم . فلما سمع صاحبي ذلك قال اننى وجميع المتعلمين من أبناء مصر وبلاد الشرق وأكثر بلاد أوروبا يقولون غير ما تقول . يقولون ان الوسط قد أثر فى هذه الحيوانات فهذا أمر طبيعى لا غير . فأما الآخذ بالناصية الذى ذكرته فان المتعلمين لا يقولون به . قلت له حياك الله وياك ألم تذكر أننى بينت لك أن هذا العلم لا يكون عند المتوسطين فى العلوم . إن هذه الآراء

انما يعرفها الحكماء في أوروبا وفي الشرق . فأما تلاميذ المدارس في كل أمة فانهم كالعامة في هذه النظرات بل هم المتحيزون في هذا الوجود ولا يحظى بالحكمة منهم إلا الأقاؤون أولئك هم المفكرون . فقال هات برهانك وانقل لي ما قاله أكبر حكمائهم في عصرنا حتى لاتتهم بأنك انما تحاول أن تجعل القرآن موافقا للعلوم بالحق أو بالتحايل . فقلت قد جاء في كتاب ﴿ موسوعات العلوم ﴾ المسمى (سائيس فورألل) في المجلد الثاني صفحة ١٢٨ وما بعدها ما يأتي

﴿ إن المفكر العادي يرى أن ألوان الحيوانات قسمت ووزعت بلاصنعة ولا علم . وترى المناطق الحارة الاستوائية كل شئ فيها لونه بهيج زاه زاهر في حيوانه ونباته بخلاف ما عندنا . ثم إن بيان السبب في أن هذا أحر وذاك أبيض الخ . كل ذلك عند أكثر الناس لا يفيد ولا ينتج بل هو عبث . ثم قال وسأبين لك أن حيوانات كثيرة ألوانها نافعة لها بل إن كثيرا منها تتوقف حياتها على حاية ألوانها لها ولولا تلك الألوان لانقرضت تلك الحيوانات وبادت من الوجود ﴾ ثم أخذ بين تلك الحيوانات واحدا واحدا بدقة وحكمة وفقه وتفكير في الهواء والبر والبحر والأقطار الحارة والباردة وفي هذه قال نبحث في جهات القطب الشمالي فان لون البياض هو السائد في تلك الأقطار . وقد ترى هناك السواد والسمره اذا كان ذلك أصلح للحيوان في تلك الأقطار

﴿ الأرنب والذب والثعلب القطبيات ﴾

ثم قال كل دب في الأرض أسمر أو أسود إلا دب القطب الشمالي فهو أبيض . وهكذا أرنب القطب والبوم . كل هذه بضاء أو قريبة من البياض . والثعلب القطبي أبيض . والأرنب الذي يسكن الجبال العالية فهذا يتغير الى البياض زمن الشتاء . وهناك طائر يسمى (بسترميمن) وهذا خير مثال للحماية بالألوان فهو موافق لألوان الأشجار التي يقع عليها ويلازمها ولا يقدر الانسان أن يميز سربا منه وهو في زمن الشتاء يلون بالبياض لأجل حايته بمشاكله الثلوج فهو يلون في الصيف بلون الأشجار وفي الشتاء بلون الثلج لحايته أيضا

﴿ الغنم القطبية والسمور والغراب وألوانها هناك ﴾

ثم قال وهناك ﴿ ثلاثة أنواع ﴾ من الحيوان تخالف لون الثلج في تلك الأقطار ﴿ أولها ﴾ نوع من الغنم يسمى (غنم مسك) فهذه لونها السمره مع السواد فقسبتين وتظهر وسط الجليد وسبب هذا أنه يعيش جماعات وليس لفرد منه أن يعيش وحده فلون السواد والسمره الذي يظهرها وسط الثلوج ظهورا وانحما ضروري حتى يعرف كل خروف منها أصحابه ولو كان لونها كلون الثلج لضل القطيع وتفرق وافترسته المفترسات فهذا النوع بين نارين إما حياة محمية بالسمره مع السواد ليتعارف أفراد السرب الواحد ويغتر في جانب هذا أن يفرد الواحد بعد الواحد ضالا الطريق أو مريضا فتختطفه المفترسات كالثعلب القطبي . أما أفراد السرب فهي متعاونات لها حراس يعرفون مواقع الخطر فيفرون بالقطيع كله فيعيشون ويكثرون واما لون كلون الجليد به لا يميز بعضها بعضا فهلك كلها . لاجرم أن أول الأمرين خيرها وهذا هو الذي حصل في الوجود ﴿ النوع الثاني السمور ﴾ فانه يحتفظ بفروته العظيمة الثمينة الجيلة السمراء في أيام شتاء (سبيريا) القارس . وذلك لأنه يلزم الأشجار ويأكل من ثمارها وهو نشط ويختطف الطيور بين الأشجار فيقتنصها فيأكلها ولو كان لونه السواد لميزه الطيور ففرت منه فلم يأكلها ﴿ النوع الثالث الغراب ﴾ انه يكون في أقصى الأقطار القطبية الشمالية ولكنه دائما أسود . ذلك لأمرين ﴿ أولا ﴾ انه لا عدو له يفاجئه اذا تميز في وسط الثلوج ﴿ الثاني ﴾ أن فريسته وهي الجيفة لا تفر منه اذا أراد أكلها فلذلك حفظه سواده ولم يغير ذلك كله لمنفعة الغراب نفسه . ثم قال هذه المسائل الثلاثة من البراهين الدالة على ما ذكرناه من أن الألوان مقصودة

لحماية الحيوان وهذه الحجة صادقة ومكذبة لمن يقولون ان البياض في الأقطار الشمالية من أحد أمرين ﴿ إما من تأثير البرد مباشرة على الحيوان . وإما من تأثير انعكاس البياض من الثلج على الحيوان . فهذه الأنواع الثلاثة علمتنا أن بياض الحيوان إنما يكون لما ينفعه البياض ويحفظه في حياته . أما التي لا تحتاج الى حماية البياض أو تلك التي ينفعها السواد فانها تلون به ولا تلون بالبياض . ثم قال إذن سبب التغير لا يرجع عقلا الى الامور الخارجة عن الحيوان بل هو راجع الى قوانين مختلفة تدور كلها حول حفظ الحيوان ومنفعته لاعلى الوسط الذي تعيش فيه حشرات تلون بلون جذوع الأشجار وحشرة أبي دقيق التي تلون بلون الأوراق الجافة . فلما أتممت هذا القول أخذ يقول يا حبا هذا كلام الحكماء بأوروبا في عصرنا . فقلت نعم هذا هو الذي رأيته ونقلته وسأشرح هذا المقام إن شاء الله وبقيت حيا في سورة - قد أفلح المؤمنون - عند قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - وهناك أبين هذا المقام بإيضاح وأثبت لك الصور التي رسمها القوم بالتصوير الشمسي فترى هناك ان شاء الله حشرات طارت ثم انها تجثم على شجرة عتيقة فيخيل للرأي أنها عبارة عن غصن غليظ من الشجرة قد كسر أعلاه حديثا . وما ذلك إلا أن هذه الحشرة قد خلقت بحيث تكون على هذه الحال لئلا يعرفها قاصصها من الطيور آكلات الحشرات . وهكذا ترى هناك صور حشرات ألوان أجنتها تشبه تمام المشابهة ألوان الأوراق الجافة حتى لا يفتن لها آكل الحشرات . وهكذا بعض الحشرات من أبي دقيق الذي تراه هناك مرسوما على الشجرة وهو لا يتميز من أزهارها التي تلون بلونها . كل ذلك ستره إن شاء الله ولا يسع المقام ذكره هنا . فقال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ﴿ بيان أن هذا معنى قوله تعالى - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إلخ - ﴾

فقلت أليس هذا يكفيك في معنى قوله تعالى على لسان هود - إني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - . فانظر الى التعبير بربي وربكم فهو مرهني هود ومرهني قومه وهو مرهني كل حيوان وحافظه وهو على صراط مستقيم أي هو عدل لا يجرور والجور هنا إعطاء الحيوان ما لا ينفعه أو ما يضره فلأنه أعطى السمك الذي في قاع البحر لون الذي عند سطح الماء فكان في ظهره زرقه مع سواد أو خضرة لامتاز بهذا اللون فتعرض للهلكات ولوأعطى السمك الذي عند سطح الماء ما أعطاه للسمك الذي يعيش في قعر الماء في البحار الحارة التي يكون قاعها مزدانا بحمال الحيوان والنبات لامتاز هذا بلونه البراق البهيج عند سطح الماء فرآه مافوقه من الطيور الصائحات وما تحته من السمك المفترسات . إذن ثبت بالعلم الذي نشر اليوم في أنحاء أوروبا وأمريكا واليابان وجميع العالم الانساني أن هذه الآية يفسرها حكماء الحكماء وعلما العلماء ويضعف عن فهمها أكثر رجال الدين في البلاد الاسلامية الذين لم يعرفوا نظام ربهم واكتفوا بإيمان الجحائز . وهكذا أكثر المتعلمين بمدارس مصر والشام والعراق وأوروبا وأمريكا واليابان فان هؤلاء كالفقهاء في الاسلام والفرق بينهما أن الفقيه يقول هذا فعل الله . وهؤلاء الذين أخذوا شهادات عالية من المدارس يقولون هذا فعل الوسط والبيئة وأن الثلج أثر على ما حوله من الحيوان فأعطاه البياض وأن الرمل في الصحراء أثر في الجمل والأسد فجعل ألوانهما كألوان رمال الصحراء وقد ظهر لك بطلان ذلك كله بالبرهان

﴿ العرش والرجة والعلم ﴾

قد جاء في أول هذه السورة أنه مامن دابة في الأرض إلا على الله رزقها وأن كل ذلك في كتاب مبين وأن عرشه على الماء . وجاء في سورة أخرى - الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فأغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم - فالذين يحملون العرش أي الملك والذين حول العرش هم المدبرون لهذا العالم من العوالم

المجرّدة عن المادّة والعوالم المادّية كأرضنا ترى فيها نفوس صغيرة في أجسام انسانية لترداد علمها وبعضها يرتقى الى أن يصير مع أولئك المجرّدين عن المادّة من الملائكة ويدبرون كتبهم كلّ بقدره . فهؤلاء الملائكة يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون . والتسبيح يرجع لمعرفة أن الله مترفع عن المادّة وما يناسبها وعن سائر مخلوقات . والتحميد لاحقيقة له إلا بادراك الحقائق فإن الحمد إنما يكون على نعمة . والنعمة ان لم تعرف فلا جد عليها . وكلما كان الانسان أولئك أكثر علما كان أكثر جدا . والحمد جاء في اسم سيدنا محمد ﷺ وجاء في قول المصلّي قبل كل مكتوبة ﴿ اللهم آت سيدنا محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته ﴾ فذكر الحمد وتكراره في الصلاة والدعاء كله راجع للعلم فلا جد إلا على علم والمجهول لا جد عليه . فهؤلاء الملائكة يسبحون بحمد ربهم وهم علماء بما جدوا عليه وهم مؤمنون لأن الحمد لا يكون إلا مع ايمان ولكون المؤمنين شاركهم في الايمان العام أخذوا يستغفرون لهم ويقولون - ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما - . فياليت شعري كيف نعلم أن الله وسع كل شيء رحمة وعلما إلا بمثل ما ذكرناه . وتجب من ذكر الرحمة مصحوبة بالعلم لأن الرحيم الجاهل لا يقدر أن يضع الأمور في مواضعها فيعطى السمك الذي عند سطح الماء لون المرقش المزين الذي في قاع البحر الحار فيموت السمك فريسة هذا النقش والتصوير والتزيين ويعطى بجهله الجمل لون الطاووس وكذلك الأسد فيهلك الأول بالحيوانات المفترسة والثاني بفرار الغزلان والبقرة والجاموس والغنم والمعز اذا رأينه في غرض الصحراء . فالرحمة لا تكون إلا مع العلم والرحمة بلا علم حقاقة وهذا المعنى هو المذكور هنا وهو قوله - إن ربي على صراط مستقيم - ولن يكون على صراط مستقيم أي عدل إلا اذا علم طرق المنافع والمضار فأعطى الأول ومنع الثاني . فقوله هناك - ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما - يقرب من قوله هنا - إن ربي على صراط مستقيم -

فقال صاحبي مامعنى قوله في أول السورة - كلّ في كتاب مبين - بعد ذكر أن كل السواب عليه رزقها هل الكتاب الذي كتب فيه كل شيء اطلعنا عليه وأبان لنا شيئا من تلك العلوم . فقلت كتاب الله ولوحه المحفوظ لا يعرفه إلا هو ومن يريد تعليمه ولكن هذا الكتاب له آثار . فقال وماهى الآثار . قلت انظر الى التصوير الشمسى . ألسنت ترى الناس يصوّرون الجبال والأنهار والكواكب والمزارع والحصون بالتصوير الشمسى فيعرفونها معرفة عامّة . قال بلى . قلت فهبل الصورة الشمسية فيها مزايا الأصل من كل وجه . قال . كلا . قلت هكذا هنا ان الله وان لم يطلعنا على اللوح المحفوظ اطلعنا على الصورة المنطبعة في الأرض منه . فهذه الطوائف الحيوانية والنباتية التي قرأت بعضها هنا وفيما تقدّم في هذا التفسير والتي ستقرؤها ان شاء الله في سورة - قد أفلح المؤمنون - اذا درسناها حتى دراستها أرتنا جبال ذلك اللوح المحفوظ فان الاتقان في الصنع بحيث ترى الفأر والأسد والجمل وطوائف الحشرات والسمك كل واحد منها قد أعطى مابه حياته . ذلك كله نظام وترتيب . والنظام والترتيب إنما يكون من العلم . فالعلم والحكمة المنجويان عنا المحفوظان عند الله قد ظهرا في هذا الوجود وبنا أيما بيان لمن يدرسون . أما الذين يعيشون وهم ساهون لاهون مكتفون بقشور العلوم وبما نالوا من شهادات من مدارس عالية فأولئك ربما كان غرورهم بعلمهم القليل يحملهم على انكار ما لم يعرفوا والتظاهر بالانكار ليدفعوا بذلك الانكار والتكبر الخزي والعار أمام الذين يعلمونهم فاذا سئلوا في مثل هذا المقام قالوا هذه أشياء يقتضيها الوسط والبيئة وأحوال الجوّ وهكذا . واعلم أن الله عز وجل حجب أكثر النوع الانساني عن معرفة هذا وأمثاله رحمة منه بهم كما قدّمت في أول المقال ولوأنهم عرفوا ذلك لسكروا ولا نبهروا فكان فرحهم عظيما لكن الله برحمته شغل الناس باطعام أنفسهم وبإلباسهم وبعداوتهم وأعمالهم فهم في شغل شاغل . كل ذلك ليقوى عقولهم حتى يستأهلوا لمعرفة هذا الوجود ولوعرفوه الآن لتأبأت أكثر النفوس فهو هنا حجبها ليقويها ولا يعطيها من العلم إلا بمقدار على حسب

قابليتها . فاذا رأيت زيدا يحقر هذه المسائل فلا تعجب لأنه الآن يربي بالنعم والعز والذل والفقر والغنى لتتربي نفسه في الصيف والشتاء والحريف والربيع فتشتد وتقوى حتى اذا فارقت روحه بدنه استحق من العلم على مقدار ما استعد له . فحجب الناس عن العلم لم يكن بخلا ولكنه يحرمهم منه الى أمد معلوم لمنفعتهم لا غير واذا رأيت نفوسا متعطشة الى هذه المعارف ونالت بعضها فاعلم أنها استحققت ذلك . ذلك هو الصراط المستقيم والحمد لله رب العالمين

﴿ التسييح والتحميد ﴾

استيقظت قبيل فجر يوم الأحد ٣١ يوليوسنة ١٩٢٧ فطرتلى أن هذا الموضوع يعوزه التمام فها أنا ذا ذاكر ما اشرح له صدرى تيمنا للمقال فأقول

لقد علمت أن الألوان جعلت لحياة الحيوان فيما تقدم وفيما سيأتى في سور أخرى فاعجب لذلك واعجب لقوله تعالى - وان من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم - من هنا فليقرأ المسامحون التسبيح والتحميد . التسبيح تنزيه . والتحميد آثار للزم . هذا هو مقصود التسبيح . أمرنا بالتسبيح في صلواتنا وسبحنا في الركوع وسبحنا في السجود في كل واحد (١١) مرة وجدنا في الرفع والاعتدال فقلنا ﴿ ربنا لك الحمد ﴾ وجدنا في أول الفاتحة في كل صلاة فنحن قوم جادون ونحن الذين قيل لنا - فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون * وله الحمد في السموات والأرض - وجاء في سورة يونس السابقة قوله تعالى - وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين - هذا المقام هو سر التسبيح وسر التحميد الذى لانفهمه نحن سبحنا وتسبيحنا لفظى . وجدنا وجدنا لفظى . فاذا لم نتبع اللفظ معناه كنا ضالين . ومعنى الحمد ومعنى التسبيح يظهر في أمثال هذا المقام مقام الألوان . الله أكبر جلّ الله وجلت الحكمة . اللهم انك أنت الذى أبرزت هذه الأشكال الحيوانية الآتية صورها فيما سيأتى وأنت الذى رسمت عليها تسبيحك وحمدك . فبالأول نزهناك عن العبث في صنعك والبعد عن الصواب في خلقك . لقد كسوت الحيوانات أكسية لونها بألوان خاصة فكانت وقاية لها . فألبست الدب في الأقطار الشمالية قباء أبيض وخلعت على الزنبور حلة مزركشة مزوقة براقة يراها الناظرون وحبوت سكان الصحارى من الدواب ألوان رملها وأفضت بنعمك على تلك المخلوقات التى هي في كلاءتك وزينت بعض الحشرات بزينة تشبه زينة حيوانات من نوعها وبهذه المشابهة أوهمت أعداءها أنها لها سلاح كسلاح المشبه به اقتصادا منك في عملك واطمأنت منك بمخلوقاتك ورجة بها خفيتها من أعدائها بمجرد المشابهة اللونية لما له سلاح من نوعها كما سيأتى صور ذلك فيما سيأتى من مجلدات هذا التفسير في محله إن شاء الله . واذا رأينا حشرة كزرق الطير . واذا رأينا طائرا ليليا يسمى (سكانك) في أمريكا الشمالية قد ازدهى لونه وجعل شكله فصار في الليل ظاهرا واضحاً وقد طال ذنبه الأبيض الزاهى الذى هو علم له يرفعه ليعرف . أقول اذا رأينا هذا وذلك فانا نقول اننا نزهنا الله بعقولنا لا بالفاظنا فقط . نزهناه عن العبث أى العبث في وضع هذه الألوان وهذه الأشكال فترى أن شكل زرق الطير للحشرة المذكورة انما جعله الله وقاية لها فليس هذا ازدرأ واحتقارا ولها ولعاب بل الحكمة أصبحت معروفة لنا فان الطير لا يشك في أن هذا زرقة فيصده عنه فيكون هذا الشكل رجة بالحيوان فاذا سمعنا الله يقول - وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا * ذلك ظن الذين كفروا - فذلك لأن الذين كفروا بالله يقولون إن العالم جاء بالمصادفات والامتزاجات وهكذا ظن جميع الجهال وجميع المتعلمين تعليما ناقصا ولكن الذين اتبعوا الأنبياء منهم يؤمنون ويصدقون ولكنهم لا يفقهون الحقائق ويخطر لهم أن هذا العالم باطل ولكنهم يدفعونه بإيمانهم وتصديقهم والإيمان غير اليقين . وهكذا نقول في الطائر المذكور الآتى شرحه في المجلدات الآتية إن شاء الله تعالى . نقول إن هذا الطائر الأمريكى قد أعطاه الله سلاحا وهو أنه ينشر راحته

كريمة بها يدفع كل هاجم عليه فجعل الله هذا الذيل الطويل المهبج الجليل الأبيض ليكون عاملا له يرفعه فتراه الطيور الكواسر فتفر منه ولا تقربه لأنه نشر علمه يقول أنا البطل المغوار أنا الليث الكرار أنا الذي أدفع أعدائي بسلاح عجيب النشأة غريب . قلدني الانسان فاخترع الغازات الخائفة والمعمية فأنا أول من حارب الأمم بالغاز الكريه شمه وأعدائي من الحيوان ليس عندها وقاية تقيا على أنوفها من رائحتي الكريه كما استعمل جيوش الحلفاء أكنة على أنوفهم في الحرب الكبرى وقاية لها من غازات الألمان الذين قلدوني في اختراعي في السبق عليهم في هذه الصناعة . اذا فهمت هذا فهمت معنى قوله تعالى - وان من شيء إلا يسبح بحمده - فجعل التسبيح ملتبسا بالجد وهذا هو الحق فان الحشرة التي على لون زرق الطير قد كتب على بدننها مانصه ﴿ أنا أنزه الله عن العبث في وضعي على هيئة قدرة فلم يجعل هذا عبثا وانما جعله لمنفعتي ﴾ فقول الحشرة إن هذا الوضع ليس عبثا وانه لمنفعتها تضمن التسبيح والجد معا لأن النعمة هنا هي الوقاية من الهلاك والوقاية مرتبطة بهذا الشكل القدر فقذارة الشكل بها النجاسة غي قلنا بها النجاسة نزهنا الله عن العبث وصارت له منة على الحيوان فالتسبيح هنا ملازم للحمد . فهذا هو سر - وان من شيء إلا يسبح بحمده - فالتسبيح هنا مع الجدة لا ينفصل أحدهما عن الآخر . فهذا الشكل أفادنا الأمرين معا تنزيه الله عن العبث وفضله على عباده . ومثل هذا نقول في الطائر الأمريكي فرائحته الكريه التي يطلقها على عدوه هي شيء قدر والله لم يخلق هذا القدر الكريه الرائحة عبثا بل جعله وقاية لمن انصف به فحصل ﴿ الأمران ﴾ تنزيه الله عن العبث في وضع هذا القدر المكروه الرائحة والمنة والنعمة على الحيوان . فالتسبيح والتحميد متلازمان وهذا يفهمنا معنى قوله تعالى في سورة يونس قبل هذه - دعواهم فيها سبحانهك اللهم - الى قوله - وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين - فهذا المقام فتح لنا باب فهم ذلك على قدر طاقتنا البشرية . إن تسبيح أهل الجنة وتحميدهم ليس كتسبيحنا ولا كحمدنا بل هم يسبحون ويحمدون بطريق الالهام كما ورد في الآثار انهم يلهمون التسبيح والتحميد كما نلهم نحن النفس فالتعبير بالالهام يفيد أن ذلك التسبيح وذلك التحميد قد ظهر الآن في هذا التفسير شعاع نور منه فان ألوان الطيور وأشكالها وهكذا كل حشرة وكل حيوان جميعها امتزج فيها التسبيح والتحميد ولكنه معقد غير معقول إلا لقليل من الناس ولذلك قال لنا - ولكن لا تفقهون تسبيحهم - إن تسبيحهم مندرج في حمدهم . إن هذه العوالم كلها عبارة عن كتاب كتبه بيدي يدل دلالة أوضح من دلالة ماتكتبونه بأيديكم وماتلفظونه بألسنتكم ولكنكم تقصرون عن ادراك ذلك وأنتم في هذه الأرض ولا يفهم بعضه إلا أناس اخترتهم لذلك وهم الذين قلت فيهم - انما يخشى الله من عباده العلماء - ولايتهم الفهم إلا بعد الموت لأولى الأبواب ولذلك جعلت تسبيح أهل الجنة مفصولا عن حمدهم والتسبيح على قدر التحميد أريد بذلك أن المعاني المعقدة عليكم والمعاني الخجوة في هذه الصور والأشكال التي هي حروف وكلمات التي خفيت عليكم وأنتم هنا فلا تفهمونها هي التي ستظهر لأهل الجنة فيعقونها بطريق الالهام فتفصل لكم الأشياء تفصيلا كما فصلت الجدة هنا عن التسبيح بحيث تعقلون جمالي وقد قويت أرواحكم فحلت ذلك فصارت في لذة لا يحلم بها ولا يقدر على تحملها أهل الأرض . هذا تحقيق بعض المعاني في قوله تعالى - ولكن لا تفقهون تسبيحهم - الممزج بالتحميد بخلاف أهل الجنة إذ يسبحون ويحمدون بالفهم والعقل لا بمجرد اللفظ كما تفعلون . هذه هي المعاني التي خباها الله في صور الحيوانات التي تعيش بين ظهرائنا فهو آخذ بناصيتها وهي أنفسها تسبيح وهي أنفسها حمد ونحن اليوم لانقلها وسنقلها بعد الموت . واعلم أن هذا التفسير فتح لباب هذه المعاني وسيكون في هذه الأئمة حمادون ومسيحون بطريق العلم والحكمة ويكونون نورا للناس وتكون هذه العوالم في نظري جنة عرضها السموات والأرض وأي جنة وأي لذة أبقي وأرق وأعلى من الوقوف على الحقائق التي ستكون نورا لنا في هذه الدنيا ويوم

القيامه نهتدى به لعلوم أعلى والعلوم هي حقائق التسبيح والتحميد

إذا علمت هذا علمت كيف أمر المسلم بالاكثار من التسبيحات والتحميدات بكرة وعشيا . ولماذا يقول ﷺ لفاطمة رضي الله عنها لما سألته خادما كما في البخاري ﴿ إذا أخذتما مضاجعكما فسيبعا ثلاثا وثلاثين واجدا ثلاثا وثلاثين وكبرا ثلاثا وثلاثين ﴾ ثم ذكر أن هذا خير لهما من خادم . أليس ذلك معناه أن العلم هو الالفة القصوى . فإذا كان الخدم لراحة بدن الخدم ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ إذا كانت الحياة فيها لذات كالبقاء فيها وكذلك بالمال والخدم والخشم فإن هناك ما هو خير لسعادة الانسان وهي ادراك الحقائق الذي دخل تحت التسبيح والتحميد والتكبير وذلك كله مخبوء في العوالم التي نشاهدها أمثال هذا الطائر الأمريكي وهو بدن مركب من أجزاء أو كلمة مركبة من حروف دلت على معان لا يفهمها إلا الخاصة ولا يفهمون منها إلا قبلا وفهمها هو عز الدنيا وعز الآخرة وسعادة الروح وسعادة البدن وهذه الكلمة من كلمات هي المذكورة في قوله تعالى - قل لو كان البحر ممدادا لكانت ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا - فهذا الذي أخذت تقرأ في هذا التفسير بعض كلمات الله في اللوح المفتوح أمامك وهو هذه الدنيا وأكثر الناس حولك لا يعلمون والحمد لله رب العالمين

﴿ المتعلمون تعلما أوروبا في الشرق يجولون حقائق العلم في أوروبا وفي الاسلام ﴾

تبين لك من هذا المقال في تفسير قول هود - إني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها الخ - أن كل دابة لا تعطى لونا ولا شكلا إلا لمنفعتهما بحسب الاستقراء حديثا وهاك ما كتبه العلامة (روبرت برون) في كتاب موسوعات العلوم المتقدم ذكره قال مترجمته في صفحة (٢٨٤) من المجلد الثاني (لقد كتبنا في مقال سابق من صفحة (١٢٨) الى صفحة (١٨٧) أقول هي المقالة التي استخلصنا بعضها هنا وستمذكر فيما بعد) في الألوان الحافظة للحيوان واجتهدنا أن نلقى شماعا من العلم ووضح الحقيقة في المقصود من هذه الألوان الخاصة وفي أصولها من حيث انها بها يحتفي الحيوان عن أعدائه الآكلات له وعن فريسته التي لا بد له من اصطيادها . ولقد أبنا هناك كيف كان موضوع الألوان متنسعا متشعب الأطراف في الطبيعة وكيف ان ما كان يظهر للناس من الألوان انه للزينة والازخرف (١) حينما كنا نبحت الحيوان وهو محبوس في أقفاصنا (يريد أمثال الطاووس) (٢) وحينما نلاحظ صورته في دار التحف) ظهر الآن انه خطأ محض وضلال مبين لأن تلك الألوان جميعها لحفظ كيان الحيوان والمحافظة عليه اذا درسناه وهو في وطنه الأصلي أورأبناء وهو جائم للاستراحة وقد اتخذ شكلا به ينجم من خطر الهجمات . انتهى بإيضاح قليل

وهذا القول يفيدنا فائدتين ﴿ الفائدة الأولى ﴾ ان الناس في غفلة معرضون عما حولهم وأن المتعلمين في بلاد الشرق الذين قرؤوا لغة أولفتين مع بعض العلوم هؤلاء هم كأكثر فقهاء الاسلام هؤلاء ممن قال الله فيهم - وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون - أما ظن هؤلاء المتعلمين تعلما أوروبا فانه اتجه بغرور الى أن ما أخذوا فيه شهادة من مدارس أوروبا هو العلم كله وهم في الوقت نفسه يجهلون حقائق العلوم عند الأوروبيين فأكبر علمائهم في العلوم الطبيعية قد رأيت الآن نص ما نقلته عنهم وانهم يعيرون الذين يكتفون من الحيوان بظواهره ولا يعقلون حقائقه . وأما ظن الفقهاء فظاهر انهم يتركون النظر في هذا العالم ظانين انهم عرفوا كل شيء فالأقوالون منهم كفروا اقله علمهم والآخرون جهلوا ما يطلبه الايمان ولأن الطائفتين كانوا غير محدوعين لرسوا وحققوا فالكفر في الأولين للغرور والجهل في الآخرين للغرور وهاهي ذه علوم أوروبا التي نقلناها عن حكمائهم في عصرنا فأعداء الشرق هم الفقهاء الغافلون ومتعمسو العصر المغفلون فالفقهاء بادعائهم نصر الدين قد هدموه وهم غافلون والمتعلمون تعلما أوروبا يتركهم الدين واحتقارهم كل دين أعربوا عن جهلهم بعلوم ساداتهم في أوروبا . ويقول الله في

الطائفتين - فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون - وهذا تمام الفائدة الأولى ﴿الفائدة الثانية﴾ ان هودا عليه السلام كان يناوئه قومه ويمادونه وهكذا سائر الأنبياء فهؤلاء كلهم قد آذتهم أمهم فقال لهم هود أنا لا أخاف منكم - إني توكلت على الله ربي وربكم - واحتج على ذلك بدليل وهو أن الله آخذ بناصية كل دابة فان وقع في مكروه فهناك أحد ﴿أمسين﴾ إما أنه يشجيني منه وإما أن ذلك المكروه يكون سببا في ثواب الآخرة كما قال تعالى على لسان نبينا ﷺ - قل هل ترصون بنا إلا إحدى الحسنيين - بفعل النصر حسنى والقتل في سبيل الله حسنى وهذا هو معنى التوكل أى ان الانسان يجتهد في عمله والنتيجة تسلم لله وتكون هي خيرا للانسان بحسب حاله كما اننا رأينا الطائر الأمريكى قد جعل المكروه من راحته والمحجوب من شكله الزاهى الزاهر كلاهما لحفظه وكما رأينا تلك الحشرة التى شكلها شكل زرق الطيور قد جعل ذلك الشكل القبيح لوقايتها فهنا قبيح وحسن لوقاية الحيوان وقبيح خالص لوقايتها أيضا هذا هو الذى يقصده هود عليه السلام . يقول إن الله تكفل بالحيوان وجعل المكروه والمحجوب لمنفعته فيها أناذا أتوكل على الله وأقول ان المكروه والمحجوب نافعان لى والشر كالتحير لأن النتيجة هي الفائدة لى وربى الذى رأينا جعل المكروه والمحجوب نافعين للحيوان هو نفسه الذى قدر لى المكروه والمحجوب . فبالقياس على الحيوان يكون المكروه كالمحجوب فالأول للذئ فى الحال والثانى للذئ فى الاستقبال وهذا هو قوله - إن ربي على صراط مستقيم - اه

﴿زيادة ايضاح - إن ربي على صراط مستقيم -﴾

انه يريدنا على صراطه المستقيم وهو يهدينا الصراط المستقيم كما قال تعالى - وانك لتهدى الى صراط مستقيم * صراط الله - فقول المسلم - اهدنا الصراط المستقيم - يريد صراط الله الذى له مافى السموات ومافى الأرض وأن الله الذى له مافى السموات ومافى الأرض يديرهما بالقسط والعدل فيجعل الفأر أسود والزنبور أحر والطائر اللبلى الأمريكى فيما تقدم أبيض ذا ذيل طويل والحية والضب بلون الرمال ولا يجعلهما كالطاووس وهكذا مما لا نهاية له يفعل ذلك على صراطه المستقيم فلو عدل عن هذا الصراط لفنيت الفيضان بظهور ألوانها ليلا ولولم يعط الزنبور حلقته البراقة الدالة على ماله من سلاح طجعت عليه الطيور الآكلات للحشرات وهكذا مما علمته . هذا فتح لنا سر القضاء والقدر . القضاء والقدر سرهما محجوب عن الناس جميعا لأننا فى الأرض محبوسون وما أوتينا من العلم إلا قليلا وليس ذلك بخلا من الله كما لم يكن منع اعطاء الفأر لون الطاووس بخلا منه بل ذلك منة منه وفضل ولكن ماذا كرهنا هنا فيه بصيص من نور ذلك السر ذلك أنه جاء فى سورة الأنعام - سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أتمم إلا تخوضون * قل فته الحجة البالغة فأوشاء لهذا كم أجمعين - الله أكبر جل الله وجل العلم وظهر بعض السر وأذن الله بارتقاء المساميين وبعلمهم فى العلوم . إن هذا التفسير منحة من الله . ذلك أن أبواب العلم اليوم قد فتحت ومن أجلها ما ذكره فى هذا المقام . ذكر الله أن الذين أشركوا سيحتجون بالقضاء والقدر على صاحب الرسالة ويقولون اذا كان كل شئ بمشيئة الله فلم هذا الوعيد والانذار على الكفر والذنوب ومنهم أكثر المتعالمين اليوم والجهلاء فأجابه أولًا بالتهديد بأنهم يذوقون البأس كأمثالهم من الأمم وثانيا يصفهم بالحرمان من العلم ولو كان عندهم علم لهداهم والعلم شئ والظن شئ فالعلم اليقيني هو النظر فى هذا الوجود والنظر به يكون اليقين الذى انصف به الخليل وهذا اليقين انما يكون بمثل النظر فى أنواع الحيوان المذكورة . إن الناس فى مستقبل الزمان سينالون حظا عظيما من علوم الحيوانات وغيرها وهناك يدرسون بالعلم والحكمة أن الله لم يعط حيوانا لونا ولا شكلا ولا هيئة إلا جعل ذلك نافعا له وعند التحقق من هذا

يزول الاعتراض بالقضاء والتقدير لأن القبح والحسن وغيرهما كلها لمنفعة نفس الحيوان فهذا هو العلم وهذه هي الحجة البالغة التي كتبها الله لنا بخلق صور الحيوان ولست أقول لك أن هذا كل الحجة بل هو فتح لبابها يحجب الله كل سائل متكل على القضاء والتقدير بأن العلم هو الذي يستره صراط الله المستقيم ومتى علم الناس أدركوا بعض حجة الله البالغة وأي حجة أبلغ من خواص الحيوان ومجائبه

ظهر مما تقدم وما سيأتي في سورة المؤمنون أن كل حيوان يجب أن يكون على ما هو عليه ولا هلك فهمنا أمور ﴿ الأول ﴾ أن لكل حيوان شكلا ولونا لا يصلح لغيره ﴿ الثاني ﴾ أن هذا هو العدل وسواه ظلم لأنه يترتب عليه هلاك الحيوانات ﴿ الثالث ﴾ أن النقص لا فرق بينه وبين الكمال والحسن والقبح كذلك فكل ذلك لبقاء الحيوان فيكون نقصه بالنسبة لغيره كمالا بالنسبة له . هذه هي حجة الله البالغة هدانا الله الى أوائلها في هذا التفسير . هذا صراط الله المستقيم فكيف يكون صراطنا نحن في قوله لنا

﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾

قد علمت أن الله يقول لنبيه ﷺ - وانك لنهدي الى صراط مستقيم * صراط الله الخ - فصراطنا هو نفس صراط الله ولكن صراطنا على حسب أحوالنا ﴿ أولا ﴾ أن نعلم أن ما يحصل لنا من الحوادث وزاها نقصا لنا أو ضررا نتيجه المنفعة لنا قياسا على الحيوان الذي عرفتنا كيف كان الله على صراط مستقيم ﴿ ثانيا ﴾ أن نذكر الإفراط والتفريط في الأمور ونكون وسطا في كل شيء في الكلام والأكل والحب والبغض وهكذا وهذا ملخص علم الأخلاق ﴿ ثالثا ﴾ تزيد علما حتى توقن أن ما أصابنا من مكروه فهو نعمة علينا كما أن سواد الفأر نعمة عليه بل الذنوب التي تورثنا ندماء ربما كانت سبب اشراق قلوبنا فاذن لا يكون فرق بين المرض الجسمي والمرض الديني وهو الذنب في أن كلا منهما قد ينير العقل ﴿ رابعا ﴾ أن نكون حكياء فلا نقول كلمة أو نعمل عملا إلا اذا وزناه كما رأينا الله وزن الألوان والأشكال ولم يعطها إلا لأربابها فلا يحق عنده ولا هو حائد عن الصراط المستقيم اهـ

﴿ بهجة الأنوار في عجائب الحيوان ﴾

يظهر لي أن هذه الدنيا لانهاية لمجائنها ولا غاية لبدائنها . هاأنذا ألمعت الى ماستقرؤه في سورة - قد أفلح المؤمنون - من عجائب الألوان في الحيوان وبعد ما كتبت ذلك عثرت على أمر يدهش العقل ويحير القلب ستقرؤه في سورة الرعد عند قوله تعالى - وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب - ستري هناك أمرا عجبا . ذلك أن من النبات ما هو مفترس لا يتغذى من التربة ولا يتعاطى خلاصة النبات كالغزلان والجمال بل لا يأكل إلا اللحم أو الحشرات وله طرق خاصة لصيد فريسته ومنه ما يسمى (بالنبات الجزار) لأنه متى وقعت فريسته في قبضته لم تغفل منها بل يفترسها وسلاحه في ذلك ﴿ أسران ﴾ حسن ألوانه مع الجمال ومقدار من العمل موهوب له من الله . فهذان أعطيا له ليكونا سببا لخداع الحشرات فتسرع اليه فتكون غذاء وهناك ترى صور تلك النباتات وشرحها

أليس هذا من قوله تعالى - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها - . أخذ الله بناصية هذه السواب النباتية اطلع عليها فعلم أنها لا قوة لها لتنتقل بها من الأرض . فماذا فعل لها . أمر الحشرات أن تطوف حولها وأعطى هذه الدواب المذكورة من نعمه عسلا ومنظرا حسنا ليكونا سببا في دخول هذه الحشرات في المذبح فلا تخرج منها وانما تدخل في ضمن غذاء ذلك النبات . اللهم إنا نحب من صنعك وحق لنا أن نحب . أخذت بنواصي كل دابة . يعيش أقوام ويموتون من أهل الأديان ومن الملحدين وأكثرتهم يغفلون لا يفتنون . يسمعون أن ذلك النبات يفترس الحيوان فيموتون عليه من الكرام فلا المتدين يدهش لذلك ويكون سببا في بحثه وسعادته وجمال العلم في قلبه ولا الملحدين يعقل كيف خلق هذا وكيف سهلت له الأسباب

حتى حظى بغيائه بدون انتقال وعذب الانسان والحيوان في طلب الرزق ولم كان البذل مقدرًا بمقدار الحاجة عجز النبات الحيواني عن السعي فأرسل له ما يأكله بحيل خلقت فيه وأعطانا وأعطي سائر الحيوان قوة فأبعد مطالبنا على مقدار قوانا • اللهم انى أعجب لهذه الدنيا اختلفت أعمالها واتفق نظامها

﴿ حياة الأرض ﴾

ثم إنى اليوم نظرت فيما قاله العلامة (مترلنك) الذى أبدع في حياة النحل وألف في حياة (الأرض) على وزن بقرة وهي دودة عمية ويسمون هذا النوع بالخنل الأبيض أو الخنل الأعشى والحقيقة أنها ليست بخنل ولا هي بيضاء بل لونها جمع بين البياض والكدره وهو (الأغبس) من الغبس وقد عرفته ﴿وبعبارة أخرى﴾ لونها لون الأرض التي تعيش فيها وهي الآتية إن شاء الله في قوله تعالى - ماد لهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته الخ - في سورة سبأ فأجبت أن أوجز في وصفها ليزداد علمنا بقوله تعالى - مامن دابة إلا هو آخذ بما نصبتها - يقول هذا العالم ان هذه الدابة عاشت قبل الانسان مائة ألف سنة وهذا بحسب ظنه وظن علماء زماننا • ويقول ان حضارة هذه الحشرة أقوى من حضارة الخنل والنحل وقد درس هذه الحشرة علماء مثل (كونج) و (هنرى سميثان) وغيرهما من فطاحل العلماء وهو حيوان يتراوح بين (١٠ و ٣) مليمترات طولاً وأغلبه لا يكون له أجنحة وهو بطيء الحركة ولا يعيش في غير البلاد الحارة ولا يرى الشمس ثلثا يموت ولا يعيش إلا في الرطوبة وهو أنواع كثيرة فنه ما هو بناء يقيم هضاباً فوق الأرض ومنه ما يعيش في العراء ويمشي بين صفتين من الجنود يحتمى بها من الأعداء ومنها ما يفتك بالأشجار وقد تكون مساكنها تعلو فوق الأرض أربعة أمتار ومحيط قاعدتها (٣٠) قدماً كأنها قلب سكر ومنها ما يبدو كالقناطر نصبت فوق أعمدة متعوجة وقد يستطيع الفارس أن يمشى من تحتها • ومن مساكنها ما شوهد في أفريقيا الوسطى ولا سيما في (كنفو البلجيكي) حيث يبلغ العلو من ستة أمتار إلى ثمانية أمتار • ومن عجب أن هذه الحشرة يظن العلماء أنها قد أعطيت علماً بالكيمياء لم يعرفه الناس فانها تعيش في أصقاع لا أثر للماء فيها ولا للحياة يقولون انها ربما أخذت (الأوكسوجين) من الهواء وجعته الى (الاوروجين) الذى تجده في غذائها النباتي ليكوّن منهما الماء • ومعنى ذلك انها تقدر أن توجد الماء بطريقة كيميائية عجز عنها الناس في الأرض • وهذه الحشرة لها ملكة كما للنحل سترى رسمها ان شاء الله في سورة سبأ وبجانها الملك فهي تملأ اليد وهو كالأنملة وحولها الضباط المحافظون على حياتها والكشافه الصغار المحيطون بها وهناك الذين يطعمونها عند فمها والذين يتلقون بيضها عند مؤخرها ثم انها لا تقوم من مرقدتها حتى آخر أجلها وهناك جنود وعمال والجنود والملك والملكة لا يتعاطين الطعام إلا مما تعطيه لهن العاملات اللاتي تشبه من النحل العاملات فيه وهي الشغالة ومن عجب أن تلك للمملكة العظيمة يقوم بها الملك والملكة والجنود في الظلام وقد تفتك بالأشجار والمنازل والملابس والقرى ولولا الخنل ومحاربتة لما لأهلكت الحرث والفسل وأخرت كثيرا من بلاد نوع الانسان • ومن عجب أن هذه الدولة يترقى تحت اشرافها وفي مدينتها في الظلام جماعات كثيرة ذوات عيون وأجنحة • فاذا ولى الخريف ودنا موعد المطر وتلك المخاوفات لم تزل في تلك القرية المحكمة السد المسدودة السكوى الكثيرة الجنود ذوى القوة والبسالة اللاتي يبلغن خمس عدد القرية • هنالك يحصل أمر عجب لا يدري من أين جاء فما هو إلا أن يرى الانسان هؤلاء الجنود (الذين وقفوا على الفتحات التي تأتي بالهواء ليلا ونهارا لا يتركون موقفهم لحظة طول السنة) قد تخلصت عن أماكنها لحظة واحدة في كل باب وخرجت آلاف الآلاف من تلك المخوفات ذوات الجناح والبصر خرجت هذه المخوفات فرحات اذا هناك جماعات يعلمن وقت خروجهن من العنابر والحبات والحررة والكلاب وسائر الحشرات لاسيما الخنل فتتجه على هذه الفرائس التي خرجت في الجو كالقوارض لأنها قد أعطيت قوة الذكورة والانوثة بخلاف التي في المدينة فان الذكورة والانوثة

فيها قد صارت آثار الاعمال لها . فهذه العرائس تمتك بها هذه الجيوش التي حضرت لتقتات منها وهكذا بنو آدم يحضرون ويقسمون تلك الغنيمة مع الحيوان فيجتمع الانسان ما يراه بالمجرقة ويأكله بعد التحميم أو ينجته بالسكر فيصير كاللوز ويبيعه في السوق كما في جزيرة (جوه)

هذا ما أردت ذكره من هذه الأرض التي لا تبقى ولا تدرك حتى انها فعلت ملاحظه من عجائب التخريب فقد تأتي على الشجرة الكبيرة فتأكلها ويبقى هيكلها كما هو فإذا جلس أحد بجانبها وانكأ عليها انهارت ووقعت كأنها دخان وذلك لأنها تحاذر أن يكون التلف ظاهراً فهي تأكل جميع ما تحت القشر وترققه ولها كثير من العجائب عسى أن أذكرها هناك في سورة سبأ إن شاء الله تعالى . وههنا يأتي العجب فنرجع الى الفكرة العامة في هذا الوجود

﴿ نظرتي في هذه الدنيا ﴾

أرجع فأذكر لك أيها الأخ فكرتي أيام الشباب فقد كنت أقول . هذا الوجود ان كان منظماً فله إله وإن لم يكن منظماً فليس له إله . وصرت أقول في نفسي ان هذا الوجود اذا كان بصنع مبني على تدبير وحكمة فأننا معاشر الأحياء نكون سعداء . وإذا كان هذا الوجود عبارة عن مصادفة عمياء فالحياة هباء لا قيمة لها

فما اطلعت على ما رأيته في هذا الكتاب وغيره ظهر لي ما يأتي

لقد تبين لي من صانع هذه الدنيا أنه عمده الى المادة وعلم أنها قابلة لما لانهاية له من الصور والأعاجيب فتأنفج وابتدع كل وسيلة لساوغ النهايات المختلفة من الصور . فبينما نراه قد خلق حيواناً يأكل الحيوان والنبات إذا به قد خلق نباتاً يأكل من الحيوان ويأكل من النبات كما تقدم . ألا نراه قد جمع بين الضدين أكل وما كول ويظهر لي أنه كما سحر عقولنا بما خلق من النبات الذي يأكل الحيوان وهو لم ينتقل من مكانه سحر عقول عوالم أخرى بخلقنا نحن إذ جئنا نحن في الأرض وفيها المتناقضات . فنحن نحتاج بعضنا لبعض في الشرق والغرب وكل لكل محارب فإذا اطلعت عوالم أخرى علينا أدهشها هذا الصنع الغريب فيقولون قوم يحتاج بعضهم لبعض وهم يقتتلون كيف يعيشون . وهكذا يرون فينا أفانين الأخلاق وبدائع المدينيات واختلاف الديانات . وكيف كان فينا من لا يعقل إلا شهواته . ومنا من يدرس الدنيا كلها وهكذا فيجربون من متناقضاتنا عجبنا من تباينات الحيوان والنبات

هنا فيما نراه حولنا من هذه الدنيا والمادة التي نعيش فيها وفي أحوالنا العامة . فأما أجسامنا نحن وعقولنا فأمرهما عجب . فعل الله بها ما فعله بالمادة وبالحيوان والنبات . وذلك أنه كما عمده الى المادة خلق منها مادق من اللرات وما عظم من الجبال وهكذا الصلب والصخر ثم الماء والنور . وكذلك خلق الموز والحنظل والخنزير والمر . أعني أنه استخرج من المادة كل ما يمكن حصوله منها . هكذا نراه خلق فينا المتضادات الصغر والكبر والعز والذل والصحة والمرض والحزن والفرح

هذه هي صفات أجسامنا صفات تدل على أنه استخرج من أجسامنا وأرواحنا كل ما أمكن حصوله منها فهي تفرح وتحزن وتمرض وتصح وتضعف وتقوى . إذن أجسامنا أشبه بالأرض فهي مزارع فسكا زرع في الأرض الخلو والمر زرع فينا المحبوب والمكروه وكأنه سبحانه رأى من العدل أن يعطينا بكل ما نستعدله أي أنه يفهمنا كل ما نستعدله أجسامنا وأرواحنا هذا هو فعل صانع العالم يستوى عنده محبوبنا ومكروهنا كما استوى عنده المر والخلو في الأرض والصلب واللين في المادة والهواء والصخر . إذن صانع هذا العالم يريد أن يستخرج فينا كل شيء كامن في استعدادنا أسوة بالمادة التي نعيش فيها . هذا هو النظام الذي رأيناه منذ عشنا في هذه الأرض

﴿ إذن مانتيجه هذا النظام ﴾

نحن الآن في الأرض قد حبسنا فيها وليست عقولنا هي المسيطرة لأنها محبوسة وإنما يمكننا أن نتلمس الجواب مما عرفناه في هذه الطبيعة . لقد جاء لنا وحي الديانات كلها بأن هناك عالم الآخرة وعالم الآخرة تظهر فيه أرواحنا بمظهرها الحقيقي والذي جاء في الدين كلام اجمالي ونحن الآن نبحث في طباعتنا فنقول لعل هذه الأرواح اذا خرجت من الأجساد ينفعها أنها ترى مزرعة الفرح والحزن والألم واللذة التي ابتليت بها في الدنيا فيكون ذلك لها درسا . ثم ان حيوانات الغابات تقل عندنا الأمراض والشروا التي ابتلي بها الانسان فكان كثرة العطب تتبع الرقي والا لكان الحيوان أرقى من الانسان . وكما اننا في الدنيا تسرنا دراسة المرء والخلو والغذاء والدواء ونرى في ذلك لنا حكمة . هكذا اذا متنا واطلعنا في نفوسنا على ما قاست من ألم وما أصابت من لذة . وهكذا ما أحسنت من خير وما أساءت من شر . كل ذلك ليظهر لها مزارع ومناظر تتأملها النفس فتري في ذلك درسا يعينها على رقي آخر في عوالم أخرى . ولعلنا اذا لم نجرب الخير والشر والضرب والنفع والصحة والمرض هنا نجد أنفسنا في نقص هناك ونحس بجهد عميق لأن الروح لم تدرس نفسها ولم تفعل ما كمن فيها فتكون إذن جاهلة بحال نفسها وهذا الجهل يضرب بها هناك . وربما كانت بعض النفوس ستتولى ادارة بعض النفوس أو العوالم بأمر الله تعالى كما قدمناه في بعض هذا التفسير عن العلامة الرازي واخوان الصفاء وعاماء الأرواح في أوروبا فربما كان اتصاف الانسان بالآلام واللذات يعطيه فهما لما يتصرف فيه باذن ربه فهنا حالان للنفس مكروه ومحبوب كالمرض والموت والصحة والحياة فالذي ظهر لنا أن صانع العالم لما له من العلو والعظمة والكبرياء والبطش الشديد مع الرحمة التي لانهاية لها . قد خلقنا ولم يبال باحساسنا بل نظر نظرة إلهية لانظرة يجارى بها حواسنا وعواطفنا . خلق الحواس والعواطف لأعمال في الحياة ولكنه هو نظر الى ما هو أسمى . فانظر ماذا ترى . تراه يتلطف بالجنين في بطن أمه ويعطف عليه قلب والده ويخلق له اللبن ويحبب فيه المعلمين ويخلق الزراع والتجار والجنود . كل هؤلاء للحفاظ بالرحمة . ونراه يتلطف مع (النباتات الجزار) المتقدم فيعطيه العسل خاصة ويحمله لونه ليكون ذلك بابا لرزقه وفتح عليه . هذا لطف عظيم ولكنه يأتي بعد ذلك فيقلب الوضع فيأتي للنبات من يقلعه وللانسان من يقتله أو هو يموت فأين هذه الرحمة والعطف . إذن نقول نقيس ما غاب على ما شوهد ونقول اذا قتله أو أماته فمعناه انه جعله في مكان آخر بحال أخرى ثم أتبعه بالرحمة التي كان يكاؤه بها في الدنيا واذن نقول . بهذا نفهم الحديث الوارد في الرحمة وانها مائة جزء وقد ادخر الله منها تسعا وتسعين في الآخرة وأعطى واحدة لأهل الأرض بها يتراحم الانسان والحيوان حتى ان الفرس ترفع حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه . هذه الآراء التي لاحظناها في هذا الوجود هي التي قد خبئت في قوله تعالى - ونبأكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون - أي اننا استخرجنا منكم كل ما كمن فيكم من الشر والخير كما استخرجنا من المادة كل ما كمن فيها ثم انكم ترجعون الينا وقد عرفتم ما فيكم من الصفات علما لاتشوبه شائبة لأن أعظم العلم ما كان باحساس الحي نفسه وتجربته هو نفسه . ويظهر لي أن نوع الانسان لا يكمل إلا اذا بلغ في العلم مبلغا به يستوى عنده الموت والحياة تبعاً لسنة صانعه هذا هو الحق . أما الانسان اليوم فهو لا يزال جهولا كفارا . إذن عمل الله تعالى هكذا

(١) أب وأم (٢) زراع تجار وأطباء (٣) حكومات (٤) معلمون (٥) منافع عامة في المحاولات الحيوانية والنباتية وغيرها (٦) أعداء محاربون (٧) فروضه ومرض (٨) اضطراب (٩) جهل (١٠) الأساد والحيوانات الذرية للحي والطارعون والموت هذان الجدولان وان كانا ليسا كاملين قد تناوبا على الانسان فهو حي ميت سعيد شقي مريض صحيح . واذن الله تعالى من رحمته التي هي أعلى من احساسنا قد أحيانا وأماتنا وأتى لنا بالتناقضات وهذا

انما جاء من طريق الوحي . أما من جهة العقل فهو من طريق التمثيل والقياس فكأننا نقيس ما غاب على ما شوهد لأن علومنا ناقصة لنقص هذا العالم الذي نعيش فيه بالنسبة الى غيره

﴿ شرف درس الحيوان ونظام الدنيا ﴾

أما في الآن كتابان من كتب الفرنجة أحدهما ﴿ مملكة الظلام ﴾ المسمى أيضا حياة الأرض المترجم حديثا الى العربية الذي ذكرته قريبا ومؤلفه (مترلنك) والثاني كتاب ﴿ موسوعات العلوم ﴾ باللغة الانجليزية للعلامة (روبرت براون) المتقدم ذكره . وفي الأول ماملخصه ان النحل قد يترك عادته القديمة فيدرك فائدة ما يصنعه الناس من أقراص الشمع ليضع فيها العسل فيختص إذن بعمل العسل وحده وهكذا نراه اذا نقل الى (أستراليا) أو (كاليفورنيا) إذ يجد نفسه في صيف دائم ويدرك أنه لا يحرم أبدا من الأزهار فيكتفي بكسب قوته اليومي ولا يصنع العسل . هكذا اذا وجد ما يعتاض عنه كما في مصانع السكر ثم يقول ان النحلة عندها حاقة تضاد ما عرفت من تعقل النحل وذكر من ذلك أنها تخزن من الحب ما يزيد عن حاجتها فاذا جاء المطر نبت ذلك الحب فيعلم به الفلاح فيهدم القرية الخ ثم قال هل النمل أقل ذكاء من النحل لاشئ مما نعرفه عنه ثبت ذلك وربما كنا قاصرين عن فهم حاله لأن درس القرية أصعب من درس القفير وأصعب منهما درس الأرض . ولا يخفى ما في هذا الدرس من الأهمية لأنه متى عرفنا سليقة الحشرات وحدودها وعلاقتها بالذكاء (وبالعقل العام) سهل علينا فهم سليقة أعضاء جسمنا التي تحتفي فيها أسرار الحياة والموت . انتهى

وهو قد وضع في موضع آخر من الكتاب أن الحشرات في تقلبها وتصرفها ونظامها بحكمة وانتظام الجنود والعمال والملك والملكة مع كثرة الأعداد بما لاحصر له لاسيما في حشرة الأرض المتقدمة لا يمكن ذلك إلا اذا كانت تلك الجوع أشبه بأعضاء لجسم واحد كما أن أعضاءنا كلها متحدة معا مرتبطة غاية الأمر أن جسمنا مندج وجسم تلك الحشرات منتفش متفرق في الهواء النقي . هذا ما قاله الأول

وجاء في الثاني في المجلد الأول منه صفحة ١٨١ ما رجته أن في أجسامنا من الوظائف والأعمال وأنواع الاحساس عجائب وغرائب مدهشات ولكن لما كنا معتادين عليها أصبحت لا تستلفت النظر ولا تهش العقل فان المؤلف يظن أنه معروف لاعتياده والدأب عليه . وانما الذي يلفتنا لغرابته هذه الأعمال في أجسامنا والاحساس في ادراكنا إنما هي المواهب العلمية الخاصة فهي التي تدفع ما أسدلته بد العادة على عجائب أعمالنا واحساسنا من الأستار وتوحى اليها جمال أنفسنا وغرائب أجسامنا وبدائع تركيبها بطرق الملاحظات والتفكير فيما حولنا وما يحيط بنا من العوالم

ثم قال . ان دراسة العوالم التي تحيط بنا أسهل تناولنا من دراسة أنفسنا . إن دراسة أنفسنا جسما وعقلا قد عجزت عن إيقافنا على بعض من عوالم المسائل المادية والعقلية . أما دراسة العوالم المحيطة بنا فهي نبراس لدراسة أنفسنا الخ

فهذان النصان المتطابقان يرجعان لغرض واحد وهو أن دراسة هذه العوالم المحيطة بنا نعرفنا دراسة أنفسنا . فاذا درسنا النباتات والحيوان وفهمنا قوله تعالى - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها - ودرسنا نظير ذلك في أول السورة وقرأنا علوم الأمم في هذا المقام فاننا نكون إذ ذاك قد فهمنا لماذا قدم الله العوالم الأرضية على النفس في قوله تعالى - وفي الأرض آيات للموقنين * وفي أنفسكم أفلا تبصرون - أفلا تعجب معي أن أن يكون علماء أوروبا يقولون هذا القول وهو نفس القرآن . يقدم الله النظر في الأرض على النظر في النفس ويقول علماء أوروبا نفس هذا القول . يقولون ان درس الحشرات يعلمنا علم وظائف الأعضاء ويقولون ان دراسة العوالم المحيطة بنا نعرفنا دراسة جسمنا . الله أكبر جلل العلم وجلت الحكمة وأشرق

﴿ لطيفة ﴾

ها أنت ذا رأيت حشرة الأرض وانها تعيش في الظلام . أليست هذه الظاهرة من العجائب التي تقرب لنا حال الأرواح الشريرة في الآخرة . هذه الأرض تعيش في الظلام لا ترى النور وهي محبوسة عاملة ناصبة وإذا قايسناها بالطيور كانت الآخرة أشبه بمن في الجنة والاولى أشبه بمن في النار . أنظر الى هذه الدنيا كيف كان الفرق بين حال حشرة الأرض وحال الملة أو الطيور كالفرق بين الحياة والموت فإذا كان هذا الاختلاف في أرض واحدة صغيرة فكيف يكون الاختلاف في عالم الآخرة بين عوالم كثيرة اه

﴿ فائدة هذه المباحث في آيتنا وهو قوله تعالى - إني توكلت على الله - ﴾

اعلم أن ما تقدم به نعرف نظام هذه الآلة فهو يقول - توكلت على الله - والبرهان على أنه جدير بتوكلي انني رأيت أنه أخذ بنواصي السواب جميعها فهو يحفظها ويغذيها ويرجها كما رأيت في هذا المقام وانما استدلت بالسواب لأنني ألحظها وعسير عليّ أن ألحظ نفسي ففهم رجة الله في الحيوان أسهل من فهمها في الانسان كما أن دراسة نظام الحيوان وغيره حولنا أسهل من دراسة أنفسنا . هذا هو السبب في استدلال هود بالأخذ بنواصي السواب فانظر وتجب كيف يقول فلاسفة أوروبا قولاً هو الذي فهمناه من نظام الآلة وهذا من عجائب القرآن

﴿ وحدة هذا الوجود ﴾

ان نظام الأرض المذكورة ونظام النمل والنحل ونظام الانسان بعد أن درسناه وشرحنا كثيراً منه في هذا الكتاب أفادنا أن كل هذه العوالم مشبكة مرتبطة يخدم الانسان الحيوان والحيوان الانسان . والأرض مثلاً تراها تصدر آلاف الآلاف كل سنة فتأكلها الكلاب والطيور والهرر والانسان كما تقدم فهذه الأرض تهضم فتات الخشب الجاف من الورق فينقلب الى أجسامها ثم أجسامها طعام لنحو العصافير ثم العصافير طعام للحطاف والانسان وهكذا

فهذا يدلنا أن هذا الوجود كله مدبر بعقل واحد كما ذكرناه في غير هذا المقام إذ يظهر أن الله الذي خلق هذه المادة خلق لها أمراً آخر يسميه الفلاسفة عقلاً وهذا العقل من نور الله وأشعة هذا العقل وهذا العقل مثل شمس معنوية تصير في كل شئ بحسبه فهي في الجاد تلاقق وجاذبية وفي المعدن صلابة ولعان وقوة خاصة وفي الهواء لطافة وفي الماء سلاسة وفي النبات نمو وذبول الخ وفي الحيوان حس وحركة وفي الانسان ازدياد الفكر والعقل وفي الكون سير منظم وحركة دائمة فلعل هذه الأشعة العقلية العامة أشبه بما نرى في أجسامنا إذ اننا نرى الرجل الشهوى يقل عقله والعمى الذي حفظ شهوته قد يحفظ عقله . وهكذا نجد من أنهمك قواه في عمل ما ظهر أن ذلك في تفكيره فكأن في الجسم قوة واحدة اذا مالت الى جهة حرمت الأخرى منها فهي في السمع قوة لقبول الأصوات وفي البصر قوة لقبول الصور وهكذا ويحمد الناس أن العمى أذكى من المبصرين فكأن قوة البصر تأخذ من القوة العاقلة نصيباً فتضعفها . إذن هذا العالم فيه شعاع عقلي عام يشكل في كل شئ بحسبه . ولعل لذلك الإشارة بقوله تعالى - ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة - والا فلماذا نرى هذا التعاون مع شدة التفاوت وما هذه المباني التي تبنيها حشرة (الأرض) المتقدمة التي قد تمتد أميالاً وترتفع أمتاراً وتصبح فيها مراعي خصبة للحيوان أخضر من غيرها ولماذا ينبت المرجان في البحار جزائر وجزائر يسكنها الحيوان وينبت فيها النبات ثم يسكنها الانسان بر وبحر كلاهما تكون فيه دابة حقيرة تبني مساكن لنفع الحيوان والانسان وهكذا مما لا يتناهى . ولعل لهذا الإشارة بقوله تعالى - الله نور السموات والأرض - أي منورهما . فها هو ذا أظهر لنا أن نور الإدراك والنظام سار في عوالمنا المتجاذبة

المتعاونة المتحدة . فانتا نرى الجسم الأكبر كالشمس يجذب الأصغر كالأرض والأرض تجذب ما حولها وتجذب قمرها . هكذا نجد العقل الأعلى يجذب العقل الأدنى فكأن أمثال الأنبياء شمس وكأن عظماء أمهم كالسيارات وهكذا . ونجد المدرسين يتبعهم تلاميذهم والرجل الصالح يلتف حوله ألوف من الناس فدلنا هذا على أن نظام الأرواح كنظام الأجسام الكبير في الأرواح من حيث السكالك يتبعه الضعفاء الصغار في ذلك السكالك والكبير في الأجسام يحما يتبعه الصغار حجما أيضا فالكبير والصغير في كل بحسبه حسا ومعنى

﴿ فصل ﴾

(١) الوحدة في العالم اقتضت أن يفدى بعضه بعضا

(٢) وفي ذلك تطف وحسن سياسة

(٣) وفساد شئ صلاح آخر

(٤) والامانة شريعة كشرعية الحياة . وذلك لتخالو الأرض للباقيين بعد الهالكين

ولما وصلت الى هذا المقام واطلع عليه أحد الفضلاء . قال لو أنك أقملت هذا الباب لكان أولى فلقد أثرت نائرة في نفسي وأخذت أقول . أليس من الظلم أن يترى الأفواج من حشرة الأرض لتكون طعاما للهرة والكلبة . أولم يكن من الغش والخذاع أننا نراها تخرج من قراها مسرعة لتفرح بالحياة الزوجية اذا المنون حاضر لديها . وهل من الصدق أن تتدخ الحشرة المسكينة بقطرة من العسل عند النبات الجزار المتقدم وباللون الجليل . إن الذي يقرأ هذه العلوم يغمره الشك ويفشاه الكفر وكراهة هذا الوجود

فقلت أما كون الأرض طعاما للكلبة والهرة فهذا هو نظام هذا العالم الذي نعيش فيه وأنا وأنت ففتخر بأن نكون طعاما لحيوان فكيف تنكر ما تستحسن وتظهر الكراهة لما أنت محبة له وتقع في هاوية المننقضين . فقال هذا لا أعقله وما بي من جهالة . فقلت ألم ترى أهل الأرض قاطبة أليسوا جميعا يقتخرون بانهم يقدمون أنفسهم للقتل وهم يجاهدون في سبيل حفظ الشرف أو المال أو الوطن أو الدين ومن ذا الذي يضن بنفسه على حفظ عرضه وشرفه . ومن ذا الذي يرى زوجه أو أخته قد أهين شرفها أو مست بسوء ثم لا يهجم على من فعل ذلك ولا يقاتله واذا خرّ صريعا هو عد ذلك نفرا له ولأعقابه الى حين . إن أهل الشرق والغرب يحارب بعضهم بعضا على الوطن وعلى الدين وعلى المال وعلى العرض وهم جميعا متفقون أن هذا شرف ونفرا للمقاتلين وهكذا أ كثر الديانات . ومن عجب أن النصارى دينهم ينههم عن قتال عدوهم ولكن الفطرة غالبية فهم الآن أول المقاتلين للأهم يعدون ذلك نفرا سواء أكان ذلك أخذًا للثار أم ظمًا لاجتياح الديار ولأخذ الدرهم والدينار . فقال إن الأرض المذكورة قد أكلها الكلب أو الهرة أو الانسان وفرق بين القتل وابتلاع الحيوان . فقلت اننا معاشر بني آدم نقتل في السفن الحربية ونقع فريسة للسمك ونحن جميعا نعلم ذلك ونقتخر به وهكذا نقاتل في الطيارات فهلاك فتتخطفنا الطير ويحل بنا الهلاك . فقال نحن نحارب لشرفنا مثلا ونموت ولكن لماذا تكون هذه الخدعة في الحيوان فهذه الحشرات الجاريات للهلاك بذبح النبات الجزار وأنواع الأرض التي خرجت للعرس فصارت فريسة . كل هذه مخدوعات وأين الصدق إذن . فقلت له ونحن أيضا مخدوعون ولنا بمنعصرين على الخداع بل نعد شرفا فان أحدنا يأكل لصحة بدنه فيكون ذلك البدن طعاما للدود ويحارب العدو ليعيظه فيكون طعاما للسمك أو العقبان فهو في الأول قصد حياته وفي الثاني انقاذ شرفه لا أنه يكون طعمة للسمك ونبنى الدور ونزرع النخل ويتمتع بذلك غيرنا بل أعداؤنا . فقال وكيف يصح هذا الخداع . قلت ليس خداعا بل تطف وحسن سياسة يعيش الحي مطمئنا ولا قلق لديه ولا اضطراب . وقد تقدم في سورة الأنفال تكثير القليل وتقليل الكثير للسياسة واصلاح الحال . فقال ولكن هذا لا يشفي . ولماذا يكون الانسان فداء لنيره وهكذا الحيوان . فقلت

للوحدة العامة فالعالم كله كانه شخص واحد والبعض يخدم البعض - ولكن أكثر الناس لا يعلمون -
 وأذن تكون هذه الدنيا ليست للحياة وحدها فالحياة بنظام والموت بنظام وموت الحي لتخاوا الأرض للباقين
 ولولا الموت ما كانت الحياة . فاذا أكل الأسود لحم الانسان وأكل الأسد لحم الغزالن وأكلنا نحن لحم
 الخرفان فان ذلك لتنظيف أرضنا به وتخلو لمن بعدنا ليكثر الأحياء بفضل هلاك الأموات . فالموت مقصود
 والحياة مقصودة - كل شئ هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون -

﴿ موازنة بين حياة وموت الحيوان ونظيرهما في الانسان ﴾

يموت الجراد بأكل الطيور والانسان له فيحصل فائدتان خلو الأرض منه لما يخلفه وارتفاع الأحياء بحجمه
 لأنه لا معطل في الوجود . أما النقاء الجيوش الانسانية برا أو بحرا فهناك فوائدها

(١) تعليم الصبر والشجاعة (٢) والصناعات الحربية كالطائرات والسفن العائمة والغاطسة في الماء
 (٣) واحراز الشرف للأحياء (٤) والعطف من الشعب على الأموات في القتال وهذان في الأمم الغالبة
 (٥ و ٦) ومثل هذين في الأمم المغلوبة (٧ و ٨) وظهور الاتحاد في كليهما (٩) وأن تكون الجثث في
 البحر وفي البر طعاما للسمك وللطيور التي خلقها الله

هذا في القتال أما في حال الطاعون وأكثر الأمراض فان الاقتصاد في طبيعة الوجود قضى أن ترسل
 جماعات من الحيوانات الذرية لها نظام خاص في الجسم فتأكل اللحم وتشرب الدم لأنه ليس من الحكمة
 أن يبدى الحي جسمه بالأغذية الجيدة فاذا مات لم تسكن له فائدة . كلا بل يرسل تلك الآلاف المؤلفة فتكون
 طاعونا أو جديرا أو حي تيفوسية أو قيفودا أو سوطانا أو ما أشبه ذلك فتقتل وتتناقل وتتكاثر وترثي في الأجسام كما
 تربت الأجسام في الأرض ثم يكون الموت فتتولى تلك الرمم حيوانات أخرى أو لها الدود وبعقبه غيره
 كالخنفس ونحوها وهكذا . ذلك لئلا يكون في الوجود معطل إن هذا الوجود مبنى على الاقتصاد

ألا ترى أن الانسان يضع الطعام ويذوقه ويدبر نظام الكلام . فهذه ثلاث فوائد في عضو واحد ظاهرة
 للناس فصانع هذا العالم عظيم الاحكام والنظام متقن حكيم . كل ذلك من قوله تعالى - مامن دابة إلا هو
 أخذ بناصيتها - فها هو ذا قد أخذ بناصية الأحياء اذا سحت أجسامهم وأخذ بناصية الحيوانات الذرية العائشة
 في الأجسام التي يراد اهلاؤها وهكذا . فلما سمع ذلك صاحي قال إذن الحرب أمر حتم لرقى الانسان لأنك

أثبت فيه بمجمل الفوائد التي تبلغ نحو العشر مع انك تقول إن السلام أمر لا بد منه في نوع الانسان
 وأيضا ترى البوذية يحرقون موتاهم فأين فائدة أجسامهم التي لم يأكلها دود ولا غيره . فقلت أما الجواب

على السؤال الثاني فهو أن هؤلاء تنفرق عناصر أجسامهم في الهواء والأرض فينتفع بها في الوجود
 فقال وهل هذه شريعة اسلامية . فقلت . كلا ولكن نحن الآن في تبيان الحقائق التي نزل لها

القرآن ولكن متى جاء ذكر الشرائع بينا تحريم ذلك فالحقائق مطلوبات والشرائع مصونات
 واذا كنا نجد مسألة الولادة ليست على وتيرة واحدة إذ نرى الانسان مثلا قد عمت الولادة فيه جميع

الأسرات في العالم ولكنها في النمل وفي الأرضة مثلا قد اختصت بها الملكة فأما البقية فقد توافروا على خدمة
 المجموع وبذل كل ما لديهم من قوة للجمهورية

الانسان لا يعرف اختصاص أحد بالولادة وانتاج الذرية ولكن النحل عرف ذلك . هكذا أمر الحياة
 فما من امرئ إلا وهو موقن أنه لابد لكل حي من رأس أو جلد أو أعضاء ودم فكذب هذا تلك الحيوانات
 الدنيئة التي لا رؤس لها والتي لا جلد لها كالحيوانات الهلامية والحشرات إذ لا جلد لها ولا عظم ولا دم وإنما هي
 لها قشور حاكية داخلها سائل أبيض لاعظم فيه ولا دم . وترى أمثال ذلك في الرزق فأكثر الحيوان يسعى
 اليه على مقتضى احتياجه . وترى النبات الجزار المتقدم تسعى اليه الحشرات ليأكلها بخاذب يجذبها من تلك

النباتات التي تأكل اللحوم . فقال صاحبي لقد أحسنت كل الاحسان وأتيت بعلم جم لم يكن في الحسبان .
ولكن أسألك سؤالاً واحداً وهو انك تقول إن الأرض تأكل ماخرج منها فأين هذا . قلت سترام ان شاء
الله عند الكلام عليها في سورة سبأ فأما اذا كان هذا غريباً عندك فلتعلم أنها في ذلك كالانسان لأننا تأكل
فضلاتنا وفضلات الحيوان بواسطة إذ نحن نسمدها أرضنا فتقلب تلك الفضلات في زرعنا حبا وعنباً وتفاها
وغيرها وترجع إلينا فنحن والأرض سياتن ولكن هي أكلت فضلاتنا مباشرة ونحن أكلناها بعد أن دخلت
في معامل النبات فرجعت إلينا . فقال صاحبي لله در العلم يقرب البعيد ويجمع المتفرقات - وقل رب
زدني علماً - والحمد لله رب العالمين

ثم قلت أما مسألة الحرب وانها ترقى الانسانية وانني ذكرت أن السلم أمر لابد منه فلتعلم أننا الآن نصف ما
وجدناه ونبين حكمة الله فيه كما بينا فوائد اللسان الظاهرة الثلاث فليس معنى هذا أننا اذا متنا لا يكون هناك
حكم في حال الروح . كلا بل الحكمة هناك أجل وأعلى ولكننا لانعقلها الآن واذا وجدنا مملكة (الأرض)
المتقدمة وكان لأفرادها عقل وسألناها عن لذكرت لنا فوائد البراز الذي يكون لأفرادهم أشهى طعام ثم هو
ملاط لبنائها وسد لشعورها مع الزمل وطعام لصغارها ويقوم مقام الأسفات في تحسين طرقها . وهكذا من
الفوائد . أقول فليس معنى هذا أنه ليس هناك نظام في الوجود أحسن من هذا . كلا . هكذا هنا فان
الأمم اذا غيرت أخلاقها وبطلت الحرب حصلت هناك حال جديدة أرقى وأرقى في نظام المدن والأخلاق مثال
ذلك في اثنتي أن تبدل عاطفة الانتقام من الأعداء الذي يورث الفضائل المتقدمة بفضائل العطف مثلاً على الضعفاء
فيتحدر رجال أمة على ترقية وتحسين أمة جاهلة ويكونون بالنسبة لهم كالآباء والأمهات بالنسبة لصغارهم وهناك
تكون فضائل لا تعد كالفضائل التي تكون للأبوين بالنسبة لأبنائهما كالعطف والحنان وبذل النفس والمعاونة
بالنفس وإنكار الذات والصبر على هذه المشاق والاتحاد بين هؤلاء المحسنين وحب المحسن اليهم للمحسنين
 واتحاد الأمتين وتبادل المنافع ثم مقابلة الاحسان بالاحسان ونمو الاخلاق . وهكذا مما لا حصر له فليس هذا
الوجود له حد في تصرفاته وقابلياته

﴿ عجائب القرآن وعجائب الطبيعة التي نزل لفهمها القرآن ﴾

فهنا أذكر عجبتين ﴿ العجبية الاولى ﴾ ان القرآن تراه يدخل في غضون الكلام ما هو حكمة بحيث
يكون كزهرة في شجرة ويكون هو أهم المقصود من الكلام وهذه الطريقة بعينها هي التي درجت عليها
الأمم في فسكاهاتها ورواياتها المؤلفة لاستيقاظ الشعوب . فانظر الى قوله تعالى - اذا الشمس كورت *
واذا النجوم انكدرت اخ - فانه ذكر الشمس والنجم والجبل والابل والوحش والبحر والنفس والصيف
والسما والجحيم والجنة . هذه ذكرها الله على هذا الترتيب ولكن أدخل في غضوننا كلمة واحدة حفظت
نصف النوع الانساني من اهلاك وهي - واذا الموءدة سالت * بأي ذنب قتلت - هذه هي الجنة التي أدخلها
الله في وسط تلك العوالم المذكورة من أرضية وسماوية فما نطق بها حتى امتنع العرب عن قتل البنات بدفنن
الذي يسمى (وأدا) فانظر للتعليم والتربية . يذكر المخلوقات والمعارف العائمة ويدخل في وسطها جملة قضت
على قتل النساء . هكذا فعل في قصة هود وقومه هنا أدخل في غضوننا الأخذ بنواصي السواب . أفلا يكون
هذا دافعا للمسلمين الى دراسة علوم الحيوان بعد هذا البيان كما دفع آباءنا الى حفظ البنات وعدم قتلهن بالوآد
بجملة واحدة

هذه هي سياسة القرآن . هاهوذا أتى بقصة عاد يسمعونها العاقل فيرى ما الذي سيق له فيرى أجله
علم الحيوان . اللهم أنت النور الهادي فاهد المسلمين الى الرق إنك أنت السميع العليم

﴿ العجبة الثانية المادّة والكلام . زيادة ايضاح ﴾

أنظر الى ماتقّم من تنوّع الحيوان والنبات والابداع وتأمل أحوال اللغات الشرقية والغربية . هأنثذا رأيت المادّة كيف تنوّعت تنوّعا يقلبها على سائر وجوهها كما ونحنها . تقلبت المادّة على وجوه تظهر كل ما كمن فيها فاعلم يقينا أن الله عز وجل علم أن أكثر الناس لا يدركون سرّ المادّة التي يعيشون منها . لذلك ألهمهم اللغات فنطقوا بها وتصرفوا فيها تصرفا هو عين التصرف في المادّة . إنّ المادّة كما تكون هواء وماء وسما وأرضا وصلبا ونحاسا وجواهر وحيوانا مختلفا أنواعه الخ هكذا اللغات المعبرات عن ذلك كله يتصرف فيها الانسان وهي التي تعبر عن كل ما صورته المادّة ولا يدرك تصرفها حتى ادراكه إلا اعلاما الصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع أولئك الذين يركبون الجمل المختلفة ويشقون من المصادر أفعالا وأسماء الفاعلين وأسماء المفعولين والصفات المشبهات وأسماء التفضيل وأسماء الآلات وأسماء الزمان وأسماء المسكان وهكذا هذا تصرف المفردات فهكذا تصرف الجمل من اسمية وفعلية وشرطية وحالية وماضوية ومضارعية ومؤكدة وغير مؤكدة وهكذا مما لا حصر له . تبارك الله خالق المادّة وخلق اللغات وجعلهما في التصريف كفرنسي رهان وذلك لحكمة الحكيم . ذلك ليعلم الصغار في أول أمرهم أن اللغة لا تنقف عند حدّ لأنهم إذ ذاك لا يقدرّون أن يعقلوا تصرف المادّة . ولا جرم أن هذا يعدّ أذهانهم الى ادراك تصرف المادّة اذا كبروا . خلق الله علوم الصرف والنحو وغيرهما لصغار العقول ولصغار العلماء في الأمم لتفتح أذهانهم لمعرفة جمال صنعه وباهر ابداعه وبالغ حكمته في تصرف هذه الكائنات . وهل ترى أبدع وأجمل وأشرف وأبهى مما رأيت في هذا المقام من جعل النبات المأكول للحيوان آكل له . وليس هذا بعينه هو ما يفعله علماء النحو إذ يجعلون المفعول فاعلا والفاعل مفعولا تدريبا للتلاميذ . يقول الاستاذ للتلميذ اجعل المفعول فاعلا في هذه الجملة مع التصرف فيها وهي (يضرّ الانسان الخمر والخمر والشاي والقهوة ودخان التبغ) فيقول التلميذ هكذا ﴿ متى عقل الانسان ترك الخمر والخمر الخ ﴾

فهاهو ذا التلميذ أتى بالجملة مع حفظ المعنى وجعل المفعول فاعلا وهكذا فعل الله في المادّة لجعل المأكول وهو النبات آكل للحيوان مع حفظ النظام لجعل الله وجلّ العلم فهنا فليفرح قراء هذا التفسير وليكونوا نورا وهدى للعالمين . وأنا بذلك من الموقنين

﴿ وحدة الوجود والانسان عالم صغير ﴾

لعمرى لا يعرف الناس معنى وحدة الوجود ولا أن الانسان عالم صغير إلا بالتبحر في مثل ماذ كرناء لك فيما تقمّم

﴿ شمس هذا العقد الثمين ﴾

إنّ النحل والأرضة والنمل كلها تقترب من ملكاتها وترى أعمالها وترجع اليها وهكذا جمهور نوع الانسان يفعل مع رؤسائه ولكن هناك في الانسان طائفة هم فوق الجميع يعملون وينصبون وتكون لهم خلوات مع ربهم في قلوبهم يعرضون عليه أعمالهم في بهجة الأنوار وبهاء الأسرار اه الكلام على قصة عاد فلنشرح في الكلام على قصة ثمود بتفسيرها اللفظي قال تعالى (والى ثمود) أى وأرسلنا الى ثمود وهم سكان الجبر (أخاهم صالحا) يعنى في النسب لافى الدين (قال يا قوم اعبدوا الله) أى وحدوا الله وخصوه بالعبادة (مالكم من إله غيره) فهو المستحق للعبادة لا هذه الأصنام ثم ذكر الدلائل العقلية على وحدانيته وكمال قسوته فقال (هو أنشأكم من الأرض) هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم وحواء وهو الذى خلق النطف والأغذية منها تتكوّن الأجسام وكأها من التراب (واستعمركم فيها) أى عمركم فيها واستبقاكم من العمر أو أقدركم على عمارتها وأمركم بها (فاستغفروه ثم توبوا اليه إن ربي قريب) قريب الرحمة (محجب) لداعيه

(قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوًا قبل هذا) لما نرى فيك من محاليل الرشد والسداد فكنا نأمل أن تكون مستشارا أوسيدا عظيما ولكن هذا القول أيا سنا منك وانقطع رجاؤنا فيك إذ ذمت آلهتنا وخالفت ديننا (أنتهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) ومن ذا يخالف ما درج عليه الآباء (واننا لفي شك مما تدعونا إليه) من التوحيد (مريب) فوقع في الريبة من أرابه (قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي) بيان وبصيرة وأنى بان وهى للشك باعتبار المخاطبين (وأتانى منه رحمة) نبوة (فمن ينصرتنى من الله) فمن يمنعنى من عذابه (إن عصيته) فى تبليغ رسالته ومنع الناس من الشرك به (فما يزيدونى غير تحسير) فأتى باستتباعكم إياى لآزيدونى غير أن تخسرونى بابطال ما منحنى الله والتعرض لعذابه (ويا قوم هذه ناقة الله لكم) حال كونها آية وعاملها معنى الإشارة ولكم حال من آية مقدمة (فذروها تأكل فى أرض الله) ترع نباتها وتشرب ماءها (ولامسوها بسوء فإخذكم عذاب قريب) عاجل لا يتوانى عن مسكم لها بالسوء إلا سيرا وهو ثلاثة أيام (ففقروها فقال تمتعوا فى داركم) عيشوا فى منازلكم أوفى داركم الدنيا (ثلاثة أيام) ثم تهلكوا (ذلك وعد غير مكذوب) أى غير مكذوب فيه (فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ) أى ونجيناهم من ذلك يومئذ وفضيحتهم • وأى خزي أعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه (إن ربك هو القوي) القادر على تنجية أوليائه (العزيز) الغالب باهلاك أعدائه (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) أى صيحة أتتهم من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ (فأصبحوا فى ديارهم جائعين) صرعى هلكى (كأن لم يغنوا فيها) أى كأن لم يقيموا فى تلك الديار ولم يسكنوها مدة من الدهر يقال غنيت بالمكان إذا أقت به (ألا ان ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود) أى الحى • واعلم أن هذه القصة جاءت فى سورة الأعراف بأحسن تفسير على ما أعلم فأرجع إليه إن شئت

﴿ قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام ﴾

قال تعالى (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى) بشرى الملائكة المختلف فى عددهم فقيل ثلاثة وقيل أكثر باسحق ويعقوب وبعادك قوم لوط (قالوا سلاما) سلامنا عليك سلاما (قال سلام) أى وعليكم سلام والجللة الاسمية فى الرد أبلغ من الفعلية فى الابتداء فافهم (فما لبث أن جاء بهجلا حنيدا) أى فما أبطأ فى المجيء به والحنيد المشوى بالحجارة المحماة (فلما رأى أيديهم) أى أيدى الأضياف (لأتصل إليه) أى العجل المشوى (نكرهم) أى أنكرهم وأنكر حالهم لامتناعهم عن الطعام (وأوجس منهم خيفة) ووقع فى قلبه خوف منهم • والايحاس الاضمار وقيل الادراك (قالوا) له لما أحسوا منه أثر الخوف (لأنحف إنا أرسلنا إلى قوم لوط) إنا ملائكة مرسلون إليهم بالعذاب فأما كوننا لم نمد للطعام أيدينا فذلك أننا معاشر الملائكة لأننا كل (واسرائة قائمة) وراء الستر تسمع محاورتهم أو على رأسهم للخدمة (فضحكت) سرورا بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الفساد (فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب) وإنما خصت بالبشارة لأنه أولا لم يكن لها ولد ولإبراهيم ابنه اسماعيل • ومعلوم أن النساء أعظم سرورا بالأولاد أى فبشرناها باسحق ووهبنا لها يعقوب من وراء اسحق وعلى قراءة رفع يعقوب يكون مبدءا والجار والمجرور قبله خبره (قالت يا ويلتا) أصله يا ويلتاه نداء للتندبة وهى كلمة يستعملها الانسان عند رؤية ما يتعجب منه مثل يا عجباه (أألد وأنا عجوز) * يقال انها كانت بنت تسعين سنة (وهذا بعلى) يعنى زوجى (شيخا) وكان سن إبراهيم مائة وعشرين سنة يومئذ كما قيل (إن هذا لشيء عجيب) يعنى الولد من هرمين وهذا تعجب بحسب العادة (قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) قالوا ذلك منكرين عليها فان خوارق العادات عند أهل بيت النبوة ليست ببدع فتلهم لا يستغربونه كأنه قيل إياك والتعجب لأن أمثال هذه الرحمة والبركة متكررة من الله عليكم وأهل البيت نصب على الاختصاص (إنه جيد مجيد) أى محمود لانعامه العظيم ظاهر الكرم إذ

أكرمكم بولد صالح (فلما ذهب عن إبراهيم الروع) الفرع وهو ما أوجس في نفسه من الخوف حين نكر أضيافه (وجاءته البشري) بالولد أقبل (يجادلنا في قوم لوط) أي لما اطمأن قلبه بعد الخوف وامتلا حورا بالبشري أقبل يجادلنا أي يجادل رسلنا بصورة مجادلته إياهم انهم قالوا له إنا مهلكوا أهل هذه القرية فقال رأيتم لو كان فيها خمسون مؤمنا أتمهلكونها قالوا لا قال فأربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال رأيتم ان كان فيها رجل واحد مسلم أتمهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجيه وأهله (إن إبراهيم لحليم) غير عجول في الانتقام ممن أساء إليه (أواه) كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس (منيب) راجع إلى الله . والمقصود من ذلك أن الحامل له على المجادلة انما هي رقة قلبه وحلمه ورحته وحبه للناس قالت الملائكة (يا إبراهيم أعرض عن هذا) الجدل (إنه قد جاء أمر ربك) قضاؤه بعذابهم من الله وهو أعلم بحالهم (وانهم آتيهم عذاب غير مردود) غير مصروف بجدال ولا بدعاء . ثم خرجوا من عند إبراهيم متوجهين نحو قوم لوط وكان بين قرية إبراهيم وقوم لوط أربعة فراسخ (ولما جاءت رسلنا لوطا) لما أتوه ورأى جهلهم وهم كانوا على هيئة غلمان حسان (سوء بهم) أحزن لأنه ظن أنهم من الناس نخاف عليهم أن يفحش بهم قومه مع عجزه عن مقاومتهم (وضاق بهم ذرعا) تمييز أي وضاق بمكائدهم صدره وذلك كناية عن شدة الانقباض لعجزه عن مدافعة المكروه المتوقع حصوله لهم من قومه بفعل الفاحشة (وقال هذا يوم عصيب) شديد من عصبه اذا شده * ويقال إن امرأته أخبرته بهم قومها (وجاءه قومه يهرعون إليه) يسرعون كأنهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من أضيافه (ومن قبل) ومن قبل ذلك الوقت (كانوا يعملون السيئات) كانوا يعملون الفاحشة حتى مروا عليها وقتل عندهم استباحها حتى جاؤا وهم مجاهرون بها يهرعون إليها (قال يا قوم هؤلاء بناتي) أي هؤلاء نسائكم اللاتي هن بناتي فان كل نبي أبو أمته من حيث الشفقة والتربية * وفي قراءة ابن مسعود - وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم - أو هؤلاء بنات قومي (هن أطهر لكم) أنظف فعلا (فاتقوا الله) بترك الفواحش (ولا تخزوني) ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي (في ضيقي) في حق ضيوفي لأن من خزي ضيفه أوجاره فقد خزي وذلك من دواعي المروءة والكرم (أليس منكم رجل رشيد) أي رجل واحد يهتدي إلى سبيل الرشاد فيكف عن فعل السوء (قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق) حاجة لأننا نودى الاقتراب من الذكور لامن الاناث (وانك تعلم ما نريد) وهو انيان الذكور (قال لو أن لي بكم قوة) أي لو أني أقدر أن أنقوي عليكم (أو أوى إلى ركن شديد) أي أو أنضم إلى عشيرة يمنعوني منكم وجوابه لقائلتكم * قال أبوهريرة رضي الله عنه ﴿ ما بعث الله نبيا بعده إلا في منعة من عشيرته ﴾ وقال رسول الله ﷺ ﴿ رحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولوليت في السجن ما لبث يوسف ثم أتاني الداعي لأجبتة ﴾ فلما أراد بالركن الشديد هو الله كما قال محي الدين النووي في الحديث فانه أشد الأركان وأقواها * روى أنه أغلق بابيه دون أضيافه وأخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما حل بلوط من الكرب (قالوا يالوط) ركنك شديد كما مر في الحديث (إنا رسل ربك لن يصلوا اليك) بذكورهم فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فأذن له فضرب بجناحه وجوعهم فطمس أعينهم فأعماهم كما قال تعالى - فطمسنا أعينهم - فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا به وهم يقولون النجاء النجاء ان في بيت لوط أسحر قوم في الأرض وقوله - لن يصلوا اليك - جملة موصفة لما قبلها (فأسر بأهلك) أسر بأهلك ويقال أدب بهم (بتقطع من الليل) في بعض من الليل أي آخر الليل عند السحر (ولا يلتفت منكم) ولا يتخاف منكم أو لا يلتفت إلى ما وراءه أو لا يلتفت بقلبه إلى ما خلف (أحسد إلا امرأتك) منصوب على الاستثناء أو مرفوع على البدل من أحد . فكأنه قيل لا يتخلف منكم أحد إلا امرأتك فاني

لا أنهاها عن ذلك (إنه مصيها ما أصابهم) أولا يلتفت منكم الى ما وراءه أحد إلا امرأتك فانها ستلتفت فأنا
لا أنهاها - إنه مصيها الخ - والنهي لها لا يفيد * روى أنه أخرجهما معهم وأمر ألا يلتفت منهم أحد إلا
هي فلما سمعت هذه العذاب التفت وقالت يا قوماء فأدركها حجر فقتلها * وروى أيضا أنه أمر بأن يخلفها مع
قومها فان هواها اليهم فلم يسرها فأصبحت هاتان الروايتان محتملتين فلما أن تكون بقيت ولما أن تكون
خرجت والتفتت * فاحدى الروايتين عليها المعنى ولازال مبهما . هذا تحقيق المقام وياك أن تطلق أن مثل
هذا التحقيق هو المقصود من القرآن بل المقصود هو ما في القصة من الحكم فلنسر في طريقنا ولتجد في هذه
السورة من الحكم والعجائب ما يهز الألبصار قريبا * روى أنه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا (إن موعدهم
الصبح) فقال أريد أسرع من ذلك فقالوا (أليس الصبح بقريب * فلما جاء أمرنا) عذابنا (جعلنا عاليها
سافلها) قلبها جبريل فجعل أسفلها أعلاها إذ رفعها الى السماء ثم قلبها عليهم (وأمطرنا عليهم) على المدن
(حجارة من سجيل) من طين متحجر * وسجيل أصلها سنككل فعرب (منضود) نعت لسجيل أى
متتابع أو مجموع معد للعذاب (مسومة) نعت لحجارة أى معانة للعذاب (عند ربك) في خزائنه أوفى حكمه
(وماهى من الظالمين ببعيد) أى وماهى من ظالمى هذه الأمة من مشركى مكة وغيرهم - ببعيد - فما من
ظالم إلا وهو معرض للعذاب المعبر عنه بسقوط حجر عليه * روى أنه عليه الصلاة والسلام سأل جبريل عليه
السلام قتال يعنى ظالمى أمتك ما من ظالم منهم إلا وهو معرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة (والى
مدين) أى وأرسلنا الى مدین (أخاهم شعيبا) اسم مدينة بناها مدین بن ابراهيم عليه السلام أى وأرسلنا الى
أهل مدین * وقيل مدین اسم للقبيلة التى هى من ذرية مدین بن ابراهيم (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من إله غيره) وحدوا الله ولا تعبدوا معه غيره . ولما شرح أمر العبادة شرع يذكرهم بما يفعلون من
نقص الكيل والميزان فقال (ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير) بسعة نعيمكم عن البخس أو
بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون (وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط) مهلك كما في قوله تعالى
- وأحيط بثمره - وأصله من احاطة العدو وهو اما عذاب الاستئصال في الدنيا واما عذاب الآخرة (ويا قوم
أوفوا المكيال والميزان) أتموها (بالقسط) بالعدل والنهي المتقدم لتقبيح البخس والتنفير منه والأمر هنا
للتغيب في الفعل الحسن وهو ايفاء الكيل والميزان فهناك للتنفير من الشر وهنا للتغيب في الخير وبهما معا
يعتدل الناس ويتم الوعظ فليكن القسط والعدل بلا نقص ولا زيادة فالازدياد وان كان مندوبا قد يكون محرما
اذا كان كيلا أو وزنا ليتم أوفى مال الحكومات أو كان البائع وكيلا . فكل ذلك تكون الزيادة فيه حراما
فوجب العدل (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) أموالهم وغيرها سواء أكان بكيل أم بوزن أم بزرع أم بمساحة
أم بتقدير فضل في أعمال عامة كالنظر في رجال الحكومة وتقدير قيمهم وأحوالهم وكفا آتهم وما أشبه ذلك
عما لا يعدّه الخصر (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) العنى والعيث أشد الفساد كالسرقة والغارة وقطع السبيل
ويشمل البخس والتطفيف فانه عثى في الأرض وافساد فيها . ومن العنى المكس (بقية الله) أى ما أبقاء
الله لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم (خير لكم) مما تجمعون بالتطفيف والبخس (إن كنتم
مؤمنين) أى إن كنتم مصدقين لى في قولى لكم ويصح أن تكون البقية الطاعة فما ذكر وغيره لقوله تعالى
- والباقيات الصالحات - (وما أنا عليكم بحفيظ) أحفظكم عن القبائح وأحفظ نعم الله عليكم وما أنا إلا ناصح
أمين وقد أعذرت حين أنذرت (قالوا يا شعيب أصلانك) أى كثرة صلاتك (نأمرك أن تترك ما يعبد آبؤنا)
من الأصنام (أرأنا نفعل) أو ألا نفعل (في أموالنا ما نشاء) من البخس في الكيل والوزن (إنك لأنت
الحليم الرشيد) السفه الضال . وهذه تسمية مقالوبة استهزاء به كقوله - ذق إنك أنت العزيز الكريم -
وهذا رد لما طلبه من عبادة الله وحده ومن العدل في الكيل والميزان (قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة

من ربي ورزقني منه) من لذه (رزقا حسنا) وهي النبوة والرسالة والمال الحلال بلا بخل ولا تطفيف . يقول
 أنسبروني إن كنت على حجة ظاهرة من ربي وكنت نبيا على الحقيقة أليق بي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان
 والكف عن المعاصي . وهل بعث الأنبياء إلا لذلك . ولست أمنعكم عن تطفيف الكيل وبخسه وعن
 بخل الناس أشياءهم وأنا أستبد بذلك . كلا (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) يقال خالفت زيدا
 إلى كذا إذا قصدته وهو موافق عنه وخالفته منه إذا وليت عنه وهو قاصده (إن أريد إلا الإصلاح) ما أريد
 إلا أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي وأمرى بالمعروف ونهي عن المنكر (ما استطعت) أي مدة استطاعتي
 للإصلاح وما دمت متمكنا منه (وما توفيقي إلا بالله) وما توفيقي لأصابة الحق فيما أفعل وما أترك إلا بمعونته
 (عليه توكلت) اعتمدت (والله أنيب) أرجع في السراء والضراء . ثم اعلم أن جرم مثل كسب يتعدى إلى
 مفعول وإلى مفعولين كما في قوله تعالى (ويا قوم لا يجر منكم) لا يكسبنكم (شقاق) خلاف (أن يصيبكم)
 إصابة العذاب (مثل ما أصاب قوم نوح) من العرق (أوقوم هود) من الريح (أوقوم صالح) من الرحمة
 وإن وصلتها ثاني مفعول جرم (وما قوم لوط منكم بهيد) في الزمان فهم أقرب الهالكين منكم وفي المكان
 فنزلهم قربة منكم (واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود) عظيم الرحمة فاعل بهم من اللطف
 والاحسان ما يفعل الكثير المودة بمن يودّه . وذلك وعد من الله أن يقبل التوبة بعد وعيده للذنبين على
 أصرارهم على المعاصي (قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول) استهانة بها وعدم مبالاة (وانا نراك فينا
 ضعيفا) لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فكيف تقدر على الامتناع منا (ولولا رهطك لرجمناك) ولولا عشيرتك
 لقتلناك بالرجم وأى قتل شر من الرجم وكان رهطه على دينهم فلذلك أظهروا الميل إليهم (وما أنت علينا
 بعز) فعدم قتلك لم يكن لعزك علينا وإنما يعز علينا رهطك (قال) في جوابهم (يا قوم أرهطى أعز
 عليكم من الله) أي أهيب عندكم من الله حتى تركتم قتلى لعزته رهطى عندكم فكيف لم يكن حفظي لأجل
 الله لا أرهطى فكيف تركتم أمره (واتخذتموه وراءكم ظهريا) أي نبذتم أمر الله وراء ظهوركم وتركتموه
 كأنه شيء ملق (إن ربي بما تعملون محيط) أي عالم بجميع أحوالكم لا تخفى عليه خافية منها فيجازيكم عليها
 (ويا قوم اعملوا على مكانتكم) أي اعملوا قارين على جهنم التي أتم عليها من الشرك والشنآن لي وهي
 مصدر مكن مكانة فهو مكن إذا تمكن من الشيء (إني عامل) على مقتضى ما يأنى الله من النصرة والتأييد
 ويمكنني (سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) من استهنامية علقت فعل العلم عن عمله أي سوف تعلمون
 أينما يأتيه عذاب يفضحه وأينما هو كاذب وهذا هو قوله (ومن هو كاذب) عطف على - من يأتيه - أي
 سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم وكان مقتضى الظاهر أن يقال ومن هو صادق لينصرف
 الأول لهم والثاني له لكنهم لما جعلوه كاذبا قال - ومن هو كاذب - أي في زعمهم (وارتقبوا) وانظروا ما
 أقول لكم (إني معكم رقيب) منتظر والرقب المراقب (ولما جاء أمرنا) بعذابهم وهلاكهم (نجينا شعبا
 والذين آمنوا معه برجة منا) يعني بفضل منا لأننا هديناهم للإيمان وجعلناهم مطيعين (وأخذت الذين ظلموا)
 أي ظلموا أنفسهم بالشرك والبخل (الصيحة) إذ صاح جبريل عليه السلام بهم صيحة فخرجت أرواحهم
 وماتوا جميعا أو أتهم صيحة واحدة من السماء (فأصبحوا في ديارهم جائعين) أي ميتين * يقال جثم الطير
 إذا قعد ووطأ بالأرض فهو هنا استعارة (كأن لم يغنوا فيها) يعني كأن لم يقيموا بديارهم مدة من الدهر
 من غنى بالمكان إذا أقام فيه مستغنيا به عن غيره (ألا بعدا لمدن) البعد والبعد الهلاك كالرشد والرشد (كما
 بعدت نمود) قوم صالح وكان عذاب قوم شعيب بالصيحة من فوق رؤسهم وعذاب قوم صالح بالصيحة من
 تحت أرجلهم إذ أصابهم حر شديد * قال ابن عباس (لم تعذب أمتان قط بعذاب واحد إلا قوم شعيب
 وقوم صالح . فأما قوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم . وأما قوم شعيب فأخذتهم الصيحة من فوقهم)

(ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) بحججنا والبراهين التي أعطيناها الدالة على صدق نبوته (وسلطان مبين) ومجزة باهرة ظاهرة دالة على صدقه (إلى فرعون وملئه) أى أتباعه وأشراف قومه (فاتبعوا أمر فرعون) أى ما هو عليه من الكفر وترك الإيمان بما جاء به موسى (وما أمر فرعون برشيد) أى ومات طريق فرعون بسديد ولا محمود العاقبة (يقدم قومه) يتقدم ويقود قومه (يوم القيامة) إلى النار كما كان يقدمهم في الدنيا إلى الضلال . يقال قدم بمعنى تقدم (فأوردتهم النار) جعل بصيغه الماضى كقوله تعالى - أتى أمر الله - وجعل النار بمنزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال (وبئس الورد) المورد (المورد) الذى وردوه فجعل فرعون كالفرارط الذى يتقدم الواردة إلى الماء وشبه أتباعه بالوردة بالوردة ثم قال - بئس الورد للمورود - الذى يردونه النار وكيف لا يكون كذلك . والورد انما يراد لتسكين العطش والنار بضد ذلك (وأبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة) أى يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة (بئس الرفد المرفود) رفدهم أى بئس العون المعان أو بئس العطاء المعطى . انتهى التفسير المفطى

﴿ يا قوتة مضيئة في قوله تعالى - إن ربي رحيم ودود - على لسان شعيب عليه السلام ﴾
اعلم أن المودة انما تكون غالبا بين اثنين لهما علاقة واتصال وتجانس وتشابه في الطباع والعادات والأخلاق . ولذلك ترى المتشاكين في صناعة أو علم أو لغة أو وطن أو دين أو جنس أو أمر ما فانهما يتوادان ويتحابان وذلك لاقتراب الصفات . وكلما تباعدت الصفات تباعد الود . ولذلك نجد الأمم اليوم في عصرنا رجعت إلى الجنسية فالألمان والفرنسيون واليابانيون والصينيون كل يقترب من جنسه بعد أن كانوا قديما يتوادون بالديانات وهذا كله قديما وحديثا دال على أن المودة تابعة لتقارب الصفات . هذا هو المعلوم في الأمم قديما وحديثا ولكن الله تعالى إذا وصف نفسه بأنه رحيم فانا نفهم ذلك على معنى أنه مفيض الاحسان وهذا أمر مفهوم فانا نرى الملك والأب والأم وأمثالهم يفيضون الاحسان على الرعية والولد وهكذا فالأعلى يرحم الأدنى ولاغربة في ذلك . فانه رحيم . أما الود فأمره مشكل إذ المودة انما تكون بين المتجانسين وقال في سورة مريم - إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا - فذكر الرحمة هناك كما ذكرها هنا وأبعها بالود ولكن الود هناك مفهوم لأنه بين متجانسين في الدين إذ الانسان كلما عمل الصالحات اقترب من أهل دينه للتجانس . أما الود هنا فهو الذى يحتاج الى بيان . أقول ان هذا يحتاج لدرس العلوم جميعها من فلك وطبيعة وطبقات أرضية وعلم الحيوان والنبات والتشريح . هذه هي العلوم التي تعرفنا معنى الود في هذا المقام

إن هذا التفسير فيه نسب كثيرة من هذه العلوم والنك إذا قرأها أصبح عنده مجموعة سهلة فيها خلاصة العلوم . هذه الخلاصة هي التي تفهمنا معنى الود أى ود الله للمخلوقات . أنظر إلى السمك وإلى النحل وإلى الجراد وإلى الدود وإلى النعامة وإلى الدجاجة وإلى النبات والأزهار وإلى الانسان فسترى في سورة النمل . كيف ترى أن لها قرى ومساكن وجيوشا منظمة وأظافر راجع ظفر وحجرا على مقدار أسنان الأطفال كما يفعل الناس إن خالق العالم لما خلق النمل أعطاهما من القوى والقدر والعلم على مقدار ما يناسبها . فكما يقول الحبيب لحبيبه أنا أقدم لك هدية من الفاكهة التي تحبها فيزيد ذلك في المودة لعلم كل من الخليلين بما في جيلة الآخر من المعاشرة . هكذا هنا أعطى الله النمل جيوشا منها على مقدار طاقتها وأهلها أن تتبع ملكتها وتنظم الحرات وتربي الدرية كل منها في حجرة خاصة كأنها مدارس فجعل مدارسها على مقدار حاجتها ولم يحملها ما لا تنطبق من مدارس الانسان وجيوشه وأساطيله ولم يحشمها مشاق السفن والأساطيل البرية والبحرية وهكذا سترى في سورة النحل ما أعطاهما الله من قوت وما أفاء عليها مما يلائم حاجتها . ألا ترى إلى ما سيأتى في سورة الحجر عند قوله تعالى - وأرسلنا الرياح لواقح - من جمال الزهر وبهيجته وكيف لقوت

الأزهار بألوان جميلة ليعشق النحل ذلك الجبال فيطير سراعاً ليشرب من الرحيق المختوم في أسفل الزهرات ثم يطير إلى أخرى وقد حل على جسمه غبار الطلع فوضعه في الزهرات التي فيها أعضاء الاناث وألهم النحل أن لا يدخل ويخرج من زهرة إلى زهرة إلا إذا كانا من نوع واحد ليسهل الأمر عليه فلا يصادف عناء في معالجة فتح الزهرات في ذلك اليوم . ومعنى هذا أن النحل أعطى ما يواتى مزاجه من العسل ومن ألوان الزهر ومن نظام الزهرات ليسهل عليه . ومن الإلهام أن لا يدخل زهرة غير التي هي من جنس مادخلها أولاً ذلك ليكون متمتعاً بالنعمة والسعادة ويكون ذلك أصون اطلاع الذكور من ذلك النوع من الزهر ليوضع على الاناث منه ليدوم النبات كل سنة بالالتحاق رجة بالنحل أيضاً . أليس الرجل يقول لابنه اني سأعطيك ثياباً فاخرة وهدايا اذا نجحت في كذا وكذا . ويقول التلميذ لصاحبه أنا قرأت كتاب كذا وهو أسهل فقرأه . كل ذلك للشاكلة والمقاربة . إن المودة تقتضي أن يتلطف الودود لصاحبه بما يلائم طباعه لأنه عرفها بكثرة المخالطة . وترى الجراد ألهم أن لا يتدخر وأن يضع بيضه في أرض صالحة له على بعد مخصوص من سطحها بحيث تسلم الأرض لأن تكون له كالرحم لتحفظه الى وقت الحاجة . وانما ألهم أن لا يدخر لأنه هو وأمثاله من الذباب والناموس التي ألهمت ألا تدخر لاتعيش الى عام قابل فان البرد والحر يتعاقبان عليها فتهلك فاذن سعيها للادخار عبث فلذلك لم تلهم الادخار . أما النحل والنمل فانهما يعيشان سنين فاذا جاء الشتاء نامتا ولكن لاتبوت كما يموت الجراد والذباب والناموس . لذلك ألهم هذان النوعان الادخار وأنزل الله سورتين باسمهما سورة النمل وسورة النحل تنبيها على الفرق بينهما وبين غيرهما من الحشرات . ويقول الله تعالى - وأوحى ربك الى النحل الخ - وهذا الوحي للنحل وللنمل ولغيرهما وحى بما يلائم كما يفعل الصديق الودود بصديقه . وترى السود لاحاسة له الاحاسة البصر فلا تسمع ولا تبصر ولا ذوق للطعام ولا شم . وانما حاسة البصر له هي القائمة بتسييره بل هي وزارة المعارف العامة للدود بها تنصّ ما حولها من الرطوبات وتسبح في بطن البقرة والأسد والانسان وفي لب الثمر وفي دود المش وهي فرحة سعيدة بما يناسب مزاجها وكان الله بوده لها منع عنها ما يزعجها مما لا يحتاج اليه . فالسمع والبصر والشم والذوق والقوة العاقلة والمدارس كل هذه عبء ثقيل عليها فلما أعطيت ذلك لكان لا فائدة منه بل يضرها ولا تعيش به . وترى النعامة في العراء تقسم بيضها (ثلاثة أقسام) فتحضن بعضاً وتجعل بعضاً قوتاً لتربيتها وبعضاً آخر تعرضه للحشرات فتقع عليه فتطعمه لتربيتها اذا قويت على أكل تلك الحشرات . وترى الدجاجة لم يساعدها الديك في تربية أولادها لما أعطيت الأفراخ من قوة الريش والعدو السريع وعكس ذلك الحمام . وترى أمر النبات كله عجباً ويقول المحققون ان له نوعاً من الاحساس والشعور على مقدار طاقته . وتراه في أثناء هذا التفسير في مواضع منه ولقد نال لطفاً من الله . ألا ترى الى ما استقره في سورة الحجر من الزهر وكيف تنوعت أشكاله تنوعاً بديعاً ولكل نوع منها حشرات خاصة تنام اذا أغمض الزهر أجفانه وتستيقظ اذا تفتحت الأكمام ونحكت الأزهار وهناك تأتي تلك الحشرات وهي تغني فرحات بعرائس الزهرات ذات الحلل السندسية والزوائج العطرية والولائم العسلية والمخاسن والبدائع الهندسية في الأوراق والأزهار ونظامها هكذا نراه يفعل مع الانسان في نظام جسمه وعجيب تركيبه وفي إلهام العقلاء فكما يلهم النحلة عملها نراه ألهم الناس فصنعوا ما يلائمهم من جري السفن في البحار والقطرات في البر بالبخار والكهرباء وألهمهم أن يقطعوا البحار لطلب الرزق والحرب ويجوبوا الفيافي ويفوصوا على السر والمرجان في البحر ويحفروا في الجبال وغيرها فيستخرجوا المعادن

أعطى الله الدودة رطوبات . والنحلة زهراً وعسلاً . والانسان معادن وكهرباء . وألهم كلا من هذه المخلوقات ما استعدت له . هذا هو ود الله لمخلوقاته - وهو معكم أينما كنتم - فكما أن الصديق مع صديقه يعرف ما يلائمه هكذا نرى صانع الكون لكونه مع كل مخلوق أعطاه ما يلائم طبعه وأبعد عنه ما يلائمه ولذلك

تراه لما علم أن عقولنا قاصرة لأننا في العالم الأرضي الضيق نتجرب عنا معرفة العوالم التي تسكن في المريح أو المشتري مثلا وهكذا التي تسكن الكواكب الثابتة الكبيرة . علم ذلك من طباعنا لأننا لو عرفناها واطلعنا عليها لندهلنا من ذلك الجمال ولدهشت عقولنا ولا نهبرنا فنعنا عن ذلك كما منع المدود أن يعرف السمع والبصر والا لم يطق ذلك - ولا تقف ما ليس لك به علم -

فالله ودود ومن وده ما ذكرناه . واعلم أن كل من قلده الله في الود كان أقرب إليه . فكلما كان الإنسان أكثر نفعاً كان أكثر للناس وداً . إن الأم والأب يترتبهما لولدهما قد وداً ولدهما وداً شريفاً لأنهما قد جاوزا سند فهمهما أعلى منه وقد نزلوا إليه وتلفظا فهما بهذا قد ارتقيا إلى نحو الود الإلهي . هكذا العلماء والحكماء والمؤلفون ينزلون لعقول الشعب وعلى مقدار تفرغهم يقتربون من ربهم

إن الإنسان على مقدار منفعة وعموم فضله للناس يكون قد اقترب من الود الإلهي وعلى مقدار اتصافه بهذه المودة العاتمة يقترب من ربه كما أن الأب والأم اقتربا من ربهما على مقدار ماعنا ولدهما . هكذا سائر المصلحين . إن الرحمة والود مقرونان في قرن فالتدين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً على مقدار ماقدوا به للمنافع العاتمة . فالرحمة هنا تساعد على الود لأن الودود يعطى من يوده ما يناسبه . وهذه المناسبة تقتضيها الرحمة ولكن الرحمة أعم فكلما تكون مع الود تكون مع العذاب . فكم من عذاب في التعليم وبالطرب وبالضر كانت نتيجة العز والرقى كما قال (أرسطاطليس) في كتابه إلى اسكندر المقدوني تلميذه ﴿ إن الأمة إذا أرشيت لها العنان والترف أهكتها البطنة والناس لا يهتمون الراحة ولكنهم يهتمون المشقات في الحرب وغيره فهم في حربهم نشطون فرحون وفي أمنهم ودعتهم أشرون بطرون ثم يهلكون ﴾ إذا فهمت هذا عرفت بعض سر قوله تعالى في سورة مريم - يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن - فإن اقتران العذاب بالرحمة هناك راجع إلى ما ذكرنا . فالأمة للعذبة بالحرب والضر وكثرة الأعداء تكون مستيقظة نشطة كما قاله علماء الألمان قبيل الحرب السكبرى ﴿ إذا أردت رقى أمة فأوقد لها نار حرب فانها تستيقظ من سباتها ﴾ وقال تعالى فيها - إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً - فالرحمة جاءت مع العذاب كما عمت وجاءت مع الود . إذن الرحمة عاتمة والود فرع من فروعها . وههنا شعيب عليه السلام يقول - إن ربي رحيم ودود - ومن وده أنه ألهني أن أعلمكم الدين لأرقيكم وعلى مقدار مودة الأنبياء والحكماء والعلماء بالتعاليم يكون قربهم من ربهم وشرفهم . انتهى القسم الثالث

(القسم الرابع)

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ * وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ * وَمَا نُوَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدَّدٍ * يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنْفِرُونَ فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَيُنْفِرُونَ فِي الْجَنَّةِ

خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَحْذُوزٍ * فَلَا تَكُ فِي
 مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ أَنْصِبْهُمْ غَيْرَ
 مَقْضُوصٍ * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَى
 إِلَيْهِمْ وَاتَّخَذُوا مِنْهُ مِرْيَةً * وَإِنْ كَلَّمْنَا لَأَيُّوْقِينَهِمْ رَبُّكَ أَعْمَاهُمْ إِنَّهُ بِمَا
 يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَاسْتَقِيمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *
 وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا
 تُنصَرُونَ * وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ
 ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ * وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْحَسَنِينَ * فَلَوْ لَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ
 مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ
 ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ
 * وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ
 خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * وَكَلَّا تَقْصُ عَلَيْهِ
 مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُبِّئْتُ بِهِ قَوْمًا ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ *
 وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ * وَلِلَّهِ
 غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ فَاَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ
 عَمَّا تَعْمَلُونَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (ذلك) النبأ مبتدأ خبره (من أنباء القرى نقصه عليك) خبر بعد خبر (منها) من القرى
 (قائم وحصيد) أى بعضها باق وبعضها على الأثر كالزرع القائم على ساق والذي حصده وهذه الجملة مستأنفة
 (وما ظلمناهم) باهلا كنا إياهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بارتكاب ما به أهلكوا وذلك لما جبت نفوسهم
 عليه من النقص الذى هو نتائج أسباب خافية وظاهرة فى هذا العالم الذى فطر على الخير والشر ولكن الشر
 جاء عرضا ولا يترك الخير الكثير للشر القليل كسكر هؤلاء فلا بد من نفاذ أمرنا لأن تلك هى حقائق الوجود
 الثابتة التى تعلق علمنا بها فيكنا علمنا وهكذا خلقنا وهكذا ربنا ونظمتنا الخلوقات (فما أغنت عنهم) فما نفعتهم
 ولا دفعت عنهم (آلهتهم التى يدعون) يعبدون (من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك) عذابه ولما
 منصوب بما أغنت (ومارادوهم غير تقييد) تخسير * يقال تب اذا خسرت به غيره أوقعه فى الخسران أى
 مادفعت عنهم عبادة غير الله شئ بل أهلكتهم (وكذلك) أى ومثل ذلك الأخذ ومحل الكاف الرفع (أخذ

ربك إذا أخذ القرى) أى أهلها (وهي ظلمة) حال من القرى (إن أخذته أليم شديد) مؤلم صعب على المأخوذ وهذا تحذير لكل قرية ظلمة من كفار مكة وغيرهم فليبادر الظالمون بالتوبة ولا يشترهم الهمال (إن في ذلك) فيما قصه من قصص الأمم الهالكة وفي غيرها من السور (آية) لعبرة (لمن خاف عذاب الآخرة) أى اعتقد صحة وجوده . فأما من يرى أن العالم لا فاعل له وإنما هي ذرات تتكاثرون وتنحل فلا يقول بحساب ولا عقاب فليس لهذا عبرة عنده (ذلك) أى يوم القيامة (يوم مجموع له الناس) أى يجمع له الناس للاحالة والناس لا ينفكون عنه (وذلك يوم مشهود) أى مشهود فيه أهل السموات والأرضين وقد اتسع فيه بأجزاء الظرف مجرى المفعول به . وليس المقصود أن اليوم مشهود في نفسه ولا لبطل الغرض من تعظيم اليوم بتمييزه فان سائر الأيام مشهودة (وما نؤخره) أى اليوم (إلا لأجل معدود) الأجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهائها (يوم يأت) بحذف الياء وبإثباتها - يأتى - والحذف في مثل هذا كثير في لغة هذيل ونظيره قوله - ما كنا نبغ - والفاعل ضمير يرجع الى قوله - يوم مجموع له الناس - (لا تكلم) لاتتكلم (نفس إلا باذنه) أى لا يشفع أحد إلا باذن الله - من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه - (فمنهم) أى من أهل الموقف وهم الناس المذكورون في قوله - مجموع له الناس - (شقيّ وسعيد) فمنهم معذب ومنهم منعم (فأما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير) هو أول نهيق الحمار (وشهيق) هو آخره أو هما إخراج النفس وردّه والجلّة حال والعامل هو الاستقرار المقدر في النار (خالدين فيها) حال مقدرة (مادامت السموات والأرض) أى مدة دوام السموات والأرض وذلك للتأيد ونفي الانقطاع كما تقول العرب ﴿ملاح كوكب﴾ والمقصود التأيد (إلا ما شاء ربك) هو استثناء من الخلود في عذاب النار فان أهل النار يخرجون من النار الى الزمهرير وأنواع من العذاب غير النار . وكذلك أهل الجنة يتصلون بجناب القدس ورضوان الله وهذا اعلى من الجنة أو ما شاء بمعنى من شاء وهم قوم يقال لهم الجنة ينجون من النار ويدخلون الجنة فهم مستثنون من أهل الجنة أيضا لمفارقتهم إياها بكونهم في النار أياما فهو لاء لم يشقوا شقاوة من يدخل النار على التأيد ولا سعدوا سعادة من لم تمسه النار هكذا روى عن ابن عباس والضحاك وقتادة وهؤلاء هم فساق الموحدين * وقيل ان - إلا - هنا بمعنى سوى والمعنى سوى - ما شاء ربك - من الزيادة التي لا آخر لها على مدة بقاء السموات والأرض فالاستثناء راجع إما (١) لنوع العذاب كما يرجع لنوع النعيم فيما سيأتى فالمقصود انهم ينقلون من عذاب الى عذاب كما ان أهل الجنة ينقلون من نعيم الى نعيم

(٢) أول نفس المعذنين فمنهم من لا يتخلد في أحدهما كأهل المعاصي الموحدين

(٣) أولئدة التي تزيد على زمن السموات والأرض التي نشاهدها وتكون - إلا - بمعنى غير

(٤) وهناك وجه رابع وهو مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ فلبثوا في جهنم ما داموا فيهما والاستثناء إذن

من أصل الحكم

(٥) وقيل الزفير والشهيق هما المقيدان بتلك المشيئة لا الخلود فالزفير والشهيق دائمان إلا في أوقات

يعلمها الله

ثم قال تعالى (إن ربك فعال لما يريد) من غير اعتراض لأنه بناء على الحكمة العاقمة في العالم وليس للناس ما يؤهلهم للوقوف على تلك الحقائق كاملة (وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) وقد تقدم انهم قوم موحدون عاصون لا يدخلون الجنة إلا بعد العذاب اذا كانت - ما - بمعنى من أو انهم ينالون ما هو أعظم من الجنة وهو رؤية الله تعالى ورضوانه (عطاء غير محدود) غير مقطوع فهذا الثواب لا ينقطع (فلاتك في صرية مما يعبد هؤلاء) أى فلا تشك بعد ما أنزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وانهم آيلون الى الهلاك وأن الأنبياء ومن تبعهم ناجون في الدنيا والآخرة وهذا

عدة بالانتقام منهم ووعد لهم وتسلياً للنبي ﷺ ولكل من سار على قدميه من المؤمنين وأن الله ناصرهم وناصرهم وخالف أعدائهم وأعدائهم كما جربناه في هذه الحياة مراراً وهم ما يعبدون إلا كما عبد آباؤهم من قبل وقد قصصنا عليك منازل آبائهم فسيلحقهم مثله فإن المشابهة في الأسباب تستدعي المشابهة في المسببات وقوله - كما يعبد آباؤهم - أي كما كان يعبد آباؤهم وهذا قوله تعالى (ما يعبدون إلا كما يعبد) إلى قوله (وإنا لموفوهم نصيبهم) من العذاب (غير منقوص) حال من النصيب لتقييد التوفية دفعاً لما يحتمل أن التوفية تكون للبعض مجازاً (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) فآمن قوم به وكفر قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي كلمة الانظار إلى يوم القيامة (أقضى بينهم) بين قوم موسى وقومك بالعذاب المستأصل (وانهم) وإن كفار قومك (لن شكت منه) من القرآن (مرتب) موقع للريسة (وان كلا) وإن كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين (لما) إلا والله (ليوفينهم ربك أعمالهم) وقرىء - لما - بالتخفيف فاللام إذن موطئة للقسم والثانية للتأكيد ومازائدة للفصل بينهما (إنه بما يعملون خير) فلا يخفى عليه شيء . ولما أبان الله في هذه السورة كيف كانت عاقبة العصاة وخاتمة الصالحين أمر نبيه ﷺ ومن اتبعه قائلا (فاستقم كما أمرت) أي استقم على دين ربك والعمل به والدعاء إليه كما أمرك ربك أي دم على ما أنت عليه من الاستقامة (ومن تاب معك) من الشرك والكفر وهو عطف على ضمير الرفع في استقم (ولا تظفروا) ولا تخرجوا عما حد لكم أولاتغوا في الدين ف تجاوزوا ما أمرتكم به (إنه بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه وهذا في معنى التعليل للأمر والنهي * قال ابن عباس ما زلت آية على رسول الله ﷺ هي أشد عليه من هذه الآية ولذلك قال شيبتي هود وأخواتها (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) ولا تميلوا إليهم أدنى ميل فإن الركون هو الميل اليسير كالزني بزيمهم وتعظيم ذكرهم والميل بالقلب إليهم وطاعتهم ومداحتهم وتكثير سوادهم والرضا بأعمالهم (فتمسك النار) أي فتصبيك النار بحرثها كما يحصل اليوم في الأقطار الإسلامية من التشبه بالفرنجية وتقليدهم ومداحتهم والزني بزيمهم واحترام تجاراتهم وآرائهم وأخلاقهم وفسوق الفاسقين منهم . فلذلك حكم الله على أكثر الأقطار الإسلامية أن يصيبها نار الاستعباد في الدنيا والذل والفقر والاحتلال والاختلال والنذالة والضعف والجبن والخوف وهذه مقدمة لعذاب جهنم - ومن كان في هذه أعشى فهو في الآخرة أعشى وأضل سبيلاً -

وقد بينا في هذا التفسير في مواضع كثيرة أن الفرنجة ضحكوا على ذقون الشرقيين الغافلين وألبسوهم ثوب المذلة والعار ومزقوههم شر ممزق وكل ذلك لأنهم ركنوا إليهم وصدقوهم . ولقد قدمت انهم أشبه بالسيخ الدجال فانهم يظهرون جنة اللذات ويخفون نار الاستعباد . وقد ركن كثير من الأمراء إلى نار شهوات المال الذي يعطونه لهم أو الألقاب الحقبية الكاذبة التي يسمونهاهم بها أو الوسمات التي يعلقونها على صدورهم فأوقعوهم في نار الاستعباد والمذلة والخزي المبين . هذا كله سر هذه الآية ثم قال تعالى (ومالكم من دون الله من أولياء) من أنصار يمنعون العذاب عنكم والاستعباد والاحتلال واستنزاف الثروة وحلول الفقر بكم في الدنيا (ثم لاتنصرون) أي ثم لاتتجدون لكم من ينصركم ويخلصكم من عقاب الله أي عذاب يوم القيامة وفي الدنيا الذي هو مقدمة لعذاب الآخرة وفيه وعيد لمن ركن إلى الظلمة أوردى بأعمالهم . ومن عجيب الأمر أن النبي ﷺ يقول شيبتي هود وأخواتها . ولعمرك ما شيبته هود وأخواتها إلا لما في هذه السورة من العذاب الذي حاق بالأمّة الإسلامية أسوة بالأمم الأخرى

﴿ مصداق هذه الآية في تاريخ الأندلس وفي الدولة العباسية بغزوة التتار ﴾

وتعجب كيف تم ما قاله الله تعالى وهو أن الركون إلى الظلمة يعرّض المسلمين إلى الهلاك والدمار ثم يقول الله - ثم لاتنصرون - ولقد حصل ذلك وأصبح أكثر المسلمين غير منصورين بل هم في قبضة الفرنجة

كل ذلك جاء مصداقاً لهذه الآية . يقول الله - ثم لاتنصرون - وقد حصل ذلك وأصبح أكثر المسلمين كعبيد للفرنجة لأنهم ركنوا اليهم . والله لم ينج من مذلة الفرنجة إلا الذين استقلوا بأنفسهم وتركوا الركون اليهم ورجعوا الى أنفسهم ولم يتكلموا عليهم واعتبر ذلك في الأمة الأندلسية إذ كانوا في أول أمرهم حين كان الاسلام عزيزاً مهاباً محافظين على أخلاقهم القومية وعاداتهم العربية وشيمهم النبوية ثم تحولت الحال وساءت وأصبح المسلمون بعد الأتفة والعزة والشرف أسرى الأوهام . ومبدأ ذلك أن الفرنجة تعاهدوا مع أمراء الأندلس ورؤسائهم ابن عباد . وتلك المعاهدة احتوت على ما يأتي ﴿ أولاً ﴾ حرية الدين ﴿ ثانياً ﴾ حرية التجارة ﴿ ثالثاً ﴾ حرية التعليم . ولما تمت تلك المعاهدة أقام ابن عباد احتفالاً ومهرجاناً وأفرحاً دامت عشرات الأيام ولقد حضر الأمراء جميعاً تلك المعاهدة ووقعوا عليها وكان بعضهم قد ركبوا على جياد نعالها من ذهب . ولما تمت تلك الولية والأيام الراقصة رجعوا الى ديارهم آمنين مطمئنين ولم يرفض التوقيع على هذه المعاهدة إلا ابن مصعب فإنه قال ﴿ ويحكم يا أبناء العرب وعظماة الاسلام كيف تبسحون حرية التجارة والتعليم في دياركم . أفلاترون أن القوم سيعلمون أبناءكم تاريخ أمهم ويحقرون آباءكم . أولاترون أن الخمر يباع في بلادكم بعد الآن لحرية التجارة وسينشر في البلاد الفرف والنعم ويكثر المترفون والفسقة والفجار والخلاعة وينتهي الأمر بفساد البلاد وخراب العباد وطرد العرب من الأصقاع الأوروبية . فلما سمع القوم مقائله هزوا ساخرين ونذوه أجمعين وقالوا لست في العير ولا في النفير وهل يطاع لقصير أمر أو يقيم لغير رشيد وزن - وجعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً - وقالوا إن هذا كلام الذين لا يعرفون السياسة ولاهم من السياسيين ﴾ . فمما جرى بعد ذلك . قضيت سنون تلتها سنون وصح ما نسباً به ابن مصعب وانتشر الخمر والفسوق وصار ﴿ كتاب الأغاني ﴾ هو العمدة في البلاد وانتشرت الخلاعة والنسوق وصار الشبان يغزلون الفتيات في الطرقات شاربين وشاربات وسكرين وسكرات وكثر الترف والنعم وابسوا الحرير وتحنموا بالذهب وصارت الخلاعة مشرب الأدباء وخلق السكبراء فذهبت النخوة والدين وسرى ذلك من الأحداث الى العظماء والكبراء حتى ان أحد أمراء بني النون اختطف فتاة رومية من أبيها وأدخلها قصره فلجأ الى أمير آخر مسلم فأدته مروته أن يكتب ابن ذى النون ذاكراً له عظم هذا الذنب وقبحه فأبى أن يقبل قوله فاتحد ذلك الأمير مع بعض بارونات أوروبا وهجموا على ذلك الأمير ومزقوا شمله وخرّبوا قصره وأولم الأمير المغالب للفرنجة الحاضرين معه ولجئة دامت أياماً فرحاً بالانتصار وظاهراً للافتخار والأمة العربية إذ ذلك في انتحار وهي لاتعلم ماخبأها لها الزمان وكان العربي إذ ذاك في الأندلس يحقر نسبه وأخلاق آبائه وآراءهم وتاريخهم ولا يأنس إلا بالاوروبيين الذين ربوه في مدارسهم . ولقد تجاوز هؤلاء الأساتذة حد العادة في تغيير أخلاق المسلمين حتى ان راهبا في قرطبة من أساتذة المدارس التي يتعلم فيها المسلمون اشترى غنم قرطبة كله وعصره خرا وحلف أن لا يبيعه لأحد إلا لتلاميذه من أبناء المسلمين لحبه إياهم فصار الخمر من مستلزمات المدنية وال عمران . فمما جرى . سارت الأمة شوطاً بعيداً حتى قرعت القارعة ووقعت الساعة وأتى الملك (فرديناند) والملكة (إيزابله) وقصما ظهر البلاد وأزالا ملك بني عباد وأمراء الأجناد وقبروهم أجمعين إلا قليلاً منهم رموهم في البحر أجمعين وقتلوهم مجندين - وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون - وما الله بغافل عما يعمل الظالمون . كل هذا مصداق لقوله تعالى - ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالك من دون الله ثم لاتنصرون - فلم يجد أبناء الأندلس أولياء ينصرونهم لما أحاط بهم الافرنج من كل جانب وهم غافلون لأنهم ركنوا الى الفرنجة فأصبحوا حصيداً خامدين

﴿ التتار في الشرق ﴾

وقد كان المسمون قبل ذلك بنحو ثلاث مائة سنة في بلاد الشرق قد ثملوا بزمّهم وسكروا بجاههم فلم يظنوا في الأرض قوّة أعظم منهم أيام قطب أرسلان إذ أرسل اليه (جنكيزخان) المسمى بتوجين رجالا من قومه ليتاجروا مع المسلمين بأموالهم ومعهم مال عظيم ومتاجر كبيرة تخاف تجار المسلمين على أنفسهم وضاياع تجارتهم ويخس بضاعتهم لمزاجه أولئك الواردين لأن بضاعتهم أجمل وأبهج وأبهى وأرخص قيمة فأرسل هؤلاء التجار الوطنيون رجلا منهم فقال لقطب أرسلان . هل لك أن تأخذ التجارة من هؤلاء الذين حضروا وأن مامعهم يكون غني لدولة الاسلام وغزا وجاها للحكومة ففرّه مايقول وأخذ المال الذي مع التجار الذي قبل إنه كان كثيرا جدّا فأخذ تجارتهم وقطعهم أجمعين . فلما ورد الخبر الى (جنكيزخان) أرسل له خطابا مع جماعة يحذره من عاقبة ظمّه يقول فيه كيف تسيئون الجوار وتظلمون الناس ونبهكم ﷺ لم يقل به وعلى بن أبي طالب كذلك . أولم يخبركم نبيكم قائلا ﴿ تركوا الترك ما تركوكم اننا نحن أمة يأجوج ومأجوج وقد أوعدكم الله بأنهم سينسلون عليكم من كل حذب . فلما جاء الخطاب الى (قطب أرسلان) مزقه وصل آذان الرسل المسلمين من قبل (جنكيزخان) فصام هذا الذي يعبد النار ثلاثة أيام تضرع فيها الى الله أن ينصره على المسلمين الذين هم يخرّبون بلاد الله وهويسي الى الاصلاح ولم يأكل ولم يشرب في تلك الأيام الثلاثة ثم قام بجموعه وهجموا على الاسلام فأزالوا دولة العباسيين ومزقوا المسلمين شرا ممزق وانتشروا في الهند وفي روسيا ولا تزال بقاياهم الى الآن على نهر (قلجنا) وغيره ولكنهم أسلموا بعد حين وهذا مصداق لقوله ﷺ ﴿ ويل للعرب من شرّ قد اقرب ﴾ وسيتضح هذا المقام في تفسير سورة الكهف عند قوله تعالى . حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون . وسترى فيه نص الخطاب الذي أرسله (جنكيزخان) لتعلم أن المسلمين كما ركنوا الى أوروبا فرالت دولتهم ركن مسامو الشرق الى جوار التجار منهم فسلطوا الملوك على ايذاء الجيران فأذوهم فسلط الله عليهم التتار . ذلك لأنهم ركنوا الى الذين ظلموا وهم تجار المسلمين . وأيضا كان المسلمون غافلين جاهلين لم يعرفوا قدرة بلاد التتار ولم يدركوها فهم كانوا بجغرافية البلاد المجاورة لهم جاهلين فلما آذوهم سلطهم الله عليهم وهم لا يعلمون قوتهم ولا مقدار جيوشهم ولا عددهم ولا صبرهم على القتال . ذلك كله مصداق لقوله تعالى . ثم لا تنصرون .

﴿ مصداق هذه الآية في الأمم الاسلامية اليوم ﴾

ولقد قدّمت مرارا في هذا التفسير كيف استولت الفرنجة على بلاد الشرق وقتل انهم استولوا عليهم بنفس الطريقة التي أهلكوا بها بلاد الأندلس فانهم كما أهلكوا الأندلسيين بالشهوات واللذات وفتحوا لهم باب الترف فسكر الدين والاسراف والفجور والمجاهرة بالمعاصي مع الغانيات ولبس الحرير والتعم والربا واحتقار تاريخ الآباء وآرائهم وأعمالهم وخصالهم وماهم عليه من النمسك بالدين وما أشبه ذلك . هكذا فعلوا ذلك مع أهل الشرق من التونسيين ورجال الجزائر والمراكشيين والمصريين بحيث ترى الأغنياء من بلادنا الآن لا يهتأ لهم طعام إلا في مطاعمهم ولا شراب إلا في قهواتهم وباراتهم ولا مغازلة إلا مع نسائهم ولا شراء إلا من محال تجارتهم ولا لباس إلا على زيبهم ولا خدمة إلا من أحسن نسائهم ولا استئانة إلا من مصارفهم . واذا أرادوا عملا عاما لا يكون إلا في أماكنهم التي لهم في بلادنا

اذا علمت هذا علمت جواب رسول الله ﷺ الى أبي بكر لما سأله قائلا قد ثبت يارسول الله إذ قال ﷺ شيبني هود والواقعة والمرسلات وعمّ يتساءلون واذا الشمس كورت * وفي رواية غيرها ﷺ قال قلت يارسول الله عجل اليك الشيب قال شيبني هود وأخواتها الخاقعة والواقعة وعمّ يتساءلون وهل أنك حديث الغاشية ﷻ ويقول العلماء لأن هذه السور فيها ذكر القيامة والبعث والحساب الخ . فهذا صريح في أنه يخاف

عذاب الآخرة . ولا شك أن مما في سورة هود حساب الأمة المحمدية في الآخرة على أنها تركن إلى الذين ظلموا وقد أظهر الله مقدمات هذا الحساب ودلائله فيما ذكرناه . وورد أيضا ﴿ ويل للعرب من شرّ قد اقترب ﴾ وقد حصل ذلك بظهور التتار وغلبهم للمسلمين كما سيتضح في سورة الكهف وكما قدمناه الآن فليعتبر المسلمون . ولما كان اختلال الأمة ينشأ من ركونها إلى الذين ظلموا وكانت إقامة المساواة في أوقاتها مما يجمع القلوب ويؤدى إلى اتحادها أعقب ما تقدم بقوله (وأقم الصلاة طرفي النهار) غدوة وعشية وهو منصوب على الظرفية لأنه مضاف إلى الظرف وصلاة طرف النهار الأول تصبح وطرف النهار الثاني الظهر والعصر (وزلفا من الليل) الزلف جمع زلفة من أزلفه إذا قر به أى وساعات من الليل قريبة من آخر النهار وهى صلاة المغرب والعشاء (إن الحسنات) كالصلاة الخمس (يذهبن السيئات) أى الذنوب * وفى الحديث ﴿ إن الصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب ﴾ ومثل الصلوات جميع الطاعات * قال عليه الصلاة والسلام ﴿ وأتبع السيئة الحسنة تمحها ﴾ ومن الطاعات سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم . وقد ورد فى الحديث أيضا مرادة بهذه الآية * وفى البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها خطايا

إن الذنوب الصغائر تكفرها الصلوات والطاعات . أما الذنوب الكبائر فلا يكفرها إلا التوبة الصوح بالاقلاع عن الذنوب بالكلية وبالندم وبالعزم التام ألا يرجع إلى الذنب * وفى الحديث ﴿ إن الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنب الكبائر ﴾ وفى سبب النزول أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال انى قد أصبت من امرأة غير انى لم آتتها فنزلت (ذلك) إشارة إلى ما تقدم مما فى هذه السورة من هلاك العاصين ونجاة الصالحين وما لوى ذلك من قوله - فاستقم كما أمرت - وما بعده (ذكرى للذاكرين) عظة للمتقين وتبصرة للمفكرين فيعرفون كيف تهلك الأمم إذا ظلمت وكيف تسهم النار فى الآخرة إذا ركنوا إلى الظالمين وأن الأنبياء الذين ورد ذكرهم فى هذه السورة لم ينصروا إلا بعد الصبر ولذلك قال (واصبر) على ما تلاقى من قومك ومجادلاتهم وعداوتهم كما صبر الأنبياء قبلك المذكورون فى هذه السورة وقد علمت أمرهم وأنه لم يضع أجرهم إذ أحسنوا فى أعمالهم (فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) أى المصلحين أعمالهم كالاستقامة وعدم الركون إلى الذين ظلموا وإقامة الصلاة وفعل الحسنات وجميع الأعمال الظاهرة والباطنة فاحسان العمل الباطنى يرقى أخلاقنا واصلاح العمل الظاهرى كالصناعات يرفع قدر الانسان ويرقى شغله ويكسبه الغنى وهذا ممدوح والله لا يضيع أجره كما هو مشاهد محسوس . فكل من أحسن عملا لا يضيع أجره وهذا يوجب على المسلمين أن يحسنوا ما يصنعون فى أعمالهم الظاهرة والباطنة

ولما كان القول المتقدم وهو الأمر بالاستقامة للنبي ﷺ ومن اتبعه ونهيه عن الطغيان وعن الركون إلى الذين ظلموا حتى لا تمسهم النار كما مست الأمم السابقة لما طغوا كما هو مذكور فى هذه السورة أشبه بالتخلية ثم أمرهم بما هو كالتحلية من الصلاة بالليل والنهار مرتين على ما ذكر فى هذه السورة من اهلاك الأمم السابقة فى الدنيا لكفرها وفى الآخرة بالنار . لذلك أيضا رجع إلى تفصيل الكلام على تلك الأمم قائلا هلا كان من هؤلاء الأقوام الذين ذكروا فى هذه السورة وغشيتهم من الأمم السالفة قبلكم رجال أولوا رأى وعقل يهتدون الناس عن افسادهم فى الأرض بتعطيف الكيل والميزان وبخسهما وفعل الفاحشة التى لم يأتها أحد من العالمين والكفر والمعاصى الكثيرة . نعم ان بعضهم نهى عن الفساد فى الأرض فنحنناهم . فأما الأكثرون فانهم لم يهتدوا عن الفساد فى الأرض واتبع الذين ظلموا ما ترفوا فيه بالتعم والترفع وحب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهنىء ورفضوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتبذروا وراء ظهورهم (وكانوا

مجرمين) وحكم عليهم بأنهم قوم مجرمون وهذا قوله (فالولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية) من الرأى والعقل أو أولوا فضل وإنما سمي بقية لأن الرجل يستحق أفضل ما يخرج منه . ومنه فلان من بقية القوم أى من خيارهم (ينهيون عن الفساد فى الأرض الا قليلا ممن أئجيننا منهم) أى لكن قليلا منهم أئجينناهم لأنهم كانوا كذلك فالاستثناء منقطع فهؤلاء المستثنى منهم لم ينهوا عن الفساد فى الأرض (واتبع الذين ظلموا) أنفسهم فلم ينهوا الناس عن الفساد (ما أترفوا فيه) أى ما عرفوا فيه التمتع والثروة الخ (وكانوا مجرمين) ولما كان ما تقدم يستدعى سؤالاً فيقال يا عجبا إن الله عز وجل رحيم وكيف يهلك الناس إذا كفروا . وهانحن أولاء نرى الحيوانات راقية فى الماء والهواء والتراب فلم خص الانسان بالاهلاك فى الدنيا فليمكن الكافر فى الأرض كالحيوان أفلا يسمع الله هؤلاء فى أرضه فما باله يهلكهم فى الدنيا وينزع ملكهم ويشتت شملهم . لذلك قال الله (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم) بشرك (وأهلها مصاحون) أى وما كان ربك ليهلك القرى بمجرد شركهم إذا كانوا مصلحين بأن يعامل بعضهم بعضا بالصلاح والساد . ولذلك قيل ﴿ الملك يبق مع الكفر ولا يبق مع الظلم والمعاصى ﴾ . وكان هذا تقرير لما تقدم فى السورة كأنه يقال إذا أهلكت قوم لوط وقوم شعيب وغيرهما فانما أهلكهم للذنوب المخلة بالامن والضارة بالمجموع . وإذا كان المجموع فاسدا فلا بقاء له بل يكون كالجسد الميت تنفث رائحته . فالأمة التى تكذب وتظلم وتفسق ويرتضى حكامها وتضل فى أعمالها ولا تحسن عملا حكمت عليها بالهلاك لأنها مجموع مختل غير منظم وهذه قاعدة طبيعية فالأمة كالجسم إذا اختل خلا عظميا رئيسيا مات وهذه حال كثير من أمم الشرق والاسلام الآن وسيغير الله الحال بل ابتداء سبحانه يفعل ذلك الآن . ولما كانت الأمم الاسلامية اليوم قل فيها علم الأخلاق والعمل بها صارت قلوب أهلها متباعدة متباغضة وهم لا يحسنون كثيرا من الأعمال وهى بأيدى غيرهم سلط الله عليهم الفرنجة لأنهم لا ينهون عن الفساد فى الأرض وقليل منهم الآن انتظموا فى أعمالهم فاستقلوا فى بلادهم وطردهوا الفرنجة والحمد لله . فتعجب كيف أبان الله فى هذه الآيات أن شراب الأمم تابع لظلمها الداخلى فى أعمالها لا إيمانها وعلى ذلك لا يبالي بإيمان بلا عمل صالح بل ينزل بأهل العذاب الشديد فى الدنيا كما أشار اليه فى قوله تعالى - ولا تركزوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار - ومن الظلم ترك النهى عن المنكر . واعلم أن الفقهاء لأجل هذه الآية قدموا عند تراحم الحقوق حقوق العباد على حقوق الله تعالى

واعلم أن هذا المقام يقتضى أن يسأل سؤال فيقال اذا كان الله هو الخالق للعالم المنظم له وهو واحد فلم تطورت الأمم وكانوا مختلفين أخلاقا وديانات وآراء وكفرا وإيمانا . وهلا جعل الله الناس أمة واحدة ولم هذا الاختلاف . واعلم أن هذا السؤال يرد على عقول كثير من الناس وهو بهذا المقام أليق لأنه فى مقام هلاك الأمم وبقائها وتقرير حقائقها وقد تم البحث هنا ودققى فيما تدقيق . واعلم أن العالم لو لم يكن مختلفا لكان معدوما . ألا ترى أن الحكماء قد قرروا أنه لا يتساوى اثنان فى الوجود فلا رجل ولا امرأة من الناس يماثلان غيرهما من الرجال والنساء بل كل فرد من الناس والحيوان والنبات والمعادن والكون لا نظير له فى الوجود . وقد برهنوا على ذلك ببرهان قاطع لا يحل لدكره هنا . فإدام هناك خلق فلا بد من اختلافه فالاختلاف ملازم للخلق . وما دام هناك خلاف فهو فى الأجسام والألوان والعقول والآراء والديانات والأحوال وفى كل شئ . فالعقل الحكيم يستنتج أنه لا يكون وجود بغير اختلاف الموجودات والجاهل يقول لم خلق الله الاختلاف مع أنه لا يمكن الخلق إلا مع الخلاف . ولا فرق بين الخلاف القليل والكثير . فكما يأتى بساعات النهار المختلفة أضواؤها يأتى بالليل الذى هو غاية الخلاف مع النهار هكذا يفعل فى الديانات فكما يخلق تقيين متقار بين كائى بكر وعمر وهما كساعتين يخاق كافرا ومؤمن كائى بكر وأبى جهل كما خلق الليل والنهار فالنظام واحد فى الأطوار الانسانية والأحوال الكونية ونتيجة ذلك هو أعلم بها وهذا قوله

(ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) متفقين في الإيمان والطاعات ولكنه لم يشأ ذلك لأن المشيئة تتبع العلم والعلم يتبع المعلوم والمعلوم ليس يكون إلا على النظام الأكمل والنظام الأكمل لا بد أن يكمل فيه جميع الأحوال كما كملت أحوال الليل والنهار بالظلام والضياء المتباين الساجج والثمار (ولا يزالون مختلفين) في دياناتهم كما اختلفوا في جميع أطوارهم وهذا الاختلاف يفتق راحاتهم ويزعج نفوسهم ويكون سبب النزاع فيما بينهم (إلا من رحم ربك) من أناس يكون اختلافهم غير داع إلى النزاع بل هو كالوفاق حينما يرتقى نوع الإنسان ويكونون كأسرة واحدة يحب بعضهم بعضا ويكون اختلافهم في جميع أحوالهم ليستكملوا به ولكل منهم عمل خاص ينتفع الجميع به فيكون الاختلاف فيما بينهم كاختلاف البنية والابوة والذكورة والانوثة كل له عمل ينفع به المجموع وتكون جميع أهل الديانات على حال لا يلعب بعضهم بعضا بل يكونون أشبه بأعضاء أسرة واحدة . ذلك هو العصر الذهبي الذي عبر عنه بأنه ينزل فيه عيسى ابن مريم فتصلح القلوب بالمحبة ويصبح الناس - أخوانا على سرر متقابلين - في الدنيا * وقد ورد أن دين الإسلام يعم المسكونة إذ ذاك . ولما كان الخلاف في جميع الأحوال أمرا طبيعيا أعقبه سبحانه وتعالى بقوله (ولذلك خلقهم) أي خلق الناس (وتمت كلمة ربك) وهي قوله لللائكة (الأملا أن جهنم من الجنة والناس أجمعين) لتقصائهم وبعدهم عن الكمال فاذن أضعهم في المنازل التي استأهلوا لها كما أخلق الدود في الطين والحيات والعقارب في التراب والحشرات في القاذورات ولقد أكرمت في الدنيا من هذه المخلوقات في تلك الأملا كن ثلثا يبقى مكان في العالم معطلا بلا خلق ولم أخلق الخلق عبثا بل كداحكمة فأن لا أذر الروث والطين المنتن والقاذورات بلا مخلوقات فأكرمت خلقها فهكذا . إن أكثر النفوس الانسانية تموت ناقصة فأضعها في قاذورات العالم الثاني لأعمال أن بها علم فتكون معذبة وعذابها بحسب استعدادها كما خلقت الدودة في الروثة وكما أن الناس يأنفون من الروث ويقولون لو خلقنا دودا لتمينا الموت ولكرهننا الحياة والسود محصور مغمر مسكين يعيش كأنه ميت ولا يعلم من الحياة إلا ما عسى جلده فهو خال من السمع والبصر والشم والذوق . هكذا يكون في الآخرة خلق من الناس يأنف أهل الجنة أن يكونوا معهم لما هم فيه من العذاب بالنار والحجم فضلا عن خسة الحياة ودناءة الموقف وعذاب الخزي والدلة والخافة والضياع والتحصار القوى والتحبس النفوس . وإلى هنا قد تم الكلام على الأمم وأحوالها وما استنتج الله منها وعلم نبيه وأمرته ووعظوا ذكر وحذر وأتذر . ثم شرع سبحانه ببيان للنبي ﷺ ولأمرته مقصود هذه القصص وأمثالها وأن المقصود من هذه الأخبار تثبيت فؤاده ﷺ وفؤاد كل مؤمن يقرأ هذه القصص فإن الإنسان إذا علم ما أصاب المصلحين قبله من البأساء والضراء ثم تم النصر لهم في آخر الأمر ثبت قلبه وهكذا ﷺ لما علم من هذه السورة كما علم من غيرها كيف كانت عاقبة الأنبياء وعاقبة أممهم من الاتباع والكفار تأسى وصبر وثبت قلبه لعلمه بالعاقبة وهذا قوله تعالى (وكلا) وكل نبأ (نقص عليك) وقوله (من أنباء الرسل) بيان لكل وقوله (مانثبت به فؤادك) بدل من - كلا - (وجاءك في هذه الحق) أي في هذه السورة (وموعظة وذكرى للمؤمنين) وتثبيت قلبه معناه زيادة يقينه فإن تكاثر الأدلة أثبت القلب وهكذا توارد القصص المتشابهة المغزى في موضوع واحد توجب الاستئناس . هكذا قراءة المؤمنين

لأمثال هذه القصص تورثهم موعظة من المعاصي وتذكرهم أحوال الأمم فيقيسون عليها أنفسهم ولما كان ماتقدم نافعا له وللمؤمنين أمره أن يخاطب الكافرين قائلا اعملوا على حالكم وجهتكم التي أنتم عليها (إنا علمناون) على مكانتنا وهذا كقوله - لكم دينكم ولي دين - (وانظروا) بنا الدوائر (إنا منتظرون) أن ينزل بكم مثل منازل بالأمم السابقة كما قصه الله في هذه السورة من الهلاك اللاحق بهم لما كفروا كما كفرتهم . ثم ختم السورة بالتوحيد وارجاع الأمور كلها لله تعالى فقال (ولله غيب السموات والأرض) وحده لا يخفى عليه شيء فيهما (واليه يرجع الأمر كله) ومنه أمرك وأمرهم فينبئك ويعاقبهم

(فاعبدوه وتوكل عليه) أى فمن كان كذلك فهو مستحق للعبداء لاغيره فاعبدوه وحده - وتوكل عليه - يعنى وثق به فى جميع أمورك فانه يكفيك كما فى قوله - إياك نعبد وإياك نستعين - (ومار بك بقافل عما تعملون) أنت وهم وجميع الخلق فهو يحفظ أعمالهم جميعا لا يخفى عليه منها شئ فيجزى المحسن باحسانه والمسيء باساءته والله أعلم - انتهى التفسير اللفظى

﴿ لطيفتان ﴾

﴿ الأولى ﴾ فى قوله تعالى - فأما الذين شقوا الخ - ﴿ الثانية ﴾ ما أهم العلوم التى كان يرى انها الأنبياء فى هذه السورة وكيف خزنها الله فى القرآن للمسلمين فى هذا الزمان وكل زمان

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

اعلم أن من علماء الأمة الاسلامية من نظروا فى هذه الدنيا ونظامها وحكمة خالقها ورحته التى وسعت كل شئ • وأن رحمته سبقت غضبه • وأن أول كل سورة بسم الله الرحمن الرحيم وصلاة المسلم كلها دعوات تسند جميع أفعال الخلق الى الله تعالى • وهذا كله مما يوقع فى النفوس أن خالق هذا العالم عنده رحمة عظيمة فوق رحمة الناس وفوق ما يعرفه الناس • كيف لا وهو القائل فى هذه السورة - وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها - وهو القائل على لسان بعض رساله - ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - فالنظر فى العالم والنظر فى بعض الآيات والأحاديث جعل بعض العلماء يفكر فى هذه الآيات ويقول إن العذاب ليس يكون بلانهاية * قال العفيف القلمسانى اذا بلغ الاتقام الغاية انقلب رحمة * وقام المصطفى ﷺ لجنزة فقالوا انه يهودى فقال أليس الملك معها أليست نفسا قال العلامة زين الدين محمد المادعو عبد الرؤوف الحدادى الناهرى المعروف بالناوى المتوفى بالقاهرة سنة

١٠٣١ هـ فى شرحه على (قصيدة النفس) لابن سينا مانصه

قال فى الفتوحات المكية ﴿ هذا أرحى ما يمسك به أهل الله اذا لم يكونوا من أهل الكشف ولا التعريف الالهى فى شرف النفس الناطقة وأن صاحبها وإن شقى بدخول النار فهو كما يشقى هنا بأمرأى النفس والعلل والهموم وأن ذلك كله غير مؤثر فى شرفها إذ كانت من العالم الأشرف فقام لها لكونها نفسا أى لذاتها وهذا يؤذن بتساوى النفوس

وفى رسالة القشيرى عن بعض الصالحاء أنه ذم من رأى نفسه خيرا من فرعون • قال وهذه مسألة من أعظم المسائل تؤذن بشمول الرحمة وعمومها لكل نفس وإن عمرت النفوس الدارين • ولا بد من عمارة الدارين كما ورد أن الله سيعامل النفوس بما يقتضيه شرفها بسبب لايعامه إلا أهل الله فانه من الأسرار المخصوصة بهم • فكما أن الحد يجمعهم كذلك المقام يجمعهم لذاتهم إن شاء الله تعالى • وقال تعالى فى الذين شقوا - إن ربك فعال لما يريد - ولم يقل - عطاء غير مجذوذ - كما قال فى السعداء • وقال أيضا - رحمتى سبقت غضبى - وقال - ورحمتى وسعت كل شئ -

كل ذلك منه منة فانه كتب على نفسه الرحمة • قال للناوى الى هنا انتهى كلام ابن عربى أقول ولم يقتصر الأمر على الصوفية رحمة الله بل أعداهم الى غيرهم * قال ابن زيد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بالذى يشاء لأهل الجنة فقال تعالى - عطاء غير مجذوذ - ولم يخبرنا بالذى يشاء لأهل النار وروى عن ابن مسعود أنه قال ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحتابا * وعن أبى هريرة نحوه • وقال المناوى انه قد جاء فى بعض الآثار ما يدل على خلاص الكل وأن النار تنفى ويوزل عذابها دون الجنة • قال ابن تيمية نقل ذلك عن عمر وعن ابن مسعود وأبى سعيد وغيرهم • وأخرج عبد الحميد بن حميد عن عمر بن الخطابين رجلهما ثقات ﴿ لو لبث أهل النار كعدد

رمل عاجل لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه ﴿ وتداوله أئمة غير مقابلين له بالانكار قال أغنى ابن تيمية وانما أرادوا جنس أهل النار الذين هم أهلها واما قوم أصيبوا بذنوبهم فقد علموا هم وغيرهم أنهم لا يلبثون قدر رمل عاجل ولا قريبا منه . ولفظ أهل النار يختص بمن عدا المؤمنين كما يشير اليه عدة أحاديث ولا يناقضه قوله تعالى - خالدين فيها - وما هم منها بمخرجين - الى أن قال . لكن اذا انقضى أجلها وفنيت كما نفى الدنيا لم يبق نار فلم يبق عذاب . قال ويرد في عدة طرق عن ابن عمر ﴿ وليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا ﴾

وجاء نحوه عن ابن مسعود وأخرج عبد بن حميد عن الشعبي ﴿ جهنم أسرع الدارين عمسارا وأسرعهما خرابا ﴾ ثم ان ابن تيمية رحمه الله أورد قول من يقول ان الاجماع على خلاف ما ذكر ونحوه ورد هذا القول قائلا انما يظن الاجماع من لا يعرف النزاع . والمسلمون جميعا أجمعوا أن عذاب جهنم دائم لا ينقطع . هذا قام عليه الاجماع . ولكن اذا بطلت جهنم بالسكينة لا يقال أنهم خرجوا من جهنم بل يقال انها فنيت فهم يعذبون مادامت باقية فاذا خربت فأين يعذبون وفرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس . هذا ملخص ماقله المناوي . ثم قال حكى ذلك كله ابن القيم وأطنب فيه ودفع قوادحه في نحو كراسة . ثم قال والذي نعتقد ما عليه هداة الأئمة وجهور الأئمة أن النار لا تنفي ولا يزول عذابها . قال ووافق ابن القيم على نحو ما زعمه جمع من الصوفية كما تقدم اه
هذا وانما أريت هذه الآراء المختلفة في هذا المقام لتعلم مقدار ما وصل اليه علماءنا والمحققون منهم في هذا المقام والله يتولى هدايتنا

﴿ الناطيقة الثانية ﴾

اعلم أن هذه السورة أشبه بثمرة الجوز المقسمة الى بيوت كل واحد منها فيه اللب الشهي النافع للأجسام المغذى لنوع الانسان . وانما شبهتها بتلك الثمرة لأن الجوز له قشر يحيط بلبه وفي داخله بيوت منظمة محتوية على اللب المطاوب للآكلين . هكذا هذه السورة فيها القصص الدالة على نجاة الطائعين وهلاك العاصين . والمقصود من ذلك كله العلم بنظام العالم وجماله وبدائع حكمته وغرائب خلقته . واعلمك تقول . يا للعجب كلما وصلنا الى آية أو قرأنا حكمة أرجعناها الى الحكم الكونية والغرائب الخلقية . فيا ليت شعري ما لقصص نوح في سفينته وهود في قبيلته وصالح وناقته وابراهيم وامرأته ولوط وقرنته وشعيب وجاعته وموسى ونبوته فأين قصص هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأفلاك في دورانها والأسماء في بحارها والنباتات في حقولها والحيوانات في فلواتها . والذي يتخيل لي أنك مغرم بالجمائيل الكونية تدور حولها كلما سنحت سانحة أو برقت لك بارقة

اذا قلت هذا أيها الذكي أقول لك لا تعجل وانظر ما أقول ابتداء الله السورة بأن الكتاب محكم الآيات مفصل كما تفصل الفرائد وهو حكيم خبير . وأفاد أن علمه يعلم ما بطن وما ظهر . وأن عليه رزق جميع الدواب وهو العالم بمستقراتها ومستودعها وأن ذلك عنده في كتاب وقد أسس ملكه جميعه على العلم فلا دابة في الأرض من طير يطير وبهيمة تسير وسمك يجري وحشرة تسرى إلا وهو قائم بنظامه عالم بما يحتاج اليه رازق له منظم لأعضائه وحياته معطيه رزقه . فاذن ليس لدابة في الأرض إلا خالقها ومنها الانسان وهو أشرف المخلوقات . فهذا أساس هذه السورة . ألا ترى الى قول هود - إني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها - . أنظر كيف استدلل بعلم الدواب وأن الله قابض على ناصيتها عالم بمستقراتها ومستودعها . أليس هذا ترديدا لما في أول السورة دلالة على أنها مؤسسة على هذا الأساس مبنية على هذا المبدأ قائمة على قرار مكين من علم شامل وعمل دائم وحكمة عالية

ها هو ذا النبي هود يقول - إني توكلت على الله الخ - وما برهانه إلا ما جاء في أول السورة وهو جوهرها ومقصودها . فيقول إن الله معك بنواصي الدواب ويعلم مستقرها ومستودعها فكيف أكون نبياً وأخاف من المخلوقات والله آخذ بناصيتي وربي على صراط مستقيم لا يبتغي إلا ما كان أنفع في الوجود . ولا شك أن العلم أبقى على العالمين والجهل أردأ للمخلوقين وأنا قد أرسلت بالعلم فهل يخذل الله المصلحين وينصر الجاهلين كلا ثم كلا . وانظر إلى نوح كيف يقول الله له - واصنع الفلك باعيننا ووحينا - وذلك لليلة الغة في الحفظ والرعاية كأنه يراه بعين كثيرة على سبيل التمثيل حتى لا يلحقه ضيم فهو المنجى له . وهذا كقوله في المبدأ - ويعلم مستقرها ومستودعها -

وقال الملائكة للوط - إنا رسل ربك لن يصالحوا اليك - ولقد نجى الله شعيباً وبقية الأنبياء . فانظر كيف رجع أمر الأنبياء جميعاً إلى مراعاة الله لكل مذهب على الأرض من الإنسان والحيوان وحفظه لها وأخذ الأنبياء يرددون ذلك المعنى حتى قال لرسوله محمد ﷺ في آخر السورة ما جمع ذلك كله فقال - والله غيب السموات والأرض - وهذا كالذي ذكر في الأساس من عموم علم الله وقوله - وتوكل عليه - هو عين ما قاله جميع الأنبياء لرسولهم وقوله - وما ربك بغافل عما تعملون - هو كقوله تعالى - ويعلم مستقرها ومستودعها - فأول الأمر وآخره في هذه السورة أن الله محيط بعالم الحيوان وغيره قائم بتدبيره وأن الأنبياء جميعاً قد حققوا هذه الفكرة وعرفوها بما أوحى إليهم فلا يبالون بأعدائهم وهم متوكلون على الله والآية التي ختمت السورة أتت بمجمل ما جاء فيها . هذا هو مقصود السورة . وهذا هو اللب

واعلم أن إرسال الأنبياء والقصص الواردة في الكتب السماوية والأمر والنهي وغيرها ليس يقصد منها إلا ترقية الإنسان وإخراجه من ظلمات الجهالة بالعرفان وكل ما ورد من علوم الأخلاق والآداب لم يقصد منها إلا ترقية العقول بالعلوم . وههنا قد وصلنا إلى المقصود فنقول . كيف يعرف الإنسان أن الله آخذ بناصيته كل دابة وأنه يعلم مستقرها ومستودعها إلا بدراسة علم الحيوان . يا عجباً كيف يعرف الناس أن الله آخذ بناصيتها إلا بالدراسة التامة . ومماثل الناس في ادعائهم أنهم يعرفون علم الحيوان وهم لم يدرسوه الا كمثل الجبال والبقر إذ تزعم أنها تعرف الحيوان المحيط بها من الجبال وبقية الدواب . أو كمثل من يظن أنه عالم بالشمس والقمر والكواكب وهو لم يعرف إلا صورها الظاهرة . ولم يدرس من علم الفلك درساً واحداً .

فكم في الأرض من مغرورين . وكم في بلاد الله من غافلين . وكم من صم بكم عمي فهم لا يعقلون أنزل الله سورة هود وبنى سبحانه الأنبياء على التوكل عليه لأنه القادر العالم الخالق العليم بأحوال الحيوان فعلى المسامحين دراسة علم الحيوان كما يدرسون علم الفقه كلاهما فرض كفاية . فلا ذكر لك أيها اللكي في هذا المقام عشرين عجيبة من عجائب الحيوان بعد ما قرأته في هذا التفسير وبعد ما بينته في هذه السورة نفسها لتسكون أنسا لك وجالاً وكلاً ولتقبل بقلبك على دراسة العجائب الإلهية وتسكون من الموقنين

﴿ خزائن الجواهر في سورة هود ﴾

اعلم أن هذه العجائب الكونية الحيوانية الآتية وغيرها من جواهر مخزونة في سورة هود مقصودة لنفسها فلمعرك ليس يراد من الإنسان إلا كماله الجسمي وكمال العقل والأخبر أرقاها مقاماً وإن يتم ذلك إلا بنظام هذا العالم . ومن نظامه الجواهر التي خزنها الله في سورة هود . نعم خزنها للأجيال المقبلة وبعض الذين سبقوا من أولى العلم والحكمة الذين هم لله شاكرون - وقليل من عبادي الشكور -

وأكثر الناس لا يشكرون الله لأنهم جهلاء بالحقائق مكتفون بالظواهر فلا يعرفون من سورة هود مثلاً إلا التبرج وتطبيقه والنحو وإعرابه والبيان ومجازاته والمعاني وحقائقه والبديع وجناسه ويتلهون بالبلاغة وأن القرآن معجز العالمين نارة بعشر سور ونارة بسورة واحدة من مثله . كل ذلك اكتفى به أكثر الناس

عن الحقائق وضلوا طريق الدقائق وما وصلوا الى ما عسى له طالبون . ولعمرك لم يتعد أمثال هؤلاء أول الطريق ولا قاموا للدين بادنى نصيب وما نالوا من ذلك كله إلا تصديق النبوة ولكنه تصديق يتبعه الأعمال والعلوم . أما الأعمال فكالأخلاق التي تؤخذ من هذه القصص . وأما العلوم فهناك هذه العشرين عجيبة تذكرة وبشرى للعاقلين الذين درسوا هذه الكائنات وأحكموها وفقهوها بعض أسرار هذا الكون وأدركوها وهم طوائف من أمم شتى وأزمان مختلفة . اختلفت دياناتهم وشرائعهم وبلدانهم وأزمانهم وهم في الحقيقة متحدون لأن علمهم الذي حصاوه هو نظام هذا الوجود وعجائب هذا الملك فلهذا عشرين عجيبة عسى أن تكون من أولئك الذين قال الله فيهم - إلا من رحم ربك - فانهم لما أدركوا عجائب صنع الله لم يخجلوا فيها بل اتحدوا وعرفوا بواطن الامور ولم تلهمهم القشور

﴿ العجيبة الأولى . لغات الحيوان ﴾

من غرائب أمر الحيوان أن لأنواعه طرقاً لتأدية المراد كما أبان أهل العلم والاختيار وقد شاهدوه في ادنى الحيوان كالنمل والنحل وقالوا ان النمل يفهم أمثاله بطريقة اللس بالقرون وفي تلك القرون من قوة اللس ما ليس للانسان * ويحكى أن (فرنكاين) كانت عنده جرة من القند (عسل قصب السكر) ازدحم النمل فيها فغشى (فرنكاين) على قنده فعلق الجرة بحبل من السقف فرأى نملة خرجت من الجرة وصعدت على الحبل وبعد نصف ساعة رأى ما لا يحصى من النمل نازلاً على الحبل الى الجرة وكانت النملة حين تشبع تخرج تاركة مكانها لغيرها . وظل النمل بين صاعد وهابط الى أن فرغت الجرة من القند اه

وعلى ذلك نقول ان النملة أخبرت النمل حتى جاء الى الجرة . وليس يلزم من قولنا ان للنمل لغة أن تكون لغتها كلفاتنا بل المقصود أن يفهم عنها ما يلزمها . فالمراد باللغة هنا كل ما أفهم المراد . ومن هذا نفهم - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها - ومن هذا وأمثاله فليفهم القرآن . وبهذا وأمثاله فليرتق المسامون

﴿ العجيبة الثانية . نظار النمل ﴾

قال بعض علماء العصر الحاضر . ان رؤساء العمل في النمل تضرب بقرونها حثا للعملة فتسرع وتبذل كل مجهود في العمل . ولقد شاهد ذلك في حرب النمل فترى أنه عند التقاء الجيشين يضرب أمراء الجيش الأرض بقرونها - فتلتحم الحرب ويشتد الكرب ويعظم الهول ويحمى الوطيس وتقوم الحرب على قدم وساق وتفتك الأبطال بالأبطال ويكثر النزال ويحمل الجفيل على الجفيل وتحتجب الجنود في ظلام القسطل وتظل نار الحرب تلظى الى أن يتم النصر للقادرين وهم الغائمون ويجتمع النمل على مدب كمنصف محيط دائرة وينطح المنذرين (بفتح الذال)

وبهذا نفهم - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب - أى اللوح المحفوظ - من شيء -

﴿ العجيبة الثالثة لغة النحل ولغة النمل متقاربتان ﴾

يقال ان لغة النحل ولغة النمل متقاربتان كالانجليزية والفرنسية . وذلك أن هؤلاء العلماء جدوا حتى سمعوا الأصوات منهما بطرق طبيعية ووجدوا لصوتيهما ولتقوئيهما مشابة

﴿ العجيبة الرابعة . حكاية نملة ﴾

استيقظت نملة صباحاً نحو الساعة السادسة من تلقاء نفسها بلا منبه فغسلت وجهها وأصلحت من شأنها بالمفرشة والمنشط اللذين وهبا لها من الله بحسب جباتهما وهما في طرف قائمتيهما المقدمتين ثم نظفت القائمتين بفهما وخرجت في سرب من أخواتها ماشيات في بعض دهاليز المنزل نحو غرفة الملك فالتقت بأسراب أخرى

الزهر الأحمر كثيرة الألوان على الزهر المتلون . وربما رأيتها على غصن من الأغصان أشبه بزهرة من الزهرات بحيث لا يفرق الناس ولا الحشرات ما بينها وبين زهرات تلك الشجرة حتى إذا جاءت ذبابة بقربها انقضت عليها فقتلتها . ومن عجيب أمرها أن حيلتها تتم بكاملها فإذا تشككت بشكل الزهرة وهي على الغصن صارت من الشجرة في جميع أطوارها فخراتها الطبيعية معدومة فهي أبدا ساكنة وإذا هبت الريح والعواصف والزعازع تحركت كأنها زهرة تلعب بها الريح كما تلعب بغيرها . وهذا يفهم من قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - وقوله في هذه السورة - ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - ولقد تقدم قريبا في هذه السورة ما جاء في العلم الحديث أن ألوان الحيوان إنما جاءت لحمايته وبقاء حياته

﴿ العجبة الثامنة . الحباب ﴾

وتعريف الحباب أنه ذباب يطير في الليل له شعاع في ذنبه كالسراج وهذا النوع في العلم الحديث ظهر منه أنواع كثيرة تشترك كلها في الاضاءة بأشعة تشع من بؤرة في ذنبه وليس لها مظهر إلا بالليل كالقمر والنجوم . وقال العلامة (شوتز) ان للذكر منها بؤرتين واحدة منهما وراء الأخرى وكل منهما مركبة من (طبقتين) عليها يشع منها النور وسفلى يظن أنها تعكسه الى ماحول الحشرة . ويقال ان الأنثى لاتضيء وقد وجدت الأنثى في ايطاليا كالذكر في الاضاءة . وأعظم الحباب ما وجدت في جزائر الهند الغربية بأمريكا الوسطى يسمونها ﴿ ذبابة المصباح ﴾ لأنها تنير كالصباح وأهل تلك الجزائر في كوبا وجامليكا وسان دومينكو يستخدمونها كالصباح والسياح يستخدمون هذه الحشرة لاضاءة السبل فيعلقون واحدة أو اثنتين في أحنيتهم فتضيء الطريق أمامهم وهي كما تكون هدى للسافرين جعلها النساء زينة لمن وجلا في كوبا يفرسها في شعورهن بين الضفائر بدل الخلي من ألماس وعقيق وذهب . وهذه تكسب نساء (كوبا) جمالا وبهجة وحسنا يفوق الجواهر المعدنية والأحجار الثمينة

وأهل تلك البلاد ينتفعون بهذه الحشرة في الاستضاءة ليلا للخطابة فلورأت ثم رأيت جماعة من هؤلاء وقد علقوا قنديلا في سقف البيت بينهم وليس فيه إلا تلك الحباب وال ضوء منشور عليهم وهم يخيطون وهم فرحون بلا كهرباء ولا نار ولكن بالحباب السارة للناظرين . وهذا من سرّ قوله تعالى - الله نور السموات والأرض -

﴿ العجبة التاسعة . صاحب السفينة ﴾

إن في الحيوان لعجبا وأى عجب . فبينما تراه ذافقرات كالانسان وذوات الأربع والسمك والطير وأكثر الحيوانات والزحافات ترى منه ما ليس له فقرات ولا عظم له البتة . وهذه الحيوانات تسمى بالحيوانات الرخوة . فانظر كيف كان العمود الفقري والعظام عليها مدار القوة والحركة . فأما هنا فقد انعكس الوضع وأعطى بدلا من الهيكل العظمي كساء خارجيا تتصل به العضلات للحركات المتعاقبة وهذا الكساء الخارجى الذى قام مقام العمود الفقري والعظام إما أن يكون جلديا وإما أن يكون كالغضروف وإما أن يكون كالعظام وهو عبارة عن كساء كلسى وإما أن يكون أصلب من العظم وهو الصدفة وهذه الحيوانات تسمى ذوات الأصداف ومن أنواعها (١) القواقع الذى منه الحلزون المعروف في البحار . ومنه الأبواق الكبيرة الهائلة . وهذا الكساء إما مستدير كالصحن وهو طبقة أو طبقتان مثل (أم الخلول) و (الكندوفى) و (البطينوس) وقد يكون هرمى الشكل كالأبواق وقد يكون حلزونيا وقد يكون مستطيلا كالأنبوب والذى يهمنا في هذا المقام أن نذكر هذا الحيوان الذى نحن بصدده فإنه من الحيوانات ذوات الصدف والصدف هنا في هذا الحيوان كالسفينة يستخدمها كما نستخدمها نحن . انه يعوم بها فوق الماء في بحر الهند خصوصا بجوار (جزيرة ملقا) وقد أعطى ثمانية أصابع منها اثنان يجعلهما كشراع السفينة ينشرهما في الهواء وبهما تسير السفينة كما يريد وهو يحولهما نحو الريح كما يحب . وأما الأصابع الست الباقية فإنها

جعلت كالمجاديف يرسلها على الجانبين وبها تسير السفينة بقوة التحريك ويسيرها الشراعان بقوة الهواء الضاغطة عليهما وهما مشهوران غشائيان . فاعجب لسفينة حقيقة لم تلتصق بجسم الحيوان لها شراعان غشائيان كأنهما من نسيج القطن أو الكتان والمجاديف تحيط بها والنوتى يعيش فيها . ومتى طرأ عليه خطر أو أحس بأذى مؤذٍ قبض المجاديف والشراعين واختفى في الصدفة وغاص في قاع البحر ونجا من الخطر والداهم - وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون -

﴿ العجبة العاشرة • سمك يطير ﴾

ان من السمك ما يعيش في مياه الولايات المتحدة والبرازيل وفي البحر الأحمر يبلغ نحو شهر ألوانه جميلة زاهية سماوية وفضية وله زعانف بها يطير في الجو أسرابا مسافات طويلة ثم يخوض في الماء ويعود فيطير . ومن عجب أن هذه الموهبة العجيبة والنعمة العظيمة وهي تمتعه بالهواء في جو السماء وسعادته بولوج ماء البحر قد قوبلت بما يناسبها من المهالك فهو يكون فريسة السمك الكبير في البحر اذا غطس في الماء وتصيده طيور البحر اذا علا الى الجو وانظر قوله تعالى - ووضعت الميزان * ألا تظفون في الميزان - فقد وزنت النعمة بالنعمة ليعتدل العمل ويقوم الأمر بالقسط . فاذا أعطى السمك الطيار نعمتين فقد سلطت عليه نعمتان - وبارك بظلام للعبيد - وانما يضع الموازين القسط

﴿ العجبة الحادية عشرة ﴾

(الحيات التي لاسم لها أكثر من ذوات السم والثعبان الذي لاسم له ولكنه يتلعج الانسان)
قرأت في قصة (روبنسن) السويسرى المترجم بقلم الرحوم صديقى صالح بك حدى حجاد . قال ان الحيات السامة تبلغ نحو مائة صنف من الحيات . أما الحيوانات التي ليست بسامة فهي تقرب من أربع مائة نوع . ثم قال ان الأصناف السامة تعيش عادة في الأحرش والكثيفة والمستنقعات الشائكة والسم الذي فيها لا يكون إلا من تعاطيها الحشائش السامة والأبخرة الخبيثة والروائح الكريهة في الهواء الفاسد في تلك المستنقعات وكذلك ما ينبعث من الأراضي الرطبة التي لم تزرع فذلك كله يحدث السم في تلك الحيات . ومتى أصلحت الأرض التي تأوى إليها تلك الهوام وزرعت وعمرت بالمساكن والقرى اختفت منها تلك الأنواع ومن أهم الحيات التي لاسم لها (البوا) وهو عظيم الجثة يختطف الرجل والحمار كما اتفق لروبنسن أن حماره كما في قصته الحياتية اختطفه ذلك الثعبان العظيم وابتلعه من قبل رجله حتى اذا انتهى الى رقبته ضربه (روبنسن) وأرداه بالبندقية نفرا صريعا

وأقول ان المسافرين الذين يجوبون الأقطار التي يسكنها يعرفون طبعه وأنه يقتصص الانسان من جهة رجله فاذا نام الرجل منهم وسع ما بين رجله فاذا جاء ذلك الثعبان وابتلع رجل النائم استيقظ حالا وسال مديته وقطع بها حاقومه فيموت حالا - إن ربك هو القوى العزيز -

﴿ العجبة الثانية عشرة • العصفور الحياط ﴾

مالى أرى أمة الاسلام قد نامت نومة عميقة . لماذا لا يدري المسلمون العلوم التي بها أمر الله . يا عجباً كيف يعتنى الانجليز في متحفهم البريطاني بأنواع العشب الذي يخططه ذلك العصفور . ليستيقظ عقل الشبان لما في هذا العالم من الجمال وأمة الاسلام نائمة عاكفة على الجهالة في النوم العميق . ان نوعا من العصفير التي أنعم عليها بطول ذبولها تخطط أعشاشها خياطة يحار فيها الناس بلا ابرة ولا خيط ولا آلة خائفة . فيعبد العصفور الى ورقة شكلها أشبه بالرجح وهي في غضنها ثابتة ويأتى العصفور بورقة أخرى أصغر منها ويخططها عليها بقطع من عيبدان دقيقة على نسق عجيب . فاذا فرغ العصفور من الخياطة عمد الى القطن فحشا به وذلك كله قبيل وضع الأنثى فتضع عليه بيضها ومتى فقس عاشت الفراخ أيامها الأولى على ذلك القرائش الناعم

في بيت، معاق في الهواء يتحرك بأخف النسيم

﴿ العجينة الثالثة عشرة • العصفور النساج ﴾

إن من العصفير نوعاً يصنع عشه كهيئة الخراب قد نسجه من قطع القش وأقامه بين الأعصان وهو كروي أو اهليلجي أو مخروطي وله فتحة يدخل منها العصفور إلى أفراجه وفي الجدار من دقة الصنع وحسن الصورة العملية مئدهش أولى الألباب

﴿ العجينة الرابعة عشرة ﴾

(العصفور الذي يبنى بيته ويصنع له باباً يقفله عند الحاجة فهو أرق من بعض المتوحشين والعصفور الذي يحبس زوجته)

إن هذا العصفور يبنى عشه في أوسط أفريقاً فيفتح باب عشه ويقفله متى أراد • وقد رأى العلماء من الناس من لا يصنعون لمنازلهم أبواباً • وذكر العلامة (جبرون) في كتابه المسمى «طيور الهند» أن بعض العصفير إذا آن زمن التفرج استعنت له كما يستعد الناس زمن الحفل فترى النساء يحضرن اللقائف قبل اوضع وترى اللبن يتقاطر إلى ثدى المرأة شيئاً فشيئاً • فهذا النوع إذ ذاك يحبس ذكره أثناء في عشها ويقفل عليها باباً من الطين وفيه ثقب لا يسع إلا منقارها لتلقط به الطعام وليدخل منه الهواء • أما الأنثى فاتها لانا كل إلا ما يحضره لها الذكر فتلقطه بمنقارها والعصفير في هذا أشبه ببعض الناس إذ يتجنبون المرأة أيام نفاسها وهذه الأنثى لا تزال محبوسة حتى يتم الأفراخ وبعد ذلك يتعاون الزوجان على كسر ذلك السجن

﴿ العجينة الخامسة عشرة • العصفور الذي يصنع عشاً كالجيب ﴾

ذكر العلماء ومنهم الرحالة (سونرث) الرحالة الشهير طيراً يجعل عشه كالقنينة الكبيرة أو كالجرة ويتخذ له مكاناً في داخله عند مدخله ليكون حارساً لها وحافظاً لأولادها وذلك لأن الأنثى إذا آن زمن وضع البيض اختفت في عشها لا تخرج منه حتى يتم التفرج • فيعجب نوعان من العصفير اتفاقاً أن أنثى كل منهما تبقى محصورة بطبعها جاثمة على بيضها وأحد الذكرين يحكمها بأن يستأ عليها بالطين والآخر يحكمها بأن يحرسها في باب عشها حتى لا يفاجئها خطر • وهذان النوعان من العصفير أشبه أولهما الناس حين يتخذون الحصون رداً يتقون بها الخطرات • والثاني أشبه الناس حين يفتحون حصونهم ويوقفون جنودهم وهم شاكوا السلاح ومن العجيب أن النوع الثاني الذي نحن بصدد الكلام عليه إذا أراد الزوجان سياحة أو خروجاً لغرض ضرب الذكر بجناحيه باب العش فينطبق على مافيه من أفراخ حتى يرجعوا وهما آمانان على الأفراخ فانظر كيف قام الصنف الثاني بالطريقتين • فاحداهما حين وجود أنثاه • وثانيتها عند خروجها من المكان فيجعل أنثى حصناً للذرية حتى يرجعوا إلى المكان

﴿ العجينة السادسة عشرة كيف تعيش جماعات هذا النوع من العصفير ﴾

إن جماعات هذه العصفير تعيش أسراباً وتكون أعشاشها مدينة عامرة حول جذع شجرة ضخمة وقد يجتمع حول ذلك الجذع نحو (٣٠٠) عش صغير • وقد نقل بعض العلماء عشاً من هذه من أفريقاً وقد حالها بضعة رجال وقتلت في معركة خاصة في سكة الحديد • ومن نظر إليها من بعد خالها ستوقفاً معلقة بجذوع الشجر والعصفير تلعب فوقها

﴿ اللطيفة السادسة عشرة • العنقاء ﴾

هل انقضاء موجودة • كلا • هذا هو الرأي المعروف في العالم الانساني ولكن الذي ظهر وتحقق الآن أن العالم الأرضي كان فيه حيوانات كبيرة من سائر الأنواع ثم انقرضت فيها (الموت) وهو القيل العظيم الجنة لم يبق إلا آثاره • وقد عثر الأستاذ (اوين) في زيلانده الجديدة على عظام من طيور ونقلها إلى كلية الجراحة في لندن فوجدوا فيها هيكل عظم لطائر كبير ارتفاعه عشرة أمتار وأدق عظامه وأصفرها لا ينقص عن ثخذ الانسان القوى وهذا الحيوان يسمى (الدينوريس) وقد انقرض من أجل غير بعيد وسكان زيلاندا

يتناقلون خبره فيما بينهم . فأى مانع يمنع أن تكون العنقاء قد انقرضت من بلاد العرب وبقى الناس يتناقلون أخبارها وأصبحت خرافة وليس ينقص تحقيقها إلا العثور على بقايا عظامها كما عثر على طير ياندا وياليت شمرى أى عظمة للعنقاء وأى غرابة فيها بعد ما تبين أن هناك طيوراً هائلة بقيت آثارها الآن وهي أعظم من العنقاء وأن هناك في متحف باريس بيضة لطائر منقرض يسمى (اييوريس) كان في مديانسكر وحجم هذه البيضة يزيد على ستة أضعاف بيضة النعام الكبرى وهي تساوى (١٢٠٠٥) بيضة من بيض الطيور الصغيرة وتخانه قشرتها تساوى مليمتين بحيث لا تكسر إلا بالمطرقة فملى ذلك تسكون قوة مفسر فرخ هذا الطائر عند خروجه من البيضة كقوة المطرقة حتى يتسمر له الخروج من البيضة بمنقاره

فاذا سمعنا انقروني يقول العنقاء أعظم الطير جسمة وأكبرها خلقة تحطف القيل كما تحطف الخدأة الفان لم يكن في ذلك بعدا لانه مبالغ فيه ويكون ذلك حيوانا انقرض أسنبيه بما ظهر اليوم في العالم كما تقدم . ويقول علماء طبقات الأرض انها كانت في غابر الدهور أوفر حرارة وأقوى حيوانات وكان نباتها وحيوانها أعظم جدا من النبات والحيوان اليوم . وكلما مرت عليها دهور صغرت حيواناتها . ويقول علماء الأرواح ان الأرضين التي حول الشمس مشبل أرضنا تكون الأجسام فيها أعظم في أول أمرها . فاذا جاء دور انحلالها أخذت المخاوقات التي فيها تصغر أجسامها ولكن عقول العقلاء فيها تقترب من عالم الأرواح وتكون أكثر صفاء وأجل أخلاقا وأحسن علما - والله يعلم وأنتم لاتعامون -

﴿ الجحينة السابعة عشر . الحرباء ﴾

هذا الحيوان وديع جبان يعيش في الأقاليم الحارة مثل افريقيا واسبانيا وأمريكا وهو من رتبة الورل رأسه كبير بالنظر الى جسمه وظهره ذو أسنان وذنبه ولسانه طويلان وطول لسانه يساوى طول بدنه . وفي هذا الحيوان ﴿ ثلاث عجائب ﴾ أصلية لسانه . وتفسير ألوانه . وطول أثنائه وصبره . أما لسانه فهو غدة حربية يقوم مقام المدافع والأساطيل والجيش تفتح المدن لتسدد تحصيل الغذاء . لهمرى لم يحارب الناس ولم يجمعوا اجيوش إلا لصد عدوا أو جر مغنم وكل ذلك لمقصدا الحياة . فهذا الحيوان اذا جتمع على غصن يوقع في وهك أنه مائت . ذلك لأنه يبقى زمانا طويلا لاحتراك به وليس له رائد إلا عيناها يتابعهما ليراق حشرة طائرة ومتى مرت به فها هو لا كلج البصر حتى يستطفاها به ويتبعها ويتفندى بها وذلك أن لسان هبنا الحيوان مكسو في آخره بمادة لزجة متى لامست حشرة التصقت بها بسبب تلك المادة . ولهذا الحيوان أربع أرجل لسكل رجل خمس أصابع وهذه الأصابع خزمتان متقابلتان . وبهذه الأرجل وأصابعها يتشبث بالأغصان واذا انتقل فأنما يكون ذلك ببطء وحذر فليسه وصبره هما عدته لاجتلاب الغذاء . أما عدته لدفع الأعداء فهو تغير ألوانه . إن لون هذا الحيوان يتغير تبعا لما يحيط به وقد قالوا إنه يغير لونه كيفما أراد في أى وقت شاء وذلك لبشا كل ما يحيط به من الخلوقات فان كان بجانب شجرة صار أخضر مشاكسا لها . ذلك ليسكون بأمن من مفاجأة العدو المغير فاولا اللون وتغيره لأصبح فريسة الحيوانات النافسة والسكان ذلك مفزعا للحشرات فلا تقترب منه . وهذا الحيوان اذا أخذ الانسان باليد صار أبرش وأكدلونه وظهر في جسمه بقع سود وحر وما بينهما واذا غضب اشتدت سمرة حتى يصير أسود اللون . وقد تشبوا في الحزم بالحرباء ومن أمثالهم أيضا ﴿ اصرد من عين الحرباء ﴾ أى يرد يضرب لمن أصابه برد شديد لأن العرب تهتمد أن غين الحرباء تدور مع الشمس ويستقبلها بعينه ليستندى بها . ولذلك شبه ابن الرزمي الرقيب بالحرباء . قال

مابالها حسنت وإن رقيها * أبدا قبيح قبيح الرقيب

مأذاك إلا أنها شمس الضحى * أبدا يكون رقيها الحرباء

فانظر كيف كان الصبر والاناة وسكون الحركات سببا لاقترب الحشرات منه . وكيف طال لانه حتى

يختطفها • وكيف انتهى بمادة لزجة فالتصقت بها الحشرات • وكيف تفنن في ألوانه ليشاكل ما حوله دفعاً للملحمة وطلباً للخيرات فأقرأ - وما كنا عن الخلق غافلين - وأقرأ - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - وأقرأ - سبح اسم ربك الأعلى • الذي خلق فسوى • والذي قدر فهدى - فهذه هي الهداية وهذا هو قوله تعالى - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - فأقرأ القرآن في هذه الجباب ولا تسكن من الغافلين النائمين

﴿ الحجية الثامنة عشر • من أهم سلاح بعض الحيوان الجلود المتينة ﴾

إن لكل حيوان سلاحاً فالفيلة بالخرطوم والانسان بالعقل والسلاح المشهور والوحوش بالانياب والسباع بالبرائن والفيران ونحوها بالعدو والطير بالتعليق في الجوق والثور بالقرون وما أشبه ذلك • وهناك حيوانات لا سلاح لها إلا جلودها كالتمساح انه لا يخترق جسمه الرصاص وكذا السلحفاة فاذا مشيت ترى دليلاً قوياً متينة فاذا خافت مما يؤذيها انكمشت وأخفت رأسها وأرجلها في ذلك الحصن الحصين • ومن هذا النوع السرطان والقنافذ وغيرها

﴿ الحجية التاسعة عشر شريعة الغرابان ﴾

وقد تقدمت في هذه السورة فلانعيدها

﴿ الحجية العشرون • الفرس الحاسب المتعلم ﴾

كان قدماء العلماء يقولون إن الحيوان يتقابل مع الانسان في أوصاف شتى في الهيكل الظاهري كالقرد وفي الذكاء كالفيل وفي الأدب كالفرس وفي النطق كالليغاء وفي حمل الأثقال كالجمال • فكل حيوان من هذه اقرب من الانسان بحصلة ولم يقدر حيوان ما أن يشارك الانسان في سائر أحواله • ولقد كان الفريجية في أول نهضتهم يظنون أن القرد وحده قد اختص بالقرب من الانسان • ولكن لما استمروا يجتدون في العلم ألقوا به الفرس والكلب والهرم والفيل • ولقد كان العالم الألماني المسمى (هرفون أوستين) يقيم في شمالي برلين متفرغاً لدرس طبائع الحيوان مدة (١٤) سنة ووجه عنايته الى فرس عنده وعلمه فنجح خير نجاح وقد سمي هذا الحصان (حنا النبيه) ولقد علمه على أحدث طريق تعليمي مدرسي بالطباشير والألواح السوداء وبالخرز وبالروائح العطرية والألوان وعلمه الحساب بالأرقام فعلمه الجمع والطرح والضرب والقسمة والكسور العشرية وغير ذلك • ولما شاع أمر هذا الفرس شكلت لجنة من علماء الحيوان فامتحنوه فأقرت العالم (هرشيلنس) أشهر علماء الحيوان في (برلين) أن هذا الحصان يقرأ الخط ويعرف الأعداد والنقود وكم الساعة دقائق وساعات وأجوبته على مسائل الحساب بالضرب على الأرض بحافره • وإذا أراد تأكيده الجواب ضرب الأرض بحافره الأيسر ورفس رفساً شديداً • ولما غالطه أستاذة إذ قال له اثنين واثنين عبارة عن خمسة ضرب بحافره الأرض أربع مرات ومع كل منها ضربة بحافره الأيسر • وسأله في عملية حسابية طويلة فأجاب ولم يخطئ • وملأ قفة خرقاً بألوان مختلفة وسأله عن كل واحدة بألوانها فكان يجيب ولا يخطئ وسأله كم عدد الذين يتقلدون النظارات • وعن السيدة التي على رأسها قبعة خضراء فأجاب ولم يخطئ • واللجنة لما رأت هذه الشباهة أخرجت الأساتذة الذين سأله وأبدأ غيرهم في السؤال فقدم أحدهم له ريالاً وقال منى الساعة فلم يجبه • وقال بعضهم نظف معلفك بخرقه وأنا أريد في علفك فالتفت يمينا وشمالاً حتى وقع نظره على خرقه أمام الاستاذ (شيلنس) فالتقطها بفيه وأسرع الى الاصطبل وأخذ يمسح معلفه بتلك الخرقه حتى نظف تماماً ثم أعاد الخرقه • ولقد أتوا له بثلاثة أسلاك في واحد أربع كرات وفي الثاني ست وفي الثالث ثلاث كرات وعلقوها بين يديه وطلبوا منه جمعها ف ضرب الأرض بحافره ١٣ ضربة • وهو يعرف الحروف بالأعداد فلكل حرف عنده عدد • وأتوا له بصحيفة عليها رقم خمسة وسأله كم واحدة من

هذه تساوى عشرين فضرب برجله الأرض أربع مرات وقد ميز أمامهم بين الذهب والفضة والنحاس وجعل للذهب ضربة وللفضة ضربتين . وأروه ساعة وكان الوقت ١٩ ونصفا فضرب أولا ١٩ ضربة وصعد قليلا ثم ضرب ثلاثين ضربة . وقال العلماء ان نباهة هذا الفرس تقابل نباهة الانسان وعمره ١٣ سنة وكان يوم امتحانه مشهودا حضره الأطباء والعلماء وأعضاء الأكاديميات العلمية وكثير من الأسماء والأشراف وكان أمرا عظيما . ولما عرف ذلك واشتهر طلب أحد الأمريكان أن يشتريه بمبلغ (٥٧٠٠) جنيه فلم يقبل صاحبه وقال أنا لا أبيع به أى شئ لأنى لا أطيع فراقه . ووقع العلماء والفضلاء ورجال الأكاديميات على الشهادة بما شاهدوه من هذا التلميذ النبىء

والقد أجمعت جرائد برلين أن ﴿حنا النبىء﴾ يمثل أعظم حادث يتعلق بعلم النفس فى المملكة الحيوانية هذه هى العجائب العشرة التى وعدتك بها تذكرة لقوله تعالى - وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها الخ - فبمثل هذا يدرس القرآن . وبمثل هذا فليرتق المسلمون . وبمثل هذا يكون مصداق قوله تعالى - ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون - . بمثل هذا يا أمة الاسلام ترتقون وعلى ذلك فلتعولوا هو خير مما تقرؤن من العلوم القشرية . فإياكم أن تقفوا على القشور فاخترقوها واطلبوا الآليات . هذه هى الخزائن الالهية فى الآيات القرآنية . انما مثل سورة هود كمثل قصر مشيد فيه حجرات فاخرة فى كل حجرة ماغلا من الثياب وماجل من المتاع وفى داخل تلك الثياب الجميلة جواهر بقيمة كل جوهرة منها فى حجرة وتلك الجواهر هى عجائب الحيوان كما ونحتمه عند ما مثلت ذلك بتمرة الجوز فن اكتفى بالثياب غابت عنه الجواهر فلم ينلها وخرج صفر الديدن منها . إن القرآن يقرؤه الناس ويكتفون بظواهر القصص وهم عن الجواهر معرضون . انما هذه القصص بحر فيه أنواع المخلوقات ولكن أجلاها وأغلاها وأضوأها وأبهرها الجواهر المكنون فى صدفه فهذه هى الجواهر فى القرآن

لقد ضل قوم انصرفوا عن الجواهر الى الأصداف فقال الله فيهم - يضل به كثيرا - واهتدى قوم الى الجواهر فقال الله فيهم - ويهتدى به كثيرا -

إن الكثير من المهتدين سيكونون من الآن الى مستقبل الأزمان . إن المسلمين سيقوم فيهم جيل جديد يتبعه أجيال وسيكون هذا التفسير وما مثله فى أمم الاسلام من أجمع الوسائل لترقية المسلمين . إلى بذلك موقن ولولا إيقانى به ما كتبت حرفا ولا أضعت وقتا . ومتى أراد الله أمرا هيا أسبابه

وقبل ختام التفسير فى هذه السورة أذكر ﴿حادثتين الأولى﴾ اننى قرأت فى الجرائد هذين اليومين أن الأب (موفيه) الفلكى الشهير ومدير مرصد بروج صرح بنبوءة أحدثت جزعا . ذلك أنه تنبأ بوقوع حرب كبرى سنة ١٩١٨ أو أزمة خطيرة فى العالم وقال إن الأمم تتأثر بنشاط الأفلاك فى حركاتها ومواقع الشمس والنجوم وكذلك الأفراد . وقد حذر الأب (موفيه) المذكور حينما كان فى بروكسل سنة ١٩١٠ حكومات أوروبا من مصاب هائل يوشك أن يعصف بالعالم ما بين سنة ١٩١٤ وسنة ١٩١٨ وها هو ذا الآن يحذر العالم من جديد . ويقول ان الاضطراب فى مواقع الشمس يؤثر فى الجهاز العصبى الانسانى كما يؤثر فيه الاقلم وهذه المقالة كتبت فى جرائدنا يوم ١٢ اكتوبر سنة ١٩٢٤ وانما كتبتها لمناسبتها لما نحن فيه . ألا ترى أن هذا العالم فى نظر الحكماء كجسم واحد وحيوان واحد وانسان واحد - ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة - والا فبأنه أى فرق بين تأثير الزنبور فى السودة كما قدمنا وتأثير الشمس فى الأمم والأفراد . إن العالم كشيخص واحد فالسكواكب والأقمار والنجوم لها ارتباط بكل حيوان وكل انسان تلك هى الوحدة العامة فى العالم والحرك لها نظام واحد لا يتخلل - وما مثل الزناير للدود ولا فتك الآساد بالغرلان والذئاب بالحلان إلا حركات متصلة بالمبدأ الأعلى فظاهرها اختلال وباطنها حساب ونظام

﴿ أعمال تطابق غرائز الحيوان وديانات الانسان ﴾

ومن هذا المقام أن ذلك المبدأ الأعلى أوحى الى أمثال تلك الزنابير فتقال لها متى اقترب زمان بيضها أن اقتنصني السباب واصطادى العنكبوت وأجذبيهما وأمثالهما الى منزلك المنظم وأنزلى عليهما مالدليك من المنادة الساقطة والركبهما ثم بيض عليهما فاذا فعلت ذلك باضت وتركت بيضها ليتغذى دودها الذى سيخرج من البيض مما تحته من هذا الصيد . إن هذه الحادثة التى قدمنا ذكرها وما مثلهما فيما ذكرناه ترىنا نظاما واحدا فليكن حيوان نظام تام يعيش به وليعد العدة لأولاده . باض الطير فألهم أن يحتم على بيضه أيا ما ولم يلهم أن يجتذب حشرات لأولاده لأن مافى البيضة من الغذاء كاف . حلت البقرة والشاة والمرأة ولم يحتجن قط الى ما احتاجت اليه السجاجة من حضنها بيضا ولا حشرة الزنبور من احضار الصيد لأولادها ذلك لأن اللين عندها قائم مقام ما ذكرناه . يا أيها الناس . يا أيها الأذكىاء . انظروا كيف تم هذا النظام . كيف ألهم كل حيوان قبل وجود أبنائه بما قصرت فيه الطبيعة فأحضره لنريته المقبلة . انظروا لهذا النظام . انظروا كيف كان الإلهام مطابقا للاحتياج ولا يلهم الحيوان إلا حاجته . ويمنع عنه ما ليس اليه حاجة . نعطف على الانسان وننظر فنجد من أول التاريخ الى الآن لا يزال يجتد في العبادة وينصب التماثيل تارة ويوحى تارة أخرى وترسل له الأنبياء فيقولون أيها الناس هناك عالم آخر فاستعدوا له فتراهم يعبدون ويوحدون ومهماسافرت في البلاد واخترقت الطرقات وجبت المدن لم تجد إلا ما أذن شاعته ومساجد مشيدة وكنائس مبنية ويبيعان منصوبة وآيات مكتوبة وأذكارا مقروءة ودعوات مطلوبة وأورادا متلوقة ودروسا مفهومة وعلموا مروية وأحاديث مرفوعة وكتبامقدسة مسموعة ونواقيس مدقوقة ومؤذنين يؤذنون وقرءاء يرددون وصواميا يحجوعون وقواما بالليل يصلون . أليس ذلك من الاستعداد للعالم الذى سنصل اليه بالوحى والالهام كما استعدت الطيور في أعشاشها والحشرات فى أماكنها للندرية المستقبلية . وإذا كان الجراد لا يضع بيضه إلا على بعد مخصوص فى مكان مخصوص ثم يمتوت ويحوت ويكون هذا الوضع وفق المطالب وبه يعيش الجيل الجديد فكيف لا يكون الانسان وأبناؤه قد استعدوا للمستقبل كما استعد أول الحشرات وسائر الأممات لمستقبل الأبناء والبنات

إن صغار العقول من بنى الانسان قد استهزؤا بالديانات وقدهجوها نظام الأرض والسموات ونظام الكرام والانات من أنواع الحيوان وغفلوا عن قوله تعالى . وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها . ثم هو لا يلهمها إلا على مقدار احتياجها فألهم الانسان ميعاده كما ألهم الحيوان ما يرى أولاده هذا هو المعنى من هذه الآية . وهذا هو الذى قصده الأنبياء إذ استدلوأ بهذه على الله وعلى الميعاد وتمت السورة بقوله تعالى . ولله غيب السموات والأرض الخ . فهل يصتق الحيوان ويخطئ الأنبياء والانسان وهما فى النظام سريان وفى الخلق صنوان وهل يصتق المفضل والفاضل فى بيتان إن العدل ينكر ذلك والميزان ﴿ الحادثة الثانية ﴾ أن سيدة من أشرف السيدات اطاعت على ما كتبته هنا فى أمر الجباب فدهشت وقالت يا عجبا اذا كانت الجباب هكذا تضىء على الناس فكيف يكون نور الله فكفرت فى نفسى وقلت ان الجباب المضئ من العالم الأرضى والأرض مشتقة من الشمس وهذه الحشرة أضاءت أمها الكبرى وهى الشمس ونسبة ضوء الجباب الى ضوء الشمس كنسبة الجباب نفسها الى الشمس . إن عقولنا لها نور معنوى فنورها مستمد من نور معنوى أوسع ونسبة ادراك عقولنا الى ذلك العقل العالى المستمد من الله المدبر للعالم كنسبة ضوء الجباب الى ضوء الشمس . هاتان الفسكاهتان ختمت بهما تفسير هذه السورة والحمد لله رب العالمين

(تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء السادس من كتاب (الجواهر) فى تفسير القرآن الكريم)
 ويليهِ الجزء السابع وأوله تفسير سورة يوسف عليه السلام)